

بجته التأليف والترجمة والنشر

غريدة القصر وجريرة العصر

قسم

شعراء مصر

بتأليف

العماد الأصفهاني الكاتب

نشكره

سوقى ضيف

أحمد أمين

أحمد عيسى

الجزء الأول

بجته التأليف والترجمة والنشر

غريدة القصر وجريرة العصر

قسم

شعراء مصر

بتأليف

العماد الأصفهاني الكاتب

نشرة

سوق صيف

أحمد أمين

أحمد جبار

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

للمؤتاد أحمد أمين بك

الحق أنى أحببت بالمداد الأصفرانى حينما قرأت كتاب الخريدة إيجابا لا حد له من حيث استقصاؤه شعراء مصر ، وعرضه نماذج من شعرهم ، فوقنا بذلك على أشياء كثيرة قيمة كانت مجهولة مما يفيد الباحث .

ولكن لم أعجب به من حيث التعريف بالشعراء وتحليل فقههم ، فهو يلتزم السجع غالباً ، ويعرض الشاعر فى شكل قد يصح أن ينطبق على كل شاعر ، وهو رأس مدرسة تبعية تلاميذها فى منهجه من حيث السجع والتحليل . وكان يكون أقيّد لو تحرر من السجع وتعمق فى تحليل الشاعر وقيمة فنه ، فهو — فى نظرى — يُعنى بالتزويق أكثر مما يعنى بالمعنى . ولست ممن يذهبون هذا المذهب ، فإنى أفضل العناية بالمعنى على العناية بالتزويق ؛ ولهذا أفضل طريقة ابن خلدون ومدرسته على المداد ومدرسته ، كابن فضل الله العبرى والشهاب الخلفاى وأمثالهما .

وربما كان عنوان طريقة المداد تسمية أحد كتبه « بالفتح التفسى فى الفتح القدى » وهى طريقة تعتمد على التجميل اللفظى ، ربما دعت إليها طبعته الأرستقراطية التى كان يعيش فيها ، وهى طبقة الخلفاء والوزراء وأضرابهم . ونحن لانحب هذه الطريقة الأرستقراطية ، بل نفضل عليها الطريقة الديمقراطية التى

تعنى بالوضوح والقوة أكثر مما تعنى بالجمال والتزويق ، ولكل وجهة هو مؤيها .
ولو وجهه كل مجهوده الذى بذله فى البحث عن سبعة يلائم بينها وبين أختها
إلى إجادة للعنى ودقته لكان أحسن .

وبعد استعراضى لما ذكره فى ترجمة شعراء مصر لا زلت على رأيى فى أن
شخصية مصر غير واضحة فى شعرها إلا ما كان حتماً من تأثير البيئة المصرية
واختلافها عن البيئة العراقية والشامية . أما طابع الشعر ومعانيه وأسلوبه فيشبه
شعر باقى الأقطار ، لا يختلف عنه من حيث التقييد ببحور الشعر والقافية ، أو من
حيث الموضوعات التى يتعرض لها الشاعر من مدح وغزل وثناء ونحو ذلك .
أما شخصية تختار موضوعات جديدة فى أسلوب جديد ونظم جديد وقواف جديدة
فلم نلسمها فى كل ما قرأنا من شعر مصر . ولعل المستقبل ونشر كتب النصوص
يعدلان من رأيى .

وكان من حسن الحظ أن قام الجمع العلمى ببغداد بنشر القسم الخالص
بالعراق ، وقد اطلعت منه على ثمانى ملازم . ولعل مصر أو العراق أو غيرها يعنى
بالقسم الأندلسى أو بقسم آخر من الخريدة . وبذلك يكمل نشر الكتاب .
والله الموفق ؟

أحمد أمين

القاهرة فى ٢٨ من يولييه سنة ١٩٥١

مدخل

للكنور شوقي ضيف

١

خطوات العمل في هذا القسم المصرى من الخبرة

حين كان أستاذنا الجليل أحمد أمين بك أستاذا للأدب المصرى فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بين سنتى ١٩٣٩ ، ١٩٤٦ م كان يعمل مع طلابه وزملائه جاهداً للتحقق من شخصية مصر الأدبية فى العصور الوسطى ، وبيان صفات هذه الشخصية وخصائصها . ودخل هذه الدراسة بطبيعة العالم الذى لا يثبت صفة ولا خاصة دون أن يشفع ذلك بكل ما يمكن من وثائق ومستندات .

ولذلك رأيناه يتشكك كثيراً ولا يترك أحداً يرى رأياً دون أن يشتبه اشتقاقاً من نص . ولم يكن حينئذ محايياً لوطنه ولا متحزباً له أو متعصباً ، بل كان — كمادته — يتحرى أن يكون منصفاً فى أحكامه عليه . ومن استمعوا إلى محاضراته واتصلوا بأبحاثه حينئذ يعرفون أنه كان قليل الاعتراف بحظ هذا الوطن فى الشعر والشعراء ، فصر لم تخرج شاعراً كبيراً مثل البحتري وأبى تمام واللتنى وابن الرومى وأبى العلاء . وأذاع ذلك فى مجلة الثقافة وفى بعض كتاباته . وأذكر أننى حاورته فيه واعتمدت فى حوارى على أن نصوص الشعر العربى فى مصر لما تُنشر ، وأن نشرها قد يُعدّل فى أحكامنا الأدبية على شخصيتها وطبيعتها الفنية . وامتد هذا الحوار فى نفسى ، ورجوت لو أننا نشرنا أكثر ما يمكن من شعرنا المصرى ، حتى نُصدر عليه أحكامنا وهو فى أيدي الباحثين وتحت أعينهم . وفى أثناء لقاء الأستاذى عرضت عليه أن نشر مع القسم المصرى من كتاب

« خريدة القصر وجريدة مصر » للهاد الأصفهاني فرحب بالفكرة وتقبلها قبولاً حسناً . فرجعت إلى بروكلمان في « تاريخ الأدب العربي » فوجدته يشير إلى نسخ مختلفة تناثرت من الكتاب في مكاتب العالم العربية والشرقية . واتفق أني اطلعت على النسخة المصوّرة بدار الكتب المصرية من نسخة المكتبة الأهلية بباريس ، ورأيتهما صالحة لأن تكون أصلاً يُنشر منه القسم المصري . غير أنني سرعان ما عرفت أنها تنقص كثيراً من أولها ، وأيضاً فإن أوراقها ضمّ بعضها إلى بعض في غير نسقٍ ولا نظام .

وانصرفت عن هذا العمل إلى حين ، ظلّ فيه الأمل يُراودني ، وظللت أتمتع بالنسخ المختلفة للكتاب . حتى إذا قامت الجامعة العربية وأسس أساتذتنا أحمد أمين بك مدير إدارة الثقافة بها معهد المخطوطات العربية يريد أن يجمع عن طريقه هذه المخطوطات من أنحاء المعمورة على أشرطة صغيرة تكبّر في المستقبل كان كتابُ الخريدة أحد الكتب المهمة التي عُني بها ، فكلّف البعثة التي أرسلها إلى الآستانة في صيف سنة ١٩٤٩ أن تجدّ في الحصول على نسخه المختلفة هناك . وحينئذ أمكن لهذا الأمل ، أمل نشر القسم المصري من الخريدة أن يتحقق ، فقد ظفرت البعثة بقطعة من القسم عثرت عليها في مكتبة « نور عثمانية » وهي تحتوي على مجموعة كبيرة من التراجم الأولى منه .

وصوّرت هذه القطعة وضممت إليها مُصوِّرة دار الكتب المصرية وبدأت أحاول إعداد القسم للنشر . وكان أول ما صنعت أني وضعت مختصر الخريدة على رضائي للسمى « عود الشباب » رصداً على المصوّرين أريد أن أتبين منه صحة ترتيب التراجم في النص وما يمكن أن يكون قد سقط منه . فرأيت أن مُصوِّرة « نور عثمانية » لا تلتحم مع مصورة دار الكتب المصرية ، إذ بينهما ثغرة سقطت فيها تراجم الأمير أبي المهند حسام بن مبارك بن قضاة القيلي ، وهبة الله

ابن كامل ، وابن الذرّوى ، ثم فاتحة ترجمة القاضى الجليس ، فن بقية هذه الترجمة تبدأ مصورة الدار .

وقد نقلت الترجمة الأولى من مختصر الخريدة ، إذ لم أجدها فى سواه . أما الترجمة الثانية فقد وجدت كتاب « الرّوّصتين » لأبى شامة المقدسى يحتفظ بها نقلا عن الخريدة ، فأثرت أخذها منه ، لأنها فيه أتمّ وأكمل . وكذلك الشأن فى الترجمة الثالثة ، فقد نقلتها عن « المُغريب » لابن سعيد ، لأنه لا يوجز التراجم التى ينقلها عن العاد فى كتابه إيجازاً شديداً على نحو ما يصنع على رضى فى المختصر . أما فاتحة ترجمة القاضى الجليس فقد رجعت فيها إلى الكتب الثلاثة جميعا ، لأن كلا منها احتفظ بها أو بأكثرها .

وبذلك التأم هذا القسم المصرى الذى نشره من الخريدة ، ولم ننتظر حتى نجد نسخة كاملة منه ، لأننا يأسون من ذلك الآن ، وإذا أتاح لنا البحث نُسخاً أخرى رجعنا إليها فى الطبعة الآتية إن شاء الله .

على أنه ينبغى أن أشير إشارة خاصة إلى ما ذكرته آنفاً من أن مصوِّرة دار الكتب المصرية ورق متناثرٌ جُمع بعضه إلى بعض فى اضطراب واختلاط شديدين ، وقد استطعت أن أعيد هذه الأوراق إلى مواضعها الأصلية من اتصال الكلام عن طريق المختصر من جهة وكتاب المغرب من جهة ثانية ، إذ احتفظ ابن سعيد فى الكتاب الأخير (جزأى القسطنطين والقاهرة) بأكثر من ترجم لم العاد من المصريين فى الخريدة . وكنا إلى وقت قريب نظن أن ما قدّم من كتاب المغرب لأبل فى العشر عليه ، ولكن معهد المخطوطات عثر فى سوهاج على قطعة جديدة ، فيها بقية كتاب القاهرة . وسيرى القارئ فى تعليقاتنا على التراجم والأشعار أننا رجعنا كثيراً إلى هذه القطعة .

وعلى نحو ما نظمتُ أوراق مصوِّرة دار الكتب معتمداً على المختصر

والغرب أكلت ما سبق منها. مستعديا منها ومن الكتب الأخرى التي احتفظت ببعض التراجم نقلا عن العاد، كما يرى القارئ في ترجمة الموفق بن الخلال. إذ نقلت فاعتميتها الساقطة من ترجمة ابن خلكان له في كتابه «وفيات الأعيان» .

ولما تماثل النص بهذه الصورة وأصبح جديراً بالنشر عهدت إلى تليدني وصديقي الأستاذ إحسان عباس أن ينقله من المصورتين المذكورتين لنا أنعهده فيه من حسن لتوى وذوق أدبي ، فقبل ذلك مخلصا ، وأداء على خير وجه من الصحة والضبط والدقة .

وتناولت منه النص فرمت ثمراته ، كما بينت ، وعرضته على كتب اللغة وعلى كل ما أمكنني من كتب مخطوطة ومطبوعة ، وخاصة تلك التي استمدت منه مثل الغرب . ورجعت إلى مجموعة من المخطوطات المصورة في دار الكتب المصرية ، وعلى رأسها «معجم» السكفي و «المحمّدون من الشعراء» للقفطي و «الوفاء بالوفيات» و «أعيان مصر وأعوان النصر» للصفدي و «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العيمري . وأفدت منها جميعا فوائد جمة في تحقيق النص . وإذا كان لشاعري ديوان مطبوع أو مخطوط قابلت عليه منتخبات العاد له ، على نحو ما يرى القارئ لهذا الجزء الأول في ترجمة ابن سناء الملك ، إذ قابلت أشعاره على نسختين من ديوانه ، إحداهما مصورة والثانية مخطوطة ، وكذلك قابلت أشعار ابن قلاؤس على ديوانه المطبوع .

ورجعت بجانب ذلك إلى كتب التراجم المطبوعة وفي مقدمتها «معجم الأدباء» لياقوت و «وفيات الأعيان» لابن خلكان و «إنباء الرواق» بأبناء النحاة» للقفطي (الجزء الأول منه) و «الطالع السعيد» للإدغوي و «فواتح الوفيات» لابن شاكر الكتي و «شذرات الذهب» لابن العماد الحفيلي ، و «حسن المحاضرة» للسيوطي . ورجعت إلى كثير من الكتب التاريخية مثل

« البرهنتين » و « التجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى ، و « خطط » للمقرئى ، و « الكامل » لابن الأثير . ويحدد القارئ في هوامش هذا الجزء الأول أسماء الكتب المختلفة التى رجعت إليها فى تحقيق النص والتعليق عليه .

ولما أكملت هذا العمل قرأه الأستاذ أحمد أمين بك معى ، وراجعه مراجعة شاملة ، استعرض فيها التصحيحات والتعليقات . وبذلك أمكن لهذا العمل أن يخرج إلى الباحثين .

٢

وصف مصورنى هذا القسم

أما المصورة الأولى فقد أخذت عن مخطوطة محفوظة بمكتبة « نور عثمانية » تحت رقم ٣٧٤ . وهى تبدأ بأول النص وتستمر حتى تنتهى بترجمة طلائع ابن رزّيك ، ونجد فى نهايتها هذه العبارة : « تم الجزء التاسع من كتاب خبرية القصر وجرية العبر ، ويتلوه فى الجزء العاشر منه إن شاء الله تعالى شعر الأمير أبى الهند حسام بن قضة بن مبارك العقيلي من المبررين » .

وينبغ على الظن أن تكون هذه النسخة كتبت فى القرن التاسع الهجرى ، وهى بخط نسخ صغير ما عدا عنواناتها فقد كتبت بخط ثلث . وإجماعها كامل ، وبشكلها كثير ، وليس فيها حليّات مميزة سوى شكل غروطى ، تحتم به أحياناً بعض التراجم ، أو بعض الأبيات ، وقد يوضع حول العُنوان .

وعديد أوراق هذه للنسخة التى أفدنا منها فى هذا القسم خمس وعشرون ورقة ، وهى تامة ، فليس بها خرم أو نقص يتخللها . وعدد سطور الصفحة فيها سبعة وعشرون سطراً وطولها ٢٦ر٥ س . م وعرضها ١٧ر٥ س . م .

وأما مصوِّرة دار الكتب المصرية عن نسخة المكتبة الأهلية بباريس فمخطوطة بالدار تحت رقم (٤٢٥٥ أدب) . وهي تبدأ بمقطوعات شعرية نجد في أثنائها: «وأُنشدني بعض فضلاء مصر لابن الجباب» وفي آخرها: «تمَّ التأليف الحاموي لشعراء مصر وأدباء العصر بمنَّ الله تعالى بتاريخ العشرين من رجب من سنة اثنتين وأربعين وستائة، والحمد لله، وصلى الله على محمد وآله وأصحابه» . وحول هذه العبارة مطالعات لبعض من نظر فيه .

فهي نسخة قديمة كُتِبَتْ في عصر قريب من عصر العماد، وربما نُقلت من نفس نسخته . وهي تبدأ ببقية ترجمة القاضي الجليس بن الجباب وتستمر حتى نهاية هذا النص المصري . وهي ورق مختلط ضمَّ بعضه إلى بعض على غير نسق، ويستطيع القارئ أن يطلع على ذلك بمقارنة أرقام النسخة على تعاقب النص في هذا الجزء الأول، كما في ترجمة الجليس مثلاً، وابن قادوس، ومحمد بن هاني .

وقد كُتِبَتْ هذه النسخة بخط نسخ حسن، وكتبت عنواناتها كالنسخة السابقة بخط الثلث، وإعجامها تام، وشكلها كامل ودقيق . وقد وضع ناسخها هذه الحلية التي أشرنا إليها في النسخة السابقة، فمن حين إلى آخر يقابلنا شكل مخروطي مع بعض العنوانات، أو في نهاية بعض المقطوعات .

وعدد أوراق هذه النسخة ٢٠١ غير أنه ينبغي أن نلاحظ أن العماد أضاف إلى مصر ملحقا ذكر فيه شعراء عسقلان وهو يشغل أربع عشرة ورقة . ومعنى ذلك أن الأوراق الخاصة بمصر في هذه النسخة مائة وسبع وثمانون ورقة . وعلى كل ورقة رقم أفرنجي إلى اليسار لاشك في أنه من عمل المكتبة الأهلية الباريسية . وعدد سطور الصفحة في الأكثر سبعة عشر سطراً، وطولها ٢١

العماد الأصفهاني وأسلوب تأليف لهذا القسم

والعماد مؤلف هذا القسم المصرى هو محمد^(١) بن محمد بن حامد بن محمد ابن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن آله الكاتب الأصفهاني المعروف بابن أخي العزيز^(٢). ولد بأصفهان سنة ٥١٩ هـ ، وقدم بغداد وهو في سن العشرين ، فانتظم في سلك المدرسة النظامية ، ودرس على أساتذتها المختلطين الفقه والحديث والخلاف ، وبرز أثناء ذلك في نظم الشعر وصوغه ، فحاول الصلة عن طريقه بالخليفة المقتنى لأمر الله (٥٣٠ - ٥٥٥ هـ) فأوصى به وزيره عون الله بن هبيرة (٥٤٤ - ٥٦٠ هـ) فولاه النظر بواسط والبصرة . وقد أرنخ العماد بدء هذه الصلة في ترجمة المقتنى بالقسم الأول من الخريدة ، إذ يقول : « وأول من مدَّحَّته من الخلفاء المقتنى — رضى الله عنه — خدمته في سنة اثنتين وخمسين وخمسةائة بقصيدة ، ووليت بعد ذلك الأعمال الجليلة ، وليت بواسط نيابة وزيره عون الله ابن هبيرة » . واستمر يخدم ابن هبيرة على واسط والبصرة حتى توفي سنة ٥٦٠ هـ فاعتقل مع من اعتقل من أنصاره ، يقول في أوائل الخريدة : « ولما توفي الوزير ابن هبيرة اعتقلت في الديوان ببغداد بسبب منابقي عنه في واسط والبصرة ، فحدثت الخليفة (السلجوق) بقصيدة ، أستعطفه بها في شعبان سنة ستين منها :

أعيذكُم أن تغفلوا لأُمُورِهِ وأن تتركوه نُهْبَةً لغيرِهِ

وما زال يستعطفه حتى فك وثاقه ، فوَلَّى وجهه نحو الشام وألقى عصا التسيار

(١) انظر في ترجمة العماد معجم ياقوت طبع مصر ١١/١٩ ووفيات الأعيان لابن خلكان طبع القاهرة سنة ١٢٧٥ هـ ج ٢ ص ١٠٨ والوفاء بالوفيات للصفدى طبع إستانبول ١٣٢١/١ وحسن المحاضرة للسيوطي ٣٢٥/١ وشذرات الذهب لابن العماد المنبلى نشر مكتبة القدس بالقاهرة سنة ١٣٥٠ هـ ج ٤ ص ٢٣٢ والجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير لابن الساعي طبع المطبعة السريانية ببغداد ٦١/٩ وطبقات الشافعية للسبك ٩٧/٤ .

(٢) ولي للناسب الطلية للدولة السلجوقية ويقول العماد في أول الخريدة : إن مدائحهم مجلدات ، وإنه ألف الخريدة لإحياء لذكرى مادحيه وشكراً على منيهم .

بدمشق سنة ٥٦٢ هـ ، واتصل بالقاضى كمال الدين الشهرزورى مدبر دولة نور الدين ، فوصله بنجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، وكان يعرف عمه العزيز ، قَرَّبَهُ مِنْهُ ، ولم يلبث أن استخدمه نور الدين فى الإنشاء ، ورتبه فى أشرف الديوان . وكان ينشئ الرسائل القارسية أيضا فيجد فيها إجادته بالعربية . وقَوَّضَ إليه نور الدين شئون المدرسة النورية ، التى سميت فيما بعد — نسبة إليه — بالمهادية .

ولما توفى نور الدين وقام ابنه إسماعيل بمقامه قُفِلَت الأبواب فى وجه العماد ، فرحل إلى العراق ، حتى إذا بلغه أخذ صلاح الدين لدمشق رجع إلى الشام وصلاح الدين على حلب سنة ٥٧٠ هـ ، فمدح وزيره القاضى الفاضل ، فأوصله إلى صلاح الدين ، وفَضَّمْ شأنه عنده ، وأشار عليه أن يستكتبه ، فلزم حضرته ، وأفاد عليه صلاح الدين من رعايته . وكان القاضى الفاضل يُنبِيه عنه فى الكتابة عن صلاح الدين ، حين يضطر إلى الرجوع لمصر لبعض شئون الدولة والسياسة . ولم يزل العماد حَظِيًّا عند صلاح الدين حتى وافاه القدر سنة ٥٨٩ هـ فلزم بيته بدمشق ، كالأزم القاضى الفاضل بيته بالقاهرة ، واشتغل بالتأليف والتصنيف إلى أن توفى فى مستهل رمضان سنة ٥٩٧ هـ .

والعماد مؤلفات كثيرة لم يُنَشَرْ منها إلا « الفَيْحِ القُسى فى الفتح القدسى » . وله كتب أخرى فى التاريخ أشار إليها ياقوت وغيره ممن ترجموا له . وأشهر كتبه وأُنْشِئَها « خريدة القصر وجريلة العصر » فى شراء عصره والعصر الأقرب منه ، وزاه يقول فى مقدمتها : « قد ذكرت أهل عصرى وأهل عصر آبائى وأعمامى » . ومن يقرأ فى هذا القسم المصرى الذى نشره من هذا الكتاب يستطيع أن يلاحظ فى يُسَرِّ أن العماد ذكر فيه الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة ٥٧٣ هـ إلا ما ترجم له صفواً مثل الشريف العقيلي الذى كان يعيش فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، ولعله لم يعرف عصره .

والخريلة تقع فى عشر مجلدات كبيرة ، وقد قسمها العماد أربعة أقسام ،

خمس القسم الأول منها بالعراق ، والثاني ببلاد العجم وفارس وخراسان ، والثالث بالجزيرة والموصل والشام والحجاز واليمن . أما الرابع فخصه بمصر وصقلية والمغرب والأندلس ، وافتتحه بمصر وشعرائها ، وعَلَّلَ ذلك بقوله في أول هذا الجزء : « وأنا مبتدئ بالديار المصرية لامتزاجي بأهلها ، وإبتهاجي بفضلها ، وحصول مداري في فلّكها ، ووصول مُرادى إلى ملكها » .

وينضح لكل من يراخع هذا القسم المصرى أن العمد يُطيل في التراجم أحياناً ، ويوجز إيجازاً شديداً أحياناً أخرى ، حسب اللواد التي تنهأ له ، والتي يصنع منها الترجمة . وقد بدأ بمقدمة طويلة أشاد فيها بصلاح الدين وأنشد طائفة من قصائده التي دُبِّجها فيه وفي فتوحاته وانتصاراته . واستهل التراجم بعد ذلك بترجمة القاضي الفاضل وقصر الترجمة ، أو كاد ، على التتوية به وما صاغه فيه من أشعار ، ثم ترجم بعده لمن كانوا يعاونونه في دواوينه ، من مثل المؤتمن بن كاسيويه ، وابن رفاعه ، وابن سناء الملك ، والأسعد بن تَمَّانِي . واستطرد إلى بعض شعراء مصر الممتازين في عصره مثل ابن قلاؤس ، وطلائع بن رُزِّيك الوزير القاطن للشهور (٤٤٩ — ٥٥٥ هـ) وتلاه بمن كانوا يعاونونه في دواوينه ومن تختصه بمدائحهم مثل القاضي المجلس ، والذهب بن الزبير ، وابن قادوس ، والموفق بن الخلال . ثم أفاض في الحديث عن كل من عُرِف لمصر من شعراء في القرن السادس سواء في القاهرة ، أو في الإسكندرية ، أو في الصعيد ، أو حتى في الحلة وسجّاء .

وفي العادة يبدأ الترجمة بقطعة مسجوعة ، أكثرها في الثناء على الشاعر وشعره ، وقلما احتوت أخباره ووقائع حياته وأحداثها إلا قليلاً في التراجم للهمة ، وخاصة تلك التي كانت في عصره أو قريباً منه . وكأنما كانت غايته الأساسية أن يجمع أكثر ما يستطيع من نماذج الشاعر وشعره . فالكتاب أو هذا النص إلى أن يكون منتخباتٍ شعرية أقرب منه إلى أن يكون تاريخاً دقيقاً للشعراء ، ومع

ذلك فهو أهم مصدر تاريخي وأدبي وصل إلينا عن الشعر المصري حتى القرن السادس الهجري .

على أنه ينبغي أن أشير إلى أن العمد في هذه المنتخبات نَحَى عامداً كثيراً من الأشعار التي صاغها الشعراء في مدح الخلفاء الفاطميين ، وخاصة تلك التي تبالغ في مدحهم وتُضفي عليهم صفات إلهية . وقد ساق في هذا الجزء عموماً قطعة لأبي الحسن الأخفش في مدح الحافظ الخليفة الفاطمي ، وعلق عليها بقوله : « قد أفضى به الغلو إلى الكفر الصريح » . ولم يلبث بعد إنشاده لبعض أبياتها أن قال : « واقصرت على هذه أعمدجا لشركه ، وأخرت الباقي من سلكه » . وكنا نأمل أن لا يقتصر ، وأن لا يؤخر ، حتى نعرف مدى تقلل النحلة الفاطمية في نفوس الشعراء ، وإلى أي حَدٍّ استجاب لها المصريون . ولعل نزعة السُّنِّيَّة كان لها أثر في ذلك ، وأيضاً فإن صلاح الدين ، سيده ، قضى على الفاطميين فجري في ركابه ، وأجرى معه في تأليفه إلى نفس الغاية .

وإذا تركنا أسلوب العمد في تأليفه لهذا القسم إلى أسلوبه الكتابي الذي يبدو في فوائح التراجم لاحظنا أن العمد يلتزم فيه السجع وفنونا مختلفة من البديع ، نوه بها صراحة في إحدى رسائله للقاضي الفاضل من هذا الجزء إذ يقول ص ٤٤ : « وهذه الرسالة قد وفيتها حقاً من التجنيس والتطبيق والترصيع والمقابلة والموازنة والتوشيح » . وربما كان التجنيس أهم زخرف غنى بإشاعته في نثره ، ومن يقرأ في مستهل هذا الجزء الذي نشره وفي ترجمة القاضي الفاضل خاصة يستطيع أن يلاحظ إلى أي حَدٍّ كان العمد يُعقَد في سبحه بواسطة الجناس ، وخاصة حين يعمد إلى رد العجز على الصدر ، كما يقولون ، حتى لتتحوّل بعض عباراته إلى ما يشبه الرُثَى والتأثيم .

مصادر العماد في هذا القسم

من يقرأ في هذا القسم المصرى يستطيع أن يلاحظ في سهولة أن العماد يعتمد فيه على مصدرين أساسيين هما : السماع أو الرواية الشفوية عن الشعراء أنفسهم أو عن راوٍ روى عنهم ، والصفح أو الكتابات التي قرأ فيها أشعارهم وهي إما دواوينهم أو مصنفات عُيِّنَتْ بهم ، فترجعت لهم .

أما من حيث المصدر الأول ، فإنه يتنوع نوعين : نوع السماع أو الرواية عن الشعراء أنفسهم على نحو ما نرى في ترجمة ابن سناء الملك والأسعد بن ممان وأبيه الخطير . وفي الجزء الثاني من هذا النص طائفة من الشعراء عَنَوْنَ لهم العماد هكذا : « جماعة التقطُّع من الأفواه » وهم خمسة عشر شاعرا أَكْثَرَهُمْ لَقِيَهُ بنفسه ، واستشهد طائفة من شعره .

والنوع الثاني من هذا المصدر الأول هو نوع السماع أو الرواية عن راوٍ واحد بينه وبين الشاعر . وكثيرٌ هم الذين آخفوه بهذه الدرر ، التي سلكها في هذا القسم المصرى ، وعلى رأسهم القاضي الفاضل ، ونجم الدين بن مَصال ، والقاضي حمزة بن عثمان ، ونصر القزاري الإسكندري ، وأحمد بن حيدرة الحسيفي ، والشريف إدريس الإدريسي الحسفي ، وزين الحاج أبو القاسم ، وأبو الذكاء البعلبكي ، وزين الدين بن نجبا الواعظ الدمشقي . فهؤلاء ، وغيرهم كثيرون ، يَرَوِي عنهم في التراجم المختلفة . وهذا هو المصدر الأول للعماد في هذا القسم المصرى يتنوع على هذا النحو نوعين ، وكذلك الشأن في المصدر الثاني ، فهو إما دواوين الشعراء ، وإما مصنفات ترجمت لهم أو عرفت بهم . أما الدواوين فإن العماد اطلع على طائفة طريفة منها ، وانتخب لهذا القسم في خريدته ما أُنْجِبَ به فيها من معنى غريب ، أو لفظ رائق ، أو صورة مبتكرة ، أو فكرة مخترعة . وليس من رأى . كمن سمع .

ومن الدواوين التي رجع إليها في هذا الجزء الأول ديوان الشريف ابن هبة الله العلوي ، وأبي الفتح بن قادوس ، ومحمد بن هاني ، وابن الضيف . وسيراه القارى في الجزء الثاني يرجع إلى دواوين ابن الكيزاني ، وابن النضر الأديب ، وعلى بن غرّام ، وهبة الله بن عزام . وكل أولئك قدّدت دواوينهم ، وهو يُسرف في الاختيار لهم . ولعل هذا يكشف — من بعض الوجوه — عن قيمة هذا النص .

ويلحق بهذا النوع من الدواوين كتابُ « الزهر الباسم من أوصاف أبي القاسم » لابن قلاؤس ، وهو كتاب ألّفه في أبي القاسم بن حمود زعيم أهل صقلية من المسلمين في عصره ، وضمّنه كثيراً من مدائحه فيه ، وقد استقى منه العباد في ترجمة ابن قلاؤس نحو عشرين صحيفة . والكتاب مفقود الآن . ويمكن أيضاً أن يلحق بهذا النوع من الدواوين الرُّقع الكثيرة التي ينوّه بها العباد إذ كثيراً ما يقول : « وقع إلى من شعر هذا الشاعر قصيدة بخطه » أو يقول : « أهداني القاضي الفاضل أو غيره كتابن ممّا في مثلاً قصيدة من خط فلان » ، أو يقول : « أهداني فلان قطعة من شعره » ونحو ذلك .

وأما النوع الثاني من هذا المصدر الكتابي ، فهو المصنفات التي رجع فيها إلى التراجم ، وهو أحياناً يكتب بالنقل عن هذا المصدر ، وأحياناً يُضيف إليه الأنواع المختلفة السابقة . ومن أهم المصنفات التي رجع إليها في هذا القسم المصري مُصنّف للقاضي الجليّس في شعراء ابن رُزيك الوزير القاطم وهو كثيراً ما ينقل منه في هذا الجزء الأول .

وربما كان أهم المصنفات المصرية التي رجع إليها في هذا الجزء وفي بقية النص كتابُ « جِتان الجنان ورياض الأذهان » للرّشيد بن الزبير المتوفى سنة ٥٦٣ هـ وقد ألّفه ، كما يقول العباد ، سنة ٥٥٨ هـ . وهو أهم كتاب ألفَ عن الشعر

المصرى في العصر الفاطمى ، ومن يطلع على المغرب لابن سعيد (جزأى القسطاط والقاهرة) يحمده يحفظ بكثير من تراجمه .

وبجانب الجنان يستعين العاد بكتاب يسمى « المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر » لابن بشر بن المهدي ، وهو عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرزاق بن جعفر بن بشر بن شبيب الأزدي . وقد صنف هذا الكتاب ، كما يقول العاد في الجزء الثاني من هذا القسم ، سنة ٥٦١ هـ .

وليس هذان المصنفان كل ما استعان به العاد في تراجم هذا القسم المصرى ، فقد استعان أيضاً بالرسالة المصرية لأبى الصلت أمينة بن عبد العزيز المتوفى سنة ٥٢٨ هـ ، ورسالة ثانية لابن جبريحي بن حسن الشاعر ، وهى فى مدائح بنى أسامة سنة ٥٢٥ هـ . وأهمية هاتين الرساتين أن العاد اطلع منهما على شعراء مصر المهمين فى الربع الأول من القرن السادس . وختم العاد هذا النصّ بجماغة كتب شعريهم قبل نزوله مصر سنة ٥٧٢ هـ . ومن أهم مصادره فيهم مُدَيِّل السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ وهو ذيل على تاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب .

ولعل فى هذا ما يدلُّ بعض الدلالة على العناية البالغة التى أفقها العاد راضياً فى تصنيف هذا القسم المصرى . وإنه ليدكرنا فى هذا الصنيع بعمل أهل الحديث فإنهم كانوا يشقون على أنفسهم بالسماع والرواية الشفوية ، فكانوا يطلبون لقاء من يحملون الحديث ومن يروونه عنهم ، قبل أن يطلبوا الكتب والمؤلفات التى صنفت فيه ، وكانوا يذهبون بأنفسهم إلى لقاءهم فى البلدان والأمنار المختلفة ، وأرتحلوا فى سبيل هذا اللقاء رحلاتهم المشهورة . وطبق ذلك العاد فى التريفة وفى هذا القسم المصرى تطبيقاً واسعاً ، فكان يلقي الشعراء المصريين ويسألم عن أخبارهم وأجود ما صاغوه من شعرهم ، فإن تعذر عليه لقاءهم بسبب وفاتهم روى عن لقيهم وتقد أخبارهم ، أو عاد إلى دواوينهم والرقع التى خلفوها بخطهم وأخضت أشعارهم . فإن لم تكن لهم دواوين ولا حُظِفَتْ بعض رقع شعرهم وجب

إلى المصنفات التي رَوَتْ بعضَ أحداثهم ووقائعهم ، وأنشدت بعضَ قصائدهم ومقطوعاتهم . ويكفي أن يعود القارىء لترجمة مثل ترجمة المذهب ابن الزبير فيسجد مصادرها تتوالى على هذا النحو :

نجم الدين بن مَصَال — بعض الكتب — جزء من الأمير عز الدين حسام
فيه قصيدة بخط المذهب — الشريف إدريس الحسنى — مُرْهَف بن أسامة —
القاضي حمزة بن عثمان — بعض المصريين — كتاب خِنان الجنان .
وبهذه الصورة البديعة صاغ المهاد هذا النص صياغة دقيقة تُعَدُّ مضرب
الأمثال في إحكام التأليف الأدبي وضبطه وإتقانه .

٥

قيمة هذا القسم المصرى

يتميز هذا القسم المصرى النفيس بمجموعتين من القيم ، أما أولاهما فقيم ذاتية تصوِّرها المتبنيات التي تنخلها المهاد لكل شاعر وما أدخرت من جلال فنى ، فقد جمَعَ بين دفتي هذا القسم كل ما استطاع من عيون النماذج وفرائدها ، وغرائب الأساليب ونواصعها ، وبدائع الصور وعجائبها ، ولطائف المعاني ودقائقها . وأما ثانيتهما فقيم موضوعية ترجع إلى تمثيل هذا القسم لجوانب الحياتين السياسية والاجتماعية في مصر أثناء القرن السادس ، وما اضطرب فيه الشعراء من ظروف مادية وروحية .

واللوان من القيم بالنسبة لخطر في تاريخنا الأدبي وخاصة إذا عرفنا أن هذا النصَّ أول نصٍّ قيمٍ يُنشر في تاريخ الشعر المصرى ، وأنه يمثل عصرًا زاهيا من عصوره . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن القرن السادس الهجرى في مصر هو ربيع الشعر بها ، وحسبُ القارىء أن يعرف أنه ظهر في النصف الأول من هذا القرن ابنُ فلاقس ، بينما ظهر في النصف الثانى ابنُ سناء الملك ، غير الأزهار النديّة

الكثيرة التي يفوح شذاها في هذا القسم من مثل ظافر الحداد ، والمهذب بن الزبير ، وطلّاع بن رزيك ، والقاضي الجليس ، وابن قادوس ، وابن الكيزاني صوفي العصر الفاطمي .

وأكبر الظن أنني لا أسرف حين أزعّم أن هذا القسم للمصري لم يُستَقَلَّ استقلالاً كاملاً في البحث والدرس حتى الآن . قد تكون مصورة دار الكتب المصرية قُرِئتْ ، ولكن قلما يتنبه من يقرأ فيها إلى أنه يقرأ نصاً مختلطاً مضطرباً لا نسق فيه ولا نظام ، وأيضاً فإنه ينقص كثيراً من أوله كما يَبَيَّنَتْ . ومن أجل ذلك كنت أذهب إلى أن هذا القسم من الخريدة يُتاح للباحثين في صورة تامة لأول مرة .

ولا ريب في أن نشر النصوص ودراستها أول خطوة ينبغي أن يبدأ بها من يتحدثون عن أدب أمة من الأمم . ولا ريب أيضاً في أن هذا النص سيُهيئ للباحثين فرصة ذهبية للإجابة على الأسئلة الدائرة في تاريخنا الأدبي ، وهي : هل وجدت شخصية حقيقية لمصر في الشعر العربي ؟ وما مدى انطباع الحياة الخارجية في نماذج شعرائها ؟ وإلى أي حدّ قلّدوا ؟ وإلى أي حدّ جدّدوا ؟ وهل غلب عليهم التقليد أو غلب عليهم التجديد ؟ .

والجمال لا يتسع الآن للإجابة على هذه الأسئلة ، وسأحاول ذلك في بحث مستقبل . وأرى من واجبي قبل أن أختم هذا المدخل أن أشكر أستاذي أحمد أمين بك لمراجعته له ، وما تجبّهم في ذلك من عنّتٍ وعناء ، وكذلك أشكر الأستاذ إحسان عباس لجليل معاوبته لي فيه .

وإني لأعترف بأنّي بذلتُ فيه كل ما استطعت غير مُدْخِرٍ وسعاً أو جهداً ، ومع ذلك فقد فاتني بعض ما كنت أرجو . والله أسأل أن يرزقني السداد في القول والإخلاص في الفكر والعمل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

فهرس المحتويات

صفحة

مقدمة للإستاذ أحمد أمين بك	ج
مقدمة للبركتور شوقي ضيف	هـ
مقدمة العماد أبو صفهاني	٣١—١
شعراء مصر	
١ — القاضي الفاضل	٣٥
٢ — ابن كاسيويه	٥٤
٣ — ابن رقاغة	٥٦
٤ — ابن سناء الملك	٦٤
٥ — الأسعد بن ممتاني	١٠٠
٦ — والده الخطير بن ممتاني	١١٣
٧ — الشريف محمد بن أسعد الجواني	١١٧
٨ — والده الشريف أسعد الجواني	١١٩
٩ — الشريف ابن هبة الله الماوي	١٢١
١٠ — ابن قلاقس	١٤٥
١١ — ابن خلف الأموي	١٦٦
١٢ — ابن المنجم	١٦٨
١٣ — موسى السخاوي	١٧٠
١٤ — طلائع بن رزيك	١٧٣
١٥ — ابن قضاة العقيلي	١٨٦
١٦ — هبة الله بن كامل	١٨٦

صفحة

١٧	— ابن التروى	١٨٧
١٨	— القاضى الجليس	١٨٩
١٩	— الرشيد بن الزبير	٢٠٠
٢٠	— وله على بن الرشيد	٢٠٢
٢١	— المهذب بن الزبير	٢٠٤
٢٢	— أبو الفتح محمود بن اسماعيل (ابن قادوس)	٢٢٦
٢٣	— الموفق بن الخلال	٢٣٥
٢٤	— على بن الحسن	٢٣٧
٢٥	— أبو الحسن الأخفش	٢٣٨
٢٦	— ابن الصياد	٢٤٢
٢٧	— ابن قيصر	٢٤٥
٢٨	— محمد بن هانى	٢٤٨
٢٩	— ابن جوشن	٢٨٢
٣٠	— الحسن بن الجليس	٢٨٢
٣١	— أبو التقي صالح بن الخال	٢٨٣
٣٢	— أبو النمر الإسناوى	٢٨٥
٣٣	— ابن الضيف	٢٨٥

مقدمة العمد الأصفهاني

القسم الرابع

مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الرابع

من كتاب خريدة النضر وخريدة العصر في ذكر محاسن فضلاء
مصر وأعمالها وبلد المغرب وإيراد ما لهم من النظم المطرب
والنثر المعجب ، وهو منقسم :

الأول مصر

وأنا مبتدئ بالديار المصرية لامتزاجي بأهلها ، وابتهاجي بفضلها ، وحصول
مداخري في فلکها ، ووصول مرادى إلى ملكها ، وإطلاعى على فضائلها ،
واضطلاعى بفواضلها ، ودخولى إليها فى خدمة سلطانها ، وخروجى منها بشكر
إحسانها ، ومقامى فيها أترُف على محاسنها ، وأنرشف من عذبتها وآسِنها ،
وأتملّى بعقود جواهرها ، وأتملّى من سعود زواهرها ، نازلاً من المولى الأجل
الفاضل فى ظل إفضاله الوافر الوارف ، واصيلاً من دُرَى المحل الكامل فى ذيل
إقباله الكافى إلى أبهى الراف ، حاصلاً من الملك الناصر فى المنى بالملك والنصر ،
حاملاً فى سلطانه الباهر على العدا بالهالك والقهر .

ومصر سمرج الفضلاء ، وسمرج النبلاء ، ومطلع البدور ، وموضع
الصدور ، وأهلها أذكىاء أذكىاء^(١) ، يبعد من أقوالهم وأعمالهم العيى والعياء ،
لا سيما فى هذا الزمان المذهب ، والوقت المهدب ، بدولة مولانا الملك الناصر ،

(١) أذكىاء : جمع ذكى وهو طاهر النفس .

جامع بكلمة الإيمان ، قاصع عبدة الصليبان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام
والمسلمين ، أبى المظفر يوسف بن أيوب محبى دولة أمير المؤمنين^(١) ، فى أيامه
الزاهرة ، ودولته القاهرة ، أشرقت الأرض بنور ربها ، وهبت الأرياح من
مهبها ، ورفعت معالم العدل والعلم ، وخضعت دعائم الجهل والظلم ، وأثبتت
أمالى الآمال فى دقات النجاح ، وكُتِبَ أمان الأمانى بمهارة^(٢) الفلاح ، واستدّر
جود الجود^(٣) ، واستقر طؤد الوجود ، وزف هدى^(٤) الهدى على خاطبى النصر ،
وحف ندى الندى بطالبي الوفر ، واتضح الحق ، واتضع الباطل ، وعز العالم وذل
الجاهل ، وأفاض الأفاضل فى الشكر ، وراض الأمانى قرح القرائح فى النظم
والنثر ، وعاد الرجاء مفتوح الرجاج ، ممنوح التاج ، حالى التاج بيوافقت الفوز ،
على السراج فى مواقيت العز ، أريج الآفاق بذائع البدائع ، رائج الأسواق
بضائع^(٥) البضائع ، بوجود للمولى الفاضل ، وجوده للمولى^(٦) إلى الأفاضل ، وكفى
مصر فخراً سمو سناء فضله فى ذراها ، ودنو جنى أفضاله لذراها^(٧) ، فإنه
ذو الشؤد الظاهر ، والمجند الطاهر ، والسلف الكريم ، والشرف الصميم ،
والعرف^(٨) الزكى ، والعرف^(٩) الذكى ، والفتوة الراجعة ، والروة الناجحة ،

(١) يشير إلى ما كان من نحو صلاح الدين للدولة الفاطمية وجعل مصر فى ظل الدولة العباسية .

(٢) مهارة : جمع مهرة ، وهى الصحف ، ولا يقال للكتب مهارة حتى تكون كتب
عهود وأمان أو كتب دين (الحيوان للجاحظ طبع الحلبى ٧٠/١) وفى الأصل هكذا : بمرايق
وهو تحريف .

(٣) استدّر جود الجود : سال غيث الكرم .

(٤) الهدى : العروس .

(٥) الضائع : من ضاع المسك ، أى فاحت رائحته وانتفرت .

(٦) المولى : من أولاه النىء ، أى أنتم عليه به .

(٧) الجنى : الثمرة ، والدوا : الفل والكنف .

(٨) العرف الذكى : المعروف أو الإحسان التام .

(٩) العرف الذكى : أصله الشذى الساطع ويريد به هنا الصهرة الأرجة .

والظنَّ الحُمْرَ^(١) بالدين ، واليقين المؤزَّر بالصدق للبين ، والحق المتين ، والبلاغة التى لم يبلغ إلى شأوها قُسُ^(٢) والرأى الذى لم يهتد إلى سَنَنه قَيْس^(٣) ، والبراعة التى نسخت شريعها بالإعجاز شرائع الفصحاء ، وبَذَخَتْ^(٤) صنعها بالإحراز لبدائع البلغاء .

- وهو الذى رَاشَّ نَبِل^(٥) نُبْلَى ، وأعاشَ شخصَ فَضْلَى ، وأقامَ جَاهَ أُمْلَى بعد الجول ، وأنامَ عَيْنَ وَجَلَى عند الدهول ، وثَبَّتَ عَرْشَ حَفْظَى ، وَنَبَّتَ غَرْسَ حِظَى ، وَنَشَرْنَى وقد كاد يُطْوَى اسمى ، وَأَنشَرْنَى^(٦) وقد كرب يَنْبَى رَسْمَى ، ورَغَّبْنَى فى قصد مصر عند توجه مولانا الملك الناصر من دمشق إليها عائداً ، وَحَقَّقَ عِنْدَى أَنه يكون لى مُسَاعِفاً مُسَاعِداً ، فسرْتُ فى أول شهر ربيع الأول من دمشق فى الخدمة الناصرية ، ووصلت آخر الشهر إلى القاهرة الصلاحية ، ١٠
- قَابِلَ وفادَى^(٧) بوافر رِفَادته^(٨) ، وموافاتى بوافى إِفَادته ، ونوّهَ بذكرى ، وَنَبّهَ على قدرى ، وَنَظَّمَ أَمْرَى ، واغْتَنَمَ شَكَرَى ، وَخَفَّفَ قَيْلَى ، ورادفَ سَهْلَى وَعَلَى^(٩) . وَحِينَ ملكت مَادَّةَ بَرَّةً ، سَلَكْتُ جَادَّةَ شُكْرِهِ ، وصارَ حَمْدَى الحُرَّةَ لَهُ مُسْتَرْقَاً ، وَنَفْسَى لِلْمُسْتَعْبَدَةِ لَأَمَالِهَا بَنُجَجَ آمَالِهِ قد صادفت عِتَقَاً .

(١) الحُمْر : للستور .

(٢) يريد قس بن ساعدة الإيادى خطيب عكاظ فى الجاهلية ، وهو يشتهر بالحكمة والبلاغة .

(٣) يريد أبا على قيس بن عاصم المثرى التميمي ، وكان سيداً فى قبيلته ، وُلِقَ الإسلام وصحب الرسول فى حياته وعاش بعده زمناً ، وكان يشتهر بالخطابة وحصافة الرأى ، وروى عن الأحنف زعيم تيم فى البصرة أثناء العصر الأموى أَنه قال : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم .

(٤) بَذَخَتْ : سمت وشرفت ومنه بناء بَذَخَ أى عال مغرق فى العلو .

(٥) رَاشَّ النَبِل : ألصق به الريش ليدفقه فى الحرب .

(٦) أَنشَرْنَى : أحيان . (٧) وفادَى : قدوى وورودى .

(٨) رِفَادته : أصل الرِفَادَة أموال كانت تجمعها قريش فى الجاهلية تشتري بها للحجاج طعاماً ، ويريد هنا المهاد استكمال صورة الردف للقاضى الفاضل ، وَأَنه خصص أموالاً رِفَادَةً للأدياء من مثله .

(٩) التَهْل : الشرب الأول ، والعل بتشديد اللام : الشرب الثانى أو الشرب بعد الشرب .

ومما نظمته في طريق مصر قصيدة ذكرت فيها المنازل على ترتيبها /، [٣٤ و]
والشوق إلى دمشق وطبيها ، ووصلتها بمدح الملك الناصر ، وتولى للمولى الفاضل
تفتش جدّها العائر ، وترويح حظّها الكاسد ، وسعريها القاصر ، أولها :

هجرتكم لا عن ملال ولا غدر ولكن لمقدور أتيج من الأمر
وما كنت أدرى أن يتاح فراقكم ومن يعلم الأمر المقدّر أو يدري ؟
وأعلم أني مخطئ في فراقكم وعذري في ذنبي وذنب في عذري
أرى نوباً للدهر تُحصي وما أرى أشد من الهجران في نوب الدهر
يعني إلى ثقتي سواكم غشاوة وسعى إلى (١) نجوى سواكم لدوّقر (٢)
وقلي وصدرى فارقاني لبعدكم فلا صدر في قلبي ولا قلب في صدرى
وإني على العهد الذي تهودونه وسرى لكم سرى ، وجهرى لكم جهري
تجرت صرف الهمة من كأس شوقكم فما أنا في تحوى زيف من السكر
وإن زماناً ليس يعمر موطني بسكناكم فيه فليس من العمر
وأقسم لو لم يقسم البين بيننا جوى الهمة ما أمست منقمة الفكر
أسير إلى مصر وقلبي أسيركم ومن عجب أسرى وقلبي في أسرى
أخلاق قد شطّ المزار فأرسلوا الخيال وزوروا في الكرى وأزحوا أجرى
تذكرت أحبابي بجلق بعدما رحلت وللمشاق يأنس بالذكر
أخلاق قهرى في الثنائى إليكم بحق غناكم بالبدانى أزحوا قهرى

(١) رواية كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة طبع مطبعة وادي النيل
بمصر سنة ١٢٨٧ / ١٨٠١ : ٢٦٥ عن .
(٢) الورق : القتل في الأذن أو الصمم .

ومنها في وصف المنازل :

ولما قصدنا من دمشق غابغا^(١) وبتنا من الشوق المصُّ على الجمر
 نزلنا بصحراء الققيع^(٢) وغودرت ونهنت بالقوار^(٣) فور مدامعي
 سرينا إلى الزرقاء^(٤) منها ومن يصب أعادتكَ يا زرقاء حمراء أدمعي
 وسود هوى سودت بيض أزمني وأيا ليل زِدْ ما شئت طولا وظلما
 تذكرت حمام القصير^(٥) وأهله وقد جرت بالحمام في البلد القفر
 وبتنا من الشوق المصُّ على الجمر فواقع من فيض اللداع في الفدر
 قفاضت وياحت بالكم من سري أواما^(٦) يسر حتى يرى الورد أو يسر
 قد مزجت زرق للوارد بالخمر فيوى بلا نور وليلى بلا فجر
 قد أذهبت منك السنا ظلمة الهجر وقد جرت بالحمام في البلد القفر

ومنها :

وردنا من الزيتون^(٧) حسمى^(٨) وأيلة^(٩) ولم نسترح حتى صدرنا إلى صدر^(١٠)
 غشينا القواشي^(١١) وهي يابسة الترى بعيدة عهد القطر بالعهد والقطر
 وصن علينا بالندى ثم^(١٢) الحصى ومن يرتجى ريا من التمد النزر

(١) غابغ : قرية في نواحي دمشق بينهما ستة فراسخ .

(٢) لم نجد لهذه الصحراء ذكرا فيما بين أيدينا من مراجع وواضح من الشعر أنها في

الطريق إلى شرق الأردن .

(٣) القوار : اسم ماء .

(٤) الزرقاء : نهيد بشرق الأردن . (٥) الأوام : العطش .

(٦) حمام القصير : القصير غيبة بالقرب من دمشق .

(٧) الزيتون : جبل بالقدس .

(٨) حسمى : موضع بين منازل عنزة والعقبة .

(٩) أيلة : العقبة الآن .

(١٠) صدر : قلعة في الطريق من العقبة إلى مصر .

(١١) القواشي : بين منازل لعنزة .

(١٢) التمد : أرض قريبة من مدائن صالح .

قلت اشرحى بالحنس صدراً مطيقي
 رأينا بها عين الموامسة أننا
 وما جسرت عيني على فيض عبدة
 وملت إلى أرض السدير^(٣) وجنة
 وجنتنا القلا حتى أتينا^(٥) مباركاً
 ولما بدا القسطاط بشرت ناقتي^(٨)
 ولم أنس يوم البين بالمرج^(٩) نشرنا
 وقد أقبلت نهم وأترابها كما
 وقنسنا وحادينا يمحث وناقتي
 وكل بنان فوق سين لنادهم
 وبيع قوادى فى مناداة شوقهم
 بكت أم عرو من وشيك ترحلي
 تقول إلى مصر تسير ! تعجبا
 تبدد فى سهل من العيش شملنا
 هل أيعا عرف حدالك على النوى ؟

١٠
 ١٥

بصدري وإلا جادك النيل للعشر
 إلى عين موسى^(١) نبذل الزاد للسفر
 أكفكفها حتى عبرنا على الجسر^(٢)
 هنالك من طلع نضيد ومن سدر^(٤)
 على بركة^(٦) الحب للبشر بالقصر^(٧)
 بن يتلقى الوفد بالوفر والبشر
 مطاوى سيرة فى الهوى أراج النشر
 تطلع بذر التم فى الأنجم الزهر
 ترم^(١٠) ولا حينا لمغرنا منير
 وكل يد فوق التربة والنحر
 فسمهم أن يأخذوا الروح بالسفر
 فيا خجلتا من أم عرو ومن عزو
 وما الذى تبني ومن لك فى مصر ؟
 وتنظم سلك العيش فى المسلك الوعر ؟
 ومن ضلة أن تطلب العرف بالسكر

(١) عين موسى : عين بواد كثير الزيتون بالقرب من بتراء .

(٢) الجسر : مدينة القازم وكانت جمع بالقرب من السويس الآن .

(٣) السدير : أول ما يلقى القادم من الشام إلى مصر من جنات وزروع .

(٤) الطلع : شجر اللوز . والسدر : شجر التبق .

(٥) رواية الروضتين : أصبنا .

(٦) بركة الحب : هى الآن قرية فى مديرية القليوبية تسمى البركة ، وهى شرقي المرج .

(٧) القصر : قصر السلطان صلاح الدين وكان قصر الفاطميين قبله .

(٨) رواية الروضتين : رقتي .

(٩) المرج : يريد أحد مروج دمشق وهى النعاش بجوها .

(١٠) ترم : ترفع رأسها لهم بالسير .

ومن فارقَ الأحبابَ مستبدلاً بهم
فقلتُ ملاذِي الناصرُ الملكُ الذي
قالتُ أقمْ لا تَعُدْ خيرَ عندنا
قالتُ صلاحُ الدين؟ قلتُ هو الذي
ثقي بـرجوعِ يَضمُنُ اللهُ نَجْصَهُ
وإنَّ صلاحَ الدينِ إنَّ راحَ مُعْذِمٌ
نِعْزُ بأفضالِ العزيزِ وَفَضْلِهِ
عطيته قد ضاعفتُ مَنَّةَ الرَّجَا
[وماذا يجدُ للدح منه^(٢)] فإنما
سواهمُ فقد باعَ المَراجِمَ بالخِسرِ
حصلتُ بِمجدواهِ على المُلْكِ والنَّصرِ
قلتُ وهل تُغني السواقي عن البحرِ
به صارَ فضلي عالى الخطِّ والقَدْرِ
ولا تَقْنَطِي أَنْ تُبَدِّلَ العُسرَ باليسرِ ٥
إِلَهِ عَدا من فيضِ نائِلِهِ مَثْرَى
وَنَحْصِبُ نَفْعاً كُلَّ ما مَسَّ من ضَرٍّ
وَمِنْتُهُ^(١) قد أَضَعَفَتْ مَنَّةَ الشكرِ
مناقبُهُ جَلَّتْ عن الحدِّ والخِسرِ

١٠ ولى في الملك الناصر بعد مملكته مصر قصائد موسومة على اسمه ونعته ، [٣٤ ظ] فن جملة اللوسومات على اسمه قصيدة نظمها^(٣) في سنة خمس / وستين أنفذتها إليه

بمصر ، وهي هذه :

يَرْوُقُنِي فِي الْمَهَا^(٤) مَهْنَهَقُهَا
ومن قُدُودِ الحِسانِ أَهْيَقُهَا
ومن عيونِ الطباءِ أَفْتَرُهَا
ومن خُصُورِ اللِّلاحِ أَنْحَقُهَا
ما سَقَمِي غَيْرُ سَقَمِ أَغْنِيَا
ثُمَّ شِفَانِي الشِّفاهُ أَرْشَقُهَا ١٥
يُسْكِرُنِي قَرَقَفٌ^(٥) يُشَعِّشُهَا
لحْظُ الطَّلَا لا الطَّلَا^(٦) وقرقتها
يا ضَعَفَ قَلْبِي مِنْ أَعْيُنِ نُجَلٍ
أَفْعَلُهَا بِالْقُلُوبِ أَضَعُفُهَا

(١) الفة يضم الميم : القوة . وللمنة بكسر الميم : النعمة ، ورواية الروضتين : ونعتها .

(٢) في الأصل يائس ، وأكلنا الشطر بما يلائم السياق .

(٣) في الأصل : أولها .

(٤) لها : البقر الوحشي ، ويمرط النماء على سبيل الاستبارة .

(٥) القرقف : الخمر .

(٦) الطلا : بكسر الطاء الخمر ، ويشتقها ولد الطلية .

ومن عِذارٍ كأنه حَلَقٌ أَحْكَمَ في سَرَدِهِ ^(١) مُصَنَّفَهَا
 ومن خلودٍ خُمرٍ مُورَدَةٍ أَدْوَمَهَا لِلحِيَاءِ أَطْرَفَهَا
 في سَلْبٍ لِيّ تَلَطَّفَتْ فَأَتَى نَحْوَى بِخَطِّ الصَّبَا ^(٢) مُلَطِّفَهَا
 يا مُفَكِّراً مِنْ هَوَى بُلِيَّتْ بِهِ عِلَاقَةً مَا يَكَادُ يَعْرِفُهَا
 دَعِ مِرَّ وَجَدَى فَمَا أَبُوحُ بِهِ وَخَلَّ حَالِي فَلَسْتُ أَكْشِفَهَا
 واصرف كُؤُوسَ اللَّامِ عَنْ فِتْنَةٍ عَنْ شَرَعِ الحُبِّ لَسْتَ تَصْرِفَهَا
 مِنْ شَرَفٍ ^(٣) الحُبِّ حَلٍّ فِي مُهْجٍ أَقْبَلَهَا لِلغَرَامِ أَشْرَفَهَا
 لَا يَسْتَطِيبُ السَّلَوَ مُعْرِمَهَا وَلَا يَلْدُ الشِّفَاءَ مُدْنِفَهَا
 فَالْقَلْبُ فِي لَوْعَةٍ أَعَالِجَهَا وَالْعَيْنُ فِي عَبْرَةٍ أَكْفِكَهَا
 كَانَ قَلْبِي وَحْبًى مَالِكُهُ مِصْرٌ وَفِيهَا الْمَلِكُ يُوسُفَهَا
 هَذَا بِسَلْبِ القَوَادِ يَظْلَنِي وَهُوَ يَقْتُلُ الأَعْدَاءَ يُنْصِفَهَا
 الْمَلِكُ النَّاصِرُ الذِي أَبَدَا بَعَزٌ سُلْطَانُهُ يُشْرِقَهَا
 بَعْدَهُ وَالصَّلَاحُ يَعْمُرُهَا وَبِالنَّدَى وَالْجَمِيلِ يَكْنِفَهَا
 وَإِنَّ مِصْرًا بِمَلِكٍ يَوْسُفَهَا جَنَّةُ خُلْدٍ يَرُوقُ زُخْرُفَهَا
 وَإِنَّهُ فِي السَّمَاحِ حَاتِمَهَا ^(٤) وَإِنَّهُ فِي الْوَقَارِ أَحْنَفَهَا ^(٥)
 كَمْ آمَلٍ بِالنَّدَى يُحَقِّقُهُ وَمُؤْنِيَّةٌ بِالنَّجَاحِ يُسْعِفَهَا
 وَلَيْسَ يُؤَلِّيكَ وَعَدَ عَارِفَةٍ ^(٦) إِلَّا وَعِنْدَ النَّجَازِ يُضْعِفَهَا

(١) السرد : الحرز في الأديم وهو هنا يشبه المنار بخلق الذرع أحكم خرزها .

(٢) الصبا : الصبوة إلى الحبيب والغرام .

(٣) شرف البناء : أعاليه . وقد عاد يتحدث عن هواه .

(٤) حاتمها : إشارة إلى حاتم طي . جواد العرب المشهور .

(٥) أحنفها : هو الأحنف بن قيس زعيم تميم في الإسلام وأهلها وأحكمها .

(٦) العارفة : الصنيعة والمروءة .

حَكَمَ فِي مَالِهِ الْعَفَاةَ^(١) فَمَا
وَلَمَّ شَمَلُ اللَّهِ^(٢) يُفَرِّقُهُ
ذُو شَرَفٍ مَكْرَمَاتُهُ سَرَفٌ
وَعَزَمَةٌ بِالْهَدَى تَكَلَّفَهَا
يُوسُفُ مَصْرَ التِّى مَلَا حُجَّهَا
كُتِبُ التَّوَارِيخِ لَا يُزَيِّنُهَا
وَمَنْ يَمِيرُ^(٣) الْعَفَاةَ فِي سَنَةٍ
آيَاتُ دِينِ الْإِلَهِ ظَاهِرَةٌ
يَنْفَذُ فِيهِ إِلَّا تَصَرَّفَهَا
لِكِرْمَاتٍ لَهُ يُؤَلِّفَهَا
وَيَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ مُسْرِفَهَا
وَهَمَّةٌ لِلْعُلَى تَكَلَّفَهَا
جَاءَتْ بِأَوْصَافِهِ تَعْرِفَهَا
إِلَّا بِأَوْصَافِهِ^(٤) مُصَنَّفَهَا
أَتَمَّتْهَا لِلْجُدُوبِ أَعْجَفَهَا
فِيكَ وَثْنِي عَلَيْكَ مُصَحَّفَهَا

ومنها أصف اجتهاده وجهاده للفرج عند نزولهم على دمياط :

كَمْ جَحْفَلٍ بِالْعَرَاءِ ذَى لَجَبٍ
كَالْبَحْرِ طَائِي الْعُبَابِ لَاعِبَةٌ
كَتَبِيَّةٌ مُنْتَضِيٌّ مُهَنْدُهَا
عَادَرَتَهَا لِلنُّسُورِ مَا كَلَّةٌ
مُنْتَصِفًا مِنْ رَعْوٍ طَاعِنَةٍ
وَحُطَّتْ دَمِياطُ^(٥) إِذْ أَحَاطَ بِهَا
لَاقَتْ غَوَاةُ الْفَرَجِ حَبِيبَهَا
بِالْصَفِّ مِنْهُ يَضِيقُ صَفِّفَهَا^(٦)
بِمُوجِهِ الرِّيَّاحِ أَعْصَفَهَا
إِلَى الرَّدَى مُسْرَعٌ مُتَقَفَهَا
حَيْثُ بِأَسْلَافِهَا تُضَيِّفَهَا
بِيَاثَرَاتِ الطُّبَا تَنْصَقَهَا
مَنْ بِرِجُومِ الْبَلَاءِ يَقْذِفَهَا
فَزَادَ مِنْ حَسْرَةٍ تَأْسَفَهَا

(١) العفاة : طلاب التوال ومى جمع عاف .

(٢) اللهام : جمع لهوة ومى الطية .

(٣) رواية الروضتين ١/١٨٢ : بأياه .

(٤) يمر : يأتى باليرة ومى الطعام .

(٥) الصفص : المستوى من الأرض .

(٦) يشير إلى نزول الفرنج دمياط سنة خمس وستين وخمسمائة ومقاومة صلاح الدين لهم

حتى رحلوا عنها بعد خمسين يوما ، انظر الروضتين ١/١٨٠ :

فَرَّ فَرِيرِيهَا وَأَزْجَحَهَا نِدَاءَ دَاوِيَهَا تَلَهْفُهَا^(١)
 يُمَطِّرُ مَطَرَانُهَا الْعَذَابَ كَمَا يَرْذَى بِهِدُّ السَّقُوفِ أُسْقُفُهَا
 تَكْسِرُ صُلْبَانَهَا وَتَنْكِسُهَا لِقِصَمِ أَصْلَابِهَا وَتَقْصِفُهَا
 أوردت^(٢) قَلْبَ الْقُلُوبِ أُرْشِيَّةً من القنفا للدماء تنزفها
 وَلَيْتَهَا سَفَكَهَا فَعَامِلَهَا^(٣) وَالسَّانُ مُشْرِفَهَا^(٤)
 تَعَسَّتْ نَحْوَكِ الطَّرِيقَ فَا أَجْدَى سَوَى هُلْكِيهَا تَعَسُّفُهَا
 وَحَسِبَهَا فِي الْعَمَى تَهَاوُفَهَا بِلِ لِسَاهِمِ الرَّدَى تَهْدُفُهَا
 يُمَضَى لَكَ اللَّهُ فِي قِبَالِهِمْ عَزِيمَةً لِلْجِهَادِ تَرْهِفُهَا
 إِنَّ أَظْلَمْتَ سُدْفَةً^(٥) أَنْزَلْتَ لَهَا أَبْهَى لِيَالِي الْبَدُورِ مُسَدِّفُهَا
 ١٤ بَشَائِرُ الدِّينِ فِي إِزَالَتِهِ مَوَاعِدَ اللَّهِ لَيْسَ يُخْلِفُهَا

ومنها:

أَدْرَكْتَ مَا أَعْجَزَ الْمُلُوكَ وَقَدْ بَاتَ إِلَى بَعْضِهِ تَشَوُّفُهَا^(١)
 جَاوَزْتَ غَايَاتِ كُلِّ مَنْقَبَةٍ يَعْزُ إِلَّا عَلَيْكَ مَوْقِفُهَا
 وَإِنَّ طُرُقَ الْعِلَاءِ وَاضِحَةٌ آمَنُهَا فِي السَّلُوكِ أَخَوْفُهَا

(١) الداوية : فرقة من فرسان الصليبيين ، وتسمى أيضاً باسم الهيكلين templars
 وهي جمعية تأسست سنة ١١١٨ م من بضعة أشراف من الفرنسيين الذين صحبوا جودفري إلى
 القدس ، وكانت جمعية أخوية رهبانية عسكرية . وكذلك الفررية جمعية أخوية رهبانية من جمعات
 الصليبيين ، وهي تطلق على فرق كثيرة .

(٢) القلب : جمع قلب ، وهو البئر . والأرشيّة : الجبال ، جمع رشاء .

(٣) عامل الرمح : صدره ، والعامل : الوالي .

(٤) مصروف الشيء : الذي يملوه . والمشرّف أيضاً : القائم على الأمر .

(٥) السدفة : الظلمة .

(٦) التشوف : التطاول والتطلع .

صلاح دين الهدى لقد سَعِدَتْ مملكةٌ بالصلاح تُحِفُّهَا
 عندي بشكر الثغوى ثِمَارُ يدِ زاكِيةُ الترسِ أنت تقطعها
 فأقبلْ تقوداً من الفضائلِ لا يُصَابُ إلا لديك مَصْرُفُهَا
 أصدافُ دُرَى إليك أحملها وعن جميع الملوك أَصْدَفُهَا ^(١)
 إن لم تُصِخْ لى فهذه دُرَرِي لأىِّ مَلِكٍ سِوَاكَ تُرْصِفُهَا .
 وهل لآمالنا سوى مَلِكٍ يَنْقِذُهَا بِرَّهْ وَيُسَلِّفُهَا ^(٢)
 دنيا من الفضلِ قد خَلَتْ وبدا لِلنَّقْصِ فى أهله تَعْيِفُهَا ^(٣)
 وكلُّ سوقٍ للفضلِ كاسدةٌ بَانَ لأعدائه تَحْيِفُهَا ^(٤)
 وهل يروج الرجاء فى نَفَرٍ كُلُّهُمْ فى العَلَا مُزَيِّفُهَا
 قد عَطَفْتُ لى فضائلى وَوَفَّتْ لَكِنْ حظوظى أعياء تَعْطِفُهَا .
 وفضلُ الشمسِ فى مطالعها لَكِنَّ جَهْلَ الزمانِ يَكْسِفُهَا
 قد أَعْرَبْتُ ^(٥) فيكَ بالثنا كَلِمِي وحاسدى ضَلَّةً ^(٦) يُجْرِفُهَا
 أَسَدَى لَنَا شِيرَ كُوهٍ ^(٧) عارفةٌ يوصفُ من بعدها سيخلفها
 أنت قَبِينٌ بكلِّ تالفةٍ إِنَّكَ يا ابنَ الكرامِ تُظَرِّفُهَا

(١) أصدفها : أصرفها ، يريد أنه ينص صلاح الدين بها .

(٢) يسلفها : يعطيها سلفاً ومى عكس ينقدها أى يعطيها ثواباً .

(٣) تعيفها : من عافت الإبل اللاء أى لم تمر به .

(٤) تحيفها : تنقصها من حيفها أى نواحيها .

(٥) أعربت : أفصحت .

(٦) ضلة : من ضل عن الطريق وعن القصد .

(٧) هو أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الذى أرسله نور الدين صاحب الشام إلى مصر حين استعجد به شاور سنة تسع وخمسين وكذلك سنة اثنتين وستين . ولما استنقذت العاصد آخر الخلفاء الفاطميين بنور الدين ضد الصليبيين أرسله إليه واستمر بمصر وقتل شاور وولى الوزارة للعاصد من بعده سنة أربع وستين ولم يطل مدته فقد توفى بعد شهرين ، وخلفه ابن أخيه صلاح الدين ولم يلبث أن أزال الخلافة الفاطمية .

/ومنها قصيدة أخرى موسومة باسمه أنفذتها إليه من دمشق إلى مصر في [٣٥ و] شهر صفر سنة سبع وستين ، أولها :

مُتَنِّى العِطْفِ أَهْيَفُ كَيْفَ لَا يُرْجَى تَعَطُّفُهُ
زَادَ فِي قَتْلِ تَسْرُعُهُ ثُمَّ فِي وَصْلِ تَوَقُّفُهُ
يَا ضَنَى جَسْمِي لَقَدْ خَطَفَ الْقَلْبَ مُضْنَى الْخَصْرِ مُخْطَفُهُ ^(١)
وَبَنَفْسِي مِنْ أَرَاقِ دَمِي مِنْهُ جَفْنُ سُلٍّ مُرْهَقُهُ
وَبِلَائِي مِنْ مُقَبِّلِهِ وَشَفَائِي حِينَ أَرَشَفُهُ
وَلِقَائِي مَالِكٌ أَبَدًا يَتَلَفَاهُ وَيُتْلَفُهُ
مَنْ الْمَجُورِ يَدُومُ عَلَى وَصْلٍ مِنْ يَهْوَى تَأَشَفُهُ
وَمَنْ الْبَلَاوَى تَلْهَبُهُ وَمَنْ الشُّكُورَى تَلْهَبُهُ ^{١٥}
وَسَقِيمُ الطَّرْفِ يُسْقِمُهُ وَنَحِيفُ الْخَصْرِ يُنْحِفُهُ
يَتَنَاهَى فِي تَقَلُّبِهِ مِنْ حَبِيبٍ لَيْسَ يُنْصِفُهُ
حَبَّذَا لَيْلُ الشَّبَابِ وَقَدْ طَابَ لِلسَّعَارِ مُسَدَفُهُ ^(٢)
وَزَمَانُ بِالْمِرَاقِ لَنَا رَقٌّ لَمَّا رَاقَ زُخْرَفُهُ
حِينَ يُصَيِّنِي مُقَرَّطُهُ ^(٣) وَيُصَافِيْنِي مُهَيِّقُهُ ^{١٥}
وَيُنَاجِيْنِي مُقَرَّطُهُ ^(٤) وَيُنَافِيْنِي مُسْتَفُهُ ^(٥)
وَيَسَاطِينِي لِلدَّامِ وَقَدْ ^(٦) لَانَ عِنْدَ الْوَصْلِ مَعْقَفُهُ

(١) مخطف الخصر : ضامره .

(٢) مسدفه : مقلله .

(٣) القروط : من يلبس القروطى ، وهو قباء ذو طاق واحد .

(٤) القروط : من يتخذ القروط أو ذو القروط .

(٥) المشنف : ذو الشنف وهو القروط .

(٦) فى الأصل : « ويساطينى للدام به » ، وهو تحريف .

كاد يُرَدِّي^(١) تَشَدُّدُهُ ثم أحياني تَلَطُّفُهُ
ونجِّي بَاتَ يُتَحِضِنِي بشكايه وَأَتَحِفُّهُ
قال إِنَّ الدهرَ ليس على وفقٍ ما نهوى تَصَرُّفُهُ
وكسادُ الفضلِ في زمنٍ رائجٍ فيه مَرْيَفُهُ
أُتْرَى في الناسِ كلِّهمُ من المعروفِ تَشَوُّفُهُ ؟
قلتُ ما في الدهرِ غيرُ فتى كلُّ ما قد فاتَ يُخْلِفُهُ
إِنْ يَسُدُّ في الدهرِ ذو كرمٍ فصلاحُ الدينِ يُوسِفُهُ

ومنها قصيدة مدحته بها في سنة اثنتين وسبعين بمصر وأنا في خدمته ، أوتها :

فديتك من ظالمٍ مُنْصِفٍ وناهيك من باخلٍ مُسْعِفٍ^(٢)
بلياك يُشْفَى سقامي المَضُّ ولكن بسفكٍ دى تَشْتَفِي
وتُخْلِفُ وعدك لي بالوصالِ حنانيك من واعدٍ مُخْلِفٍ
وتستحسنُ العذرَ طبعاً وَمَنْ وَفَى مِنْ ذوى الحسَنِ حتى تَنَى !
أُمِثْلَكَ كلُّ حبيبٍ جَمًّا ومثلي كلُّ حبيبٍ جُنِّي
أيا لَكِنَّ العطفِ قاسى الفؤادِ بعيشك [بالله^(٣)] لَنْ وَأَعْطِفِ
فا ترك الوجدُ لى مُسَكَّةً^(٤) ولا مُنَّةً لى لَمْ تَصْغَفِ
تلافٍ فصدك لى مُتَلَفٍ فؤادى من الأسفِ المُتَلَفِ
وإن كنتَ لا بدَّ لى قاتلاً بما صنعَ الوجدُ بى فاكفِ
تناهيتَ فى قَتَلَتِي عامداً فحيثُ انتهيتَ بقتلى قِفِ

(١) يردني : من الردى وهو الهلاك .

(٢) في الروضتين ١/٢٦٩ : مسرف .

(٣) في الأصل : بعيشك لن واعطف ، والشطر بهذا تنقصه كلمة ، وقد وضعاها بين حاصرتين للدلالة على أنها مزيدة .

(٤) المسكة : ما يمسك به .

ثِيَابِكَ بُرِّيَّ فِي رَشْفِهَا وَقَدْ طَالَ سُمِّي وَلَمْ أَرْشُفِ
 أَتَجُو وَمَنْ قَدَّكَ السَّمْعِيُّ^(١) لِحَيِّتِي فِي جَنْفِكَ الْمَشْرِفِ^(٢)
 أَيَا مُسْرِفًا فِي عَذَابِي اقْتَصِدْ أُعِيذُكَ مِنْ شَطَطِ الْمُسْرِفِ
 نَحُولِي مِنْ خَصْرِكَ الْفَاحِلِ السَّقِيمِ كَمَا شَقَّكَ الْمُدْنَفِ^(٣)
 وَمَنْ سَعَمَ لِحَظَكَ ذَاكَ الْمَرِيضِ شَفَائِي وَأَشْفِي^(٤) أَنَا لَوْ شِئِي
 عَلَى خَطْفِ قَلْبِي يَحِلُّ الشِّبَاكَ عَقْدُ وَشَاكَ^(٥) فِي مُخْطَفِ^(٦)
 أَنَا الْمُسْتَهَامُ بِذَاكَ الْقَوَامِ وَذَاكَ الْمَوْشَحِ وَالْمِطْفِ
 وَذَاكَ الْقَبْلِ وَالْمَبْسَمِ الْمَقْدَمِ^(٧) وَالْقَرَفِ
 بِجَذِّكَ مِنْ وَهَجِ شُعْلَةٍ أَحَاطَتْ بِقَلْبِي فَمَا تَنْطَقِ
 فَإِنْ تُخَفِ الْحَاظَكَ الْقَاتِلَاتُ دَمِي فَبِخْدِكَ مَا يَخْتَنِقِ
 غَدَا عَاذِلِي عَاذِرًا مُذْ رَأَى عِذَارَكَ كَالْقَمْرِ الْأَكْلَفِ
 وَقَالَ : أَرَى خَدَّه مُرْهَفًا وَلَا عَيْبَ فِي خَصْرِهِ الْمُرْهَفِ
 أَفَاجِ وَأَسْ وَوَرْدُهَا اجْتِمَاعُ عَلَى غُصْنِ أَهْيَفِ
 تَرَقَّقَ رَفِيقِي فَلَيْتَ الَّذِي يُعْنَفُ فِي الْحَبِّ لَمْ يَعْنَفِ
 غَرَامُ عَرَا وَزَمَانُ عَدَا فَهَلْ ظَالِمٌ مِنْهَا مُنْصِفِي
 زَمَانٌ خَلَا مِنْ جَمِيلٍ فَلَيْسَ لَعْنِي ذُو نَقْصِهِ يَصْطَفِي

(١) السمعري : الرمح الصلب منسوب إلى سمهر زوج ردينة ، وكانا متفقين للرمح ، ويقال بل سمهر بلدة بالحبشة .

(٢) المشرف : السيف ينسب إلى مشارف الشام وهي القرى الواقعة على حدود الصحراء هناك .

(٣) المدنف : السقيم من الحب .

(٤) أشفي : من أشفى على الهلاك إذا أشرف عليه .

(٥) الوشاح : أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وخصرها .

(٦) مخطف : صفة لموصوف أى خسر مخطف وهو الحصر الضامر .

(٧) المقدم : الأحمر المشيع حمرة .

- جَنَى ظُلْمَةَ الْفَضْلِ حَتَّى لِلنَّيْرِ وَلَوْلَا سَنَا الشَّمْسِ لَمْ تُكْشَفْ
وَيَا لَيْتَ دَهْرِي إِذَا لَمْ يَكُنْ بِسُوءِي يُنْفَعُ لَمْ يَعْشُرْ^(١)
أَيَلُغُ دَهْرِي قَصْدِي وَقَدْ قَصَصْتُ بِعَصْرِ ذُرِّي^(٢) يُوسُفِرُ
وهي قصيدة طويلة تبلغ مائة بيت^(٣) ، والموسومات بنمطه كثيرة ، فمنها قصيدة أولها :
لَوْ أَنَّ عُذْرِي لَكَ يَا لَاحِ لَاحٍ مَا كُنْتُ عَنْ سَكْرِي يَا صَاحِرَ صَاحٍ •
ومنها قصيدة في التهنية ، بكسر عسكر حلب والموصل ، بتل^(٤) السلطان
يوم الخميس عاشر شوال سنة إحدى وسبعين ، أولها :
يَوْمَ أَهَبَّ صَبَا^(٥) الْهَبَاتِ صَبَاحُهُ وَرَوَى جَدِيثَ النِّصْرِ عَنْكَ رَوَاجُهُ^(٦)
فَالسَّعْدُ مُشْرِقُهُ لَنَا آفَاقُهُ وَالنِّصْرُ يَادِيَهُ لَنَا أَوْصَاحُهُ^(٧)
أَوْفَى عَلَى عُودِ الثَّنَاءِ خَطِيئُهُ وَشَدَا عَلَى غُصْنِ اللَّيْلِ صَدَاجُهُ^(٨) ١٦
فَالنَّامُ مُبْتَلَى النَّيِّ مِيعُونُهُ وَالْعَامُ مُنْهَلُ الْجَلْبَا^(٩) سَحَابُهُ

(١) يصف : يظلم .

(٢) يقال أنا في ذري فلان أي في ظله وفي نسله .

(٣) احتفظ كتاب الروضتين بثلاثة أبيات بعد البيت الأخير من هذه الأبيات وهي :

فسر وانفتح القدس واسفك به دماء من تجبورها تنظف

وأهد إلى الإبتار النار وهدد السقوف على الأمبق

وخلس من الكفر تلك البلاد يخلصك الله في الموقف

وتنظف في البيت الأول : تسيل ، والبتار في البيت الثاني ، كغراب ، هو السيف القاطع

جمل البتار بتشديد التاء والبتار .

(٤) تل السلطان : من أعمال حلب وبينها خربة فراسخ .

(٥) الصبا : ربح لينة يذكرونها المحبون كثيراً .

(٦) الرواح : المعنى أو من الزوال إلى الليل .

(٧) الأوضاح : جمع وضع وهو يبان الصبح .

(٨) الصداح : اللغنى .

(٩) الجيا : النيث .

والخل^(١) زال كبارق مهلل
فالمجد لله الذي إفضاه
عاد المدو يظلمة من ظلمه /
ركدت قبول^(٢) قبوله من بعد أن
لم الشعوب بومضه لماحه^(٣)
حلوا الجنا عالي^(٤) السننا وضاحه
في ليل ويل قد حبا مصباحه [٣٥ ط]
هبت غرورا بالرياء رياحه

٥٠ ومنها :

أوفى يريد له بمر جوده
حل السلاح إلى القتال وما درى
ولى بكسر لا يرعى جبره
ونجا إلى حلب^(٥) ومن حلب الردى^(٦)
ربما فجرت خصرة أرباحه
أن الذي يبنى عليه سلاحه
ويقرح قلب لا تبيل^(٧) جراحه
در وفيه نجاته وفلاحه

٥١ ومنها :

إن أفسد الدين العصاة^(٨) يحنهم
فالنصر للملك الصلاح صلاحه

ومنها :

فراح المدو بجمه ولقيته
صحت على ضرب الحكاة^(٩) كسوره
فتحولت أحزانه أفراحه
وتكسرت عند الطمان صحاحه

(١) الخل : الجذب .

(٢) لماحه : لماعه : من لمح النجم إذا لمح .

(٣) مكنا في الروضين ٢٥٥/١ وفي الأصل : على وهو خطأ .

(٤) القبول : بفتح القاف ربح الصبا ، ومى تقابل الدبور يريد المهاد أن ربح إقبال المدو ركبت .

(٥) تبيل : من البيل بكسر الباء وتشديد اللام وهو الشفاء .

(٦) حلب : مدينة مشهورة في شمال الشام على حدود تركيا .

(٧) الحلب : استخراج ما في الضرع من اللبن والدر .

(٨) في الروضين : القلاة .

(٩) الكمر : الشجاع وشاكي السلاح .

وَأَفَى بِسَرْحٍ لِلنَّقَادِ^(١) فَكَانَ فِي
 تَجْرَهُ^(٢) كَبْحَرٍ دَارِعُو فِرْسَانِهِ
 شَحَنَاوُهُ شَحَنَتْ جَوَارِي فُلْكِهِ
 عَدِمُوا الْفَلَاحَ مِنَ الرِّجَالِ فَجَاءَهُمْ
 فَهْمٌ لِحَرْثٍ لَا لِحَرْبٍ حِزْبُهُمْ
 قَدْ فَاطَ^(٣) لِمَا فَاضَ جَيْشُكَ جَاشُهُ
 كَمْ سَابِقٍ يَرُدَّاهُ يَرْدَى سَابِجٍ
 وَمِنْهَا :

كَمْ عَيْنٍ عَيْنٍ غَوَرَتْ غَوَارُهُ^(٤)
 إِنْ آدَتِ^(٥) بِالنَّارِ رِيحٌ قَتِيلُهُمْ
 كَمْ مَارِقٍ مِنْ مَازِقٍ دَمُهُ عَلَى
 يُضْبِيكَ تَهْدُ^(٦) إِنْ سَبَاهُ تَأْهَدُ^(٧)
 وَلَكِ الْكُوبُ^(٨) مَقُومَاتٍ لَرْدَى^(٩)
 وَلِقْلِبٍ قَلْبٍ عَوَرَتْ مَتَاحُهُ^(١٠)
 فَالنَّصْرُ نَفَاحُ الشَّدَا قَوَّاحُهُ
 مَسَحَ^(١١) الْحَسَامُ مَرَّاقَهُ^(١٢) مَسَاحُهُ
 وَلَدَيْكَ جِدٌّ إِنْ أَبَاهُ مَزَاحُهُ
 وَلَهُ الْغَدَاةُ كَعَابُهُ وَرَدَّاحُهُ^(١٣)

(١) السرح : المال المشرح أو المرسل من غنم ونحوه ، والنقاد : جمع نقاد وهو راعي جنس من الغنم قبيح الشكل ، والاستعارة واضحة .

(٢) الحجر : الجيش العظيم .

(٣) الفرج : الضرب بالسلاح ، والقراح : الأرض المخلصة للزرع والفرس .

(٤) فاط : هلك .

(٥) العين الأولى بمعنى الينوع والثانية الباصرة ، وغورت : من غار ينور أى ذهبوا بها ، والتوار من الإغارة فى الحرب .

(٦) القليب : البئر ، وعورت : من العوار وهو العيب والحرق فى الثوب . والتاح : جمع مائح ، وهو الذى يستقى من القلب .

(٧) مسح : مسح .

(٨) مرآقه مساحه : يريد سائله بمسح السيف ونبرعه ، وأولاه يريد أنه يسيل عليه ويلطخه .

(٩) التهذ : التهوش للعدو والصمود له ، يقول إنك تصمد للعدو على حين تسبى المرأة

التاهذ أو السكاعب .

(١٠) يريد كوب السيف ، ومقومات : مشهرات .

(١١) للرأه الرداح : السمينة .

رَاحُ النَّجِيعِ ^(١) بِهَا صَحَافُ صَفَاحِكُمْ
وَتَجُولُ فِي صَهَوَاتِهَا فُرْسَانُكُمْ
وَيَرْوِقُهُ الْحَرَامُ وَعِنْدَكُمْ
ضَرْبُ الطَّلَى ^(٢) بِالْمَشْرِقِ طِلَابُكُمْ
عَمْرُ خَدِّ صَقِيلَةٍ ^(٣) تَقَاحِكُمْ
مَلَأَى وَتَمَلَّأَ كُلَّ كَاسٍ رَاحُهُ
وَتَدُورُ فِي خَلَوَاتِهِ أَقْدَاحُهُ
مِمَّا يُرَاقَى مِنَ الدَّمَاءِ مُبَاحُهُ
وَبِرَاحٍ مَنِ شَرِبَ الطَّلَا طُلَاحُهُ ^(٤)
وَأَسِيلُ خَدِّ عَقِيلَةٍ تَفَاحُهُ

ومنها:

لِلَّهِ حَيْشٌ بِالرُّوْجِ عَرَضَتُهُ
وَمِنَ الْحَدِيدِ سِوَابُهَا أَبْدَانُهُ
وَلَهُ فَوَارِسٌ بِالنَّفُوسِ سَمَاحَتُهَا
رَوْضٌ مِنَ الصُّفْرِ الْبَنُودِ وَخُمْرُهَا ^(٥)
مِنْ كُلِّ مَاضٍ الْحَدُّ طَلَقَ غَمْدُهُ
قَدْ كَانَ عَزْمُكَ لِلَّهِ مُصَمَّمًا
أَسَدُ الْعَرِينِ رَجَالُهُ وَرِمَاحُهُ
وَمِنَ الْمَضَاءِ غَزَاؤُهَا أَرْوَاحُهُ
أَتَمَّادُ بِالْعَرَضِ لِلصُّوْنِ شَحَاحُهُ
وَالْبَيْضِ ، يُرْهَى وَرْدُهُ وَأَقَاحُهُ
فَتِكَاءٌ لِأَعْمَادِ الرِّقَابِ نِكَاحُهُ
فِيهِمْ فَلَاحٌ كَمَا رَأَيْتَ فَلَاحُهُ

ومنها:

وَكَأَنَّنِي بِالسَّاحِلِ الْأَقْصَى وَقَدْ
فَاعْتَبَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ الْفَرَاتَ لِيَشْرَبُوا الْمَوْتَ الْأُجْبَاجَ ^(٦) قَدْ طَمَأَ طَلَّاحُهُ
لِتَفُكَّ مِنْ أَيْدِيهِمْ رَهْنُ الرُّثَا ^(٧) عَجَلًا وَيَدْرِكُ لَيْلَهَا إِصْبَاحُهُ

(١) النجيع : الدم .

(٢) الطل : جمع طلية وهى أصل العنق .

(٣) الطلاح : ضد الصلاح .

(٤) يريد السيوف والرماح .

(٥) البنود : الأعلام .

(٦) رواية الروضين : بنجر .

(٧) الألباج : للر .

(٨) الرها : مدينة بالجزيرة كانت أحد مواطن الثقافة الهلينية قبل الإسلام .

يرجع فضل كبير فى نشر هذه الثقافة ببلاد القرس قديماً ثم بين المسلمين حين استلوكوا الجزيرة .

- وابغوا الحرَّانَ^(١) الخلاصَ فكم بها
حرَّانُ قلبٍ نحوكم مُلتاحه^(٢)
نَجَّوا البلادَ من البلاءِ بعدَ لكم
فالظلمُ بادٍ في الجميعِ صُراحه^(٣)
وَاسْتَفْتَحُوا ما كانَ من مُسْتَفْلِقٍ
فيها فريثكمُ لكمُ فَتَّاحه^(٤)
قُولُوا لأهلِ الدينِ قَرُّوا أعيننا
فلقد أقامَ عُمودَه مَفَّاحه^(٥)
بشراى فالإسلامُ من سلطانه
جَدِلُ القَوادِ بنصره مُرْتاحه^(٦)
مَلِكُ لِيَمِينِ العُتْفِينِ^(٧) يَمِينُه
ولراحةِ الرَّاجِينَ تَبْسُطُ راحه^(٨)
لما اجتداه^(٩) من الرَّجاءِ رجالُه
أَوْقَى على قَطَرِ السَّمَاءِ سَمَّاحه^(١٠)
فاقصِدْ بِبَرَحِ^(١١) الْفَقْرِ رَحْبَ جَنابِه
فِيراحِه يَوْمَ النِّوَالِ بَراحه^(١٢)
مَلِكُ تَمَلَّكْ^(١٣) جَدُّه من جَدِّه
فالمجدُ مَجْدُ واللَّزاحُ مِراحه^(١٤)
ملكٌ يُحِبُّ الصَّفْحَ عن أعدائه
فلذاك تَصَفَّحُ عن عِداهُ صِفَّاحه^(١٥)

ومنها :

- لك بيتٌ مجدٍ ليس يُدْرِكُ حدَّه
يعيا بندرُ عُرُوضِه مَسَّاحه^(١٦)
لِللَّكُ غابَ أَنْتُمْ أَشْبَالُه
والدينِ رُوحُ أَنْتُمْ أَشْبَاحه^(١٧)
ما شَرَحَ صُدْرَ الشَّرْعِ إِلَّا مِنْكُمْ
ولذاك مِنْكُمْ للهدى إِضْراحه^(١٨)

(١) حران : هي المدينة الثانية في الجزيرة التي نشرت منها الثقافة الهلينية ، إذ كانت هي وأختها الرها مركزين مهينين للسران . وكانت تغلب المسيحية على الرها بينما تغلب الوثنية على حران وأهلها المعروفين باسم الصابئة .

(٢) ملتاحه : من لاحة المطش : غيره .

(٣) الصراح : الخالص من كل شيء .

(٤) السفايح : السفايح للدماء .

(٥) العتفون : طلاب النوال .

(٦) اجتنى : طلب الجدوى وهي العطاء .

(٧) برج الفقر : شدته .

(٨) البياح : للتسع من الأرض .

(٩) الجبد : الحفظ .

(١٠) الراح الأولى : مكان الرواح وزماته ، والثانية : من المرح .

فخرًا بنى أيوبَ إنَّ مَحَلَّكُمْ
 لولا انساغُ جنابكم لقددته
 أتمَّ ملوكُ زماننا وسرَّاته^(١)
 / عطاؤه كبرائه فضلاؤه
 أقارؤه وشموسه ونجومه
 أتمَّ رجالُ الدهرِ بل فرسانه
 فتَّاكُه نساكُه ضراؤه
 وأبو المظفر يوسفُ مطعَّمه
 وإذا اتدَّى في تحفلي فحبيته
 أسجحت حين ملكت عفواً عنهم^(٢)
 ٢٢ منها قصيدة أخرى أنفذتها إليه من دمشق إلى مصر قبل ملكة
 الشام، أولها:

سكرانٌ باللحظِ صاحِ نشوانٌ من غيرِ راحِ
 بوجنةِ الوردِ يفتُرُّ عن ثنايا الأفاقِ
 وقامةِ النصنِ يهتزُّ في مراحِ المراحِ^(٣)
 وعارضِ^(٤) المسك مثل المساءِ فوق الصباحِ
 تمَّ العذارُ عليه قَمَّ فيه افتضاحِ

- (١) السراة : جمع سرى وهو الرئيس ، وهو جمع نادر لأن فيلانا لا يجمع على فمالة .
- (٢) رزان : جمع رزين ، ومثلها رصان : جمع رصين .
- (٣) الطاح : جمع أبطح ، وهو كل مكان متسع .
- (٤) المجحاج : السيد .
- (٥) الوقاح : الجبرىء .
- (٦) في الأصل : أسمع ، والإسجاح : حسن العفو ؛
- (٧) مراح الراح : مكان السرور .
- (٨) العارض : صفحة الحذف .

- وردُ الحياءَ جَنِي^(١) في ذلك النضاح
والريقُ كالراح شُجَّتْ بعذبِ ماءِ قَرَّاح^(٢)
من كأسٍ فيه اغْتَبَاقِي مُنْعَمًا واصطَبَاحِي^(٣)
وفي الأمورِ اختامِي على أسمه وأفتتاحِي
أهوى طالعَ صَبَّاحِي على وُجُوهِ صَبَّاح
ولم أَحَوَّرَ أَحْوَى^(٤) وضمَّ رُوْدُ^(٥) رَدَّاح
ورِي قَلْبِي الصدى من عناقِ ظامِي^(٦) الوشاح
وفتنتي من عيونِ حورِ مَرَّاضٍ صَحاح
يا صاحِ إني نَزِيفٌ سَكَّرًا وإنك صاح
وبرحُ وجدِي مَقِيمٌ فما لَهُ من بَرَّاح
دَعْنِي فما أنتَ يومًا مؤاخِذٌ يَجْنَح
وما أظمتُ غَرَامِي حتى عصيتُ اللَوَّاحِي^(٧)
وفي الحبيبِ وَنَمَتْ بوصلهِ أَفْرَاحِي
وزادَ قِدْحِي^(٨) ودارتْ بِمُنَيَّتِي أَقْدَاحِي
أعطى الكؤوسَ مِلاءً على أَكْفٍ الملاح
ورضتُ بالصبرِ دهرِي وكان صعبَ الجَاح
قد استقرتْ أُمُورِي فيه بِحَسْبِ اقْتِرَاحِي

(١) الجني: على وزن فيل الناضج .

(٢) الماء القراح: الماء الصافي الخال من كل شائبة .

(٣) الاغتياق: الشرب بالمشي . والاصطباح: الشرب في الصباح .

(٤) الأحوى: ذو الشفة الحمراء إلى السواد ، والأحوى أيضا: الأسود .

(٥) الرود: الغابة الحسننة .

(٦) ظامِي الوشاح: نازل الوشاح .

(٧) اللوواح: جمع لائح وهو اللائم .

(٨) القدح: السهم .

كما استقرَّ صلاحُ الدنيا بملكِ الصَّلاحِ
 تنيرُ شمسُ مساعيه من سماءِ الصَّباحِ^(١)
 وأسرهُ مستفادٌ من القضاء للتاح
 ذو الفخرِ للتعالي والنائلِ المستفاح^(٢)
 وللحقيقة حامٍ وللديانة ماحٍ
 غيثُ الساحة طرْدُ الوقار لَيْثُ الكفاح
 صدرٌ يجدواه صدرى مُذ لم يزل في انشراح
 من قدحِ زنده الأمانى به وقودُ القداح
 أمَّلتُهُ لِيُملِي فلاح وجهُ فلاحى
 آمأنا بلهاته^(٣) إل أجسامُ بالأرواح
 ندى كريمٍ حيي وبأسُ ذميرٍ^(٤) وقلاح
 ينفديك أهلُ اجتراء على رُكوبِ اجتراح^(٥)
 بالمالِ غيرُ كرامٍ بالمرضِ غيرُ شحاحٍ
 رأيتَ صونَ للعالي في بذلِ مالٍ مباحٍ
 إن طالَ ليلُ مُلمٍ وافيتَ بالإضباح

(١) رواية هذا البيت في الروضتين ١٨٢/١ هكذا :

تنير شمس أياديه في سماء السباح

ويلاحظ أن كتاب الروضتين ينقل هذا الشعر من كتاب البرق الشامى للعقاد ، وهو مما ألّفه في آخرات حياته . فيمكن أن يكون قد أصلح هو نفسه هذا البيت حين رواه في البرق كما أصلح غيره مما سبق .

(٢) المستراح : من استرحته إذا سألته العطاء .

(٣) الهوى : جمع لهوة وهى العطاء .

(٤) القمر : الضجاع .

(٥) الاجتراح : الاكتساب .

ومنها :

مُلِيتَ ^(١) يَوْسُفُ مِصْرًا ^(٢) جِدًّا بَنِيرِ مِزَاحٍ
 مُلْكًا بَنِيرِ انْتِزَاعٍ عِزًّا بَنِيرِ انْتِزَاحٍ
 يَأْمَنُ أَيْدِيهِ تُبْدَى بِالْحَضَرِ عِىَّ الْقِصَاحِ
 وَمَنْ مُرَجَّى نَدَاهُ مُبَشِّرٌ بِالنَّجَاحِ
 غَدُوهُ فِي انْتِزَاعٍ وَنَجْدُهُ فِي انْتِزَاحٍ

ومنها :

صَرِيحٌ مَدْحِي لَعَلِّيَا كَ عَنْ وَلَاءِ صُرَاحٍ
 بَقِيدٌ شُكْرِي عَطَايَا كَ مُطْلَقَاتُ السَّرَاحِ

- ولى فيه قصيدة طائية عند وصوله إلى الشام واتصالى بخدمته ^(٣) أحبيت ١٠
 إثباتها فى الخريدة ، وإيداعها فى الجريدة ، لأجل ذكر أخواتها من نظم شعراء
 العصر فى الأقاليم ^(٤) ، وهى هذه :

عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ مَا لَكُمْ أَيُّهَا الرَهْطُ قَسَطُمْ ^(٥) وَمَنْ قَلْبُ الْمَحَبِّ لَكُمْ قِسْطُ
 شَرَطْتُمْ لَهُ حِفْظَ الْوَدَادِ وَخَفْتُمْ حَنَانِيكُمْ ^(٦) مَا هَكَذَا الْوُدُّ وَالشَّرْطُ

(١) ملئت : تمتع .

(٢) فى الأصل : مصر .

(٣) قل صاحب كتاب الروضتين عن البرق الشاى أن الهاد قال : إنه نظم هذه القصيدة بتاريخ انسلخ شعبان سنة سبعين وخمسمائة وصلاح الدين على بعلبك يحاول فتحها . انظر الروضتين ٢٤٧/١ .

(٤) ذكر صاحب الروضتين ما يفسر هذه الجملة إذ يروى عن الهاد فى برقه الشاى أنه كان ملازما لحقيد صلاح الدين . وكان مع صلاح الدين ديوان أسامة بن منقذ لا يفارقه ، وكان جميعا خاصة بقصيدة طائية له من هذا الوزن والروى . ويقول الهاد إن كثيرا من الشعراء المحدثين نظموا على هذا النال منهم للمرى وابن أبى حسينة والأرجانى وملاطخ بن رزك ثم يقول : وقد أوردت بعضها فى كتاب الخريدة . ونحنفا معنى قوله هنا إنه أودع قصيدته فى الجريدة لأجل ذكر أخواتها . والصلة واضحة بين طائفة وطائفة المرى فى سفلته ،
 (٥) قسطم : ظلمتم .
 (٦) فى الروضتين : خيائلكم ،

جعلتم فؤادَ السَّهَامِ بِكُمْ لَكُمْ
 إِذَا كُنْتُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْأَرْقُ قَدْ نَأَتْ
 نَوَى هَهُنَا نَوَى الْوَجْدُ عِنْدَهُ
 وَأَرْقُهُ طَيْفُ طَوَى^(١) نَحْوَهُ الشَّجَى
 تَشَاغَلْتُ عَنْهُ وَتَوَقَّأَ بُوْدَهُ
 جَزَعْتَ غَدَاةَ الْجَزَعِ^(٢) لَمَّا رَحَلْتُمْ
 مَلِكُمْ فَأَنْكَرْتُمْ قَدِيمَ مَوَدَّتِي
 قَدَّتْ مَهْجَتِي مَنْ لَا يَذُمُّ لِمَهْجَتِي
 يَرْيَكُ ابْتِسَامًا عَنْ شَتِيتِ^(٣) مُقَبِّلِ
 وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ سَطْوَةِ طَرْفِهِ
 / وَهَبْ أَنْ بِالْقُرْطَيْنِ مِنْهُ مُعْلَقٌ
 وَأَهْيَفُ لِلْإِسْفَاقِ مِنْ ضَعْفِ خَصْرِهِ
 عَلَى قُرْبِهِ فِي الْحَالَتَيْنِ مُحَسَّدٌ
 بُوَجْنَتِهِ نَوْرُ اللَّدَامَةِ مُشْرِقٌ
 تَرَيْنُ عِذَارَتِهِ كِتَابَهُ حُسْنِهِ
 فُؤَادُكَ خَالٍ يَا خَلِيلِي فَلَا تَلَمْ
 يَلَازِمُ قَلْبِي فِي الْهَوَى الْقَبْضُ مَثَلًا
 مَلِكُ حَوَى الْمَلِكِ الْعَقِيمِ^(٤) بَضْبَطُهُ

مَحْطًا فَعِنَهُ ثِقَلٌ هَكُّكُمْ حَطُّوْا
 فَسَيَّانٍ مِنْ أَحْبَابِهِ الْقَرْبُ وَالشَّحْطُ
 مَقِيماً وَشَطَّ الصَّبْرِ فِي جَبْرِ شَطْوَا
 وَقَدْ كَادَ^(٥) جَيْبُ اللَّيْلِ بِالصَّبْحِ يَنْعَطُ^(٦)
 كَانَ رِضَاكُمْ عَنْ مَحَبِّكُمْ سُخْطُ
 وَأَسْقَطْنِي مِنْ يَنْتِكُمْ ذَلِكَ السَّقْطُ^(٧)
 كَانَ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْنِ مَعْرِفَةٌ قَطُّ
 إِذَا حَاكَمْتُهُ وَهُوَ فِي الْحُكْمِ مُسْتَعِطُ
 كَانَ نَظِيمَ الدَّرِّ أَلْفَهُ السَّمُطُ
 بَأَنَّ ضَعِيفًا فَتَارًا مِثْلُهُ يَسْطُو
 لَدَنْبِ الْهَوَى قَلْبِي فَلَيْمَ عَلَّقَ الْقُرْطُ [٣٦ ط]
 مَحَلُّ نَظَائِقِ^(٨) لِقُلُوبٍ بِهِ رَبِطُ
 مِنَ التَّغَرِّ وَالشَّعْرِ الْأَرَاكُ وَاللَّشْطُ
 وَمَقْلَتُهُ نَشَوَى وَفِي فِيهِ إِسْقِنُطُ^(٩)
 وَمَنْ خَالِهِ فِي وَجْنَتِهِ لَهَا نَقْطُ
 فُؤَادًا سِبَاهِ الْخِلَالُ وَالْخِلْدُ وَالْخَطُ
 يَلَازِمُ كَفَّ النَّاصِرِ الْمَلِكِ الْبَسْطُ
 كَرِيمٌ وَمَا لِلْمَالِ فِي يَدِهِ ضَبْطُ

(١) في الأصل : قرى .

(٢) الجزع . منقلب الواوى .

(٣) ينعط : ينشق .

(٤) السقط : حيث يتقطع معظم الرمل .

(٥) شتيت مقبل : الثغر الفلج .

(٦) الإسقنط : اسم من أسماء الحجر .

(٧) الملك المقيم : الملك ألفذ الذى ليس له مثال .

(٨) رواية الروضتين : يحل نطاقا .

- ومولى سرير الملك حَفَّ بشخصه
ملكك لنجم النجم من أَقْبَى عِزِّهِ
إذا لَيْمَتْ أَيْدَى الملوك فعنده
لنوم الرعايا وادعين سهادُهُ
أَكْفُ ملوك العصر لا وَكْفُ^(٤) عندها
عطايا تقود لا نَسَايَا^(٥) فكلها^(٦)
أغرُّ لكف الكفر كف يأسه
أياديه غرُّ ومي غير مُغَبِّة
يحب ضجيج الشاكرين إذا دَعَوْا^(٧)
ويَعْبَى عَرَفُ التُّرْفِ والقِسْطِ عنده^(٨)
إلى طَوْلِهِ^(٩) المعروف طَوْلُ يدِ الرجا
صنائمه رُبَطُ^(١٠) الكرام وإنها
- كما حَفَّ بالإنسان من ناظرٍ وَسْطِ
سَنَا ولطير السَّعْدِ^(١١) في وكره قَمَطُ^(١٢)
مدى الدهر إجلالاً له تُلَمُّ البُسْطِ
إذا وادِعُوا الأملاك في نومهم غَطُّوا^(١٣)
وكفُ الملك الناصر البحر لا الوقْطُ^(١٤)
تَعَجَّلْ لا وعدْ هناك ولا قَسْطُ^(١٥)
كما لفقار^(١٦) الفقر من جوده وَهْطُ^(١٧)
وإحسانه عَمَّرْ وليس له غَمَطُ
ويهوى سؤال المعتفين إذا أطوا^(١٨)
ونَدَّ^(١٩) الندى لا البان والرند^(٢٠) والقِسْطُ^(٢١)
وفي بحر جدواه لأماننا غَطُّ
لوفد أياديه المصانع والرُّبْطُ^(٢٢)

(١) في الأصل : من .

(٢) القمط : ما يشد به وكر الطائر من أعشاب وما يلف حول الطفل من ثياب ،
وسيان في هذه القصيدة .

(٣) غط في النوم : غلب عليه وأغرق فيه .

(٤) الوكف : الثبت والمطر .

(٥) الوقط : الحفرة في الجبال أو في الصخر تجتمع فيها المياه .

(٦) نسايا : جمع نسيئة ومي البيع للمؤجل .

(٧) في الأصل : وكلها . (٨) القسط : الظلم .

(٩) الفقار : جمع فقرة ومي ما انتضد من عظام الظهر .

(١٠) الوهط : الكسر والوطه .

(١١) أطم : صاح . (١٢) القسط هنا : الرزق والتصيب .

(١٣) ند الندى : مسك ، أوطيب ، الكبر .

(١٤) البان : شجر .

(١٥) في الأصل : الرنط وهو خطأ ، والرند : شجر طيب الرائحة .

(١٦) القسط : عود هندي . (١٧) الطول : الفضل .

(١٨) ربط : جمع رباط وهو ما يربط به .

(١٩) المصانع : الباني من الحصون ، والربط هنا : جمع رباط وهو الخرق الذي يربط فيه الجيش .

- يَمُرُّ وَيَحِلُّو حَالَةَ السَّخَطِ وَالرَّضَا
من القوم تلقاهم عن النكر إن دُعُوا
هُمْ رَضَعُوا دَرَّ الْحَجَى فِي سُودِهِمْ
يصيبون فيما يقصدون فكم رَمَوْا
مَتَى يَقْدِرُوا يَقْفُوا وَإِنْ يَعِدُوا يَقْفُوا
يصبى الذى يصبو ^(١) إلى قصدٍ بابهم
وما أَسْعَدَ الْمَلَكَ الَّذِى نَحَوَّ بِابِهِ
وماروضه غناء حُسْنًا كَأَنَّمَا
إِذَا قَادَنِي لِلرَّجْسِ النَّصْرِ نَاطِرُ
وَاللَّوْدِ خِذْ لِلْحَيَاءِ مَوْرَدُ
تَلُوحُ بِهِ الْأَشْجَارُ صَفًّا كَأَنَّمَا
تُعْنَى عَلَى أَعْوَادِهَا الْوُرُقُ مِثْلًا
كَأَنَّ سَقِيطَ ^(٨) الْطَلِّ عِبْرَةٌ مُعْرَمُ
تَرَى لِمُحَيَّا الشَّمْسِ مِنْ هَامِرِ الْحَيَا
بَازِكِي وَأَذْكِي مِنْكَ حُسْنًا وَإِنَّمَا
لَكَ الصَّدْرُ وَالْبَاعُ الرَّحِيانُ فِي الْعَلَا
- فَنَعَمْتَهُ ذَابُّ وَنَعَمْتَهُ فَرَطُ ^(١)
بطاء وإن يُدْعُوا إِلَى الْعُرْفِ لَا يُبْطُوا
أَمَاجِدُ وَانضَمَّتْ عَلَى السُّودِ الْقُمُطُ
بِسَهْمِ الثَّرَاءِ الْمَلْقِينَ فَلَمْ يُخْطُوا
وَإِنْ يَبْذُلُوا يُغْنُوا وَإِنْ يَسْأَلُوا يُعْطُوا
وفى غيرِ هذا القصدِ يُخْطِى الَّذِى يَخْطُو
مَطَايَا بِأَبْنَاءِ الرِّجَاءِ غَدَتِ تَمْطُو ^(٣)
لَوَارِفِهَا ^(٤) مِنْ نَسْجِ نَوَارِهَا مَرُطُ ^(٥)
تَلَاهُ عَزَّازُ اللَّبْنَفَسِجِ حُطُّ
وَاللِّبَانِ قَدْ جِيْدُهُ أَبَدًا يَعْطُو ^(٦)
سَطُورُ كِتَابِ وَالْغَدِيرُ لَهَا كَشَطُ
يَرْتَلُّ لِلتَّوَارِقِ أَلْحَانَهَا سِبْطُ ^(٧)
وَبَارِقُهُ مِنْ نَارِ لَوَعْتِهِ سِقْطُ ^(٩)
لِثَامِ حَيَاءِ دُونِهِ لَيْسَ يَنْحَطُّ
بِحُسْنِكَ لَا بِالرُّوضِ الْعَائِدِ النَّبْطُ
وَذَاكَ الْحَيَا الطَّلُقُ وَالْأَعْمَلُ السُّبْطُ ^(١٠)

(١) فرط : لإفراط .

(٢) يصبو : يميل .

(٣) تَمْطُو : من المَطْو وهو الدُّد في السَّير .

(٤) فِي الْأَسْلِ : نَوَازِلُهَا .

(٥) الرُّط : لِزَارٍ مِنْ خَزْ خَاسٍ بِالْقِسَاءِ .

(٦) يَعْطُو : يَرِيدُ أَنَّهُ قَرِيبٌ يَتَنَاوَلُ

(٧) السَّبْطُ : الْقَبِيلَةُ مِنَ الْيَهُودِ .

(٨) السَّقِيطُ : السَّاقِطُ .

(٩) السَّقْطُ : الْفَرَارُ الَّذِى يَسْقُطُ مِنَ الزَّنْدِينَ عِنْدَ إِسْرَائِهِمَا .

(١٠) السَّبْطُ : ضِدُّ الْجَعْدِ ، وَالْأَعْمَلُ السَّبْطُ كِتَابَةٌ عَنِ السَّخَاءِ .

لراجيكم ماء البشاشة والندى جميعاً وحظ الحامد النار والنقط
عنا لك طوعاً نيل مصر ودجلة العراق ودان العرب والعجم والقنط
ولنيسل شط ينتهى سببه به وتلك^(١) للراجين نيل ولا شط
وعفوك ورذ والجناة جناته ويضك^(٢) شوك في العداة لها خرط^(٣)
فداؤك ممتد المطال محجب وحاجبه الكبير والعجب ممتط^(٤)
فداؤك قوم في الندى وفي الندى وجوههم سهم^(٥) وأسهمهم مرط^(٦)
لتبك دماً عين العدو قد جرى على الأرض من أوداجه دمه العبط^(٧)

ومنها :

منعت حي الإسلام للنصر معطياً غداة عوت من دونه الأذوب الملقط^(٨)
وصلت وكم فرجت عنا ملّة بسهم الرزايا في الكرام لها لهط^(٩)
بعودك عاد الحق واتضح الهدى وهب نسيم النصر واخرج الضفط
وأنت أجزت الشام من شؤم جاره ولم يكف رهط الكفر حتى بنى رهط^(١٠)
أجزت وقد جاوروا دنت وقد عدوا^(١١) وصلت وقد خاروا ولنت وقد لظوا^(١٢)
فلا يعيل اللوى بمن مله بجأشه هوى ويقوم حشو جيشهم زط^(١٣)
كثير تعدّهم قليل غناؤهم وهم لا أصابوا رشدهم—هل رهط^(١٤)

(١) النيل : العطاء .

(٢) خرط : نزع وضرب .

(٣) خرط : نزع وضرب .

(٤) ممتط : ممتط .

(٥) سهم : غابة .

(٦) الدم الببط : الدمى لا يزال سائلا .

(٧) المبط : الجرد التي لا شعر لها .

(٨) الهط : رى وضرب .

(٩) رهط : ريد الخارجين على صلاح الدين في الشام وبلاد اللوصل والجزيرة .

(١٠) عدوا : من العدوان وفي الأصل عدا .

(١١) لظوا : جحدوا .

(١٢) الزط : قبيل من الهند .

(١٣) الزط : قبيل من الهند .

(١٤) الزط : قبيل من الهند .

- عَدَلَتْ فَلَا ظِلْمَ وَطَلَّتْ ^(١) فَلَا مَدَى ^(٢) وَقُلْتَ فَلَا مَيَّنَ وَجُدْتَ فَلَا قَحْطُ
فِيَزَّ مَكَانَ الْخَالِصِينَ فَإِنَّمَا أَلْ نَاعَادَى أَنْاسٌ فِي رَوْسِهِمْ خَلَطُ
وَقَرَّبَ وَلِيًّا صَحَّ فِيكَ ضَمِيرُهُ وَلَا يَأْمَنُ التَّمَسَّحُ مَنْ دَابَّهُ الشَّرْطُ ^(٣)
/ نَبَا بِي مَقَامُ الْجَاهِلِينَ فَعَفَتْهُ وَقَدْ تَضَنَّنَتْ ^(٤) لِلنَّهْسِ حَيَاتُهُ الرُّقْطُ [٣٧ و]
هُمْ مَنَعُوا رِفْدِي قَبُولٍ وَنَائِلٍ وَذَا وَشَلَّ بَرَضٌ ^(٥) وَذَا أَكُلَ مَخْطُ ^(٦)
وَكَمْ مُطْمَعٍ فِي خَيْرِهِ بِشَرِّ وَجْهِهِ وَمَشْتَمِلٍ مِنْهُ عَلَى شَرِّهِ الْإِبْطُ ^(٧)
لَأَبْدَى بِلَا عَذْرِ حُظُوظَ فُضَائِلِي نَفَارُ الْعَذَارَى مِنْ عِذَارٍ بِهِ وَخَطُ ^(٨)
وَجِسْتِكَ أَلْقَى الْعَزَّ عِنْدَكَ مُلْقِيًّا فَلَانْدَ الْأَسْمَاعِ مِنْ دُرِّهَا لَقَطُ
أَعَزَّنِي جَيْلًا وَأَصْطَنَعَنِي وَأَصْفُ لِي جَمِيلًا حَتَّى يَشْتِ الْخَاسِدُ لِلْمَلَطِ ^(٩)
أَعْنِي فَعَيْنِ ^(١٠) الْفَضْلِ عَانِ ^(١١) مُقَيَّدُ بَعْقَلَةٍ حَرَمَانٍ نَدَاكَ لَهَا نَشْطُ
وَأَوْعَزَ بِتَشْرِيفِي وَرَسْمِي فَإِنَّهُ لِحَدَى جَزَالًا قَدْ تَقَدَّمَهُ الشَّرْطُ
إِلَامَ زَمَانِي لَا يَزَالُ مُسَلِّطًا عَلَى نَابِهِ مِنْ أَهْلِهِ نَابُهُ السَّلَاطُ ^(١٢)
سَعَتَ نَحْوَكُمْ مِثِّي مَطَايَا مَطَالِبِ لَأَنْسَعِيهَا ^(١٣) فِي النَّجْحِ عِنْدَكُمْ مَغْطُ ^(١٤)

(١) طلعت : تفضلت وأتممت .

(٢) يريد أنه ليس له مدى في تفضله يقف عنده ، وربما كانت محرفة عن كلمة أذى .

(٣) الشرط : البلع .

(٤) تفضضت الحيات : حركت ألسنتها .

(٥) الوشل البرض : الماء القليل .

(٦) ألا كل الخطط : التى فيه طعم من مراهرة .

(٧) الإبط : باطن الكتف ، يريد المهاد أنه يبطن السر ، وقد استخدم هذه الكناية

من قصة تأبط شرا الشاعر الجاهلى ، وهى قصة مشهورة .

(٨) الوخط : الشيب .

(٩) اللط : الخيث .

(١٠) عين : ذات .

(١١) عان : أسير .

(١٢) السلط : الشديد .

(١٣) الأنس : جمع نسع وهو سير عريض تشد به الرحال .

(١٤) المغط : الإغراق والجري والامتداد أيضا .

فَدُمُ ظَافِرًا أَبَا الْمُظْفَرِ بِالْعَدَى حَلِيفَ قَبُولٍ لَا يَكُونُ لَهَا حَبْطٌ^(١)
 بَقِيَتْ وَلَا زَالَتْ عِدَاكَ مُنِيدَةً سَعُودًا وَلَا تُحْسِنُ سَعُودًا وَلَا هِطُّ
 وَلَوْ كُنْتَ جَارًا لِلْعَرِيِّ لَمْ يَقُلْ لِمَنْ جِيرَةٌ سِيمُوا النِّوَالَ فَلَمْ يُنْطُوا^(٢)
 وَمَدَامْهُ كَثِيرَةٌ ، وَمَنَامْهُ^(٣) غَزِيرَةٌ ، وَلَيْسَ شَرْطُ هَذَا الْكِتَابِ ، بِسَطِّ
 هَذَا الْبَابِ ؛ فَاقْتَصَرْتُ عَلَى مَا أَوْرَدْتَهُ ، وَحَصَرْتُ مَا أَفْرَدْتَهُ ؛ فَإِنْ مَلَّتَهُ
 أَوْ اسْتَطَلَّتْهُ ، فَاسْتَمَلِ مَا اسْتَطَبَّتْهُ ، وَاسْتَحِلِ مَا أَحْبَبَتْهُ ؛ وَاسْتَجَلِ سَنَاهُ ، وَتَحَلَّ
 عَمَّا سِوَاهُ ؛ فَلَعَلَّ غَيْرَكَ يَسْتَمْرِي مَا تَسْتَمِرُّهُ ، وَيَعْرِفُ بِفَهْمِهِ الثَّاقِبِ وَفِكَرِهِ
 الصَّائِبِ مَا تَنْكَرُهُ ؛ فَقَفْ حَيْثُ يَنْتَهَى إِلَيْهِ فِكْرُكَ ، وَطُفْ حَوْلَ مَا يَشْتَمَلُ
 عَلَيْهِ رَ كُنْكَ^(٤) ، نَبُهُ ذِكْرِكَ وَوَجْهُ قَدْرِكَ .

- وَأَنَا الْآنَ مُوفٍ حَقَّ هَذَا الْقِسْمِ الرَّابِعِ ، بِذِكْرِ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الْبِدَائِعِ ، وَمَمُورِدِ
 كُلِّ مَا يَهْتَزُّ لَهُ عِطْفُ السَّامِعِ ، وَيَتَنَزَّهُ فِيهِ طَرْفُ الرَّائِعِ . فَانْظُرْ مِنْ دُرِّ مَا شِيتَ
 وَلَا تُلِمْ بِبَحْرِهِ إِنْ خَشِيتَ ؛ فَإِنْ دُرُّ الْبَحْرِ يَجْلِبُهُ مِنْ يِلَازِمِ الْغَوْصِ ، وَدُرُّ الْفِكْرِ
 يَجْلِبُهُ مِنْ يَدَاوِمِ الْفَحْصِ .

(١) الحبط : الإحباط والإجْطال .

(٢) يشير هنا إلى قصيدة المرى الطائية التي عارضها ، وقد استشهد بأول شطر فيها ،
 نَقِمَ بِهِ طَائِيَّتَهُ . وَالْمَرَى فِي شَطْرِهِ يَسْتَفْهَمُ عَنْ قَوْمٍ طَلَبَ إِلَيْهِمُ النِّوَالَ وَالْعَطَاءَ فَلَمْ يُنْطُوا ،
 وَالْإِنْطَاءُ : الْعَطَاءُ بِلُغَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ .

(٣) النَّامُ : جَمْعُ مَنِيْعَةٍ وَهِيَ الْمَنِيْعَةُ أَوْ الْعَطِيَّةُ .

(٤) الزُّكْنُ : الْفَهْمُ وَفِي الْأَصْلِ : ذِكْرُكَ .

شعراء مصر

[شعراء مصر]

وقبل شروعي في ذكر أعيان مصر وأحاسنها ، ومزايا فضائلها ومزايها ،
أقدم ذكر مَنْ جَمِيعُ أَفْضَلِ الدَّهْرِ ، وأماثل العصر ، كالقطرة [في ^(١)] تيار
بحره ، بل كالذرة في أنوار فجره ، وهو :

١ — المولى الأجل الفاضل الفاضل * الأُسَـمـر

أبر على عبد الرحيم بن الفاضل الأُسَـمَـرُ أبا المجد على بن الحسن بن

الحسن بن أحمد بن اليساني

صاحب القرآن ، العديم الأقران ، وواحد الزمان ، العظيم الشأن ، رب
القلم والبيان ، واللِّسَنِ واللسان ، والتريخة الوقادة ، والبصيرة النقادة ، والبدية
المعجزة ، والبدية المطرزة ، والفضل الذي ما سُمِعَ في الأوائل بمن لوعاش في زمانه ١٠

(١) ساقطة من الأصل .

(*) أشهر كتاب مصر في العصور الوسطى . ولد في عسقلان وكان أبوه يلى قضاء بيسان
في فلسطين فنسب إليها ، وقد أرسله إلى ديوان الإنشاء في القاهرة وأواخر العصر الفاطمي ،
فتخرج فيه لمعهد الحفاظ (٥٢٤ — ٥٤٤ هـ) وكانت رئاسته حيثئذ إلى الموفق بن الخلال
وابن قادوس . ولا ظهر نبوغه آنحده ابن حديد قاضي الإسكندرية كاتباً له ، ثم تركه إلى ديوان
مصر في عهد الظاهر (٥٤٤ — ٥٤٩ هـ) فزال يعمل به حتى وفد إلى مصر أسد الدين
شيركوه ، فاختاره كاتباً له ، ولما توفي لحق بصلاح الدين وأصبح وزيره ومستشاره ، وما زال
يرعاه صلاح الدين حتى آخر حياته ، وقد لزم بعده بيته وتوفي سنة ٥٩٦ هـ . وله ديوان رسائل
كبير وديوان شعر لما يطبع . انظر ترجمته في ابن خلكان طبعة ديسلان ٣٩٧/١ وشذرات
الذهب ٣٢٥/٤ ومسالك الأبصار (مصورة دار الكتب لاصرية) المجلد الثاني من الجزء السابع
الورقة ٢٧٨ وطبقات الثغافية للسبكي ٢٥٣/٤ والوشى المرقوم في حل المنظوم لابن الأثير طبع
مطبعة الفنون ص ٩ .

لتعلق ببقاره ، أو جرى في مضاره . فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع
ورسخت بها الصنائع ، يبتدع الأفكار ، ويفترع الأبكار ، ويُطْلَعُ الأنوار ،
ويبدع الأزهار . وهو ضابط الملك بآرائه ، ورباط السلك بآلائه ، إن شاء أنشأ
في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو دُونَ لكان لأهل الصناعة خير بضاعة .
• أين قسَّ عند فصاحته وأين قيسَ في مقام حصافته ، ومن حاتم وعمر في سماحته
وحماسته . فضله بالإفضال حال^(١) ، ونجم قبوله في أفق الإقبال عالٍ ، لا مَنْ
في فعله ، ولا مَنِّ في قوله ، ولا خُلف في وعده ولا بَطْء^(٢) في رِفْده . الصادق
الشَّيْمُ ، السابق بالكرم ، ذو الوفاء والمروءة ، والصفاء والفتوة ، والتقى والصلاح
والتَّندَى والسماح . مُنْشِرُ^(٣) رُفَاتِ العلم وناشرُ راياته ، وجالِي غَيَابَاتِ^(٤)
الفضل وتالِي آيَاتِهِ . وهو من أولياء الله الذين خُصُّوا بكرامته ، وأخلصوا لولايته ،
قد وقفه الله للخير كله . وفضَّلَ هذا العصر على الأعصار السالفة بفضلِه ونبلِه ؛
فهو مع ما يتولاه من أشغال المملكة الشاغلة ، ومهامه المستغرقة في العاجلة ، لا يغفل
عن الآجلة ، ولا يفتر عن المواظبة على نوافل صلاته ، وحفظ أوامره ووظائفه ،
ويث أصفاده^(٥) وعوارفه ، ويحتم كلَّ يوم خُتْمَةً من القرآن المجيد ، ويضيف
إليه ما شاء من المزيد . / وأنا أوتر أن أفرِدَ^(٦) بنظمه ونثره كتاباً فإنني أغار [٣٧ ط]

من ذكره مع الذين هم كالشَّهْءِ^(٧) في فلك شمسِه وذُكَّائِه ، وكالثرى عند ثُرَيَّا علمه
وذُكَّائِه ؛ فإنما تبدو النجوم إذا لم تُبْدِ الشمسُ حاجبها ، ولا حَجَبَ نورُ
الغزاة عند إشرافها كواكبها ؛ ولأنه لا يُؤثِرُ أيضاً إثبات ذلك ، فأنا متمثلٌ
لأمره الطاع ملتزم له قانون الاتباع ؛ واضعٌ أذُنِي لِإِذْنِهِ ، قابضٌ يَمِينِي على

(١) حال : من الحلى وهو ما تترن به المرأة .

(٢) في الأصل : بطو . (٣) منشور : محي وباعث .

(٤) غيابات كل شيء : ما سترك منه . (٥) الأصفاة : جمع صفد وهو العطاء .

(٦) في الأصل : أفرط . (٧) السها : نجم خفي من بنات نكش الصغرى .

يُمنه ، راكنٌ بألمى إلى ركنه ، قاطنٌ برجائي في ظلٍّ منه ^(١) ، أقتَرَضُ رضاه ،
ولا أحكم على ما يحكم به ويره ، ولا أقومُ إلا حيث يُقيمني ، ولا أسوم ^(٢) إلا
ما يسومني ، ولا أعرف يداً ملكتنى غيرَ يده ، ولا أتعصدي إلا ما جعلني
بصدده ، واسألُ الله التوفيقَ للثبات على هذا السننِ واتهاجِ جَدِّه .

وهو أحقُّ مدوحىً بمدحى ، وأفضاهم لحقه ، وأسماهم في أفقه ، وأولاهم
بصدقه ، وأهداهم إلى طُرُقَه ، ولى فيه مدائحُ منظومةٌ ومثورةٌ ، ومقاصدُ
معاهدها بفضلَه معمورةٌ ، وقصائدُ قلائدها على مجده موفورةٌ . فن ذلك من
قصيدة كتبتُ بها إليه عند وصوله إلى الشام في الخدمة الملكية الناصرية سنة
سبعين واتصالي به :

قد أهدى الإيزاء في الإيفاض ^(٣) لى مذفاض لى بالرحب ^(٤) بحرُ الفاضل ١٥
قد عاض لى مَلَقَاهُ من قبرى غنى ما زالَ صَرَفُ الدهر منه عاضلي ^(٥)
كم من مئى ضَلَّتْ وعادَتِ الهدى بلقائه حتى غَلَبْتُ مناضلي
عابنتُ طَوَدَ سَكِينَةٍ ورأيتُ شمسَ فضيلةٍ ووردتُ بَحْرَ فواضل
ولقيتُ ^(٦) سَحْبَانَ ^(٧) البلاغةِ صاحبًا ببيانهِ ثوبَ الفخارِ لوائل
أَبصرتُ قُسا في الفصاحةِ معجزًا ففرفتُ أنى في فهاهةٍ باقل ^(٨) ١٥
حلفُ الفصاحةِ والحصافةِ والسما حةٍ والحماسةِ والتقى والنائل

(١) اللن هنا : من من عليه إذا أنعم .

(٢) أسوم : أصلها من المساومة في البيع ، وهو يريد أنه لا يمضى إلا عن إرادته .

(٣) الإيفاض : من أوفض له : بسط له بساطا وأكرمته .

(٤) بالرحب : يريد بالترحيب . (٥) عاضلي : ما نعى .

(٦) رواية الروضتين ٢٥١/١ : ورأيت .

(٧) سحبان : بليغ مرعى من وائل يضرب به المثل .

(٨) باقل : رجل يضرب به المثل في السعى .

بجرُّ من الفضلِ الغزيرِ خِصْمُهُ طامى الأبوابِ وما لَهُ من ساحلٍ
ومنها :

فِي كَفِّهِ قَلَمٌ يُعَجِّلُ جَزِيَّتَهُ مَا كَانَ مِنْ أَجْلِ وَرَقِيٍّ أَجَلٍ
يَجْرِي وَلَا جَرَى الْحَسَامِ إِذَا مَضَى حَدَّاهُ بَلْ جَرَى الْقَضَاءِ النَّازِلِ
نَابَتْ كِتَابَتُهُ مَتَابَ كَتِيبَةٍ كَفَلَتْ بِهِزْمَ كَتَائِبٍ وَجَحَافِلِ
كَمْ جَادَ إِسْعَاقًا لِمَافِيهِ وَكَمْ أَتَمَّى النِّجَاحَ عَلَى رَجَائِ الْأَمَلِ
يِبْرَاعُهُ أَبَدًا يِرَاعِي عَالِمٌ فِي سِرِّهِ وَيِرَاعُ سِرْبُ الْجَاهِلِ
فَقَدُوُّهُ فِي عَدُوِّهِ ، وَوَلِيُّهُ فِي عَدْلِهِ ، يَا حُسْنَ عَادٍ عَادِلِ
رِيَّانُ مِنْ مَاءِ التَّقَى ، صَادٍ إِلَى كَسْبِ الْحَمْدِ ، وَفِي خَيْرٍ مَنَاهِلِ
غَطَّتْ فَضِيلَتُهُ نَقِصَةَ دَهْرِنَا عَنَّا وَأَذْهَبَ حَقَّهُ بِالْبَاطِلِ
كَفَلَتْ كِفَايَتَهُ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ أَكْرَمَ بِكَافٍ لِلْفَضَائِلِ كَافِلِ
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ خِذَنِ إِفْضَالٍ وَذَى فَضْلٍ لِأَهْلِ الشَّامِ شَافٍ شَامِلِ
مَاحِلٌ فِي بَلَدِهِ فَكَانَ مَحَلَّهُ إِلَّا مَحَلَّ حَيَا بَرُوضٍ^(٣) مَاحِلِ
قَهْدُهُ حَزْمِيكَ كُلُّ غَاشٍ^(٤) غَاشِمٍ وَفَدَاهُ فَضْلَكَ كُلُّ غَافٍ غَافِلِ
يَا أَوْحَدَ الْعَصْرِ الَّذِي بَرَّ^(٥) الْوَرَى فَضْلًا بِغَيْرِ مُشَاكِهِ^(٦) وَمُشَاكِلِ
يَا أَفْضَلَ الصُّبْحَاءِ بَلْ يَا أَفْصَحَ الْبُلْغَاءِ مُتَفَرِّدًا بِغَيْرِ مُسَاجِلِ
يَا حَالِيًا بِالْفَضْلِ حَلٌّ تَفْضُلًا مَنِ بِجَدِّكَ جَيِّدَ حَظٍّ عَاطِلِ

(١) فِي الرَّوْضَيْنِ : جَرَى .

(٢) هَكَذَا فِي الرَّوْضَيْنِ ، وَفِي الْأَصْلِ : هُوَ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : مَرْوُض .

(٤) النَّاشِ : مَنْ غَشِيَهُ إِذَا أَنَاهُ أَوْ وَرَدَ عَلَيْهِ .

(٥) هَكَذَا فِي الرَّوْضَيْنِ ، وَفِي الْأَصْلِ : مَد ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) فِي الرَّوْضَيْنِ : مُشَابِه ، وَاللُّغَى وَاحِدٌ .

- كم ناقص إدباره قد ردني
قد كان هذا الشام لولا أنهم
كيف السيل إلى نجاح مقاصدي
مالي وجاه الجاهلين فأغني
جُد لي بمنّتك الضعيفه منّي
أرجوك معنيًا لدى السلطان بي
توفي وليك دينٌ تجد عاقبه
قرّر لي الشغل النخل مُحلّيًا
لا زلت غيث مكارم وقيث غو
- لكنّا إقبال فضلك قابلي
روح القيم به وروح الراحل
وحاسي - وهي العيوب - وسألي
عنهم كفيّهم وجدّ بالجاه لي
عنها وأثقل من جيلك كاهلي
كرّمًا فثلك يفتني بأماثلي
لئ الوعود من الزمان للماثل
بالي من المم للقيم الشاغل
ثأكارم وسلت لهف أفاضل

ومدحته بمصر وذلك في شهر رمضان من سنة اثنيتين وسبعين ١٠

بقصيدة أولها :

- بِحَيَاتِكُم ما عندكم بعدى
جودوا يرفد من خيالكم
أسدوا إلى بدأ لأشكرها
/ مالي مجير غير طيفكم [٣٨ و]
- فسوى الأمي ما بعدكم عندي
فخيالكم لي غاية الرشد
فالشكر لا يعدو يد المسدي
يهدى إلى القرب في البعد
- والعين قد دمت وليس لها
والسمع في وفر لعاذله
من غيركم للوصل أستدعي
ما كنت أعلم قبل فرقنا
- أن الهوى يوم النوى يردى
وضلاتي في حبكم رشدي
والروح أكرم ما به يتفدى

يا مالكي ربي. أما لكم من رقة يا حافظي ودّي
يا جاحدي حقّ الوداد وهل حقّ الوداد يضيع بالجد
يا دمع لا تترك مساعدتي فقد استقال الصبر من وجدي
طلب التصبر جاهداً فأني وتكحلت ليلاً يائمه^(١)
متفرّد بتجرّع الأسف المظني لشوق الأجرع^(٢) من الشهد
شهد الوداع فزاده ألماً لما أصاب الصاب^(٣) في الشهد
إن أنت لم تهدي الشفاء له وهوأك ممرضه فن يهدي
أملت نبحك لا تخب أمني وقصدت حفظك لا تضع قصدي
رحلوا وقلبي في رحالهم يشكو صدي ويشاك^(٤) من صدّ
ألقيت عند مزار عيسهم نفسي، وقلت خدي^(٥) على خدي
ناديت حادهم بعيشك قف للبين من حدو^(٦) على حدّ
رقا بعيشهم أما لهم بما بدا للبين من بدّ
فأهدأ هديت فذ حدوت رموا جلدي الضعيف الأس بالهدأ
وجدني بمصر يهيج ما كنه شغفي بذكرى ساكني نجد
والوجد في الأحزان كمنه عندي خلاف النار في الزند
ما للأحبة — لا عد منهم — رغبوا عن الإسعاد^(٨) في الزهد

(١) الإثم : حجر الكحل .

(٢) مرهت العين : خلت من الكحل أو تفرحت بسبب تركه .

(٣) الأجرع : الكتيب . (٤) الصاب : المر .

(٥) يشاك : دخلته الشوك .

(٦) خدي : من الوخذ ، وهو ضرب من السير للإبل .

(٧) الجدي : الجداء .

(٨) الإسعاد : المشاركة في الموع .

أَوَلَيْسَ أَحِبَّابِي بَنُو زَمَنِي لَا غَرَوَ إِنَّ لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدِي
 إِنَّ لَمْ يَقُفُوا فَلَقَدْ وَفَى كَرَمًا عَبْدُ الرَّحِيمِ بِنَمَّةِ الْمَجْدِ
 الْفَاضِلُ الْفَضَالُ وَالنَّدِسُ^(١) الْمُسْدِي الْندَى وَالْمَاجِدُ الْمُجْدِي
 مَا إِنْ يَضِلُّ بِقَاصِدٍ أَمَلٌ إِلَّا وَيَضْمُنُ أَنَّهُ يَهْدِي
 يُسْدِي إِلَى مَنْبَرٍ أَنْعَمِهِ وَأَنْبِرٍ^(٢) مِدْحَتَهُ كَمَا أُسْدِي^(٣)
 الشُّرْفُ مَعْتَادٌ لَهُ خَلْقٌ وَبِهِ تَرَاهُ غَيْرَ مُعْتَادٍ
 بِجَنَابِهِ يَدْنُو جَنَى أَمَلِي النَّائِي وَرَاحُهُ حَظِّي الْمَكْدِي^(٤)
 أَبْدَأُ تَوَالِي مِنْ عَوَارِفِهِ طُرْفٌ تَضَافُ لَنَا إِلَى تَلْدِ
 وَيَرَى رَجَائِي مِنْ مَكَارِمِهِ فِي النَّجْحِ طَرْفٌ غَيْرُ مُرْتَدٍ^(٥)
 زَاكِي النَّجَّارِ أَخُو الْفَخَّارِ وَذُو الْمَجْدِ الْأَنْبِرِ الطَّاهِرِ الْبُرْدِ
 ذُو الرِّبَةِ الشَّيْءِ وَالشُّرْفِ الْعَالِي السَّنَا وَالسُّوْدُ الْعِيدِ^(٦)
 النَّاسُ كُلُّهُمْ لَهُ تَبَعٌ فِي فَضْلِهِ وَالْدهْرُ كَالْعَبْدِ
 وَالْبَحْرُ ذُو جَزَرٍ^(٧) وَرَاحَتُهُ بِحَرْ - مَدَى الْأَيَّامِ - فِي مَدٍّ

ومنها في وصف القلم :

١٥ وله الْبَرَّاعُ وَلَيْثُهُ أَبْدَأُ يُرْعَى بِهِ وَيُرَاعُ ذُو الْحَقْدِ
 كَمْ غَاضَ بِحَرْ بَنَانِهِ فَنَدَا دُرُّ الْبَيَانِ يُسَاقِي فِي الْعَقْدِ

(١) الندس : الفطن الذكي .

(٢) أنبر : من أنار إذا غرز الإبرة فغناها أخيط .

(٣) يسدي : هنا من السدى وهو ما مد من الثوب .

(٤) المكدي : السيء أو البائس من أكدي إذا قل خيره أو قل عطاؤه .

(٥) يشير إلى الآية الكريمة في قصة سليمان وهي قوله تعالى « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » يزيد أن نجح رجائه سريع فهو يتحقق قبل أن يرتد إليه طرفه .

(٦) العد : الكثير ، وأصله اللاء الجارية التي له مادة لا تتقطع .

(٧) في الأصل : زبر ، وهو تحريف واضح .

٥. إن سَوْدَ البِيضَاءِ ^(١) بَيَّضَ مِنْ ثَوْبٍ اللَّيَالَى كُلَّ مُسَوِّدٍ
 قَلَمٌ أَقَالِيمُ الْبِلَادِ بِهِ وَتَقُورُهَا فِي الضَّبْطِ وَالشَّدِّ
 بِهِزَالِهِ سَمْنُ الثَّمَلِ وَكَذَا فِي الْهَزْلِ مِنْهُ حَقِيقَةُ الْحَدِّ
 لِّلْسَانِهِ حُجَجٌ يَرُدُّ بِهَا جَزْمًا قَضَايَا الْأَلْسِنِ اللَّذِّ ^(٢)
 ظِلَانُ يُرَوَّى كُلُّ ذِي ظِلٍّ فَاعْجِبْ لَدَى وَرْدٍ بِلَا وَرْدٍ
 مَلِكٌ كَتَبَتْهُ كِتَابَتُهُ فَرَدَّ بِمِيشِ النَّصْرِ فِي جُنْدٍ
 الْأَسْمَرُ ^(٣) الْخَطِيُّ تَابِعُهُ فِي حُكْمِهِ وَالْأَبْيَضُ الْهِنْدِيُّ ^(٤)
 وَالنَّائِبَاتُ بِحَمْدِهِ أَبَدًا مَثْلُومَةٌ مِنْ مَثْلُولَةِ الْحَدِّ
 كَمْ مَأَزَى نَقَى الْفَرَارُ ^(٥) بِهِ الرَّعْبَ مِنْ جَفْنٍ وَمِنْ عَمْدٍ
 ١٠. نَفَذَتْ بِهِ اللَّامَاتُ طَاعَنَةً أَهْلَاتِ خِرْصَانٍ ^(٦) الْفَنَاءُ لِلدِّ ^(٧)
 وَالشَّمْرُ دَامِيَةٌ مَطَاعِنُهَا كِرَاوِدٍ فِي أَعْيُنِ رُمْدٍ
 فَرَجَّتُهُ بِشَبَابٍ ^(٨) مُلْطَفَةٌ وَرَدَّتْ بِقَسْرِ الْقَسُورِ الْوَرْدِ ^(٩)
 بَلُطِيفٍ تَدِيرُ بَرَقٌ لَهُ لَصَفَاتُهُ قَلْبُ الصَّغَا الصَّلْدِ
 عُرْفٌ يُبَدِّلُ بِالرَّجَاءِ لَنَا فِي الْأَزْمِ نَكْرَ الْأَزْمَنِ النَّكْدِ ^(١٠)
 ١٥. نَادِيكَ مِنْ نَدِّ النَّدَى عَطِرٌ يَا مَنْ يَجِلُّ نَدَاهُ عَنْ نَدِّ
 مِنْ سَبِي سَنِيكَ ^(١١) كُلُّ مُحَمَّدَةٍ فَلَانَتْ حَقًّا مَالِكُ الْحَدِّ

(١) يريد الصيغة .

(٢) اللد : جمع لد وهو الشديد الجمال الذي لا يرتد إلى الحق .

(٣) الأسمر الخطي : الرمح ، ينسب إلى مرفأ سفن بالبحرين يسمى الخط .

(٤) الأبيض الهندي : السيف . (٥) الفرار : حد القلم .

(٦) الخرصان : جمع خرس ، وهو الفناء والسنان .

(٧) اللد : جمع لمد ، وهو الناعم اللين ، ويؤثر ذلك في القنا .

(٨) العبا : الحد . (٩) قسر القصور الورد : قهر البطل الشجاع .

(١٠) الأزم : الأزمة والشدة . (١١) السيب : البعاط .

وَتُعِيدُ مَا تَبْدَى وَتُضَعِّفُهُ وَمَنْ لِلْعِيدِ سِوَاكَ وَالْبُدَى ؟
 يَا مَنْ وَجَدْتُ بِلَاغِي حَصْرًا فِي حَصْرِ مَا يُؤْلِيهِ وَالْعَدُّ
 مِنْ كُلِّ مَنْ عَقَدَ النَوَائِبَ عَنْ حَظِّي عُرَى مُوَقَّعَ الشَّدِّ
 فَرَقَّتْ أَعْدَائِي غَدَاةَ هُمْ لِلشَّرِّ فِي حُسْرٍ وَفِي حَشْدٍ
 وَرَفَعْتَنِي فَوْقَ الْيَقَاعِ وَلَوْ لَمْ تُسَمِّنِي ^(١) لَمَكُنْتُ فِي الْوَهْدِ
 فَضْلِي ، طَرَادُ ^(٢) الدَّهْرِ غَادِرُهُ وَحَظُّوْهُ كَلَّتْ مِنَ الطَّرْدِ
 غَدَرُ الزَّمَانِ بِكُلِّ ذِي حَسَبٍ يَا بَنِي الْوَفَاءِ بَعِيثِهِ الرَّعْدِ

ومنها :

زِدْ غَرَسَ رِيٍّ ^(٣) رِيَّةً فَلَقَدْ أَضْحَى بَعِيدَ الْعَهْدِ بِالْعَهْدِ ^(٤)
 عَدُوَّ الْعَدُوِّ يَهُونُ أَضْعَافُهُ مَادَمْتَ - دَمْتَ - عَلَيْهِ لِي مُعْدِي ^(٥)
 وَالشُّوْكَ لَا يَشْكُو جِنَائَتَهُ مَنْ كَانَ مَطْلَبُهُ جَنَى الْوَرْدِ
 أَخْفَى بَنُو زَمَنِي بِحَاسِنَتِهِ وَعَتَابُ أَيَّامِي مَعِي وَخَدِي

ومنها :

هَذَا أَوَانُ نِجَازٍ وَعِدِكَ لِي إِنَّ الْكَرِيمَ لَمُنْجِزُ الْوَعْدِ
 / مِنْ شَدِّ ظَهَرِ رَجَائِهِ بِكَ هَلْ يَبْقَى بِأَمْرِ غَيْرٍ مُشْتَدِّ ؟
 [٣٨ ط] أَيْكُونُ زَبْدُهُ مَا أَوْمَتْهُ ^(٦) عَدَمَ التَّمَخُّضِ ^(٧) فِيهِ عَنْ زُبْدِ
 أَرْقَمَ بِفَضْلِكَ ضِدَّ مَنْقَبَتِي لَا زَالَ فَضْلُكَ مُرْغَمَ الضَّدِّ
 سَاعِدُ بَجْدِكَ لِي بَقِيَتْ عَلَى رَغَمِ الْأَعَادِي صَاعِدُ الْجَدِّ

(١) أسماء : سما به .

(٢) طراد الدهر : مطاردته له .

(٣) الرى : الأرواء .

(٤) العهد الثانية : للطر .

(٥) معدى : من أعداه عليه ، لذا استعدها ونصره .

(٦) التخمض : استخراج الزبد من اللبن .

والقصيدة أكثر مما أوردته . وحيث أوردت من نظمي في مدحه ،
وحقت به عجزى عن شكر منحه ، فلا بد من إيراد بعض رسائل التي خدمته
بها ، وتعلقت عنده بسببها .

وأنا مورد رسالة جامعة مانعة^(١) ناصعة ، كتبتها في جواب مكاتبة له إلى
وقد أهدى لي تسع مجلدات من الكتب النفيسة ، تشتمل على أشعار أهل العصر
للمريين وآدابهم وهويئتي فيها على إعرابهم ، عن المعاني المبتكرة وإعجابهم
فيها وإعجازهم وإعجابهم ، فكتبت جواباً . وهذه الرسالة قد وقّيتها حقها من
التجسس والتطبيق والترصيع ، والمقابلة والموازنة والتوشيع^(٢) ، وقد ذكرت
الجماعة الذين أهدى إلي من شعرهم ومصنفاتهم ، وهى :

١٠ ما ظفر مدجج^(٣) الإظلام بالسنا ، ومُحرج الإعدام بالنى ، ومزّج العرام
من وصل حبيبه للفارق بنجح النى ، ومُحرج السقام من وصف طبيبه الحاذق
بئر الضنا ، والمغور المغور^(٤) يتبر الجده^(٥) بعد الإملاق ، والمُتهج^(٦) المُتهج^(٧)
بعز الجده غب الإخلاق ، بل ما فوز الأمل المشفى على مريض اليأس بالشفاء

(١) فى الأصل : صانعة .

(٢) هذه ألوان بدیع ، وقد دل بها الهاد هنا صراحة على ما يستخدمه فى أدبه : شعره
ونثره من هذه القنون . أما الجناس فهو المجاسة والمائلة بين السكيات فى حروفها بواسطة
الاشتقاق وما يندرج فيه من مثل صانه وناصعه وما إلى ذلك . وأما الطباق أو التطبيق فهو
الجمع بين الضدين . وأما المقابلة فالجمع بين مجموعة من الأضداد . والترصيع هو المقابلة بين ألفاظ
السطر الأول والثانى ، أو السجعة الأولى والثانية فى الوزن والروى . والموازنة هى نوع من
ذلك أيضاً . أما التوشيع فهو أن يأتى الأديب باسم مثنى ثم يشرحه بلفظتين تاليتين مثل :
« المسندان : الصبر والجلد » .

(٣) المدجج : شديد الإظلام ، وفى الأصل : مدجج .

(٤) المغور : الذى يحتاج ولا تقضى حاجته .

(٥) الجده : المال ، وفى الأصل : الجده .

(٦) التهج : التوب الخلق . (٧) فى الأصل : الزهج :

في النجاح ، والخامل المستعفى من مَضَضِ الإفلاس بالإثراء والفلاح ، والماسح
 الترى بما حلَّ في ربيع تربه من تَرَّةِ الحيا الربيعي ^(١) فأحياءه ، والتاحل المُنْصَى
 بما نَحَلَ من صنْع ربه في الإبلال من الجوى الذى أبلاه ، والناهل المُنْظَى في
 عذاب الهاجرة الحشناء بعذاب المناهل من مجاورة ^(٢) مَوْرِدِ السَّلْسَال ، والناهل
 المعنى في عذاب الهاجرة الحشناء برحاب المنازل من نِجَازِ موعد الوصال ، كَطَفَرِ
 الخادم وفوزه ، بشرفه وعزه ، وسعادة جَدِّه وجِدِّ سَعْدِهِ ، وحياة رُوحِهِ ، وروح
 حياته ، وحُشَى حالِهِ ، وحلية حسناته ، ونور حَذَقِهِ فخره الناظرة ، ونَوْر ^(٣) حَذِيقَةِ
 ذُخْرِهِ الناضرة ، وسنا سنائه المشرق في أرجاء رجائه من سماء السَّامِحِ السامية ،
 ولأَلَاءِ آلائِهِ المتألق بَرَقَ وَدَقِهِ ^(٤) لإِرواء الأرواح الظامية ، عند إسفار صُبْحِ
 أَمَلِهِ ، وسفور وَجْهِ جَدِّهِ ، واجتلاء أنوار جلالة الكمال ، واجتباء ثمار دلالة الإقبال ،
 ١٠ بورود اللئال للمُتَمَلِّ ، المُتَمَلِّ للمُقْبَلِ ، المُفْضِلِ المفضل ، عن المجلس العالى ، الأَجَلِّ ،
 القاضي الأَسَدِيِّ الأَشْرَفِيِّ ، لازال شمسُ جلاله ، وبدر فضله وإفضاله ،
 في أوج السعادة ، و بُرْجِ الزيادة ، من مَشْرِقِ الشرف والسيادة مُشْرِقَيْنِ ،
 وعَلَمِ العِلْمِ بكتائب كُتُبِهِ وَمَقَانِبِ ^(٥) مناقبه وقلبُ الشانى ^(٦) بعلى شأنه وسمو
 ١٥ سلطانه في انخافقين ^(٧) خافقين ، ولا فَيْئَ حُكْمِ الشرع في شِرْعَةِ الحكم
 بفتياه فتيةً ، وروضُ الولي بولي رضاه وجوده بجوداً مَوْلِيَاً ^(٨) ، وفضاء الفضائل
 بأنوار جدواه وأضواء غياها مُسْتَهْلَاً مُهْتَكِلًا ، وجاه الجاهل بتأرجح نيا نباهته
 الفائح النشير وتبليج وجهه وجاهته اللائح العِشْرِ مُتَبَطِّلًا مُتَعَطِّلًا ، ولا بَرَحِ

(١) الترة من العيون : التزيرة ، والحيا : المطر ، والربيعى : نسبة إلى الربيع .

(٢) في الأصل : محاور . (٣) النور : الزهر .

(٤) الرقد : للطر .

(٥) مقاب : جماعة الخيالة في الجيش . (٦) الشانى : الحاسد البغض .

(٧) الحافقان : المشرق والمغرب .

(٨) بجوداً : من الجود وهو الطر . ومولياً من الولي ، وهو للطر أيضاً .

- كَاشِحُهُ يَطْوِي السَّكْسَحَ [و] ^(١) بَرَحُ جَوَى جَوَّهَ بِالْعَمِّ مُعِمٌّ ، وَمُنَاصِحُهُ تَحْوِي
 لِلنِّي صِحَّةٌ عَقِيدَتِهِ وَعَقْدٌ حَتَّتَهُ مُبَرِّمٌ قَوِيمٌ ؛ مَارَنَ مَارَنٌ ^(٢) لِلْعَادِي الْعَادِي بَنَمَ
 الرَّغَمَ ^(٣) ، وَطَنَ وَطَنُ الْوَالِي الْوَالِي بِنَعْمِ النَّعَمِ ^(٤) ، وَسَارَ ظَعْنٌ أَوَّلَى الضَّغْنِ إِلَى
 لَقَمٍ ^(٥) التَّقَمَ ، وَحَارَ رَكْبُ الْمُضِلِّ الضَّالُّ مِنْ لَيْلِ الْوَيْلِ فِي ظُلْلِ الظُّلَمِ . فَإِنَّ
 ٥ الخَلَادِمَ مَا اكْتَحَلَ بِالتَّشْرِيفِ حَتَّى احْتَلَّ دُرَى السَّعْدِ الْمُنِيفِ ، وَحَلَّ حَيَّ
 الْحُبِّ لَا اجْتِبَاءَ حَيَّائِهِ ^(٦) ، وَأَحَلَّهُ مِنَ الْعَيْنِ فِي سَوَادِهِ وَمِنَ الْقَلْبِ فِي سُودَائِهِ ،
 وَشَرَعَ مِنْ مَشْرِعِهِ فِي تَرَشُّفٍ شَفَاهِ التَّشْرِيفِ بِسِقَائِهِ ^(٧) ، وَأَطْفَأَ أَوَارَ أَوَامِهِ ^(٨)
 بِامْتِثَالِ مَرَاسِمِهِ ، وَاسْتَشْرَفَ فِي مَرَادٍ ^(٩) الْمُرَادِ مَعَالِمَ مَعَالِيهِ مِنْ مَغَانِي مَغَانِيهِ ،
 وَخَتَمَ بِالشُّكْرِ عَلَيْهِ وَشَكَرَ عَلَى خَاتَمِهِ ، لَمَّا أَمِنَ حَوَادِثَ الْمَكَارِهِ بِبَوَاعِثِ مَكَارِمِهِ ،
 ١٠ وَاسْتَمْلَى مِنْ أُمَالِي أَمَالِهِ سُورَةَ النِّجَاحِ بِمَطَالَعِ بَيَانِهِ ، وَاسْتَجَلَى مِنْ حَوَالِي
 أَحْوَالِهِ ^(١٠) صُورَةَ الصَّلَاحِ بِطَلْعَةِ إِحْسَانِهِ ، وَقَامَ إِجْلَالًا بِعَظَمَتِهِ ، وَسَجَدَ إِقْبَالًا [٣٩ و]
 عَلَى قِبْلَتِهِ ، وَمَرَى ^(١١) ضِرْعَ الضَّرَاعَةِ لَمَرَّأَهُ ، وَجَلَا نَحْيًا مُحَيَّا الْمُجْتَئِلَةَ ،
 وَعَلَا أَفْقَ التَّوْفِيقِ لَدُنْيَاهُ وَدِينَهُ ، وَتَلَا (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ) وَفَارَ مِنْ
 حَبْلِ الْعَصْمَةِ بِمِثْنَيْهِ ، وَمِنْ دُرِّ الْحِكْمَةِ بِشَمِينِهِ ، وَفَاءَ إِلَى تَأْمُلٍ صَحْمَةٍ فَأَلْقَى بِتَأْمِيلِ
 ١٥ آلَاءِ مَنْهُ وَفَاءَ صَحْمَةٍ ، وَرَأَى نَفْسَهُ بِمَنْزِلَةِ النَّفَرَةِ ذَرَّتْ ^(١٢) عَلَيْهَا الشَّمْسُ مِنْ أَعْلَى

(١) زِيَادَةٌ يَحْتَضِيهَا السِّيَاقُ . (٢) الْمَارَنُ : الرَّمْحُ الصَّلْبُ .

(٣) الرَّغَمُ : مِنَ الرَّغَامِ وَهُوَ التَّرَابُ . وَالرَّاغِمُ : التَّذِيلُ .

(٤) التَّمُّ : لِلْمَالِ الرَّامِي . (٥) لَقَمٌ : مَعْظَمُ الطَّرِيقِ أَوْ وَسْطُهُ .

(٦) الْحَيَّ : بِكِبَرِ الْمَاءِ جَمْعُ حَبْوَةٍ مِنَ الْاجْتِبَاءِ ، وَهُوَ جَمْعُ الظُّهْرِ وَالسَّائِقِينَ بِثَوْبٍ ،
 وَالْجَبَاءُ : الْعَطَاءُ .

(٧) السَّغَاءُ : مَا يَسْقَى فِيهِ ، وَفِي الْأَصْلِ : بِشَفَائِهِ .

(٨) أَوَارَ الْأَوَامِ : شِدَّةُ الْعَطَشِ .

(٩) الْمُرَادُ : يَفْتَحُ الْمِيْمَ الطَّلَبَ وَمَكَانَ الْارْتِيَادِ الَّتِي فِيهِ السَّكْلَاءُ وَمَا يَشْبَهُهُ .

(١٠) فِي الْأَصْلِ : أَحْوَالِي . (١١) مَرَى الضَّرْعُ : مَسَحَ عَلَيْهِ لِيَدِرَ :

(١٢) ذَرَّتْ : طَلَعَتْ .

- مكان . وما قدر خامية^(١) لخامل أو باقية لباقي ، في مساحب ذيول سيول سبحان ؟
وما قيمة قطرة عند الديمة للدرار ؟ وهل يبدو سها^(٢) الشهي ، لدى قر النهي^(٣)
للبصير^(٤) ذى الأبصار ؟ وما أثر مدرة الفلاة في مدار الفلك الأثير ؟ وما خطر
خطلي ألسن العجم لخاطر خطيب العرب الألسن الخطير ؟ وهل يسع ذا حصي
قياس أباد يضيئ عن حصي حصيها نطاق نطق قس إباد ؟ وهل يسعي ذو قصي
لمطولة الأطواد ؟ ولا غرو أن غاض وشل الناقص إذا فاض بحر الفاضل ! وأين
الثريا من يد المتناول ؟ وكيف بلاغ حمد العبد إلى بلاغة عبد الحميد عبد حدها ،
والصائبان^(٥) صاديان إلى وردها ، والطائيان^(٦) مطايطان خجلًا بل وجلا
من تقدها وردها ، وهل ثم إلا نجوم ذكاء غيبها طلوع ذكائه ، ورسوم
مضاء غيرهما سطوع ضيائه ، وجداول جدل غيبها غيب قيوضه ، ونوافل عمل
أغمضها لباب قروضه .

- ما أقبل الخادم وهو مخدوم الإقبال ، بإقبال المولى الفاضل عليه خلوص
مولاته بخصوص مولاه^(٧) الإفضال ! وما أخرى العبد بمباهاة الأحرار وأبره
بمباهاة الأبرار ! لقد أربى بفواضل مولاه على أرباب الفضائل ، وربا^(٨)
بفوائد جدواه قد قدره المتضائل ، ورقع حظوظه من حضيض الجول والجلود ،

(١) الخامة : ما ينبت على ساق ، والطاقة الغضة منه مثل طاقة الرمان .

(٢) السها : نجم صغير ، والسهي الثانية جمع سهوة ، وهي الساعة من الليل .

(٣) قر النهي : يريد القمر في غايته .

(٤) في الأصل : وللبصير لنوى الإبصار .

(٥) الصائبان : هما أبو إسحق السائي الكاتب المشهور وحفيده هلال بن الحسن ،

وكلاهما اشتهر بالبلاغة والبراعة ، وفي الأصل : والصادان ، وهو تحريف .

(٦) الطائيان : أبو تمام والبحتري .

(٨) المولاه : الأول من الولاء ، والثانية من التوالى أى النتائج .

(٨) ربا : نما .

إلى يَنَاقِ الارتِفاعِ بالشُّعُودِ والصُّعُودِ ، وَأَوْضَعَ ^(١) به إِذْ ^(٢) وَضَعَ لَهُ مِيزَانَ
مُزَانِيَةً فِي جَدَدِ الْجُدُودِ . وما أَشْكُرُهُ للمَجْلِسِ العَالِي الصِّدْرِ وقد صَدَّرَهُ
فِي مَجَالِسِ العِلَالِ كَاتِبًا ، وَلِمَعَاطِسِ ^(٣) الأَعْدَاءِ كَاتِبًا ! وَأَقْدَرُهُ بِمَنَاحِهِ ،
وَأَعْجَزَهُ عَنِ مَدَائِحِهِ ! فَأَصْبَحَ نَاطِقًا صَامِتًا قَانِطًا ^(٤) قَانِتًا ، قَانِلًا سَاكِتًا . إِنْ
قَالَ ، فَلَاِنَّ حُجَّةَ الْحَمْدِ أَنْطَقَتْهُ ، [وَإِنْ ^(٥)] اسْتَقَالَ ، فَلَاِنَّ لُجَّةَ الرَّفْدِ أَغْرَقَتْهُ
— وقد خَافَ الْفَرْقَ مِنْ أُمِّهِ ^(٦) السَّيْلُ ، وَضَافَ الْفَرْقَ ^(٧) مِنْ صَمِّهِ اللَّيْلُ —
فَإِنْ عَجَزَ بَيَانًا ، فَلَا يَعْجِزُهُ بَيْرَاءُ ^(٨) ذَلِكَ الْبَيَانِ ؛ وَإِنْ أَحْزَرَ رَهَانًا ، فَلَا يَعْزِزُهُ
بِالإِجْرَاءِ فِي هَذَا الْمِيدَانِ .

ووصلت الكُتُبُ ، كأنها الشُّهْبُ ، يُهْدِيهَا شمسُ نَهَارِ الْفَضْلِ إِلَى سَارَى لَيْلِ
طَلَبِهِ ، لِيَهْدِيَهُ بِنُورِهَا فِي غَيْبِهِ ، وَيُقِيمَهُ بِسَنَاهَا عَلَى مَنَنِ مَذْهَبِهِ . وَهِيَ تَسْعُ
مَجَلِّدَاتُ ، بَلْ تَسْعُ آيَاتُ يَمِينَاتِ ، آتَاهَا عَبْدُهُ كَلِمُ الْفَصَاحَةِ الْمُتَوَحَّدُ بِاخْتِرَاعِ
الْكَلَامِ الْحَرِّ ، وَكَرِيمُ السَّاحَةِ الْمُتَفَرِّدُ بِاخْتِرَاعِ الْإِنْعَامِ الْبِكْرِ ، وَطَرَفُ ^(٩)
الْفَصَاحَةِ الْمَزِينُ عَلَيْهِ بِالْحِلْمِ ، وَإِلْفُ الْحَاسَةِ الْمَبِينُ عَزَمُهُ بِالْحَزْمِ . وَكَيْفُ يُوصَلُ
بِوَسَائِلِ الْمُرَكَّبَاتِ الْأَرْبَعِ ^(١٠) مِنَ الْعُنَاصِرِ إِلَى الْبَسَائِطِ التَّسْعِ ؟ ! وَهَلُ يُقَطَّعُ إِلَى
النَّجْمِ الطَّارِقِ الطَّرِيقُ الشَّاسِعُ بِطَرِاقِ ^(١١) الشُّسْعِ ؟ ! وَلَكِنَّهَا تُصَحَّفُ الْقُصْحُ
الْأَوَّلِينَ ^(١٢) الْأَوَّلِينَ ، وَكَرَامُ الْكُتُبِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ ، وَخِرَائِدُ فَوَائِدِ

(١) أَوْضَعَ : أَسْرَعَ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : إِذَا .

(٣) الْمَعَاطِسُ : الْأَنْوَفُ .

(٤) الْفَانِطُ : الْبَائِسُ .

(٥) زِيَادَةُ يَحْتَضِيهَا السِّيَاقُ .

(٦) أُمُّهُ : قَصْدُهُ .

(٧) الْفَرْقُ : الْخَوْفُ .

(٨) الْإِبْرَاءُ : إِخْرَاجُ النَّارِ مِنَ الزُّنْدِ ، وَفِي الْأَصْلِ : يَأْقَرُّهُ وَهُوَ تَحْرِيفُ .

(٩) الطَّرَفُ : هُنَا مَعْنَاهَا الْأَصِيلُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ .

(١٠) هِيَ : الْمَاءُ وَالْمَوَاءُ وَالنَّارُ وَالتَّرَابُ . (١١) طَرِاقُ الشُّسْعِ : جِلْدُ النَّمْلِ .

(١٢) الْأَوَّلِينَ : جَمْعُ أَوَّلَى وَهُوَ الْفَضْلُ .

- المُحَدِّثِينَ الْمُحَدِّثِينَ^(١) وَأَبْكَارُ أَفْكَارِ الْقَدَمَاءِ الْمُقَدِّمِينَ . يَبِيدُ أَنَّ مَنَزَلَهَا مِنْ
الْأَلْفَافِ الْفَاضِلَةِ مَنَزَلَةُ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ الذِّكْرِ الْمُبِينِ . وَكَمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفِرْقَانِ
مِنْ فِرْقَانٍ ، وَمَا هِيَ وَإِنْ جَلَّتْ وَجَلَّتْ لِلْقُرْآنِ بِأَقْرَانٍ . كَذَلِكَ مَا لِعَرَّابِ
الْمُفَرِّبِينَ^(٢) ، وَأَحَادِيثِ الْمُحَدِّثِينَ طَلَاوَةً ، وَلَا حَلَاوَةً ، وَلَا إِطْرَافًا وَلَا طَرَاوَةً ،
وَلَا رَوْنَقًا وَلَا رَوَاءً ، وَلَا بَهْجَةً وَلَا بَهَاءً ، مَعَ فَيْضِ شُرُوقِ صَنَائِعِهِ الْبَدِيعَةِ ،
وَوُضْعِ بَرُوقِ بَدَائِعِهِ الصَّنِيعَةِ . وَمَنْ ابْنُ رَشِيقٍ^(٣) عِنْدَ رَشْقِ سَهْلِهِ وَمَشْقِهِ
[٣٩ ط] أَقْلَامُهُ ؟ / وَلَوْ اِمْتَدَّ عَمْرُهُ إِلَى مُدَّتِهِ ، لَعَمَدَ إِلَى إِخْفَاءِ عُمْدَتِهِ^(٤) ، وَكَانَ خَامِلًا
فِي حَاشِيَتِهِ ، حَامِلًا لِنَاشِئَتِهِ^(٥) . وَإِنْ أَبَا الصَّلْتِ^(٦) لَوْ رَأَى رَايَةً رَوِيَهُ لِأَبْنَى
صَلْتِ^(٧) صَارِمِ صِرَامَتِهِ ، غَاضًا حَدَقَةَ حَدِيقَتِهِ^(٨) ، غَاضًا عَلَى إِبْهَامِهِ لِمَا أُبْهِمَ
عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ وَحَقِيقَتِهِ . وَدَعَّ وَدَعَّ^(٩) قِيَاسِ الْقَيْسِيِّ^(١٠) يَمْرُئُهُ^(١١) الطُّفْلُ ،
وَقَلْبُ^(١٢) الْقَوْلِ الْقَصِيِّ^(١٣) يَغْرُهُ^(١٤) الْحَفْلُ ، فَقَدْ قَلَى^(١٥) يَدَ الْإِحْسَانِ ، وَقَدْ

- (١) المُحَدِّثِينَ نَكْسَرُ الدَّالَ : الْمُخْتَرَعِينَ ، وَبَهْجَتُهَا السَّجْدُونَ أَوْ الْعَاصِرُونَ .
(٢) فِي الْأَصْلِ : الْفَرِيقَيْنِ ، وَيَقِينُ مِمَّا يَأْتِي أَنَّهُ سَبْعُ عَشْرَ لِأَصْحَابِ الْكُتُبِ السَّعْ
وَكُلُّهُمْ مِنَ الْقُرْبِ .
(٣) هُوَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ رَشِيقٍ أَدِيبُ الْقَيْرَوَانِ لِلشُّهُورِ فِي عَهْدِ مُلْكِهَا الْعَزَّازِ بْنِ
بَادِيسَ ، تَوَفَّى سَنَةَ ٤٥٦ هـ .
(٤) يَرِيدُ كِتَابَهُ الْعَمْدَةَ لِلْعُرُوفِ فِي صَنَاعَةِ الشُّعْرِ وَتَقْدِهِ ، وَهُوَ مِنْ أَهَمِّ كُتُبِ الْقَدِّ الْعَرَبِيِّ .
(٥) النَّاشِئَةُ : الْفُطَاةُ . وَالْكَلَامُ كِتَابَةٌ عَنْ أَنَّ ابْنَ رَشِيقٍ كَانَ يَتَوَارَى خَجَلًا .
(٦) هُوَ أَبُو الصَّلْتِ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَاشَ سِتِينَ سَنَةً : عَشْرِينَ فِي إِسْطِيبِلِيَّةِ بِلَادِهِ
وَعَشْرِينَ فِي الْهَدْيَةِ بِالْقُرْبِ وَعَشْرِينَ فِي مِصْرَ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٢٨ هـ . وَسَيَقْلُ الْعَادُ فِي هَذَا الْقِسْمِ
الْمِصْرِيَّ مِنْ خَرِيدَتِهِ عَنْ رِسَالَةٍ مَشْهُورَةٍ لَهُ بِاسْمِ الرِّسَالَةِ لِلْمِصْرَةِ .
(٧) الصَّلْتُ : الْإِشْهَارُ ، وَمِنْهُ سَيْفُ مَصْلَتِ .
(٨) الْحَدِيقَةُ : كِتَابٌ مَشْهُورٌ لِأَبْنَى الصَّلْتِ عَلَى غِرَارِ يَتِيمَةِ الدَّهْرِ .
(٩) الْوَدَعُ : خَرَزَ بِيضَ .
(١٠) يَرِيدُ الْفَتْحَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَافَانَ الْقَيْسِيَّ الْأَنْدَلُسِيَّ التَّوَفَّى سَنَةَ ٥٣٥ هـ ،
وَيَقْلُ الْعَادُ عَنْهُ كَثِيرًا فِي حَدِيثِهِ عَنْ شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ .
(١١) يَمْرُئُهُ : يَمْعُهُ .
(١٢) الْمَلَبُ : السَّوَارِ .
(١٣) الْقَيْسِيُّ : الْقَاسِيُّ الشَّدِيدُ .
(١٤) يَغْرُهُ : يَنْتَرُهُ وَيَعْرِفُ مَا فِيهِ .
(١٥) قَلَا : أَبْغَضَ .

قلائدُ العقيان^(١) . وهل ابنُ خيران^(٢) إلا حيرانُ في ميدانِ هذا البيان ؟
ولقد شَخَبَ ورِيدُ ابنِ أبي الشَّخْبَاءِ^(٣) ورُدُّ إلى خِباءِ الاحتباءِ . ولو حَيَّ ابنُ
خَفَاجَةٍ^(٤) لجاءَ حَيًّا إلى جِهةِ الاختفاءِ . فهو لاءُ الذين خصَّ المولى عَبْدُهُ
بِخِصَائِهِمْ ، وَأَخْلَصَهُ لِلْإِطْلَاعِ عَلَى عِلْمِ مَطَالِعِهِمْ وَمَخَالِصِهِمْ . وإن صَاغَتْ
خَوَاطِرُهُمْ مِنْ إِبْرِيْزِ التَّبْرِيزِ تَبِجَانًا مَرْصَعَةً مَرَجَانًا ، وَصَفَتْ زَوَاهِرَهُمْ^(٥)
لِلْمَنَارِبِ بِنَوَاصِعِ الثَّرَرِ وَلَوَامِجِ الْفَرَرِ شُبُهَانًا^(٦) متجمعةً وِوَحْدَانًا ، وَكَانُوا عِيُونَ
النَّاسِ الْأَعْيَانِ ، وَأَنَاسَى عِيُونَ الزَّمَانِ ، مَتَمِّمِينَ بِحَسَنِ اخْلَوَاتِهِمْ حَسَنَ الْفَوَاحِشِ ،
مُحْكِمِينَ سُودَ الصَّفَاحِ فِي بَيَاضِ الصَّفَاحِ ، فَإِنَّهُمْ نَاقِصُونَ إِقْصَارًا لِحَالِهِ ،
شَاحِصُونَ إِبْصَارًا لِحَالِهِ ، لَمْ يَكْتَحِلُوا بِتَرَابِ قَدَمِهِ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا مِنْ بَابِ حَرَمِهِ ،
وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْقَرَا^(٧) ، وَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا قِيلَ لَهُ أَطَرِقُ كَرَامًا^(٨) .

فهذه الكتب المُنْهَدَاةُ ، وَالشَّخْبُ الْمُنْشَاةُ ، فروعها المَصْنُوعَةُ سِتَّةُ أَصْنَافٍ
وَأَصْلُهَا كِتَابَةُ الْكَرِيمِ ، وَأَجْزَاؤُهَا الْمُؤَلَّفَةُ تِسْعَةُ أَصْدَافٍ وَكُلُّهَا ذُرَّةُ الْيَتِيمِ .
تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ فِي الْمَشَايَةِ ، أَذْنَعَتْ عُيُونُهَا^(٩) لِفَضِيلَةِ بَكْرِهَا كَمَشِيرَةِ
الصَّحَابَةِ فِي الْبَابَةِ ، أَغْضِيَتْ عُيُونُهَا لِفَضْلِ أَبِي بَكْرٍهَا^(١٠) ، فَهَلْ كَانَتْ عُدَّةً
أَتَمَّهَا بَعْشَرٌ لِإِكْمَالِهَا ، أَوْ حَسَنَةً جَزَاؤُهَا بِعَشْرَةِ أُمَثَالِهَا ؟

-
- (١) كتاب له مشهور في شعراء بلاده وهو مطبوع .
(٢) من أكبر كتاب الدواوين في مصر أثناء القرن الخامس ، توفي سنة ٤٣٢ هـ .
(٣) مثل سابقه ، كان من رؤساء الكتاب في الدواوين المصرية أثناء القرن الخامس
توفي سنة ٤٨٢ هـ .
(٤) شاعر أندلسي مشهور توفي سنة ٥٣٣ هـ .
(٥) صفت زواهرهم : مالت نجومهم . (٦) في الأصل عهايا .
(٧) مثل يضرب لمن يتفوق على أقرانه ، والقرى : حمار الوحش .
(٨) مثل يضرب لمن يندفع بكلام ياطف له ويراد به الغائلة .
(٩) الوزن : التي أنتجت ، فهي ضد البكر ، ومفردها عوكان .
(١٠) يشير إلى مباينة أبي بكر الصديق .

ولما زفَّ المولى هديَّ^(١) هداياه إلى كنفها الكافي عنده صفَّ إمامها^(٢) أمامها على مثالها ، فإيا له غرساً ماتمَّ به إلا للتحترش الحاسدِ مأتمَّ ، وأنساً ماتمَّ منه إلا للمستوحش الجاحدِ مأتمَّ . وقد غنى بالغانية عن وصفِ وصاتها ولها^(٣) ، وُعنى بمعانيها الرائعة الرائعة ولم ينظر لنضارها شهباً شهباً ، وإذ^(٤) أفردها فضلها على فرائد فضلاء المشركين والمغربين أبصر^(٥) وسمع لسانه^(٦) العرب والعجم بتفضيل جليلها . على تفصيل جملتهما مُعجِمين مُعربين . وأمَّا المغاربة فعلى مشارع للشارقة مُعار^(٧) حبلها ، ومن مشاربها مُعار خيلها ، ومن مغائرها مغارمها ، ومن صرائرها^(٨) صوارمها ، وحسبها أن الغزاة الرائعة في رياض القلک ، الكارعة في حياض الملك ، إذا وصلت إلى وردها توردت بالشَّقِّ ، واصفرت للفراق من الفرق ، وأصاب غينها عين العين الحامية^(٩) ، وعاقبتها يد العتقاء المُغرب^(١٠) العادية ، ووقعت في قبضة طفل الطفل^(١١) كالصفور ، وقضت هنالك نحبها ومعادها من المشرق غداة يوم النُشور . إنَّ الله يأتي بالشمس من المشرق حُجَّة بالغة ومُحجَّة واضحة للتحقِّق المُحقِّق ، فإن تعلَّق للمرييون بأذيال أسمال^(١٢) الأنوار آخرًا ، فالشرقيون اجتأبوا حلَّها القُشْب أولاً ، وإن تسلقوا على أسوار أسارها^(١٣)

(١) الهدى : الروس .

(٢) في الأصل : أماما .

(٣) الوله : الترام ، ولها من اللهو .

(٤) في الأصل : وإذا .

(٥) في الأصل : وأبصر .

(٦) لسان العرب والعجم : لثهما . (٧) مغار الحبل : وثيقه وتحكمه .

(٨) الصرائم : جمع صرعة وهي العزعة .

(٩) يشير إلى قوله عز وجل في القرآن الكريم أثناء الحديث عن ذى القرنين « حتى

إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تقرب في عين حمة » .

(١٠) العتقاء للمغرب أو عتقاء مغرب : طائر عظيم الجسم يرد ذكره في القصص العربي ،

وهو طائر خرافي يقولون إنه يعدو ، ويفرق في العدو .

(١١) الطفل : آخر وقت المشي عند الغروب .

(١٢) الأسمال : الثياب البالية .

(١٣) الأسار : جمع سؤر ، وهو البقية من الماء وغيره .

فالعراقيون فتحوها مَغْلًا مَغْلًا ، ولا نوم على اعرَاق^(١) العراقِ إذا استلَّام^(٢) ليحى
بِحِمِيَّتِهِ حِمَاهُ ، وَيَعَارُ حِينَ يُغَارُ عَلَى عِلَاهُ . أما مصرُ فهي الآن عراقِيَّةُ الدولة ،
عباسِيَّةُ الدعوة ، يوسفِيَّةُ العزة ، فاضليَّةُ الحوزة ، ناصريةُ النصرة ، عادليةُ
الخطوة ، صلاحيةُ السيرة ، سيفيةُ الهزة . فالفضل لها في عصرنا لا قَبْلَهُ ، وفخرها
فاضلها الذي ما رأى الزمان مثله ، وهو مُتَقُّ عبيده ، ومسترقُّ حمده ، وناعشه^(٣)
من عثار الجدد ، ورأشه بدثار^(٤) الجدد ، فالخادمُ عراقِيٌّ للنشأ وللربى ، مصرى
للنحى والملجأ ، ناصري^(٥) العلاء فاضليُّ الولاء . وأما الشام فلا يُدْكَرُ
ولا يُشْكَرُ ، وكيف يُعْرَفُ ولا يُنْكَرُ ، ومعروفُ حَلْبَةِ حَلْبِهِ ذاك المنكر .
وقد دلَّ نصُّ الكتابِ الكريمِ الواصلِ من المولى على أن سيَّاتها كثيرة ،
ولكنها لحسنات سلطانها مغفورة / : ١٠

[٤٠ و]

قد طال دَنِي^(٦) لَكُمْ فطوْلُ طَوَلًا بِجَاهِي العريضِ كُمِّي
أصبحتُ في مصرَ ذا رجاءِ إلى النَّدى الجمِّ منك جَمِّ
أصابَ قَصْدِي وَتَمَّ أُسْرِي وَبَانَ نُجْجِي وَفَارَ أَمِّي
وَإِنِّي قد وجدتُ وَجْدِي منك كما قد عَدِمْتُ عُدِّي
نَعَشْتَنِي مِنْ عِثَارِ دَهْرِي فَخِرَتَ^(٧) حَمْدِي وَحَارَ دَنِي ١٠

ومنها :

نتيجةُ النجح منك تقضى أَنَّ للواعيدَ غيرُ عُمْرٍ

(١) العراق : من أعرق فيه أهله وعرقوا .

(٢) استلَّام : لبس الأمانة وهي الدرع .

(٣) ناعش : من نمشه من الثمار أى رفعه منه وجره .

(٤) رأشه : من الرياش وهو اللباس الفلخر ، والدثار : الثوب .

(٥) في الأصل : ناصر .

(٦) الدن : من دن ودندن إذا طن وطم ، وفي الأصل : ديني وبعدها كلمة كشت

واخترنا أن تكون (لكم) . (٧) خرت : من خار ، أى انتفى واستغنى .

ومنها :

- قضاء دَينِي ونيلُ سُؤلِي وحفظُ جاهِي وجرى رُسمِي
 وَضِيعَةٌ لا يَضِيعُ فِيهَا عَزَمِي كما لا يَفُوتُ غُنْمِي
 وَحَرَمَةٌ تَسْتَنِيرُ مِنْهَا سَعُودُ قَدْرِي فِي أَفْقِ عُظْمِي
 يَمُتُ يَمًّا وَلَسْتُ أَرْضَى تَيْمَمًا فِي جَنَابِ يَمِّ ٥
 لَمْ أَتَمَلَّ لَمْ يَزَنْ بِنَجِيعِ لَمْ شَعْنِي لَمْ يُعَنْ يَلَمَّ
 رُمٌّ^(١) رَمَّ أَمْرِي وَحَلَّ حَالِي مَا كَرَّمْتُ فِي الْوَرَى كَرَمِي
 رُثٌّ^(٢) رَجَانِي بِكُلِّ طَرْزٍ وَعُثٌّ^(٣) جَاهِي بِسَيْرِ سُخْمِي
 مُضَارَعُ الْفَعْلِ حَظُّ فَضْلِي وَعَائِقُ الصَّرْفِ حَرْفُ حَزْمِي
 ١٠ نَاشِيكٌ مِنْ مُخَوِّلٍ مُعَمٍّ يَحْنُو عَلَى الْمُخَوِّلِ الْمَمِّ
 كُلُّ عَدُوٍّ شَنَّاكَ^(٤) يَلْقَى فِي النَّاسِ طَمَسَ اسْمِهِ كَطَمَسِ
 شَمْلُ الْعِدَا^(٥) وَالْعُرُوضُ^(٦) مِنْهُمْ مَا بَيْنَ شَتٍّ وَبَيْنَ شَتْمٍ
 وَنَلَتْ عَزًّا بَغِيرَ صَرْفٍ وَوَصَلَ مُلْكٌ بَغِيرَ صَرْمٍ
 تَمَلَّهَا فَهِيَ بَكَرُ فِكْرِي شَمِيَّةٌ مِنْ تَسَاجٍ شَهْمٍ
 ١٥ حَدُوتٌ عَيْسَى^(٧) بِهَا فُجَاءَتْ شَقَشَقَةٌ مِنْ هَدِيرٍ قَرْمٍ^(٨)

ومنها :

لِي خَاطِرٌ مُجْبِلٌ^(٩) ، لَهْمِي ، فَتَحْتَهُ مِنْ صَفَا أَصَمٍّ
 أَقْدَمَ رَغْبًا خَافَ رُغْبًا^(١٠) لَقْدَرٍ خَرٍ لَدَيْكَ فَخَمٍّ

(١) رَم : أَسْلَحَ ، وَالرَّم : الْبَالِي وَالْفَاسِدُ .

(٢) رُث : مِنْ رُثْ أَيْ نَهْضَ ، وَفِي الْأَصْلِ : رُثْ رَثَائِي .

(٣) عُث : مِنْ عَثْ أَيْ نَهْضَ أَيْضًا . (٤) فِي الْأَصْلِ : يَشَنَّاكَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : الْأَعَادِي . (٦) الْعُرُوضُ : جَمْعُ مَرَضٍ وَهُوَ الْجِلْدُ .

(٧) الْعَيْسَى : الْإِبِلُ . (٨) الْقَرَمُ : الْفَعْلُ وَالسَّيْدُ .

(٩) مُجْبِلٌ : مَنْ أَجْبَلَ الشَّاعِرَ إِذَا أَغْنَمَ .

(١٠) جَابِرُ رَغْبًا : جَبَّ أَيْ قَطَعَ وَرَغْبًا أَيْ أَرْضًا فَلَاةً ، كُنَايَةً عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي قَطَعَهَا إِلَيْهِ .

إِلَيْكَ يَا كَمْبَةَ الْعَالِي حَجَّ حَجَاهُ بِلُطْفِ حَجْمٍ
أَجْرٍ عَلَى الْوَهْمِ غُظْمٍ شَانِي وَلَجِبِ عَلَى الْوَهْنِ غُظْمٍ نَظْمِي
بَصْفَةِ الصَّفْحِ مِنْكَ يَبْدُو جِزْمُ قَصُورِي بَغِيرِ جُزْمٍ
بِاسْمِكَ لِلشُّكْرِ بِاسْمَاتٍ مَنَى مَنَى سَقْمُنَ بِاسْمِي
أَقْبِلْ وَأَفْضِلْ عَلَيَّ وَأَقْبِلْ عُرْبَ مَعَانٍ لَدَيْكَ عُجْمٍ
مَا دَمْتَ عَوْنِي فَلَيْسَ يَغْدُو جَمِيلٌ وَسَمَى قَبِيحَ رَمَمٍ

٢ - القاضي الْمُؤْتَمِنُ * ابن كاسيويه الطائِب

من صدور كتاب مصر الذين يُنْتَنَى عليهم الخنصر ، ويقوى باعتدال طبائع
خواطرهم من البراعة^(١) العنصر . ولم يزل في الدولة المصرية مُقَدِّمًا مُصَدِّرًا ،
وَيَكْرُ فضلُه خلف حجاب الصدور مُحَدَّرًا . ما أحسن أثرَ براعته خطأ ، وما
أَمَكْنَ خَاطَرَه النِّيرَ في سماءِ النظم لفلَكِ العَالِي^(٢) قُطْبًا . ولما زال عن مصر
يُشِرُ الدولة العباسية عبوسُها ، وبدا كلَّ يومٍ يُحَلُّ خِمارُها ويُقْلِعُ بُوسُها ،
حار ابن كاسيويه ، وكاد يحنى ولو أنه في العلم سيويوه ، فأواه القاضي الفاضل
وغمرته منه القواضل ، وناضل عنه حين دون المنى ضلَّ المناضل ، وصيَّره للملك
عز الدين^(٣) قَرْخُشاه بن شاهنشاه بن أيوب وزيره ، وأسمعه من غناء الغني بجاه

(*) ترجم له ابن سعيد في الغرب . انظر القطعة المصورة بمعهد المخطوطات في الجامعة
العربية ، الورقة ١١٥ وقل في ترجمته عن الحريدة ، ثم ذكر أن الماد نوه به في ذيل الحريدة ،
وروى عنه قطعة وجهها للمؤتمن إلى القاضي الفاضل يصور فيها ما كابدته في الشام من مصاعب
ومتاعب أثناء مقامه به مع فرخشاه . وانظر ابن ميسر ص ٩٥ حيث يذكره مع الشعراء الذين
وقدوا على الصالح بن رزيق لتهنئته حين ولي الوزارة سنة ٥٤٩ هـ .

(١) في الأصل : الجراعة . (٢) في الأصل : العالی .

(٣) هو ابن أخى صلاح الدين ، استنابه عنه بالشام ، وكان متواضعا سخيا شجاعا مقداما
وكان فصيحاً شاعراً ، توفي بدمشق سنة ٥٧٨ هـ .

خدمته بَمَهْ وَزِيرَه^(١) . وهو الآن ذو جاهٍ عريض ، وروض قَشِيبٍ أريض ،
سهل العبارة سلسها ، مبتدع الاستعارة مُحْتَلِسها ، كنياته حُلُوه معسولة ، من
تكلف الصنعة مَفْسُولة .

وله نظم يناسب نثره سلاسةً ونَهَجًا ، ويلائم وُثْيَ رسائله سلامةً ونَسَجًا ؛
فإن ذلك أنى ملت لحضرة الملك عز الدين فرُّخشاه في داره بالقاهرة ليلة الثاني
من رجب سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وألُوِّقَ من كاسيويه حاضر ، وقد
كتب له من شعره في مدحه ورقة قد أودعت من لطائفه ، فأخذتها ناظرًا في ناضر
زهراها ، ومنها قوله :

[وَسَمْتُ مُحَاسِنَكَ الزَّمَانُ فَلَمْ تَدَعْ
أَزْرَتُ خِلَالَكَ بِالْحَسَامِ إِذَا مَضَى
لا غمرو أن جَرَّ الجيوش مُقَدِّمًا
من كان مذ شَهِدَ الْوَقَاتِ مُقَدِّمًا^(٢)]
١٠ / قِما لقد هجر الكرى جَفْنِي فلا
يعتاده حتى يُعْـوَدَ مُسْلِمًا
[٤٠ ط]

وله ، صدر كتاب :

لَا زِلْتُ مَنْصُورُ الْوَاءِ مَظْفَرًا
وَالنَّجْحُ مَقْرُونٌ بِقَصْدِكَ دَائِمًا
وَإِذَا قَفَلْتُ^(٣) فَوَاجَهَتَكَ مَيَّامِنُ
أَنْتَ الَّذِي جَاهَدْتَ عَنِ دِينِ الْهَدَى
وَأَزْرَتُ أَرْضَ الشَّرِكِ أَطْرَافَ الْقَنَا
وَبِالْأَسْنِ الْأَغْمَادِ خَاطِبَتَ الْعَدَا
وَالسَّعْدُ يَرْحَلُ إِنْ رَحَلَتْ وَنِزْلُ
وَالدَّهْرُ يَتْبَعُ مَا تَقُولُ وَتَفْعَلُ
١٥ تَبْدُو بِشَائِرِهَا وَجَدٌ مُقْبِلُ
فَاعِزٌّ نَصْرَكَ نَاصِرٌ لَا يُخْذَلُ
حَتَّى غَدَتْ مِنْ خِيفَةٍ تَرْزُلُ
فَأَجَابَهَا فَتَحَ أَغْرُءُ مُحَبِّسُ

(١) الم والزير : وتران من أوتار العود .

(٢) قلنا هذه الأبيات عن قطعة للرب السابقة لأن الأصل مطبوس فيها ، وقد نقل ابن
سعيد الأبيات عن الحريفة نفسها .

(٣) قفلت : رجعت .

تَرْجِي^(١) الْجِيَادَ إِلَى الْجِهَادِ جِحَافًا تَنْشَى الْبِلَادَ وَأَنْتَ وَحْدَكَ جِجْفَل
 فَلَيْهِنَّكَ^(٢) الْفَتْحَ الَّذِي سَبَقَتْ بِهِ الْبُشْرَى وَأَشْرَقَ بِشْرُهُ التَّهْلِيلُ^(٣)
 يَأْمَنُ يُجَلِّي كُلَّ خَطْبٍ مُعْضِلٍ قَوْلٌ لَهُ فَضْلٌ وَسَيْفٌ فَيَقْصِلُ
 عَقْدَ الْوَقَارِ عَلَيْكَ تَاجَ سَكِينَةٍ بِالْغُورِ لَا دُرَّ الْعُقُودِ يُكَلِّلُ
 أَحْرَزْتَ مِنْ فَضْلِ الْكَمَالِ خَصَائِصًا عَنْهَا أَحَادِيثُ الْمَكَارِمِ تُنْقَلُ
 فَاسْلُمَ لِلْمَلِكِ قَدْ حَفِظْتَ نِظَامَهُ وَسَمَا بِعِزِّكَ مَجْدُهُ الْتَائِلُ
 يَحْوِي مَقَالِيدَ الْبِلَادِ فَسَابِقُ أَعْطَى الْقِيَادَ وَلاحِقُ مُتَمِّمُ

عدة في الديوان الفاضلي

٣ - السبر علم الرؤساء أبو الفاسم

عبد الرحمن * بن هبة الله بن حسن بن رفاعه

١٠

من أهل مصر ، المعروف بظناب الأمير ناصر الدولة

دخلت على القاضي الأجل الفاضل مستهلَّ الحرم سنة إحدى وسبعين
 في الحُجَّيم^(٤) برج الصَّفر^(٥) أَهْنَيْهِ بِجِدِيدِ الْعَامِ الْعَامِّ الْجَدْوَى ، وَأَسْتَهْدِيهِ الْقَوَائِدَ
 الَّتِي بَهَا أَحْيَا وَأَقْوَى ، فَوَجَدْتُ يَدَهُ كِتَابًا لِأَبِي الْقَاسِمِ الْمَذْكُورِ إِلَيْهِ ، وَالْقَاضِي
 الْفَاضِلُ يَقْضِي بِفَضْلِهِ وَيَتْنِي عَلَيْهِ ، فَوَقَفْتُ عَلَى رِسَالَتِهِ وَطَالَبْتُهُ بِكَلِمَتِهِ ، فَأَرَانِي
 قَصِيدَتَهُ ، وَأَقْرَأَنِي قُرْتَهُ ، وَقَالَ إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ بِمَصْرَ نَظْمًا وَنَثْرًا . هَذَا وَقَدْ جُمِعَ مِنْ
 رِسَالَتِهِ عَشْرَ مَجْلَدَاتٍ . فَأَمَّا الرِّسَالَةُ فَهِيَ :

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْمَجْلِسَ الْعَالِيَّ الْفَاضِلِيَّ الْأَسْعَدِيَّ - زَادَهُ اللَّهُ مِنْ اصْطِفَائِهِ أَبْكَارَ

(١) تَرْجِي : تَدْفَعُ . (٢) فِي الْأَصْلِ : بِالْفَتْحِ .

(٣) التَّهْلِيلُ : التَّحْلِيلُ ، وَفِي الْأَصْلِ : لِلتَّجَلُّلِ .

(*) تَرْجَمَ لَهُ ابْنُ سَيِّدٍ فِي الْمَغْرِبِ ، الْقِطْعَةُ السَّابِقَةُ الْوَرَقَةُ ١١٧ ، وَقَالَ إِنَّهُ تَوَفَّى سَنَةَ ٥٩٣ هـ .

(٤) الْحُجَّيمُ : لِلْمَسْكَرِ . (٥) مَرْجُ الصَّغَرِ : عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ دِمَشْقَ ، وَالْمَرْجُ : النِّبْضَةُ .

- اللقاب وعونها ، وواصل إلى جنبه حمولات الثوبات وطلعونها ، واستجاب من أوليائه^(١) في طول بقاءه وهلاك أعدائه صالح الدعوات التي يدعونها — خير ما ينادى قريباً ويناكح بعيداً ، وأفضل منعم يحقق وعداً ويخلف وعيداً ، وعم^(٢) الخلق جميعاً بنعمته ، وشرف القلب بصواب حكمه^(٣) وصوب^(٤) حكمته ، وألهج أقلامه بتوزيع إفضال المال والجاه ، وقسمته ، وخصه في إهداء الهدى بهدي^٥ أقر به على الساعين أبعد ، وأنل له مجداً لا يتناهى مصعده ، أو يكون فوق النجم مقعده . ولم يزل إقباله على الملوك^(٥) يريه وجه الإقبال وسياً ، ويعيد عنده موم^(٦) اليأس بأرواح النجاح نسيماً ، ولا يضيع جريه في ميدان اعتناق تنفيذ مرامه عنقا^(٧) ورسياً . وقد كان أكبر مولاه عن مكاتبة تليق بالأكابر ، وتنحط أصاغر الخدام عن درجة المحافظ عليها المثابر ، وسأل ابن حيون إحساناً إليه^{١٠} بذكر هذه الجملة في كتبه وإجمالاً^(٨) ، وأن يقلده بالإعراب عنه منة لا يدأم لها على مر الزمان احتمالاً . وحين أكدت^(٩) مطالبه ، وأحاطت بجوانبه دواحي الندم وجورالبه ، وصدر الإجلال وجلا ، وعاد الإخلال خجلاً ، تاب إليه من علم شرف خلق المولى وكرم طبعه ، وتواضعه إقداراً للعالي بحسن وضعه ، ما حمله على نظم قصيدخدم بها بحجاسه الكريم ، مع تحقيقه أن مدحه جادة جدي تعجزجلة^(١٠) الشعراء^{١٥} عن سلوكها ، وتيقنه أن مناقبه لا تحتاج إلى اللدائح إلا كحاجة عقود الجواهر إلى سلوكها ، وضراعتة في إجرائه في قبلها على مألوف عادة الإحسان ومعروفها ،

(١) في الأصل : أولائه . (٢) معطوف على جبل في أول الرسالة .
 (٣) في الأصل : حكمته . (٤) الصوب : المطر والفيث .
 (٥) في الأصل : الملوك . (٦) الموم : الرج الحارة .
 (٧) في الأصل : عنقا ، والعنق : سير سريع للإبل ، والرسم : من رسمت الناقة إذا أثرت بمخافها في الأرض أثناء سيرها .
 (٨) إجمالاً : إحساناً .
 (٩) أكدت : أخفقت . (١٠) في الأصل : حلبة .

واغتفار خطيئها الذى كَفَّارَتُهُ ما يواصله هو وعائلته من أدعية صالحة للمولى بعدد
حروفها . والملوك مستمرُّون على عادته فى ملازمة الخدمة والمواظبة عليها ، وإدامة
البكور إليها ، مع ما يلحقه من النزلات التى تُظْلِمُ مطالعَ حَيَّاهُ^(١) وغيرها من
أمراض شاهدها اصفراراً حَيَّاهُ . والله تعالى يزيد فى علو محلِّ / المولى المؤسس [٤١ و]
على التقي ، ويَجْمَلُ الدنيا بمفاخره الموفية على ناصع الجوهر المنتقى ، ولا زال أفواجُ
الرفاق لاقيةً إذا حَطَّتْ بِمَنابِه أفضلَ مُلْتَقَى .

وأما القصيدة فإنها تنيف على مائة بيت فأثبت منها ما عقدت خنصر
الاختيار عليه ، ومطلعها :

تالله ما عاشقُ الدُّمَى عاقلٌ كَلَّا ولا عاذلٌ له عاذِلٌ
ذا مُعَرِّمٌ مُرَغِّمٌ أخو حُرْقٍ وذو مطيلٌ ما عنده طائل
لم يَخْشَ من ناقدٍ وقد جاء بالنكسِ^(٢) إلى ناقيهِ الهوى ناقل
ومنها :

غانيةٌ عن^(٣) حلٍّ غانيةٍ بحسنِ عاطٍ^(٤) من جيدها عاطلٌ
وأَسْمَرٌ غادرتُ لدونَتِهِ ماءً لها فيه جارياً جائلٌ
سنائه طَوْفُهُ ومن عَجَبٍ سيفٌ علا لَهْزَمًا^(٥) على ذابل !
أَهْلَهُ ضارباً وأَعْمَلَ للطننِ سِوَاهُ من نهده عاملٌ^(٦)
ومنها :

وحالةُ المستهانِ أنْفَعُ ما عاذَ به المستهانُ من عاذلٍ
خبيا سنائه وخابَ مقصده أَيْةُ حالٍ لخامدٍ خاملٍ

(١) الحي : الحياة . (٢) فى الأصل : بالنكس ، والنكس : عود المرض بعد النقص .
(٣) فى الأصل : من . (٤) العاطل : قريب التناول .
(٥) الهمز : السنان القاطع . (٦) عامل الرمح : صدره .

ومنها في ذم الدنيا :

- وزاد حُبُّ الهوى عليه فما ينفكُ في ^(١) هَوَاَ الهوى نازل
 يريد منها خفضاً فيرفعه من نصيبه للعنا بها فاعل
 أين من الدر ^(٢) كف حالها ^(٣) المكفوف منها بكفة ^(٤) الحابل
 • يُظهرُ تكذيبُ سلمٍ باطنها عنوانَ عدوانٍ خائر ^(٥) خاتل
 أنصارها عصبهُ التابع في السجلِ وأحزابُ طالبي الباطل
 وما يَبْنِي مَذْكَراً بِحُطْبَتِها حُكْمُ التماسي لحكمها الحاتل ^(٦)
 يكونُ منها أمرُ الولاء وما تَمَّ لها عاضلُ سوى الفاضل
 عبد الرحيم الذي لرحمته ظلُّ على الخلق وارفٌ شامل
 ١٠ القابلُ القصدَ والمعيذُ من المنِّ أُلُوفًا في العامِ والقابل
 وجاعلُ الرسمِ في سماحته تحييسَ ملكِ الغنى على السائل

ومنها :

- وما الغنى المعزُّ للوفرِ بالمنع ولكن مُذِلُّهُ الباذل
 بديههُ البرِّ منه مَوْفِيَةٌ أيدِ عواذى الردى [بها ^(٧)] زائل
 ١٥ لمرورة الجهل والقَضِيَّةِ إِذْ تُغَيِّ ذوى العلمِ فاصمٌ فاصل
 إن يظهر المدحُ فيكَ مُنْتَقَصًا فنه في النفسِ كامنٌ كامل
 لأنَّهُ في فعَالٍ همتبه لغاية العجزِ قائدُ القائل

(١) في الأصل : من . (٢) الدر : استخراج اللين من الضرع .

(٣) حالها : يريد حال الدنيا . (٤) كفة الحابل : جباله الصائد .

(٥) الحتر والحتل : التدر . (٦) في الأصل : الغامل ، والحائل : للتغير .

(٧) ساقطة في الأصل .

ومنها:

ومعجزُ السيفِ فضلُ جوهره ومائِه لا عنايةُ الصـاقـل

ومنها:

وكم حبا^(١) السامعين فائدة إذا احتج^(٢) من نديهِ الحافل
 وكم أقام القسطاس حتى رأى الإقساط^(٣) عادٍ عن عدله عادل
 وكم له [من^(٤)] وساطة منعت صائب سهم من حادثٍ صائل
 يشبُّ منه الوليد أو يُعجز الكهل احتمال^(٥) منه [على الكاهل
 وسادٍ في الضلال غادره ثوبِ إيناس رشده سائل

ومنها في وصف كتابته ومنطقه:

١٠ يعرب عن حكمة يظل لها يُعربُ عن لُكنة به باقل
 ما حاق^(٦) مذ حق كل منطق حرام سحر يُعزى إلى بابل
 يرسل من نثره لآلته نبلا فأعظم بنائر نابل
 فيقذف الدر بحر حكمته الخضم من طرسه إلى الساحل
 كم ظل أعلى الكتاب منزلة لديه عنها في حالة النازل
 ١٥ يعجز عن تقليه المثال مع الـ إعجاز مادام عنده مائل
 والخطارُ الأسمدى يخطر في بلاغة^(٧) ذيل فضله ذائل^(٨)
 يتخسر إنشاؤه غرائب أفعال بها رُبُّ ذكره أهل

(١) حبا: أعطى.

(٢) احتج: جلس، وأصله من الاحتباء وهو الجمع بين الظهر والساقيين بعمامة ونحوها.

(٣) الإقساط: العدل.

(٤) ساقطة في الأصل.

(٥) ساقطة في الأصل.

(٦) حاق: حاط.

(٧) في الأصل: بلاغة في، وكلمة في زائدة.

(٨) ذائل: طويل من الذيل.

أوجدُهُ الدهرُ علماً فَضَلَ الْعَالِمَ فَضَلَ الْعَالِي [على] ^(١) السافل

ومنها :

صنعاً من الله للأجلِّ غدا بكفَّ عَدُوِّي أعدائِهِ كَافِلٍ
ما فاء ^(٢) يوماً إلى استشارته لا مَلِكُ فَاثِلِي من رأيه فَاثِلٍ ^(٣)
[لكن] ^(٤) [بَلَا مَنَه خَيْرَ ذِي قَلَمٍ مُوَازِرًا خَيْرَ مَالِكٍ دَاثِلٍ] ^(٥)
حتى تَوَافَتْ مَنَاسِخُ النَصْرِ لِلدَوْلَةِ تَسْرَى فِي مَنَهْجٍ سَابِلٍ
لَهْنٌ مِنْ عَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ أُمٌّ وَلَوْ دُوَّ وَوَالِدٌ نَاجِلٍ
وَضُوعِفَتْ لِلجُنُودِ قُوَّةٌ إِضَافَةٌ مَافٍ الْأَعَادَى فَبِأَسْمِهِمْ بَاسِلٍ
أَقْصَرُ سَهْمٍ حَوْتَ كَنَاتِهِمْ مَزِرٍ بِطُولِ التَّقْفِ الْعَاسِلِ ^(٦)

ومنها :

يَا سَيِّدًا قُيِّدَتْ عَقَائِلُ نَفْسَاهُ بِشَكْرِ مَنْهُ لَهَا عَاقِلٍ
إِذَا أَخُو الْحَاجِّ ضَلَّ عَنْ سَنَنِ الْحَجِّ [إِلَيْهِ] ^(٧) ضَلَالَةً الذَاهِلِ
أَرْنَهُ أَنْوَارُهُ الطَّرِيقَ لَهُ كَأَنَّمَا مِيْلُهُ ^(٨) لَهَا كَاجِلٍ

ومنها :

يَنْفَحُنَا شَهْدَهُ بِلَا إِبْرٍ لِلنَّحْلِ مِنْ مَنْ بَاجِلٍ نَاحِلٍ ^(٩)

- (١) ساقطة في الأصل . (٢) فاء : رجع .
(٣) الرأى القائل : الرأى الضعيف أو الخطأ . (٤) ساقطة في الأصل .
(٥) في الأصل ذائل ، والذائل : الشتر ، ولعل الشاعر أراد الذي تدول له : الدول .
(٦) التقف العاسل : الرمح . (٧) ساقطة في الأصل .
(٨) البيل : المكحل الذي تتكحل به العيون ، وللتار بيني اللسان ، وهو هنا يريد الثاني ويجعله كأنه كاحل أو مكحل .
(٩) الناحل : صاحب النحل ، والباجل : اللبيل ، واللى : النحل .

والبُسر^(١) لولا [لَوْنٌ]^(٢) يباشره الليل لما كان صِبْغُهُ حائل
يا صادراً نحو صدرِ بغيتنا مرآك من صوبِ أَيْلَةٍ آيل
وكلمهم فيكَ لازمٌ شرعةً ١١ قافي^(٣) لآثارِ رجعة القافل
مَطَرَتْ جُوداً محلَّ تَحْلِهِمْ عهادَ رزقي ما عهدُهُ حائل

• ومنها :

أَفَسْتُ أُنِّي ما لم أُجِدْكَ تَعْلُونِي من الهمِّ خبلة الخابل
/ فأغندي في الدِّينِ من القولِ أَخ تارُ كما اشتارَ أَرْيَهُ العاسل^(٤) [٤١ ظ]
مجتنباً تافهاً من اللّح جمُّ المنحِ في وجهِ نقصه تافل
وذكر القاضى الفاضل أَنَّ له شعراً حسناً وأنشد منه أبياتاً من قصيدة طويلة

١٠ في وصف القلم ، هي قوله :

لعادة كَفَرٍ إِنْ أَلَمْتُ بِجِلْدِي عدا مورقاً أو معشياً حلَّهُ الخصبُ
عجبتُ لَهُ أَنْ ظَلَّ جاراً لُسْحَبِها وما فعلتُ فيه كما تفعل السحب
وَأَحْسَبُهُ حَيًّا الطروسَ بَنَبْعِها وَأَصْبَحَ مَسْلُوباً وَأَثَرَتِ الكُتُبُ

قال ابن كاسيويه الكاتب ، وكان حاضراً عند القاضى الفاضل : [وله^(٥)]

١٥ أبيات في القطائف الملقاة وهي قوله :

أَهْلًا بِشَهِيرِ غدا فيه لنا خَلْفٌ أكلُ القطائف عن شربِ ابنة العنب
من كل ملفوفةٍ يبيضُ إلى أُخِرٍ^(٦) حُرِّ من القَلْبِ تَشْفِي جَنَّةَ^(٧) السَّعْبِ

(١) البسر : التمر قبل لارطابه ، والواحدة بسرة . (٢) زيادة لوزن الشعر .

(٣) القافي : المتنبع للآثار .

(٤) اشتار أريه العاسل ، اشتار : استخرج ، والأرى : العسل ، والعاسل : صاحبه .

(٥) ساقطة من الأصل . (٦) الشطر في المغرب : ما بين عشوة صفت إلى آخر .

(٧) جنة السعْب : شدة الجوع والجنون .

كأنهنَّ حُرُورٌ ذاتُ أغشِيَةٍ من فضةٍ وتعاوِذُ من الذهب
وله بيتان أنشدتهما :

الصمتُ سَمْتُ سلامة طوبى لندبٍ ^(١) يقفنيه
عرفَ النُّكْرَ للزما نِ فِدَامٍ ^(٢) فيه فِدَامٍ فيه

وله في القطائف المقلوبة :

وإني الصيامُ فوافتنا قطائفهُ
والبيان الآخران هما للذكوران .

وله في شعبة مذهبته :

كأنها من بناتِ الهندِ مُنْقَلَةٌ بالخلي تجلّ لي تُهدّى إلى النار
ولما دخلت القاهرة في سنة اثنتين وسبعين اجتمعت به في دار السلطان ثم
استنشدته شعره فأنشدني ما سبق ذكره من الأبيات وأنشدني لنفسه من قصيدة :

وذى هَيْفٍ إن راحَ الرَّاحَ ساقِيَا غدا سائقًا للصبِّ رَكَبَ حِمَامِهِ
يبيحُكُ إيمانًا من مُدارٍ ^(٣) مُدامِهِ ويمنعُ لئلا من مُدارٍ لئامِهِ
فما بالهُ في كَفِّهِ عَدْلُ حُكْمِهِ وفي طرفه الفتان جورُ احتكامِهِ
وكيف أضاءتْ أنجمٌ من كؤوسِهِ وقد أشرقتْ ما بينها شمسُ جامِهِ ^(٤)

ومنها في الشعر :

وحقَّ له أن كان حَقَّ جواهرٍ إذا صِينَ من مسكٍ اللَّعَى بختامِهِ

وله :

وغادةٍ غمرَني بغرِّها رُؤاه حسنٍ يدعو لرؤيتها
أودُّ من وصلها نسيمَ رِضًا يُبرِّدُ عني هجيرَ هجرتها

(١) الندب : النجيب . (٢) فِدَامٍ القم : شيء تشده العجم على أفواهها عند السقي .
(٣) في الأصل : مدام . (٤) الجلام : إناء من فضا .

شمْتُ إذِ شِمْتُ^(١) برقَ مبسمها أَطِيبَ طيبِ أَمَامَ ضَمَّتْهَا
قَلْتُ هَذَا دَخَانُ عَنِيْرَةٍ لِلخَالِ تَصَلَّى بِنَارِ وَجْتِهَا

وله :

نَظَرْتُ بَطْرَفِي شَخْصَهَا^(٢) فَتَشَكَّكْتُ إِذْ قَلْتُ إِنَّكَ فِي الْحِشَا الْمَتَوَهِّجِ
فُخْكِ الذِّي فِي الْعَيْنِ مَا فِي خَاطِرِي فَأَرَيْتُهَا^(٣) إِيَّاهُ فِي أُمُودَجِ .

٤ — السعير أبو الفاسم

هَبْرَةُ الْقَمْرِ بْنِ الرَّشِيدِ جَهْمُ بْنُ سِنَاءِ الْمَلِكِ

كنت عند القاضي الفاضل في خيمته بمرج^(٤) الدهلمية ثامن عشر ذى القعدة

(١) شام البرق : نظر إليه . (٢) الشخص : سواد إنسان العين .

(٣) في الأصل : فأريته .

(*) أكبر شعراء مصر وأبرعهم في العصر الأيوبي ، ولد عام ٥٥٠ هـ وتوفي عام ٦٠٨ هـ وكان هو وأبوه يعملان في دواوين القاضي الفاضل ، وكان أبوه يقوم على شئون القاضي أثناء غيابه في الشام ، ولعل هذا يفسر خطورة هبة الله عنده كما يتبين من كتاب فصوص الفصول ، فالفاضل كان يكرمه جنأً ، ويوقره ، ويرى فيه تخاليل شاعر عظيم . وله ترجمة في معجم الأدباء لياقوت ٢٦٥/١٩ ، وابن خلكان (طبع القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ) ١٢١/٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣٥/٥ وحسن المحاضرة للسيوطي ٢٣٥/١ طبع مصر سنة ١٢٩٩ ، والمغرب لابن سعيد (نسخة دار الكتب المصرية المخطوطة) المجلد الثاني الورقة ١٤٧ ، وافرود ابن سعيد بقوله عنه لأنه كان غالياً في التشيع ، وبدل لقب جده سناء الملك أنه كان من كبار الموظفين في الدولة الفاطمية ، فقد خلع هذا اللقب أيضاً على حين بن بدر الجمالي الوزير الفاطمي المشهور (الكمال لابن الأثير طبع ليدن ٢٧١/١٠) . ولابن سناء الملك ديوان موشحات يسمى دار الطراز به موشحات المغاربة والأندلسيين ، نشره الدكتور جودة الركابي ، وله ديوان شعر لم ينشر حتى الآن ، وفي دار الكتب المصرية منه نسختان : مصورة مأخوذة من أصل في مكتبة جامعة فؤاد ، ومخطوطة بالمكتبة التيمورية ، وسنرجع إليهما أثناء تحقيق نص ابن سناء رامزين لنسخة الجامعة بالحرف ج ولنسخة التيمورية بالحرف ت . والنسختان جميعاً محشوتان بالأغلاط ، وهما مختارات لاديوثان كاملان فكثير من أبيات هذه القصائد غير موجودة فيهما وكذلك لا توجد بعض القصائد .

(٤) مرج الدهلمية : لم يقف على مكان هذا المرج ويظهر أنه كان حول دمشق (انظر الروضتين ٢٥١/١) حيث يقول العماد إنه وصل مع القاضي الفاضل دمشق في ذى القعدة من خمس ، فلما أن يكون المرج حول دمشق أو في الطريق إليها من حص .

سنة سبعين ، فأطاعني على قصيدة له كتبها إلي من مصر ، وذكر أن سنه لم تبلغ إلى عشرين سنة ، فأعجبت بنظمه . والقصيدة هذه نسختها من خطه :

- فراقٌ قضى للهِمَّ والقلبِ بالجمع
وهَجَرْتُ تَوَلَّى صُلَحَ عَيْنِي مع الدمع
ووصلْتُ سعى في قطعه من أُحِبُّهُ
ولا عَجَبًا قد يهلك النجم^(١) بالقطع
ورَبِّعْتُ لذات الخلال خالٍ وربما
شَغِلْتُ بِهِي من مُسَاءَلَةِ الرَّبِّع^٥
فسبحان ربِّي قد سَمَتْ هِمَّةُ النَّوَى
وطالت إلى أن فَرَكَتْ ما كُنْتُ جَمْعُ^(٢)
وفي الحَيِّ مَنْ صَيَّرَتْهَا نُصَبَ خَاطِرِي
فما أَذِنَتْ في نازل الشوق بالرفع
من العرييات المصونات بالذي
أثارَتْهُ خَيْلُ الغائرين من النَّقْعِ
وَمَنْ يرى أن اللالة مِلَّةٌ
وتلك لعمري الله من طَبْعِ^(٣) الطَّبْعِ
تتبه بفرج منه أَصْلُ بَلِيَّتِي
ولم أر أَصْلًا قَطُّ يُعْزَى إلى فَرْجِ^{١٠}
وتبسّم عما يُكْسِفُ الدُّرُّ عنده
فكيف تَرَى من بعده حالة الظَّلَمِ
فكم تَرَكْتُ في ذلك الحَيِّ مَيْتًا
وكم حَلَّتْ فيها الضلوعُ على ضَلَعِ
وكم ذابَ من حَرِّ التعانق بيننا
سَقَى الله أَيَّامَ الوصال مدامي
زمانًا تقود اللهو فيه يَدُ النَّيِّ
عليها وإن أَسْرَفَنَ في الهطل والنَّبْعِ
ولا نائلُ الحسناء تَزَرُّ ولا النَّوَى
ويُدْهِمُ التراضي صِحَّةَ الصَّدِّ بالصَّدْعِ^{١٥}
إذا شئتُ غَنَانِي غزالٌ مُعَارِلُ
تجاهرُ فينا دَوْلَةُ الوَصْلِ بالخَلْعِ
يَغْنَى فتحمُرُّ المدامُ^(٤) خَبْطَةً
نَشِيطُ التثني فائرُ الخُلْفِ والنَّبْعِ
فأصرفُ راحي حين يُكْسِفُ بالها
ليَقْصُرَها عن سَلْبَةِ العَقْلِ بالخلدِ
وأشربُ منه راحةً بغم السَّمْعِ

(١) النجم : النبات .

(٢) جمع : مزدلفة .

(٣) الطبع : الدس .

(٤) هكنا في ت ، وفي الأصل : اللداع .

/ وأطربُ حتى لا أُفريقَ كأنما
وما ذاك من فعلِ الإلهِ بمنكرٍ
نأى فدنا من كل طرفٍ سهادُهُ
إذا نظرت عينٌ سواءَ تَلَمَّمتْ
وإن عَزَمْتَ نفسٌ على قصدٍ غيره
أَياديهِ يُشجى الناسَ تذكيرُها به
وقد ضاقَ ذَرْعُ الصبرِ منا لفقده
فلولا اصطبارٌ فيه أَعْدَى بلادَهُ
لَكُنْتُ الأجلُ السَّيدُ الفاضلِ اغتدتْ
ومن قَلَمٍ في كفه أصبحت به
ومن فكره أُنحِتْ أفاعي يراعِهِ
متى خطَّ حرفاً أَوْهَتْ كلُّ قلمَةٍ
فله كُتِبَ منه إن أبصرَ العَدَى
وإن قيلَ عَفِيتْ خَلَعَهَا كلُّ مفسدٍ
لو أَدْرَعَ للرءِ الجبانُ ببعضها
لئن شوركُ في فتحِ حصيٍّ بأنهم
قد أَوْهَمَتْ تلكَ السهامُ بأنها
فتباً لمن ظنَّ السيوفَ ككتبه
تُسَبِّحُ^(١) هاتيكَ الطيورَ وهذه

أَتَانِي في عبدِ الرحيمِ هَذَا الرَّجْعُ^(٢) [٤٢ و]
ولا عَوْدُهُ من قدرةِ اللهِ بالبِذْعِ
وسارَ فأبقي كلَّ قلبٍ على فِئعِ
حياءٍ بعنوانِ^(٣) الوفاءِ من الدمعِ
ففي أَى دِرْعٍ تلتقي أسهمُ الردعِ
فأعجِبْ بضرٍّ جاء من جهةِ النفعِ
فيا حبذا من فقده ضَيْقُهُ الذَّرْعِ
لسارتِ إليه واستجارتِ من القطعِ
رَقَابُ الأَعَادِي ناكساتٍ من الهُطَعِ^(٤)
حدادُ المواضي عاجزاتٍ عن القطعِ
مع البعدِ منها قاداتٍ على اللَسعِ
ولم تُخْطِ وهماً أنها في يدِ القَلعِ
لها مطلباً لم يدفعوها عن الدفعِ
لقد زِدَتْ قَالَتْ ذَا اختصارِي وذَا قُنَى^(٥)
لأَصْبَحَ في الجُلَى غنياً عن الذَّرْعِ
مضت من قِسيٍّ لَسَنَ يُخْطِبنِ في الذَّرْعِ
مُنْصَلَّةٌ مما يحوِكُ من السَّجْعِ^(٦)
لقد ظنَّ ظناً فاسدَ الأصلِ والوَضْعِ
من الأمنِ تملأ أنفُسَ الناسِ بالسَّجْعِ

(١) الرجوع : الرجوع (٢) في ج : بأردن ، والرذن : السكم .

(٣) المطلاع : النظر في ذل وخضوع من غير إغلاص للبصر .

(٤) القنع : القنوع والليل . (٥) منصلة : ذات نصال .

(٦) تسجع : من السجع ، لما تركه من القنل .

- ومن لفظها الماءُ المعينُ فلو جرى
 لتَهَنِكَ يا عَبْدَ الرَّحِيمِ سعادةً
 ولا خاب من يرجو نذاك ولا خبا
 فيا سيدي اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّنا
 بُلِينا بِجَسَادٍ كَثِيرٍ أَذَاهُمْ
 ولا يَجْنِ بِلَ (٧) يُجَرِّفُ اعتقادهم
 ولو أَننا في نَمْسَةٍ يَحْسُدُونها
 فَلِلنَّاسِ حَزَنٌ مِنْ فِرَاقِكَ واحد
 لقد خَاطَرْتُ مِنْ خَاطَرِي خَظَرَاتُهُ
 فَأُقْسِمُ أَنَّ الطَّرْسَ قَدْ خَافَ مِنْهُمْ
 فَطَوَّبِي لَعِينٍ أَبْصَرْتُكَ وَحَبْنَا
 فلو فَارَقْتُ جَسْمِي إِلَيْكَ حَيَاتُهُ
- لَرَيَانٌ (١) أَفْنَى مِنْهُ مَا سَالَ بِالْجَزْعِ (٢)
 بِهَا شَامِعُ الْأَمَالِ أَدْنَى مِنَ الشُّعْ
 شَهَابُ رَدَى [بِرَى (٣)] أَغَادِيكَ بِالسَّفْعِ (٤)
 خُصُوصًا (٥) بَضْرٍ مَوْلًى صَائِبِ الْوَقْعِ
 يَظُنُّونَ أَنَّ الشَّرْعَ (٦) قَدْ نَصَّ فِي الشَّرْعِ
 مِنْ الشَّرِّ وَتَرَأَوْا يُعَزِّزَ بِالسَّفْعِ
 لَهُنَّ وَلَكِنْ عُدْرُهُمْ كَرَّمُ الطَّبْعِ
 وَأَحْزَانُنَا قَدْ أَوْهَنْتَ (٨) نَفَرَ الْجَمْعِ
 لَشَكَاوَى حَالًا ضَاقَ عَنْ كَتْمِهَا وَمُسَعَى
 وَهَذَا دَلِيلٌ أَنَّ كَاتِبَهُ مَرْعَى
 مَقَرَّكَ مِنْ رِيحٍ وَضَعُكَ مِنْ صُفْعٍ
 لَقَلْتُ أَصَابْتُ غَيْرَ مَذْمُومَةِ الصُّنْعِ (٩)

- ثم وصل إلى الشام في شهر رمضان سنة إحدى وسبعين في الخدمة الفاضلية
 فوجدته في الذكاء آية ، أحرز في صناعة النثر والنظم غاية ، يتلقى عرابية (١٠) العربية
 له باليمين راية ، قد ألحقه الإقبال الفاضلي في الفضل قبولا ، وجعل طين خاطره
 على الفطنة مجبولا ، وأنا أرجو أن ترقى في الصناعة رتبته ، وتعزز عند تهادي

(١) الريان : لليء بالماء .
 (٢) الجزع : منعطف الوادي .
 (٣) ساقطة في الأصل .
 (٤) السفح : من سفعته النار أي لفتته .
 (٥) خصوصا : مفعول متعلق بمعنى نخس ، وربما كانت محرفة عن خصصنا .
 (٦) الشرع : من قولهم الناس شرع واحد أي هم سواء ، كأنه يمال التماسد بذلك .
 (٧) في الأصل : لا بل .
 (٨) في الأصل : أذهبت .
 (٩) في الأصل : الصقع .
 (١٠) إشارة إلى البيت المصهور :
 إذا ما راية رنعت لجهد تلقاها عرابية باليمين

أيامه في العلم نُفِيتُهُ ، وتصفو من الصبا منقبتُهُ ، وتروى بماء الدُرَّةِ رَوِيَّتُهُ ،
وستكثر فوائده ، وتؤثر قلائده .

ومن جملة ما كتبه لي بخطه ، وَأَلَمَعَنِيهِ بنقطه ، وأبرزه لي من مِمْطِهِ ،
قصيدةٌ يمدح بها الأجلَّ الفاضل أبا علي عبد الرحيم بن علي اليسانى ، ويذكر
مسيرة صحبته للكتابة بين يديه ، وبهنته بعيد الفطر :

١٠
 ١٥
 إن كنتَ ترغبُ أَنْ ترانا فَالْقَنَا يَوْمَ الهَيَاجِ إِذَا تَشَاجَرَتِ الْفَنَا
 تَلَقَى الْأُلَى يُجَنِّبُهُمْ ثَمَرُ الْعَلَا قُضِبُ يَلْذُ بِهَا الْجَنَى مِمَّنْ جَنَى
 لَا يَشْرَبُونَ سِوَى الدَّمَاءِ مُدَامَةً إِذْ^(١) يَنْشَقُونَ مِنَ الْأَسْنَةِ سَوْسَنَا
 وَإِذَا الْحَسَامُ بِمَعْرِكٍ غَنَّى لَهُمْ خَلَعُوا نَفُوسَهُمْ عَلَى ذَاكَ الْفَنَا
 مَتَوَرِّعِينَ فَإِنْ بَدَتْ شَمْسُ الضَّحَى جَعَلُوا الْعَجَاجَ لَهَا رِءَاءَ أَذْكَنَا
 يَشْكُو النَّهَارُ خَيُولَهُمْ مِنْ نَقْعِهَا وَاللَّيْلُ يَشْكُو مِنْ وَجْهِهِمْ السَّنَا
 وَيَكَادُ يُعَدِّي الْقِرْنَ شَدَّةً بِأَسْهَمٍ فَيَكَادُ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْ لَا يَجْبُنَا
 وَإِذَا رَأَى الْخَطِيئَ حُدَّةً عَزَمِهِمْ نَكَرَ الْقَنَاءَ وَكَادَ أَنْ لَا يَطْعَنَا
 إِنِّي وَإِنْ أَصْبَحْتُ مِنْهُمْ إِنْهُمْ لَيُرُونَ لِي خُلُقًا أَرْقَ وَأَلْيَنَا
 أَهْوَى الْغَزَالَةَ وَالْغَزَالَ وَرَبَّمَا نَهْنَهُتُ نَفْسِي عَقَّةً وَتَدِينَا
 وَأَهْمُ ثُمَّ أَخَافُ عَقْبِي مَعْشَرِي أَخْنِي عَلَيْهِمْ سَوْءَ عَاقِبَةِ الْخَلَا
 وَلَقَدْ كَفَفْتُ عَنَانَ عَيْنِي جَاهِدًا حَتَّى إِذَا أُعِيتُ^(٢) أَطْلَقْتُ الْعِنَا^(٣)
 فَجَرْتُ وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ عِبْرَةً أَبْقَتْ عَلَى الْخَلْدِينَ وَمِمَّا بَيْنَا

(١) هكذا في ت وج وفي الأصل : إن .

(٢) في ج : أعنت .

(٣) يريد أطلقت العنان لخذف النون للغافية واكتفى بدلالة البيت ويسمى هذا في البلاغة
اكفاء ، وكانت ابن سناء الملك كثيراً ما يصنعه . انظر خزنة الأدب للحموى (طبع بولان
سنة ١٢٩١ هـ) ص ١٥٨ .

[٤٢ ط]

- يا جَوَزَ هذا الحبُّ في أحكامه
وأظنُّه قصد الجناسَ لأنه
يا قاتِلَ الله الغـوانى ما لنا
ومليحةٍ بخلت فكانت حُجَّةً
كالبلدر إلا أنها لا تُجَتَّلَى
ضنَّتْ بطرفٍ ظلٌّ يُعِدُّ سَقْمُهُ
قالتْ مُعَيَّرٌ من يكون مُبْخَلًا
وإذا تشكَّى القلبُ إِسْرَاعَ النوى
وإذا بكت عيني تقولُ تبسمُ
يا عاذلين جهلتمُ فضلَ الهوى
إني رأيتُ الشمسَ ثم رأيتها
وسألتُ من أَىِّ المَعادِنِ تُفَرِّها
أبصرتُ جوهرَ ثمرها وكلامه
ذاك الكلامُ من الكمالِ بمنزِلِ
يدنو من الأفهامِ إلا أنها
ويسير وهو لحفظها مستوطنٌ
والجيدُ أحسنُ ما يكون لُـمُـسِّجٌ^(٢)
وإذا حواه الطرسُ فَتَحَ أعينا
فالطرسُ ساحهٌ فضيةٌ وسطورهُ
لَّهُ من عبـد الرحيمِ رِاعةٌ
- خَدُّ يُحَدُّ ولحظُ طَرْفٍ قد زنا
طرفُ زنا لما رأى طَرْفًا رنا
عنهم غَنَى بل كم لنا عنهم غنى
للإخالاتِ وقلن هـذى عُذْرُنا
والنصنِ إلا أنها لا تُجَتَّلَى
أرأيتُم من ضنَّ حتى بالضنا
فعلامُ أسـمـوه البخیلِ بـودنا
ظَلَّتْ تشكَّى منه إفراطُ النوى
إنَّ الدموعَ لها ثغورٌ عندنا
فمذلّمٌ فيه ولكفى أنا^(١)
ماذا على إذا عشقتُ الأحسنا
فَوَجَدْتُ من عبد الرحيمِ المعدنا
فعلمتُ حقًا أنَّ هذا من هنا
لا يدركُ الساعى إليه سوى العنا
تلقاه أبعدَ ما يكون إذا دنا
فاجبُ لذلك سائرًا مستوطنًا
أنحى بجوهره النفيسِ مُزِينًا
من زهره تُضَيُّ إليه الأعينا
مِسْكٌ تُفَرِّعُهُ اليراعةُ أغصنا
تَذَرُّ الحسامَ من القلولِ مُؤَنِّنا^(٣)

(١) مثال آخر للاكتفاء .

(٢) المسمج : التنى .

(٣) مؤننا : من الأئین وفي ج : مؤننا .

فلسانه قد صار لولا شكرُهُ
وكتابه للُك منه كتيبة
هو سورة حيث السطورُ بروجه
ولقد علا بأبي عليَّ جدُّ من
يدعوه حين يُخيفهُ إقتارُهُ
إنَّ يأنه يلقى النزيل مُعزَّزاً
والوجه أبلج والفناء موسِّعاً
أغنى وأغنى قاصديه فكلمهم
تنتى القلوب على نداءه وربما
كم عاثر في الجود قال له اتَّذُ
يفديه من تلقاه قاصد رفده
أصبحتُ في مدح الأجلِّ موحِّداً
وغدوتُ في حبي له متشيعاً
ورأيتُ صحبته نعيمًا عاجلاً
وأرادني فظننتُ غيري قصده
يا ليت قوى يعلمون بأنتي
أوليتُ حسادي بما أوليتني
فلأتُ كفي منك جوداً فائضاً
أنسيَّتني أهلي على كلِّني بهم
وعلمتُ من سفرى بأني لم أزلُ

لجمل نعمتها لساناً أَلَكنا
تدع المـدوَّ مُحيراً ومُجَبِّنا
فلذاك صار مُحصَّناً ومحسناً
جعل الرجاء إليه أنفَسَ مُقتنى
فإذا دعا كان النوالُ مؤمَّناً
ويصادفُ الذهبَ النصارَ مُهَوَّناً
والعزَّ أنفَسَ والعلاءُ ممكناً
يُننى ولا يُثنى عِناً للثنا
ركبَ التفاقُ مع الثناء الألسنا
لا تَلَحَّنَا^(١) فيه لثلاً تَلَحَّنَا
مُتَوَلِّينَا في رِفْدِهِ مُتَمَلِّونَا
ولكم أتتني من أياديه مُننى^(٢)
من ذا رأى متشيعاً مُتَسَنَّأ^(٣)
فرايتُ بذلَّ النفس فيه هينا
فوجدتُ دهرى مذعناني مُذْعِنَا
أدركتُ من كنيك نادرةً للمنى
علموا يقيناً أنَّ أيسره النفى
وملأتُ سمى منك قولاً لينا
وذكرتُ أنى قد نسيْتُ الموطنا
متغرباً لما لزمتُ المسكنا

(١) تلحنا : من لماه أى عذله ولامه .

(٢) منى : منى ثناء وقصر للفاية ، وثناء أى انتئين انتئين .

(٣) متسنا : من السنة ، وأهل السنة يقابلون الشيعة .

كم والله يبكي على ويشتكى^(١) وإذا [رأى]^(٢) أترى بكى فكأنه
ويظن دهرى قد أساء ولو درى
لا زال رأيك لى يزيدك ضنة
وهناك عيد أنت عيد عند
وبقيت ما بقى البقاء فإن دنا
وقال عمدته :

أبى^(٤) أن يسر العاشقين^(٥) إياب
وما العشق إلا موت جسم إذا دعا
ومن صح من داء الصبابة قلبه
رعى الله قومًا روعوا بفراقهم
تضاعف ضعفى حين شدت قبائهم
عبرنا فكم من عبرة فى ديارهم
ومنها :

وغانية لم تعد عشرين حبة
[٤٣ و] / عليك زكاة فاجعلها وصالنا
أقول لها قولاً لديه ثواب^(٨) ٩٠
لأنك^(٩) فى العشرين وهى نصاب
وما أرى إلا قبول وقبلة

(١) مكنا فى ت وفى الأصل : تشكى .
(٢) للنحنى : منزعج الوادى .
(٣) فى ت وج : السارين .
(٤) فى الأصل : ومن .
(٥) فى ج : فسررك .
(٦) فى ت وج : عسى .
(٧) فى ت وج : العاذلين .
(٨) فى ت وج : صواب .

ومنها :

تذكرت دهرًا ليس ينسيه لَذَّةٌ
وحجى إلى حانوتٍ راحٍ وحانةٍ
وإفراطٍ حى للعجز التي غدت
تُعيدُ شبابَ العقل ضعفًا وكبرةً .
ومن عجبٍ أَنَا نصيرُ بشرها
إذا قتلوها بالمزاج تبسمت
ويعرج منها للكبير شبابُ
كشاربها يرتاحُ وهو مُصابُ
شياطينَ تردى^(١) الناس وهي شهاب

ومنها في المدح :

ففى أشرقت منه خصالٌ شريفةٌ
وقد صادق الإنجازَ منه مواعدُ
على ماله منه عذابٌ أصارهُ
أيادٍ له يبيضُ حسانٌ سخت بها
مواهبُهُ عَتَقُ النفوسِ أَقْلَهَا
وَأَرَاوَهُ تَتَنَّى النصولَ بفيضها
كما أَغْرَبَتْ فى الفضل منه رِغَابُ
كما جَانَبَ الإخلافَ منه جَنَابُ
مواردَ جُودِ كُلِّهِنَّ عَذَابُ
يَدٌ لَمْ يَشُبْهَا فى العطاءِ حَسَابُ
إذا صَافَحَتْ بِيضَ الصَفاحِ رِقَابُ
إذا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الدماءُ خَضَابُ

ومنها فى كتابته وكتبه :

تَجَدُّ معانيها الرقابَ فقد غدا
وَقَالَ يمدحه^(٣) :
يُخَيِّلُ لِي أَنَّ الكُتَابَ قِرَابُ^(٢)

لقد عَيَّتْ أَيْدَى النوى بالنواهد^(٤) وقد عَبَّتْ كَفُّ البلى بالمعاهد

(١) فى ت : تؤذى . (٢) القراب : التمد .

(٣) هذه القصيدة ليست فى نسخ الديوان لأمى ولا اختارات منها .

(٤) النواهد : جمع ناهد وهى الكتاب الثابتة .

وقد صادرتني في البدور يدُ الشرى
وكم ليلَةٍ قد سرني الدهرُ منهمُ
بكل فتاةٍ تتركُ العقلَ شاردًا
ومحمودةٍ المقدِّ المعانقَ جيدهُ
نتيهُ بفرجٍ فوق خَذٍ مورِدٍ
ومن صونها عن كل راء ولا مسٍ
وقد أشبهتها [الشمس] ^(٢) حتى خيالها
سلِّ القلبَ هل مرَّ السلوُ بباله
يقرَّ بما قد قرَّ فيه من الأسي
فبعذك ما أبصرتُ دمعِي راقنًا
ولما هجرت الكُحلَ قلتُ أَمِنْ غَيِّ
ومنها :

لأنِّي أحكيها نحولاً وصفرةً
بعينيك لا تستعجل البين والنوى
ولا بد لي أن أترك الممَّ آخذًا
وتتركُ منها زاهيًا كلَّ زاهِدٍ
ومنها في صفة الحُرِّ :

ترى أبدًا منها الأباريقَ سَجْدًا
يطوفُ بها حلوُ المرافِقِ أوْطَفَ ^(٤)
فشرابُها أُنْحَوَّأ بها في مساجد
دَمَّتْ مقلَّته كلَّ قلبٍ بقاصد

(١) الوارد : الشعر الطويل للترسل ، وكذلك الفرع .

(٢) ساطعة في الأصل . (٣) الفراق : التجوُّم التي يهتدى بها .

(٤) الأوطف : كثير شعر الحاجبين والعينين .

ولم يُبَيِّقْ وَجْهًا وَجْهَهُ غَيْرَ سَاهِمٍ ولم يُبَيِّقْ طَرْفًا طَرْفَهُ غَيْرَ سَاهِدٍ
 يَضُنُّ بَبْرَدٍ مِنْ وَصَالٍ وَقَدْ بَدَا عَذَارَاهُ فِي خَدَيْهِ مِثْلَ اللَّبَّارِدِ
 لَهُ الْحَسَنُ عَبْدٌ لَا يَخَالِفُ أَمْرَهُ وَلِلْفَاضِلِ الْحَمُودُ حُرٌّ الْحَامِدِ
 غَدَا مُسْتَقِلًّا بِالرِّيَاسَةِ وَالْعُلَا وَمُسْتَكْرًا مِنْ مُتَعَبَاتِ الْحَوَاسِدِ
 وَمُسْتَحْدًا مِنْ بَذْلِهِ كُلِّ مَادِحٍ وَمُسْتَمْدَحًا مِنْ فَضْلِهِ كُلِّ حَامِدٍ

ومنها :

وَقَدْ فَاقَ مِنْ تَوْفِيقِهِ كُلِّ سَائِسٍ كَمَا سَادَ مِنْ تَسْدِيدِهِ كُلِّ سَائِدٍ
 أَقْلُ الْوَرَى مَنَّا عَلَى بَذْلِ مَنَّةٍ وَأَكْثَرُ مَا تَلْقَاهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ
 عَلَا ابْنُ عَلِيٍّ فَوْقَ كُلِّ مُطَاوِلٍ يَطِيبُ السَّجَايَا بَعْدَ طَيْبِ الْحَامِدِ
 وَفَضَّلَ حِبَاهُ اللَّهُ مِنْهُ بِمَعْجَزٍ تَرَى أَبْدًا يَرْوِيهِ كُلُّ مَعَانِدٍ
 وَجَدَّ بِمَا يَهْوَاهُ خَيْرَ مُسَاعِفٍ وَسَعِدَ لَمَّا يَبِغِيهِ خَيْرَ مُسَاعِدٍ
 فَيَا حَسْبِيهِ غِيظُكُمْ غَيْرُ نَافِذٍ [وَيَا حَامِدِيهِ جُودُهُ غَيْرُ نَاقِذٍ] ^(١)
 وَيَا عَاذِلِيهِ فِي النَّدَى إِنْ عَذَلَكُمْ كِبَهْرَجٍ ^(٢) نَقْدٍ زَافٍ فِي عَيْنِ نَاقِدٍ

ومنها :

إِذَا كَذَبْتَ آرَاهُ قَوْمُ فَرَايُهُ عَلَى مَشْكَلَاتِ الْغَيْبِ أَصْدَقُ رَائِدٍ
 وَإِنْ كَتَبْتَ أَقْلَامُهُ أَقْصَدَ الْعَدَى سِهَامِ الْمَنَايَا مِنْ سِهَامِ الْأَسَاوِدِ
 فَجُمِي سَمَاءَ الْمَلِكِ مِنْهَا ثَوَاقِبُ بِكُلِّ شِهَابٍ وَارِدٍ نَحْوِ مَارِدٍ
 فَيَا مُشْتَرِي وَدِّ الْقُلُوبِ وَجَبَّهَا رَوَيْدُكَ قَدْ أَشَقَقْتَ نَجْمَ عَطَارِدِ
 كَانَ الْعَدَى عَيْنٌ وَكُتِبَكَ عُودَةٌ / وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ صَرْفِهِمُ بِالْمَرَاوِدِ [٤٣ ط]

(١) بيان في الأصل ووضعنا الشطر ملائما للسياق .

(٢) بهرج : زائف .

ومنها في توديعه :

أيا راحلاً والدمعُ بى غير واقفٍ ويا سائرًا والوجدُ بى غيرُ قاعد
يعزُّ على ظهائِ ملتهبِ الحشا فراقُ فراتٍ منك عذبِ الموارد
تسيرُ فكم بالكِ بأجفانِ والهِ عليك وكم بالكِ بأجفانِ والد
أودعُ منك العيشَ عيشَ شيبتي وأقطعُ منى العمرَ عمرَ قصائدي ه
وأهجرُ إن فارقتنى كلَّ لذة وأعربُ من وجدى على كلِّ واجد
فقصَّرَ ربى عُمرَ ما قد نوى النوى ومن لى بتقريبِ النوى للتباعد

وقال يمدحه من قصيدة^(١) مضى عنه أولها :

ليالٍ عيونُ الدهرِ عنها نواعسُ تنعَّتُ فيها من حسانِ نواعمِ
وعاقتُ فيها بدرهاً فى معاجرٍ^(٢) على إثرٍ من عاقتُهُ فى عمائمِ ١٠
وبردتُ فيها لوعتى من مراشفٍ فما زلتُ أستشفى بلممِ اللباسِ

ومنها :

ولما بدا جيدٌ لها ومعاصمُ رأيتُ حبالَ الصبرِ غيرَ عواصمِ
وعاوتها عيناى فى سفكٍ مهجتي فن ذا أسمى عاذلاً غيرَ ظالمِ
وهدَّ هواها من نهائٍ معاقلاً وعهدى بها لا ترتقى بالسلامِ ١٥
وبعتُ فؤاداً واشتريتُ مذلةً وأزبحتُ على أتنى غيرُ حازمِ

ومنها فى المديح :

من الوارثينَ الجَدَّ لا عنْ كلالَةٍ إذا ما ادَّعاهُ أدعياهُ الأعاجمِ

(١) هذه القصيدة ليست موجودة فى نسختي الديوان .

(٢) المعاجر : جمع معجر ثوب للرأء .

ترى ما لَه من بذله في مكارِه
وتلقاهُ مسروراً بجمع المكارم
إذا أُوجِّعت قلب امرئ كفتُ حارم
رأى من عطايا كفه قلبَ راحم
غرامٌ قديمٌ فيه بالجودِ والندى
إذا أثقل الأعناقَ حملُ المغارم
ومنها في صفة كتابته :

• ويطربُ حُسنًا من غدا فيه حقه
وقد بَطرب الحزونَ نوحُ الحائم
ومنها في تهنته بالصوم :

تَهَنَّ بهذا الصومِ ياخيرَ صائرٍ
إلى كلِّ ما يهوى وياخيرَ صائمٍ
ومن صام عن كل الفواحشِ عمره
فأهونُ شيء هجره للمطاعم
ومنها :

١٠ ولولا نذاكَ الغمرُ لم أكُ شاعرًا
وقد يشكر الأنيارَ صوتُ العُلاجِمِ^(١)
ولا عجبا أن صرتُ في خيرِ نائرٍ
لدرِّ كلامٍ رائقٍ غيرِ ناظمٍ

وقال يمدح أباه ويودعه عند مسيره مع الأجلِّ الفاضل إلى الشام :

١٥ أناخَ بها البارقُ للمطرُ
ومرَّ النسيمُ بها يخطرُ
وأحيا مسيح^(٢) الحيا نشرها
فأصبحَ مَيَّتها يُنشرُ
وأضرمَتِ النارُ من فوقها
ققاح لها الندُّ والعنبر
ونبَّهَ فيها صهيلُ الرعودِ
لواظظ ما خلَّتْها تسهر
وطاشَ النباتُ فهل راقه
ليركبهُ ذاكَ الأشقر
وما حملتُ منةً للسحابِ
إلا ومنَّها أكبرُ

(١) العلاجيم : جمع علجوم وهو الشفيع .

(٢) مسيح : يريد المسيح عيسى على التشبيه وفي ت : صبيح .

- متى جاء من جميعه زائرٌ تلقاه من زهرها تحجّرُ
ولو حلّ في رعدله خاطبُ لوافاه^(١) من مَرّوها منبر
فكم مقلّة ثم مغضوضه وكم وجنة بالحيا تقطر
وكم من غدير غدا صفوه بأسرارِ حصانه يُخبّر
وكم قد نهاه هبوبُ الرياح فظلّ بتجميعه يستر
وكم فيه للقطر من خوذة تدلّ على أنه مِغفر
فياروضة الحسن إني شغلتُ بروضة حسنٍ لمن^(٢) ينظر
وياخضر اللون قد ضاع فيك - كماضعت - شاربك الأخضر
أنا لا أئينُ لفرطِ السقام وذاك لكونك لا تظهر
تأطر^(٣) والرمحُ في كفه فلم ندر أيهما الأسمر
ومرّ النزال على إثره فلم ندر أيهما الجؤذر
وألبس خاتمهُ خصره فقد صحّ من خصره الخنصر
ولما تعمّم قام الدليلُ على نقص من زيتها المفعّر
وحسبك أنّ لها معجراً وأسعد منه له مئزر
وقد غار منه على أنبي وقد غري من قبله أغبر^(٤)
فيا معداً دُرّه سالمٌ ويا روضة وردّها أحر
ويا من بفيه لنا سُكّر ولكنه سُكّر يُسكّر
تحمل جَهراً^(٥) عقود^(٥) الرجال فمن أجله حرّم المُسكّر
أصومُ عن الوصل دهرى وقد رأيتُ الهلال ولا أقطر
وأنت الهلالُ وأنت الهلاكُ بقتلي تُفتي ولا تفتّر^(٦)

(١) هكنا في ت وج وفي الأصل : لوافه .

(٢) هكنا في ت وج وفي الأصل : لم . (٣) تأطر : تفتي .

(٤) هكنا في ت وفي الأصل : خراً . (٥) في ت : العقول .

/ومنها:

[٤٤و]

وَأَعْجَبُ مِنْ كُلِّ مَا فَد جَرَى
وَهَذَا الْقَضِيَّةُ مَعَكُوسَةٌ
فَوَاصِلَتَهَا فِي (٣) كَوْزُوسَ ظَنَنْتُ
وَأَحْرَقْتُ مِنْهَا ظِلَامَ الدَّجَى
وَبَاتَ نَدِيمِي لِأَلِيلِهِ
وَقَامَ لِلْمُؤَدَّنِ يَنْعَى الظَّلَامَ
وَحُطَّ لَدَيْ (٤) قَنَاعُ الصَّبَاحِ
فَلَا يَعْجَبُ الصَّبْحُ مِنْ نَوْرِهِ
وَإِخْبَارُ سُودَدِهِ مِنْ سَنَاهِ
هُوَ السَّيِّدُ الْمَشْتَرَى لِلثَّنَاءِ
وَمَا نَحْجُ مِنْ جَاءِ يَمْتَارُهُ
وَيَفْتَرُ (٥) مَذَاحُهُ مِنْ لَهَاهِ
وَرَاحَتُهُ قَبْلَةُ الْآمِلِينَ
فَلِلْجُودِ بَاطِنُهَا مَشْرِعٌ
فَإِنْ شِئْتَ قُلْ إِنَّهُ جَنَّةُ النَّعِيمِ
وَتَقْصُرُ إِنْ سَابَقَتْهُ الرِّيحُ
وَيُنْسِي الرِّشِيدُ (٦) لَذَكَرَ الرِّشِيدِ
(٧) وَيُحْتَرُ - مِنْ جَعْفَرٍ - جَعْفَرُ (٨)

٥

١٠

١٥

(١) اللعصر : الشابة رامت العشرين .
(٢) هكذا في ت وفي الأصل : أى .
(٣) هكذا في ت وفي الأصل : من .
(٤) هكذا في ت وفي الأصل : وجهه .
(٥) يفت : ينتفى ، واللهأ : الطأأا .
(٦) يفت : ينتفى ، واللهأ : الطأأا .
(٧) يريد جعفر بن يحيى البرمكي .
(٨) هكذا في ت وفي الأصل : أى .
(٩) هكذا في ت وفي الأصل : من .
(١٠) هكذا في ت وفي الأصل : وجهه .
(١١) يفت : ينتفى ، واللهأ : الطأأا .
(١٢) يريد جعفر بن يحيى البرمكي .

وكيف يُسْمُونَهُ جَنْفَرًا^(١) ومن فيض راحته أبحر
 وكيف يلومون حسَّاده وقد حسدت عصره الأعصر
 من القوم لا رَفْذَهُمُ للعفا ةِ يُحْصَى ولا تَجِدُهُمُ يُحْصَرُ
 فَرَفْذُهُمُ مِنْهُمْ مُرْبِحٌ ووفرهم بهم مُخْسِرٌ
 بدورٌ إذا انتسبوا للأنام فزهرُ النجوم لها مَعْشَرٌ
 ولا مثل هذا الرئيس الذي له مَفْخَرٌ ماله مَفْخَرٌ^(٢)

ومنها :

وتوردُ في مَنَهلِ الكرماتِ وتصدُرُ عن أمل يصدر
 فِداهُ من السوء حسَّادهُ جميعًا على أَنَّهُم أَحَقُّرُ
 فكَم قَدَّرُوا الوضْعَ من قدره وتَأبَى للقَادِرُ ما قَدَّرُوا
 وكَم آثَرُوا ظَمَّ عَلَيْهِانِهِ فما ثلَّسوها ولا أَثَرُوا
 يَحْلِقُ نحو سماء المَلا وهم قبل تَحْلِيْقِهِ قَصْرُوا
 فَلَهُ مِنْهُ فَتَى عَزَمَةِ [تَجِبُ اللَّيَالِي بِمَا يَقْدُرُ^(٣)]
 ونَظَامٌ مَجْدٍ يُرَى نَفِيَهُ لأَعْرَاضِهِ أَنَّهُ الجَوهَرُ
 وعدلٌ فَعَلِ يَقولُ الزَمانُ لإِجْبارِهِ إِنَّهُ مُجْبِرٌ^(٤)
 ومَجْرُ عِلْمٍ يُرَى مَوْجُهُ يُعَبِّرُ عَنْهُ ولا يُعَبِّرُ

(١) الجعفر : التهر . (٢) الشطر في ت هكذا : على كل نثر له مَفْخَر .

(٣) في الأصل يابض ، والبيت غير موجود في نسختي الديوان ، ووضعنا الشطر ملائمة للسياق .

(٤) يقول إنه يأتي عمله عن حرية وإرادة ، فكأنه ممن يؤمنون بأن الإنسان يخلق أفعاله ، وهم المعتزلة القائلون بفكرة العدل ، وفي الوقت نفسه يجبر الزمان على ما يريد ، فكأنه من أهل الجبر الذين يقولون بأن كل شيء يقع بقضاء وقدر ، وهي مشكلة أو طباق بين عدل وجبر .

لك الله ماذا عسى أن يقولَ
 فقد صرتُ أشعرُ إن رمتُ نظمَ
 وإني عزمْتُ على سفرةٍ
 وأحييتُ خدمةَ مَنْ دهرُنا
 وآثرتُ صحبةَ مولى الأنامِ ٥
 ستغبطني فيه شمسُ الضحى
 وأصبحُ لا عيشتي عنده
 وأبصرُ دهرى من ذنبه
 أودعُ منك الحيا والحياةَ
 وأرحلُ عنك ولى خاطرُ ١٠
 ومن كان مثلى سعى في البلاد
 وما طلبي غير نيل العلا
 فلا تنسى من مجاب دعا
 لسانى وماذا عسى يذكر
 مديحك أنى لأشعر
 أرى وجهه إقبالها يسفر
 لأغراضه خادمٌ أصغر
 لأبلغ منه الذى أُوِّرُ
 ويحسنى القمر النسيْرُ
 تدمُّ ولا ذمتي تُخفّر
 يتوبُ إلَيَّ ويستغفر
 وأودعُ قلبى لظى يسعر
 بتذكر غيرك لا يخطر
 فيكسى من العز أو يكسر
 ومثلى على مثلها يعذر
 فإني وليدك يا جعفر

وقال وقد اقترح عليه أن يذم الخال :

يا من غدت تختال في خالها ١٥
 كأنما خذك فاحةٌ
 وخالها يقضى بتهجينها
 وخالها نقطة تعيينها^(١)
 وقال فيه :

لا تجرِ دمعًا على سعادٍ
 زهتْ على قومها بخالٍ ٢٠
 فإن هجرانها سعادَةٌ
 أكسبها منهم زهادَةٌ
 وبغضتُ للظريف عاده
 وما درت أن كلَّ خالٍ

(١) الصين : أن يكون في الجلد هوب أو دوائر رقيقة كالعين .

[٤٤ ظ] إني لأختصه بمَقَّتِي / لما تَخَيَّلْتُهُ قُرَادَه^(١)

وقال في قواد^(٢) :

لى صاحب أفديه من صاحبِ حلوَ التَّائِي حَسَنِ الإِحْتِيَالِ
لو شاء من رَقَةٍ أَلْفَاظِهِ أَلَّتْ مَا بَيْنَ الْهَدْيِ وَالضَّلَالِ
يكفيك منه أنه رُبَّمَا قَادَ إِلَى الْمَهْجُورِ طَيْفَ الْخِيَالِ هـ

وقال :

وَعَادَةٍ عِنْدَهَا وَعَادَه^(٣) صَارَتْ لَهَا سُنَّةٌ وَعَادَه
إِنْ هَامَ بِهَا جُنُونًا جَعَلَتْ سَافَاتِهَا قِلَادَه

وقال يهجو :

وشاعرٍ كَاتِبٍ أَدِيبٍ مَنْظَمٍ الْعَقْدِ^(٤) وَالْقِيَاسِ ١٠
قَلْتُ لَهُ وَالْفُضُولُ دَلَالٌ وَهُوَ كَمَا قِيلَ كَالْعُطَاسِ
لَمْ صِرْتُ تَبْغِي وَصِرْتُ تَبْغُو^(٥) قَالَ مِنْ الْعَشْقِ لِلْجِنَاسِ^(٦)

وقال :

لَأَصْرِفُ الْوَجْهَ عَنْ إِنْسَانٍ غَانِيَةٍ وَلَسْتُ أَصْرِفُ عَنْهَا وَجْهَ إِنْسَانِي
وَلَا أُرِيدُ لِقَوَادٍ مُسَاعَدَةً إِنْ الشَّيْبَةَ مِنْ أَعْيَانٍ أَعَوَانِي ١٥

(١) القردة : حشرة صغيرة .

(٢) ذكر الحموى في خزنة الأدب هذه الأبيات في باب ذكر الهجو في معرض اللدح .

(٣) وغادة : من وغد أى صار وغداً لثيا .

(٤) فى ت : العقل . (٥) تبغو : من البغاء .

(٦) فى ت : فى القياس .

وقال موشحاً يمدح به أباه :

أَحْمَلُ يَاقُوتَ الشَّفَقِ دُرُّ الدَّرَارِ
وساح في أَفْقِ النَّسَقِ نَهْرُ النَّهَارِ
وفتَّ كَافُورُ الصَّبَاحِ مَسَكَ السَّمَاءِ
وفلاح من نَشْرِ الْأَفْخِ نَشْرُ الْكِبَاءِ^(١)
وهبَّ [من] جِسمِ الرِّيحِ مِثْلُ الهَبَاءِ
ولاح من زَهْرِ البَطَاحِ نَدُّ الهَوَاءِ
وسار في بَدْرِ الْأَفْقِ سِرُّ السَّرَارِ^(٢)
وقد وقى الشَّمْسَ الْفَرَقِ مِنْهُ سَمَارِ^(٣)

فَاتَرَكَ لِعِيدَانِ الطَّلُوقِ تَنَدُّبُ مَيَّا
وَأَشْرَبَ عَلَى رَغَمِ الْعَذُولِ مِنْ الْحَمِيَّا
وَانْتَزَعَ عَلَى أَفْقِ الشُّمُولِ عِقْدَ الثَّرِيَّا
وَقَلَ لِسَاقِيكَ الْعَجُولِ بِاللَّهِ هَيَّا

أَمَّا تَرَى نَوْرَ الْفَلَقِ شَيْبَ بَنَارِ
لَعَلَّهُ قَدْ اسْتَرَقَ شَمْسَ الْعَمَارِ

لَا شَمْسَ إِلَّا مِنْ مَدَامَ ذَاتِ وَقُودِ
تَجْلُو بِتَمْزِيْقِ الظَّلَامِ وَجَهَ الرِّشِيدِ

(١) الكباء : عود الخيزر .

(٢) السرار : آخر ليلة من الشهر .

(٣) السمارى : جمع سمارة وهى النظملة .

نفسُ العلاء معنى الأنام سرُّ الوجود
وهو إذا عُددَ الأنام يبتُّ القصيدُ

تَخَلَّفُوا وقد سَبَقَ إلى الفَخَّارِ
فليس فيهم من لَحِقَ غيرَ الغبارِ

أغنى وأقنى ^(١) باللهي وما تَمَسَّرُ
وقاده فضلُ الثَّني فَا تَعَزَّرُ
ورام أعلى ما اشْتَهَى فَا تَعَذَّرُ
وحاز مقدارَ الشُّهَّا فَا تَكَبَّرُ

فَجَلَّ رَبُّ قَدْ خَلَقَ بالِاقْتِدَارِ
هَذِي للمَعَالِي من عَلَقَ بلا تَمَارِ

عمرى ببقياه شَبَابُ والعيشُ صَافِي
وليس لى فيه شرَابُ غيرُ السُّلَافِ
وكعبتي خَوْدٌ كَعَبْتُ لَهَا طَوَافِي
قالت برغم الاجتنابِ والأَنحِرَافِ

حَيِّ يَا حَبِيبِي واسْتَبَقْ وَأُحْلِلْ إِزَارِي
فَإِنْ زَوْجِي مَا غَلَقَ ذَا الْيَوْمِ دَارِي

وقال موشعاً يرى أمه :

يَا مَا عَرَا قَلْبِي وما دَهَاةُ
لَمَّا نَهَاةُ الْوَجْدِ مَعَ مَنْ نَهَاةُ

(١) أقنى : أغنى .

ما زال لى مـذ دهانى الزمان
أُنسُ شجاعٌ واصطبارٌ جَبانُ
وعَـبْرَةُ خالِعةٌ للعِـنانُ
لا تقبلُ الصونَ وترضى المـهوانُ

• وناظرى قد غاب عنه كراهُ ترى سَراه
أو يُفْسِحُ الدهرُ له فى شِراهُ

صبرًا جميلًا أين صبرٌ جميلُ
ذاك سبيلٌ ما إليه سبيلُ
وقتى قصيرٌ وحديثى طويلُ
حسبك مَنْ راحتهُ فى العويلُ ١٠

وَجُلٌّ ما يبغيه لُقْيَا الوفاةِ وهى شِفاةُ
تَبْرِى خطوبًا خاطبتهُ شِفاةُ

حزنى على أُحَى حزنٌ شديدُ
تَبَلَّى الليالى وهو غَضٌّ جديدُ
قفلُ لنارِ القلبِ هل مِنْ مزِيدُ ١٥
وقل لصرْفِ الدهرِ هل من يَحِيدُ

غلطتُ دَعْ دهرى وما قد نواهُ فهل عساهُ
يأتى إلّا دونَ ما قد أُنَاهُ

لهفى على من شطَّ منها المزار
وأظلمت من بعدها كلُّ دار
وصار للمقدار فيها الخيَّار
وقد بكى الليلُ لها والنهار

هذا لفقد العُرفِ ما قد شجاه وللصلاه
هذا أطال الوجدُ فيها بكاه

يا ليتنى ساقبها للمات
ولا أرى نفسى بشر الصفات
منزَع الصبرِ عديم الثبات
فكم ثكالى قلن مستعجلات

هذا للمسيكين ما بقى لهُ حياة هَدَّ قواه
واهاً عليه ثم واهاً وواه

وقال يذكر ليلة وصال :

ظبيٌ بمسماء^(١) حالى الجيدِ بالعطلِ لكنه قد جَلَّاهُ الحسنُ فى حُلِّ
موشحاتٌ ولكن من ذوائبه لما رآه مُحشَى الطرفِ بالكحلِ
أتى إلىَّ وأهدى^(٢) خدَّه لعمى فقتتُ أَقْطَفُ منه وردةَ النجلِ
والليلُ قد مَدَّ سِتْرًا من سحائبه لما تَحَيَّلَ أنَ الزَّهرِ^(٣) كالقَلِ
فنا ولا خطرٌ إلا إلى خَطَرٍ دانٍ ولا خطوةٌ إلا إلى أَجلِ

(١) حسماء : هى حسمى ، وسبق التعريف بها .

(٢) فى ت : وأهوى . (٣) فى ت : السحب .

والعينُ تسحبُ ذيلًا من مدامخها
أُكَلِّفُ النفسَ معَ على بعزتها
لكنني بالمواضي غيرُ مكترثٍ
/ وكاد يهلك لولا الصبرُ من فرقي
حتى أتينا إلى ميعادِ مُأمنةٍ
أواصلُ اللَّثمَ من فرجٍ إلى قدمٍ
وجَبَّيْتُ^(١) الشوقَ ثوبًا من معانقةٍ
وبات يُسمَعُ من لفظٍ منطقهِ
وددتُ أعضاىَ أسماعاً لتسمعهُ
وجمعةُ الدَّلِّ يُجرِيها على جسدى
ونلتُ ما نلتُ مما لا أهُمُّ به
ومرَّ واللَّيلُ قد غارت كواكبهُ
لم أَسْحَبِ الذَّيلَ كي أحمو مواطئهُ
يا لَيْلَةَ قد تولَّتْ وهى قائلةُ
والقلبُ يسحبُ أذيالًا من الوجل
وطنًا على البيضِ أو حَلًّا على الأسَلِ
وبالأسنةِ فيه غيرُ محتفل
وكدت أهلك لولا الحزمُ من جدَلِ [٤٥ و]

يا صاحبي فلو أبصرتما على
وأوصلُ الضمَّ من صدرٍ إلى كفَلِ
منا علينا فلم يَقْصُرْ ولم يطَلِ
أرقَّ من كلِّ فيه ومن غَزَلِ
ولو تحملتُ فيه وطاةَ القَدَلِ
فهل رأيت سقوطَ الطلِّ في الطَلَلِ
ولا ترقَّتْ إليه همةُ الأملِ
لما نوى الصبحُ تطفيلًا على الطفلِ^(٢)
لكنني قتُّ أحمو الخطو بالقبَلِ
لا تظلني^(٣) معَ أَيْمِكَ الأولِ

١٥ وقال عند خروجه من مصر وتوجهه إلى الشام :

لما دعا في الركب داعي الفراقِ
يا دمعُ لم تدعُ سوى مهجتي
فإنَّ تطفَّلتَ بهذا السباقِ ؟
إن كنتَ قد خفت لظي زفرتي
فأنت معذورُ بهذا الإيَّاقِ
وإن تكنَ أسرعَت من جَنَّةِ
إن لها من أنتى ألفَ راقِ

(١) جَبَّيْتُ : جعل للثوب جبيًا وهو فتحه العليا ، وفي ت : وأسبل .

(٢) الطفل : آخر الليل عند المروق أو إلى المروق .

(٣) في ت : لا تظلني .

- مهلاً فما أنت كدمج جرى وراق بل أنت دماء تُراق
 فمت والأجنان في عبّرة^(١) والدمع من مسألتي في شقاق
 أسقى بُزْنَ الحزن روض النوى^(٢) يا قُرب ما أتمر لي بالعناق
 وأسلمَ التوديع شكرى لكى يمدح قلبي بتلاق التراق^(٣)
 وما عناقُ للرء محبوبه إلا بأن يلف ساق ساق .
 لله ذاك اليوم كم مقلّة غزّى وقلبٍ بالجوى ذى أحترق
 ومعشرٍ لا قوا وجوه النوى وهى صفاقٌ بوجوه رفاق
 ووالدٍ بل سيدٍ والله سقاء توديعي كلّنا دهاق
 كأنّ ذاك اليوم كأس له الممّ شربٌ ويدُ البعد ساق
 يقول [لى] ^(٤) [أتمت^(٥) قلبي فلا لقيت من بعدى ما القلب راق ١٠
 أيقنت أن ألبس فى بلدة أخلاق قومٍ ما لهم من خلاق
 هم معشرٌ دق^(٦) ومن أجل ذا أنصحت معانى اللؤم فيهم دفاق
 لما سرت خيلى بهم عنهم أسميت قلبي بعناق العناق^(٧)
 وبدرٍ تيمّم قال لى عاتّباً فلت صبرى يا كثير النفاق
 خدعتنى حتى إذا حزنتى سلّطت بالبين على للحاق ١٠
 قلت بدورُ التم أسرى الشرى^(٨) فارض بآنى لك يا بدر وراق
 وأبقى طليقاً ما نأت داره ودع أسيراً سائراً فى وثاق

(١) هكذا فى ت ، والشطر فى الأصل : فمت والأحزان فى عزة .

(٢) فى ت : اللوى . (٣) التراق : جمع ترقوة .

(٤) زيادة من ت . (٥) هكذا فى ت والأصل : أجمت .

(٦) دق : جمع دقيق وهو القليل الخير .

(٧) عناق العناق : كرائم الخيل النجبية .

(٨) السرى : السير ليلاً ، وأسرى : جمع أسير .

وربما كانت لنا عودة^(١) فإن تكن كان إليك المساق
 مذ صُيِّقَ القلبُ لتوديعهم^(٢) وخرَّ لم يَتلْ ، فله أفاق...^(٣)
 إن كان وجدى غيرَ فاني به^(٤) فإن جسمى بعده غيرُ باق
 والله ما يسوى وإن كبروا يومَ النوى عندى غيرُ^(٥) التلاق
 • وما قال بحجاه^(٦) :

من للغريب هَفَّتْ به الفِكرُ لا العينُ تؤنسُهُ ولا الأثرُ
 لا تلتقي أحفانُ مقلته فكأنما أهدأ به^(١) إِبْرُ
 من طولٍ ما يُرْمَى بِغُرْبَتِهِ^(٢) يبكي البكاء ويسهر السهر
 يا طولَ ليلٍ لا صباحَ له سَحَرُوا الظلامَ فما له سَحَرُ
 ولقد تحلَّ^(٣) عن منزله طيفٌ لطولٍ سُرَّاه مُنْهِرُ
 يأتى إلى لتقع غُلَّتْه ١٠ فيصده مِنْ مَدْمَى نَهْرُ
 وعهدتُ قلبى جِسْرَ مَعْبَرَةٍ لكنَّ ذاكَ الجِسْرَ مُنْكَسِرُ
 مذ نِمْتُ لكن فى كَرَى وَلِمَى خُيِّلْتُ أن خيالَهُ القمَرُ
 يا دهرُ يا من لا حُـوْلَه أَوْ ما علْتَ بأننى بَشْرُ
 لو كنتَ تنطق قلت لِمَ بَطْرًا فجميع ما بك أضلُّه البَطْرُ
 تأتى حِـمَّةٌ وتشتكى كدراً ١٥ أو ما علْتَ بأنها كدَرُ
 وبقيتَ لا أهلٌ ولا ولدٌ فيها ولا وطنٌ ولا وطَرُ
 صه يا زمانُ فإِنِّى رجلٌ لَيْسَتْ تُغَيِّرُ صَبْرَهُ النِّيرُ

(١) هذا من نوع الاكتفاء الذى مر ذكره أى فلما أفاق تلا .

(٢) فى ت ، وج : يوم .

(٣) سماء : بلدة فى شمال الشام .

(٤) هكذا فى ت ، وفى الأصل لإبعادها .

(٥) هكذا فى ت وفى الأصل : بصحبته . (٦) تحلا : طرد ومنع .

ماء الباشاة مله صفحته والقلب فيه النار تستعمر
 ولربما هطلت مدامعة ومواده أن يعرق الحور
 فالحذ مبدان صوالج هذب لها من دمه أكر
 والنبي^(١) قالوا ماله تممر وأنا نبعة والدمع لى ثمر
 ولأز كن الصعب غرته / غرر^(٢) وخطرة عطفه خطر
 [٤٥ ط] إنا وإما وهى واحدة - فيها مراد النفس - ينتظر
 ربح الجنوب أراك ناحلة هل شف جسمك مثلي السفر
 وأراك طيبة معة هل أنت من أحبابنا خبر
 تلك الأحبة روض وديم خضل وماء صفائهم خصر^(٣)

١٠

ومنها :

فارتهم قتايلوا أسفا حتى ظننا أنهم سكروا
 فكأنهم للموعهم شربوا وكأنهم بأنينهم تمسروا^(٤)
 كم فيهم من غص ناظرة لما خلا من شخصي البصر
 ويظن ظنا أن مقلته لولاي لم يخلق لها نظر
 يا ويح طرف بعد فرقتهم لم يجر دمع بل جرى قدر^(٥)
 كم كنت أحر من فراقهم فإذا دهي قدر فلا حذر

(١) النبي : شجر تخذ منه القسي والسهم .

(٢) الغرر : الملاك والتمرض للخطر من غرر بنفسه .

(٣) خصر : بارد ، وخضل : مبلل بالندى .

(٤) يريد بالنعير : صياح السكارى .

(٥) تدل ت وج على أن هذا البيت ملق من بيتين لابن سناء فهما فيها على

هذا النحو .

يا ويح طرف بعد فرقتهم مررت به العبرات والعبر
 صدق الذي قالت بلاغته لم يجر دمع بل جرى قدر

لُفَى عَلَى عَيْشٍ بِنِعْمَتِهِ كَانَتْ ذُنُوبُ الدَّهْرِ تَغْتَفِرُ
وَمِنْ أَزَلٍ بِاللَّهِوِ أَهْلَةٍ تُزْهِى بِهَا الْأَمَالُ وَالْفِكَرُ^(١)
وَمِنْ أَزَلٍ مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهَا يُنْسَى الْحَبُورُ وَتُنْفَرُ الْحَبِيرُ

ومنها:

• تِلْكَ الْغُصُونُ شَعُورُهَا وَرَقٌّ مِتْكَلَّلٌ وَعُقُودُهَا زَهْرٌ
تَحْتَ النُّهُودِ كَأَنَّهَا يَدَرٌ مُرَّرٌ تُفَرِّغُ فِيهِمْ صُرُرٌ^(٢)
أَهَا لَتَعْرِ لَوْ ظَفَرْتُ بِهِ وَكَذَا الثُّغُورُ بِهَا يُرَى الظَّفَرُ
مِنْ شَادِنٍ طَرَفِي لِفَرْقَتِهِ زَنْدٌ^(٣) وَحُمْرٌ مِدَامِي شَرُرٌ
مِتَحَيِّرٌ فِي طَرَفِهِ الْحَوَرُ مِتَبَرِّجٌ فِي وَجْهِهِ الْخَلْفَرُ
لَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْجَفْنِ عَسْكَرُهُ مَا قِيلَ إِنَّ الْجَفْنَ يَنْكَسِرُ
حَقَّتْ مَوَارِدُهُ قَلَائِدُهُ وَيَلَاهُ ذَا حَصِمٍ وَذَا خَصِيرٍ^(٤)
لَمْ أُحْصِ كَمْ عَانَتْ قَامَتُهُ فَتَكَسَّرَتْ مِنْ ضَمَى الدَّرَرِ
أَصْبَرْتُ^(٥) حَتَّى يَوْمَ فَرْقَتِهِ يَا قَلْبُ! وَالتَّحْقِيقُ يَا حَجَرٌ

• وَوَرَدَ إِلَيْهِ الْخَبِيرُ بِوَفَاةِ الْأَسَدِ وَلَدِ الشَّيْخِ الْأَجَلِ السَّيِّدِ عِلْمِ الرُّؤَسَاءِ ، فَقَالَ
يَرِيهِ وَيَعْتَذِرُ إِلَى وَالِدِهِ مِنْ تَأْخِيرِ الرِّئَاءِ بِحُكْمِ اشْتِغَالِهِ بِأَحْوَالِ السَّفَرِ ، وَنَفَذَ إِلَيْهِ
مِنْ حَلَبٍ :

أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ كِفَانٍ وَقَدْ اكْتَفَيْتُ وَلَا أَقُولُ كِفَانِي

(١) رواية ت : تزهي بها الآمال والكر .

(٢) البكرة والصرة : كيس النقود .

(٣) الزند : حجران تستخرج منهما النار بحكهما .

(٤) الحصر : البارد ، والحصم : المجدال ويريد هنا بالخصام التمتع .

(٥) هكذا في ت ، وفي الأصل : أبصرت .

- أَبْكِي فَجَرَى مَهْجَتِي فِي عِبْرَتِي فَكَأَنَّ مَا أَجْرِيَتْهُ أَجْرَانِي
وَتَحِيْمٌ^(١) أَفْأَسَى وَلَمَّا يُنْجِيهَا دَمَعٌ هُوَ الْبَحْرَانُ^(٢) بَلْ بِحِرَانِ
نَسَخْتُ وَفَاتُكَ أَدْمَعِي فَلَكُمْ جَرَتْ كَالدَّرِّ وَهِيَ الْيَوْمَ كَالْمَرْجَانِ
لَا بَلْ هِيَ الْعِصْيَانُ سَالٌ وَإِنَّمَا أَبْكِي الْعَزِيزَ عَلَى الْعِصْيَانِ
قَدْ سَلَنَ أَلْوَانًا لِيَعْلَمَ أَنِّي فِي حَمْلِ فَرَسِ الْحَزْنِ غَيْرُ الْوَانِي
وَإِقَانِي النَّاعِي لِكَيْ يَتِمَّكَ لِي وَمَضَى عَلَى أَدْرَاجِهِ يَنْعَانِي
وَعَزَا^(٣) وَجِيشُ الرِّزِّ مِنْ أَعْوَانِهِ وَبَرَزْتُ وَالْإِعْوَالُ^(٤) مِنْ أَعْوَانِي
لَا أَدْعِي أَنَّ النَّيَّ أَصَابَنِي فِيمَنْ أَصَمَّ وَإِنَّمَا أَصْمَانِي^(٥)
يَا ثَالِثَ الْقَمَرِينَ حُسْنًا قَدْ بَكِي حُزْنًا لِأَجْلِ مُصَابِكِ الْقَمَرَانِ
دِينَارٌ وَجْهَكَ حِينَ أَهْبَطَ فِي الثَّرَى كَادَتْ تَقْرَأُ الشَّمْسُ لِلْمِيزَانِ^(٦)
وَسَيْوْفُ بَرْقِ الْجَوِّ لَمَّا أَغْمَدَتْ صَفْحَاتُ ذَاكَ الْوَجْهِ فِي الْأَكْفَانِ
وَدَّتْ لَوْ انْتَمَدَّتْ وَلَكِنْ تَقْتَدِي^(٧) هَامُ الْعَدَا بَدَلًا مِنَ الْأَجْفَانِ
يَا تُرْبُ مَا أَنْصَفْتَ نَضْرَةَ غَصْنِهِ أَكْذَا صَنِيعُ التَّرَبُّبِ بِالْأَغْصَانِ
غُصْنٌ فَنَوْنُ الطَّرْفِ فِي أَفْنَانِهِ تَعْلُو عَلَى الْجَانِي وَهَنْ دَوَانِي
تَسْتَوْقِفُ الرَّأْيَ مَعَانِي حَسَنِهِ عَجَبًا بِهَا فَكَأَنَّهُنَّ مَغَانِي^(٨) ١٥

(١) تحيم : تستغن .

(٢) البحران : من قولهم دم باحر وبحراني : أي خالس الحرمة .

(٣) هكذا في الأصل ، وفي ت : غدا .

(٤) هكذا في ت ، وفي الأصل : والأعوان .

(٥) أصمى : رمى فقتل .

(٦) الميزان : أحد البروج الإثني عشر التي تنتقل فيها الشمس .

(٧) يريد أن هام العدا تصح أجفاناً بدلاً من أجفان السيوف .

(٨) هكذا في ت و ج ، وفي الأصل : معاني ، والمغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل غنى بأهله

كَمْ مَادَ مِنْ سَكْرِ الشَّبَابِ فَهَلْ دَرَى أَنَّا نَمِيدُ بِسَكْرَةِ الْأَشْجَانِ
 قَدْ كَانَ يَرِفُلُ فِي ثِيَابٍ شَبِيهِ أُرْدَانُهَا طَهَّرَتْ مِنَ الْأُذْرَانِ^(١)
 جَعَتْ خِلَافَتُهُ لَهُ وَصِفَاتُهُ حِلْمَ الْكُهُولِ وَيَقْظَةَ الشَّبَانِ
 ومنها :

أَصْبَحْتُ مِثْلَكَ مُفْرَدًا مُتَغَرِّبًا مُقْصَى عَنِ الْأَحْبَابِ وَالْأُوطَانِ
 وَالْفَرْقُ أَنْكَ فِي الْجِنَانِ وَأَنْتَى مِنْ أَجْلِ قَدِّكَ صَرْتُ فِي النِّيرَانِ
 قَدْ كُنْتُ أَحْمَلُ هَمَّ بَيْنٍ وَاحِدٍ فَأَنْتَ وَقَاتُكَ لِي بَيْنِ ثَانِ
 كَيْفَ اصْطَبَارِي مِنْ فِرَاقٍ وَاحِدٍ وَقَدْ افْتَضَحْتُ مِنَ الْفِرَاقِ الثَّانِي
 وَتَسْوِءِ فَرْقَةٍ مِنْ تَحِبُّ وَلَا يُرَى شَيْءٌ يَسْوِءُ كَفَرْقَةِ الْأَقْرَانِ
 صَبْرِي وَمَوْتُكَ فِي حَشَايَ كَلَاهَا مُرَّانٍ مِثْلُ أَسْنَةِ الْمُرَّانِ^(٢)
 أَرَسَمْتُ فِيكَ الدَّهْرَ عَتَبًا مَوْلَا فَأُجَابِنِي بِالْبَهْتِ وَالْبُهْتَانِ
 قَلْبِي بِحَاسِبُهُ عَلَى إِجْرَامِهِ وَيُعْذُّهَا بِأَمَلِ الْخَلْفَقَانِ
 غَيْرِي هُوَ السَّالِي وَإِنِّي قَاتِلٌ / مَا أَقْبَحَ السَّلَوَانَ بِالْإِخْوَانِ [٤٦ و]
 فَلَنْ سَلَوْتُكَ نَاسِيًا لَا قَاصِدًا فَالذَّنْبُ لِلنَّسِيَانِ لَا السَّلَوَانَ
 ومنها : ١٥

يَأْيَاهَا لِلْوَلَى السَّيِّدُ وَمَنْ غَدَا أَوَّلَى الْوَرَى بِالصَّبْرِ وَالْإِيمَانِ
 صَبْرًا جَبِيلًا يَنْتَدِي قَلْبِي بِهِ فَهُوَ الْمَعْنَى بِالْهَمِّ وَالْمَوْنِ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا حَوْتَهُ جَوَانِحِي مِمَّا دَهَكَ وَمَا أَجَنَّ جَنَانِي
 وَلَنْ غَدَا مَنَى الزَّانِهُ مُؤَخَّرًا مِنْ أَجْلِ شُغْلِ الْقَلْبِ وَالْأَحْزَانِ^(٣)

(١) هكذا رواية الشطر في ت ، وروايته في الأصل هكذا : أردانها بزت من الأردن .

(٢) المران : جمع مرانة وهي الرماح اللينة الصلبة .

(٣) الشطر في ت هكذا : من أجل شغل الدهن بالأحزان .

- فَلَقَدْ رَتَّ عَيْنِي بِنَظْمٍ مَدَامِي وَأَرَى الدَّمْعَ^(١) مَرَاتِي الْأَجْفَانِ
 لَمْ يَرْتَهُ مِنِّي لِسَانٌ وَاحِدٌ لَكِنْ رَتَّ بَدَامِي عَيْنَانِ
 خَدِي كَطَرَسِي وَالْمَدَامُ فَوْقَهُ شَفَرِي وَإِنْسَانِي كَمَلِّ لِسَانِي
 وَلَقَدْ عَلِمْتُ قُصُورَ مَا قَدْ قُلْتُ^(٢) فَأَرَدْتُ أُودِعُهُ حَسَا كَمَا نِي
 وَلَا نَذَرَ الْبَيْتِ الْآخِرِ^(٣) لِأَنَّ فِيهِ نَقَصَ دِينَ وَضَعَفَ إِيْمَانَ وَقَلَّ تَوْفِيقَ ،
 وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَقَالَ مُسْتَوْحِشًا مِنْ صَدِيقٍ جَرَتْ عَادَتُهُ بِالْاجْتِمَاعِ مَعَهُ فِي مُتَنَزِّهِ لَهُ :

- جَلَسْتُ بِبَيْسْتَانِ الْجُلُوسِ وَدَارِهِ فَهَيَّجَ لِي مِنْ تَنَاسُيْتُهُ ذِكْرًا
 وَسَمَّيْتُ شَمْسَ الْكَاسِ سَاعَةً ذَكَرَهُ فَلَمْ تَسْتَطِعْ فِي لَيْلٍ هَمِّيَّ مِنْ مَسَرَى
 فَيَا سَاقِي الْكَاسِ الَّتِي قَدْ شَرَبْتُهَا رَوَيْدِكَ إِنَّ الْقَلْبَ مِنْ أُمَّةٍ أُخْرَى ١٠
 وَلَوْ وُصِّلَتْ سَوْدُ اللَّيَالِي بِشَعْرِهِ لَمَا خَشِيتُ مِنْ غَيْرِ غُرَّتِهِ فُجْرًا
 تَذَكَّرْتُ وَرَدًّا لِللَّيْلِ مُحَجَّبًا يَمُدُّ عَلَيْهِ ظِلُّ أَهْدَابِهِ سِقْرًا
 فَصَرْتُ أَجَازِي الْقَلْبَ مِنْ أَجْلِ ذَكَرِهِ فَيَقْتُلُنِي ذِكْرِي وَأَقْتُلُهُ صَبْرًا
 أَقْبَلُ ذَاكَ الظِّلَّ أَحْسَبُهُ اللَّعَى وَالْتَمَ ذَاكَ الزَّهَرَ أَحْسَبُهُ الثُّغْرَا
 وَكَمْ لِأَنِّ لِي فِي الَّذِي قَدْ فَعَلْتَهُ وَكَمْ قَاتِلٍ دَعَا لِمَلٍّ لَهُ عَذْرَا ١٥
 لِأَجْلِكَ يَا مَنْ أَوْحَشَ الْعَيْنَ شَخْصَهُ أَنْسَتُ لِسَهْدٍ يَمْنَعُ الْعَيْنَ أَنْ تَكْزِي
 وَقَاسَيْتُ مِنْكَ الْغَدَرَ وَالْمَجَرَ وَالْقَلِيَّ وَأَنْفَقْتُ فِيكَ الشَّعْرَ وَالْعَمَرَ وَالْدهْرَا
 وَأَفْلَسَ طَرَفِي حِينَ أَنْفَقَ دَمْعُهُ فَأَجْرِي فِي دَمْعًا يُسَمُّونَهُ شِعْرَا

(١) هكذا في ت وفي الأصل : الربوع وهو تحريف .

(٢) هكذا في ت وفي الأصل : ولقد علمت قصوره ما قلته .

(٣) جاء البيت في ت ولكنه محرف ومضطرب في الشطر الثاني ، وتبدو فيه مقارنة بين الرثاء بشعره والأركان الكريم ، ولعل ذلك ما جعل الهاد يصفه بما وصف .

وفارقتُ عِزًّا بالشَّامِ لِأَلْتَقَى بِمَصْرَ الَّذِي مِنْ أَجَلِهِ فَضَّلُوا مِصْرَا
لَنْ طَلَبْتُ فِي مُسْتَنْزِهِ لَمْ تَكُنْ بِهِ فَلَا زِلْتُ أَلْقَى عِنْدَكَ الصَّدَّ وَالْهَجْرَا
وَلَوْ كُنْتُ فِي عَدَنَ^(١) وَكُنْتُ بِغَيْرِهَا — وَحُوشِيَّتْ — آتَرْتُ الْخُرُوجَ إِلَى بَرَا
وَلَوْ كُنْتُ فِي بُصْرَى^(٢) وَحُبَّكَ لَمْ أَقُلْ أَيَا بَصْرَى لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى بُصْرَى

• وهذا المصراع الأخير هو مبتدأ أبيات كان عملها عند عبوره على بُصْرَى :

أَيَا بَصْرَى لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى بُصْرَى فَإِنِّي أَرَى الْأَحْبَابَ فِي بِلَدَةٍ أُخْرَى
وَمَا بِلَدَةٌ لَمْ يَسْكُنُوهَا بِبِلَدَةٍ وَلَوْ أَنَّهَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالشَّعْرَى
وَمَا الْقَفْرُ بِالْبَيْدَاءِ قَفْرٌ وَإِنَّمَا أَرَى كُلَّ دَارٍ لَمْ يَكُونُوا بِهَا قَفْرَا
تَذَكَّرْتُ أَحْبَابِي وَإِنِّي لِمُؤْمِنٌ وَلَكِنْ أَرَانِي لَيْسَ تَنْفَعُنِي الذِّكْرَى
١٠ لَقَدْ ضَرَّنِي الْبَيْنَ لِلْمِشْتِ وَمَزَّنِي^(٣) فَيَالِكَ بَيْنَنَا مَا أَضَرَّ وَمَا أَضْرَى
أَأَهْبِطُ مِنْ مِصْرٍ وَقَدْ مَا قَدْ اشْتَهَى عَلَى اللَّهِ أَقْوَامٌ قَالُوا أَهْبَطُوا مِصْرَا
وَكَمْ لِي بِهَا دِينَارٌ وَجِهَ بَرَكْتُهُ وَرَأَيْتُ فِعْيَ [بَعْدَهُ^(٤)] تَشْتَكِي الْفَقْرَا
فَوَاللَّهِ مَا أَشْرَى الشَّامَ وَمُلْكُهُ وَغَوَّطَتْهُ الْخَضْرَا بِشَيْرَيْنِ مِنْ شُبْرَا
فَإِنْ عَدْتُ وَالْأَيَّامُ عَوُجٌ رَوَّاجِعٌ لَقَدْ أَنْشَأْتَنِي قَبْلَهَا النَّشَاءَ الْآخْرَى

١٠ وقال :

يَا عَاطِلَ الْجِيدِ إِلَّا مِنْ مُحَاسِنِهِ عَطَّلْتُ فَيْكَ الْحِشَا إِلَّا مِنَ الْحَزَنِ
فِي سَلَكِ جِسْمِي دُرُّ الدَّمْعِ مُنْتَظِمٌ فَهَلْ لِي جِيدُكَ فِي عِقْدٍ بِلَا ثَمَنِ
لَا تَحْشَ مَنْ فَيَا كَالنَّسِيمِ ضُنَّا وَمَا النَّسِيمُ بِمُخَشِّيٍّ عَلَى غُصْنٍ

(١) عدن : جنة عدن .

(٢) بصرى : من أعمال دمشق وهي في كورة حوران .

(٣) مز : من شرب المز ، وهو الخامض .

(٤) زيادة من ت ، وقد سقطت في الأصل .

وقال :

ظبيٌ بمصر^(١) نسبتُ مِنْهُ عناقَ غزلانِ العراقِ
ورسفتُ راحَ رُضايهِ لَكِنَّهُ حَلَوُ اللَّذَاقِ
فإِذَا أَنَا نِي عَاطِلًا حَلَّتْهُ لِي دُرُرُ المَآقِ
وَإِذَا تَأَطَّرَ قَدُّهُ فَأَنَا المُنْتَفِعُ بالعِناقِ
يَا حَسَنَ أَيَّامِي بِهِ لَوْ أَنَّ أَيَّامِي بَوَّاقِ
بِاللَّهِ يَا قِرَّ الِوَرَى مَن خَصَّ خَصْرَكَ بِالْحَاقِ
وَعَلَامَ يَغْلُظُ سِلْكَ خُلُقِكَ مَعَ حَوَاشِيكَ الرِّقَاقِ
كَمْ يَعْذِلُونَ عَلَى ائْتِلا عِي فِي وَصَالِكَ^(٢) وَأُنْهَرَاقِ^(٣)
وَدَوَاهِ مَا تَصْبُو إِلَيْهِ النَفْسُ تَعْجِلُ الطَّلَاقِ^(٤)

وقال :

كَمْ لَنَا مِنْ خُلْسٍ فِي الفَلَسِ خُلْسٌ تَمَّتْ بِرَغَمِ الحَرَمِ
نَلْتُ فِيهَا عَسَلًا مِنْ لَعَسِ^(٥) آه وَاشْوَقِي لِنَاكَ اللَّعَسِ
قَدْ تَنَفَّسْتُ فَهَلْ عِنْدَكُمْ أَنَّنْ نَفْسِي خَرَجَتْ مِنْ نَفْسِي

وقال في بستانه :

يَا أَيُّهَا البِستانُ إِنْ حَصَلْتَ لِي مِنْ صِرْتُ نَحْوَراً بِكَاسِ مِكَامِهِ^(٦)

(١) هكذا في ت وفي الأصل : من الترك ولا يستقيم معها الشعر .

(٢) هكذا في ت وفي الأصل : وصال .

(٣) الانهراق : من هرق الماء إذا صبّه .

(٤) في ت : القراق .

(٥) اللعس : السواد في الشفة .

(٦) المكاس : التشاح في البيع .

/ لأَحْلَيْتِكَ مِنْ بَهَاءِ جَبِينِهِ / وَأَخْلَعَنَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْفَاسِهِ [٤٦ ط]
وَقَالَ فِي الْحَمْرِ :

عَرَّوْكُمْ يَا أَيُّهَا الشَّرْبُ طَالِقُ / وَإِنْ فَتَنَتْ مِنْ حُسْنِهَا كُلَّ مَجْنِي
دَفَعْتُ لَهَا عَقْلِي وَدِينِي مُقَدِّمًا / فَقَالَتْ وَجَّاتُ النِّعَمِ مُوجَّجِي

• وَقَالَ فِي جَارِيَةٍ فِي خَدَّهَا مَاسُورٌ ^(١) :

بِنَفْسِي فَتَاهُ يَكْتُبُ الْعَصْنُ إِنْ مَشَتْ / إِلَى قَدَّهَا اللَّيَاسُ : مِنْ عَبْدٍ عَبْدُهَا
وَلِي جَسَدٌ مَا زَالَ مَاسُورَ صَدَّهَا / إِلَى أَنْ حَكَى فِي السِّقْمِ مَاسُورَ حَدَّهَا
أَشْبَهُ ذَلِكَ الْخُلْدَ مِنْهَا بِحُمْرَةِ / وَشَابُورَةَ الْمَاسُورِ طَابَعُ نَدَّهَا

وَقَالَ يَمْدَحُ الْأَجَلَ الْفَاضِلَ وَيَشْكُرُهُ عَلَى عِيَادَتِهِ لَهُ فِي مَرَضِهِ :

١٠ رَأَيْتُ طَرْفَكَ يَوْمَ الْبَيْنِ حِينَ هَمَّى ^(٢) / وَالدَّمْعُ تَفَرَّأَ وَتَكْهِيلَ الْجَفُونِ لَمَى
فَاكْفَفْ مَلَامِكُ عَنِّي حِينَ أَلْتَمَسَهُ / فَا تَشَكَّكْتُ أُنَى قَدْ رَأَيْتُ ^(٣) فَا
لَوْ كَانَ يَعْلَمُ مَعِيَ عَلَى بَقْسُوته / تَأَلَّمَ الْقَلْبُ مِنْ وَخْزِ الْمَلَامِ لَمَا
رَنَا إِلَى فَقَالَ الْحَاسِدُونَ رَنَا / وَمَا أَقُولُ رَنَا لَكِنْ أَقُولُ رَمَى
رَمَى فَاصْصِي وَلَوْ لَمْ يَرَمْ مَتَّ هَوَى / أَمَا تَرَوْنَ نَحْمُولِي فِي هَوَاهُ أَمَا
وَبَاتَ يَحْمِي جَفُونِي مِنْ طُرُوقِ كَرَمِي ^(٤) / وَلَمْ أَرَ الظُّبَى مَنْسُوبًا إِلَيْهِ حَمِي
وَصَادَ طَائِرٌ قَلْبِي يَوْمَ وَدَّعَنِي / يَا كِبِيَّةَ الْحَسَنِ مُذْ أَحْلَلْتَنِي حَرْمًا
يَا كِبِيَّةَ ظِلٍّ فِيهَا خَالُهَا حَجْرًا / كَمْ ذَا أَطُوفُ وَلَا أَلْقَاهُ مُسْتَلَمًا
مَذْشَفٌ جَسَمِي مِنْ نَارِ الْغَرَامِ صَنَا / لَاحِ الشَّعَاعُ عَلَى خَدَيْهِ مُضْطَرِمًا

(١) الماسور : يظهر أنه ندية .

(٢) مكذات في ت و ج وفي الأصل : حمي .

(٣) مكذات في الأصل وفي ت و ج : لمت .

- وشفَّ كأسُ قَمٍّ منه لِقَتِهِ فلاح فيه حبابُ الثغر منتظما
يا كسرةَ الجنِّ لِمَ أَتَمَّوْكَ كسرتَه وجيشُهُ بك للأرواحِ قد غنا
وكم^(١) أَغْرَتِ على الأرواحِ ناهيةً إن كان ذلك عن جُرْمٍ فلا جَرَمًا
مولايَ فاق ملاحَ الخلقِ قاطبةً فهو الأميرُ وقد أَفْخَوْا له حَسَمًا
أقولُ والريحُ قد شالت ذوابُهُ أصبحتَ فيهم أميرًا أم^(٢) لهم علما
شكرتُ طيفك في إغبابِ زورته لأنَّ مثلي لا يستسمنُ الورما
ولستُ أَطْلُبُ منه رِفْدَهُ أَبَدًا لأنَّ ذا الحِلْمِ لا يسترقد الحُلُمَا
لكنَّ عهدًا قديمًا منك أَطلبه وربما نسيَ العهدُ الذي قَدَمَا
وازداد حُبُّكَ أضعافًا مضاعفةً وربما صَغُرَ الشيءُ الذي عَظَا
ولستُ أنكرُ لارَبِّنا ولا تُهَمَّا من يعرفِ الحب لا يستنكرُ التُّهَمَّا
ولستُ أَتْبِيعُ حبي باللام كما لا يُتْبِعُ ابنُ عليٍّ بَرَّةً ندما
ذاك الأجلُ الذي تلقى منازله فوق السماء وتلقى دارَه أَمَّا^(٣)
أغني وأقنى وأعطى سُؤْلَ سائله وأوجدَ الجود لما أعدمَ العَدَمَا
وقصَّرَ البحرُ عنه فهو مكتئبٌ أما تراه بكفى موجِهٍ التَّلَطَّمَا
وولَّتِ السحبُ إذ جارتَهُ باكيةً أما ترى الدمعَ من أَجفانها انسَجَمَا
ولو رأى ابنُ^(٤) أبي سُليٍّ مواهبَهُ رأى جدًّا هَرِمَ مثلَ أَسْمَه هَرِمَا
ولو أعارَ شَمَامًا^(٥) من خلاقه حِلْمًا^(٦) لأبصرت في عرينه شَمَا

(١) في ت : ولم . (٢) في ت : بل .

(٣) الأُم : القريب الذي يؤم ويقصد .

(٤) ابن أبي سَلَسَى : زهير الشاعر الجاهلي المشهور ، وهم هو وهم بن سنان الدياني
المرى الذي خسه بمداحه .

(٥) شام : جبل في الجزيرة العربية يكثر اشجاره من ذكره في أشعارهم .

(٦) في الأصل : علما .

ومذ رأيتُ نفاذاً في يراعته ^(١١) رأيتُ بالريح من أخبارها صمما
 إذا امتطى القلمُ العالى أنامله ^(١٢) حلّى الطروس وجلّى الظلم والظلمة
 قضى له الله مذ أجرى له قللاً ^(١٣) بالسعد منه وقد أجرى به القلما
 ذات الهاد يمينٌ قد حوت قللاً ^(١٤) هو الهاد لملكٍ قد حوى إرمًا
 يُريك في الطرس زهر ^(١٥) الأفق زاهرةً ^(١٦) وقد ترى فيه زهر الروض مبتما
 ويرقم الوشي فيه من كتابته ^(١٧) وما سمعنا سواه أرقاً ^(١٨) رقا
 سطورُهُ ومعانيه وما استبرت ^(١٩) هنّ السور وهنّى خلفهنّ دى ^(٢٠)
 تبرّجتْ وهى أبكارٌ ومن عجب ^(٢١) أن التخنّف من أمثالها دُيما
 فخرًا لدمرٍ غدا عبدُ الرحيم به ^(٢٢) بالأمر والنهى بيدى الحكم والحكما
 أسى الورى وهو أسنهم يداً وندى ^(٢٣) وأوسع الناس صدرًا كلما سئما
 وأعرق الخلق في استيجاب رتبته ^(٢٤) وأقدمُ الناس في استحقاقها قدما
 كساه ربك نورًا من جلالته ^(٢٥) يلقى العدو فيكسو ناظره عى
 يلوح في الصدر منه البدر حين سما ^(٢٦) والغيث حين همى والبحر حين طما
 يُغضى حياءً ويُغضى من مهابته ^(٢٧) فما يكلم إجلالاً إذا ابتسما

(١) هو من وصفهم الريح بأنه أصم ، وهو الصب .

(٢) يشير الى قصة عاد والبلدة التى كانت تنزل فيها أو الجبال على نحو ما جاء فى القرآن الكريم إذ يقول جل وعز : « ألم تركب على ركب بعد لرم ذات الهاد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » .

(٣) زهر الأفق : النجوم . (٤) الأرقم : الثبان والحية .

(٥) هكذا الفطر فى ت و ج وفى الأصل هكذا : بين السطور وهنّى خلفهن دى .

(٦) هكذا فى ت وفى الأصل : الحلم .

(٧) هكذا فى ت وفى الأصل : وأعرق .

(٨) الفطر فى ت : وأعرق الناس حقاً فى رياسته .

هذا البيت تضمنين^(١) :

لما عَلِقْتُ بِجَبَلٍ مِنْ عَنَابَتِهِ صالحت دهرى ولم أَدُمُ له ذِمَّةً
 وحين طالع طرفى سعدَ طلعته رأيتُ نَجْمَى فى أَفْقِ السَّلا نَجْمَا
 وكان قدماً ذو الأقدار لى خَدَمَا فصرت منه أرى الأقدار لى خدما
 يا أيها الفاضلُ الصديقُ منطقتُهُ إني عتيقك والقصودُ قد فُهِمَّا •
 أعدتُ للعبدِ لما جئتَ عائِدُهُ روحًا وأهلكتَ من حساده أُمَّا
 [٤٧و] تركهم لى حُسَادًا على سَقَى / وكم تَمَنَّوْا لى الأَدْوَاءِ والسَّقَمَا
 نقلتُ شانى إليهم ثم قلتَ لهم لا تَسْلَمُوا إِنْ هذا العبدَ قد سَلِمَا
 تفضلُ منك أعلَى بينهم قِيَى ومنةٌ منك أَعْلَتْنِي لهم قِمَا
 هب لى مِنْ القولِ ما أَثْنَى عليك به أَوْ كَفَّ كَفَّفَكَ عَنْ أَنْ تُشْكِي الدِّيمَا ١٠
 ومنها :

شكرى لنعماك دينٌ لى أَدِينُ به والكرمُ عندى أَنْ لا أَشْكُرَ النُّعَمَا

وقال :

إنه مالٌ وملاً فأنى الطيفُ وسَلَى
 عاطلاً حتى لقد عا دَ من اللثمِ مُحَلَى ١٥
 كنتُ فى تقبيلِ الطيفِ يَفَ كُنْ قَبْلَ ظَلَا
 ١٠

وله من قصيدة :

عثرْتُ ولكنْ فى ذِيولِ دُموعى ونمتُ ولكنْ عن لذيذِ هُجوعى
 وكاد فؤادى أَنْ يطيرَ صَبَابَةً لقانِصِه لولا فِخاخُ ضلوعى

(١) يشير إلى أن البيت مقتبس من بيت الفرزدق المعروف :

ينضى حياءَ وينضى من مهابته فإ يكلم إلا حين يبتسم

وقال يهجو :

عبدٌ لعبد الله أعرفه ما زال مسكُ صُنَائِهِ صَائِكُ
يخلو به فيودُ من كَلَفٍ لو أَنَّهُ ... أَسْعَى لَاتِك
ولقد يكونُ . . . بينهما والله يعلمُ من هو . . .

وقال :

أما وهواك لولا خوف سخطك لمان على محبك أمر رهطك
ملكك الخافقين فتحت عجباً وليس ها سوى قلبى وقرطك

٥ - الأسعد أبو الطاهر

*أسعد بن الخطير بن مهنذ بن زكريا بن ممتى

١٠ أحد الكتاب في الديوان الفاضلى ، ذو الفضل الجلى ، والشعر العلى ، والنظم
السوى ، والخط القوى ، والسحر للماتوى^(١) ، والروى الروى ، والقافية القافية
أثر الحسن ، والقريحة المقترحة صورة اليمن ، والفكرة المستقيمة على جدد البراعة ،
والقطة المستمدة من مدد الصناعة . شاب للأدب راب^(٢) ، وعن الفضل ذاب ؛

(١) كان ناظراً للدواوين المصرية ، وأصله من نصارى أسيوط ، وكان أباه مكرمين
في الدولة الفاطمية ، وكانوا يعملون في دواوينها ، ولما ولي أسعد الدين شريكه الوزارة
كان الخطير والده على ديوان الإقطاعات ، وكان لا يزال على دين المسيحية ، فصرفه
أسعد الدين عن الديوان فبادر هو وأولاده ، فأسلموا على يده ، فأقره أسعد الدين ، ولما مات
خلقه ابنه الأسعد على ديوان الجيش ، ثم أضيف إليه ديوان المال ، وحظى عند القاضى الفاضل ،
ولم يزل على ذلك حتى ولي العادل بن أيوب الديار المصرية ، واستوزر الصفي بن شكر ، وكان
بينه وبين أسعد حقد أثناء رياسته عليه في الديوان ، فأكثر عليه من المؤامرات والدياسيس ،
وطالبه بكتي من الأموال فاستتر ابن ممتى مدة ثم هرب إلى الشام ، ونزل حلب على ملكها
الظاهر بن صلاح الدين فأكرمهم ، وما زال في رعايته حتى توفي سنة ٦٠٦ هـ ، وعمره اثنتان
وستون سنة . انظر ترجمته في معجم الأدباء ١٠٠/٦ وابن خلكان ٩٥/١ وتاريخ ابن كثير
٥٣/١٣ وحسن المحاضرة ٢٤٢/١ وشذرات الذهب ٢٠/٥ ومساك الأبصار الجزء الثانى
عشر الورقة ٥٨ والمغرب نسخة الجامعة العربية الورقة ١١٩ وخطط المقرئ طبع بولاق
١٦٠/٢ . (١) الماتوى : نسبة إلى ممتى . (٢) راب : مالك

وهو من شملته العناية الفاضلية ، [و] حَسَّنَتْ منه البديهة والروية .

اجتمعت به في القاهرة وسائرني في العسكر الناصرى وأنشدني من نظمه
للمنوى ، ما أثبت به خنصر الاستحسان ، وأذنت لجواده في الإجراء في هذا
الميدان . وأثبت منه كلَّ ما جلا وحلا ، وأشرق في منار الإحسان وعلاً ، وراج
في سوق القبول وعلاً . فن قوله يصف الخليج يوم فتحه ^(١) بالناهرة :

خليجٌ كالحسام له صِقَالٌ ولكن فيه للرائى مَسَرَّةٌ
رأيت به الملاح ^(٢) تجيدُ عوماً كأنهم نجومٌ في الجمرَّة

وقوله في غلام نحوى :

وأهيفُ أحدثَ لى نحوهُ تعجباً يُعْرِبُ عن طَرَفِهِ
علامةُ التأنيثِ فى لفظه وأحرفُ العلة فى طَرَفِهِ

١٠

وقوله في غلام خياط :

وَحَيَّاطٍ نظرتُ إليه ٤ مفتوناً بنظرته
أسيل الخلدُ أحمره بقلبي ما بوجنته
وقد أمسيتُ ذا سَمِّ كَأنى خيطِ إبرته
وأحسدُ منه ذاك الخي طَ فازَ برى ريقته

١٥

قال : هذا البيت الأخير للسديد أبى القاسم ^(٣) الكاتب . ولابن ممانى هذا

في قصيدة عملها هذا السديد لامية مفيدة أوردها في شعره :

تبكى قوافى الشعر لاميةً بَيَّضَتْهَا من حيث سَوَدَتْهَا
لما علا وسواسُ ألقاظها ظننَّهَا جُنَّتْ فقيدها

(١) هذا ما يسمى في كتب التاريخ باسم كسر الخليج .

(٢) في نسخة المغرب : الصغار .

(٣) هو عبد الرحمن بن هبة الله بن رفاعة الذى تقدمت ترجمته .

وقال :

أراكم كجباب الكأس منتظما فإرى جمعكم إلا على قدح

وقال :

لقد مرّ لي في مصر يومٌ وليلةٌ هما في مُحَيّا الدهر كالسّحر في الطّرفِ
وما فيهما والله عيبٌ وإنما تولاهما مُجَبِّ فذاًبا من الظّرفِ

وقال :

ماصرت أجسراً أن أبكى لفرقتهم لأنهم زعموا أن البكا فرجٌ

وقال :

أحبابنا والذي يقضى بألفتنا بعد الفراق ويُخْلِنّا من الفراق
مازلتُ أخبط في عشواء مظلمةٍ من بعدكم وأيسعُ النّوم بالأرق
حتى ثويتُ بنارِ الشوق في حرقٍ وصرتُ أشرفُ من دمعى على النّرقِ
فتمونى ولو ليلاً بطيفكم مادمتُ أقدرُ من روحى على رَمَقِ

وقال في ذم العذار :

إذا طلع العذارُ فقد فقدنا لئلاّ نعيشنا الأريجَ البهيج
لأنّ العصنَ لا يخضرُ حتى يصيرَ بأصله مثلُ الوشيج^(١)

وقال يصف البق :

تكاد بقرصِ البق تلتفُ مهجتي إذا لم أُحِدْ من ثوب جلدى التخلّصا
ومن أعجب الأشياء في البق أنها على الجسم مُمّاقي^(٢) وتُنبتُ حصّا [٧ ط]

(١) الوشيج : جمع وشيجة وهي عرق الشجرة والليف على جرثومتها .

(٢) المماقي : ثمر .

ونظمتنى وإياه سفرة فى خدمة الملك الناصر إلى ثغرى دمياط والإسكندرية
فوصلنا إلى ترُج وخليجان ومَحَاضٍ وعُدْرانٍ فقال بديهاً :

لو أطلق الدمعُ مشتاقاً ومدَّ كِرُ
لكن يحب لأشقيتنا على الترقى
لكنما هذه الخليجانُ مُتَأَفَّةٌ^(١) لأنها رَشُحٌ ما يَغِصُّ من الخلدقِ

• وأنشدنى لنفسه أيضاً قوله وقد ألم بدم العذار :

يا عاذلى ، جلُّ نارى من خدِّه الجَلَنارى^(٢)

وريقه كشرابٍ معتقى ذى شرار

ولخطه فى أمضى من الحَرَابِ الحِرَارِ^(٣)

كالريم ريمٍ لصيدٍ فصارَ حِلْفَ حِذَارِ

١٠ يهوى الدنانير لما تشابهت بالبهار^(٤)

وإن رأى قلبَ صبٍّ رعاه رعى العَرَارِ^(٥)

وليس ربُّ عذارٍ يطولُ فيه اعتذارى

إن^(٦) الغرامَ صَغَارُ ما لم يكن بالصَّغَارِ

ومنها فى المدح :

١٥ له يسار^(٧) يمين إزاء يُنن يسارِ

وقال فى وصف نخدة فى بيت ابن مناء الملك :

وسادةٌ لَحَّتْ عيني بدارهمُ وسادةٌ رُقِمَتْ أَمَّا من الأَرَقِ

(١) متأفة : ممثلة .

(٢) الجَلَنار : زهر الرمان .

(٣) الحرار : الصلبة ، والمختارة .

(٤) البهار : نبت طيب الرائحة

(٥) العرار : نبت صرراوى رائحته حسنة .

(٦) فى الأصل : لذ .

(٧) اليسار : التقي .

حكم السرور بها يقضى السكون لها كأنها عودَةٌ من جِنَّةِ الفلق^(١)
أَحْسَنُ بها روضةً ليس النسيم بها ولا المياهُ سوى الأنفاسِ والعرقِ
يحيا بناظرها^(٢) إنسانُ ناظرها ففي حديقها مَنْ عَلَى الحدقِ
ولم تكن مَرَقَتْ من وجه مالِكها محاسنًا ظهرت، لم تُدْعَ بالسَّرَقِ^(٣)

• وقال مما كتبه إلى السيد علم الرؤساء أبي القاسم ، وكان قد اقتضى منه
ديوان رسائله ، فاعتذر إليه بالخوف من نقده :

إن قلبي من شقة البين يخشى وفؤادي من شِقْوَةِ البين يَحْشَعُ
ومقامي يقضى بطولِ سقامي إذ لحاظي من قبلِ تطمَحُ تَطْمَعُ
وعُدُوِّي فيما يَسُرُّ عدوِّي ويريه من القلبي ما تَوَقَّعُ
ولقد عِيلَ في الصبابة صبري فإلى كم أُسِيرُ في غير مَهَبَعِ^(٤) ١٠
أنا صبٌّ بغادةٍ تشبه الطا ووس إذ كان حسنُها يتنَوَّعُ
ذاتُ لفظ كأنه^(٥) ثغرها الأشنبُ لو أَنَّ دره يتجمع
لى من عَجَبها رقيبٌ قريبٌ فهي [في^(٦)] كلِّ حالةٍ تتمنع
مَنَعَتْ طيفها الزيارةَ حتى صرْتُ من منعمها [له^(٧)] لستُ أُجِيع
واستقلتُ دمعى غداةَ استقلتُ بجمالٍ ققلت لو كان ينفع ١٥
هو منى دمٌ جرت معه العيمنُ فقالوا دمعٌ لأننى أجزع
ثم وَلَّتْ^(٨) سُقْمًا علىَّ وولَّتْ وفؤادي مما تصدَّى تصدَّعُ

(١) الفلق : الصباح .

(٢) الناظر هنا : الأكمة .

(٣) السرقة : شق الحريز الأبيض أو الحرير عامة .

(٤) المهبج : الطريق الواضح .

(٥) في الأصل : كأنها ، والأشنب : الثغرة فيه رقة وبرد وعذوبة .

(٦) ساقطة من الأصل .

(٧) ساقطة من الأصل .

(٨) ولت : سلطت .

- قلت إلا وقت يا شمس للصبّ قالت هيهات ما أنت يوشع^(١)
وغرامى [بها^(٢)] كفضل أبي القاسم في كل ساعة يتفرّع
كم أرانا الرياض في لفظه النثر فخلنا دروجه^(٣) تتوشع^(٤)
وسقانا مُدامَ معنى بديع في قريض مُصرّع بل مرصّع
فشكرنا لما سكرنا فلم يلو علينا لأنه قد ترَفّع
ولثنا التراب بين يديه وسألناه حاجة فتمنّع
فلحى الله واشياً وعدولاً وبغيضاً وكاذباً يتصنّع
وإذا صار بالجفاء مُضيئاً من عقود الولاء ما صان أجمع
فخطاب العتاب بالكاف^(٥) كافٍ لو تدانى أو كان يسمع
أنت يا أيها السديد أبا القاسم في بَذَلِك الندى لست تقنع
فلأى الأمور تبخل باللفظ على خادمٍ يناديك يخضع
وهو نورٌ يسى أمامك كالصبح ونارٌ في وجه صِدْكَ تسفّع
وحسامٌ مهنّدٌ مُطلق الحدّ جراز^(٦) متى تُجرّده يقطع
لم يزل ثابتاً على الود جلدّاً وخطيباً بشكر فضلك مضنّع
وهو ممن إذا عراه مُلِمٌ ماله غير حسن رأيك مفرّع
أتوهّمته يُغيرُ على له ظلك مع أن غيره منه أوسع
وعلى أنه وحقك لم ير ض بما لم يكن له يتشيع
وعصيت الوداد في طاعة العذل ولم تُلَفِ عنده قط مطمع

(١) يوشع : صاحب موسى عليهما السلام ، وفي الأثر أن الشمس تأخرت عن منيها له .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) في الأصل : درجة ، والدروج : جمع درج وهو الذى يكتب فيه .

(٤) تتوشع : من توشعت الأشجار أى أزهرت .

(٥) الكاف : يريد خطابه بالإفراد لا بالجمع .

(٦) جراز : قاطع .

فإذا كنتَ قد وصلتَ لهذا وهو مما يصيرُ القلبَ بَلَقَع
لا تكنُ للعدا نصالَ سهامٍ مصيباتٍ فليس في القوسِ منزع
وتفضلْ بَسْتَر ما ساقه الوز نُ بهذى القصيدِ ياخيرَ أروع
فهيَ قد قُيِّدَتْ لتثبت في الطر سٍ لثلا تسيرَ من قبلِ تسمع
ولو أن العتابَ أَطْلِق فيها لعدتْ أَجْبِلُ القوى تتصدع

/ وعلى كل حالةٍ فأننا العبدُ الذى مَلَكُ حسنه فيه يشفع [٤٨ و]

ونزلنا ببركة الحب لقصد فرض الجهاد ، وعرض الأجناد ، فكتب الأسد
ابن مئى إلى أبياتاً فى الملك الناصر ، وتعرض للشرنج فإنه كان يشغل به فى
ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين :

١٠ يا كريم الخيم^(١) فى الخيمِ أهيفُ كالرُم^(٢) ذو شم
عَجَبى للشمس إذ طلعت منه فى داجٍ من الظلم
كيف لا تُضْمى لواحظه ورماءُ الطرف فى العجم^(٣)
لا تصدُ قلبَ الحب لكم ما يحلُّ الصيدُ فى الحرَم
يا صلاحَ الدين يا ملكاً مذ براهُ الله للأئم
أُضْحِتِ الكفارُ فى نِعمٍ وغدا الإسلامُ فى نِعمٍ
١٥ إن يكُ الشُّطرنج مشغلةً للعلى القذرِ والمهم
فهيَ فى ناديك تذكرةٌ لأُمورِ الحرب والكرم
فلكم ضاعفتَ عِدَّتْها بالعطاء الجمُّ لا القلم
ونصبت الحرب نصبتها فاثنتُ كَفَّاك بالقلم
٢٠ فابقِ للإسلام ترفعه وأمرُ الأقدار كالخدم

(١) الخيم : الخلق والشبهة . (٢) الرُم : الظبية الخالصة البيضاء .

(٣) يشير إلى مهارة العجم فى رمى السهام .

وقال في الملك الناصر :

إن كنتَ تنكر ما أقولُ فالسهدُ يشهدُ والنحولُ
 وما لديك من العذو لـ فكيف يمكنك العدول
 يا صعدة^(١) أنفاسي الصُّ عدله منها والذبولُ
 ومنهداً في القلب من ه على محبته فلولُ
 إن كثّرَ الواشون في ك فقد تجنّبك العذول
 ولئن بخلتَ برقي في ك ففي شمائله الشمولُ^(٢)
 أو صرتَ معتزلي فإنَّ الفكرَ يُعجبه الحلولُ^(٣)
 إنَّ^(٤) الغزاة كالنزا ل وكانفور هو الأفلول
 فالأم لا يشفى العلي لـ بزورٍ منك العليل
 والصبرُ أقصر ما يكو ن إذا الصدودُ بدا يطول
 كم حيل بين تجلدى والقلب إذ حضر الرحيل
 وهمتُ جفوني بالنجى ع كأنما طرفي قتيل
 فاعجب لدمع كيف يظ هر والنفوس به تسيل
 يا قاضياً بهواه فيَّ وذلك الدلُّ الدليل
 فيك الجمال كما ملي كُ زمانياً فيه الجميل
 الناصرُ الملك الرءو فُ الأروعُ الورعُ المنيلُ
 ملكٌ إذا عصتِ الحصو نُ سواه كان له الحصول

(١) الصعدة : التجة المستوية لا تحتاج إلى تثقيب .

(٢) الشمول : الحُر .

(٣) مذهب بعض غلاة الشيعة وبعض الصوفية إذ يعتقدون أن الله يحل في الأشياء أم الأشخاص

(٤) الشطر في الأصل هكذا : أم الغزاة لا النزال .

حَسْبُ العَاكِرِ والعِدَا أَن التَّصُولَ بِهِ تَصُولُ
وَيَمِينُهُ سِلْمًا تَجْوِ دُكَا غَدَتْ حَزْمًا تَجْوَل
طَالَتْ فِرْعَوْنُ الحَدِّ فِيهِ كَمَا زَكَّتْ مِنْهُ الْأَصُولُ
رَايَاتِهِ تَحْكِي الْأَصِيلُ^(١) فَرَأَيْهِ الرَّأْيُ الْأَصِيلُ
حَيْثُ الْخِيُولُ عَلَى الْوَعْوِ^(٢) رِكَائُهَا^(٣) فِيهَا الْوَعُولُ^(٤)
أَمَّا وَقَدْ قَصَدَ الْغَزَاةَ وَهَنَّتِ الْقَرْبُ^(٥) النَّصُولُ
وَبَكَتْ بِهِ أُمُّ الصَّلِيبِ وَشَدُوْ صَارِمِهِ الصَّلِيلُ
وَبَدَتْ لَهُ أَرْضُ الشَّاءِ مِ تَهَوْنُ إِذْ كَانَتْ تَهْوَلُ
فَلَسَوْفَ^(٦) يَفْتَحُ قُفْلَهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقَعَ الْقُقُولُ
وَيَعِيدَ مَا [فَضَّ^(٧) الْعِدَا] بَكَرًا تَرَفُّ لَهَا الْفَحُولُ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيُّ الْأَمْرُ وَالْمَلَكُ الْجَلِيلُ
كَمْ مَنَّةٌ لَكَ تَسْتَطِيرُ^(٨) وَمُنَّةٌ بِكَ تَسْتَطِيلُ
وَلَكُمْ صَفَحَتَ عَنِ الْغُرُو^(٩) رِ وَقَدْ تَبَطَّنَةُ الْغُلُولُ
وَسَرَتْ عَطَايَاكَ الْجَسَا مُمْ فَلَا تَجْوَرُ وَلَا تَحْوَلُ
وَمَلَكَتْ أَلْبَابَ الْأَنَا مِ كَأَنَّكَ السَّيْفُ الصَّقِيلُ
أَوْ لَا فَإِنَّكَ جَوْهَرٌ فِي الْخَلْقِ وَالْعَرَضُ الْعُقُولُ
أَنْتَ الْقَتِيلُ مِنَ الْخَطْلُوْ بَ وَظْلُ دَوْلَتِكَ الْمَتِيلُ^(١٠)

(١) الْأَصِيلُ : يَشْبُهَ رَايَاتِهِ بِلَوْنِ الْأَصِيلِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : الْوَعُودُ ، وَالْوَعُورُ : جَمْعٌ وَعَرٌّ وَهُوَ ضِدُّ السَّهْلِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : فِيهِ . (٤) الْوَعُولُ : جَمْعٌ وَعَلٌ وَهُوَ تَيْسُ الْجَبَلِ ، وَالسَّكَاةُ الشَّجَعَانُ .

(٥) أَتَعَمَّادُ السُّيُوفِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : وَلَسَوْفَ ، وَوَضَّحَ أَنَّ الْبَيْتَ جَوَابُ أَمَّا .

(٧) سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ وَوَضَّعْنَاهَا مَلَأْمَةً لِسَبَاقِ الْبَيْتِ .

(٨) تَسْتَطِيرُ : تَتَشَكَّرُ . (٩) يَرِيدُ بِالْفُرُورِ : الْعَدُوَّ شَبَّهَهُ بِالشَّيْطَانِ .

(١٠) الْقَتِيلُ : مِنَ الْفَائِثَةِ أَوْ الْقَبِيلَةِ وَهِيَ نِصْفُ النَّهَارِ ، وَالْقَتِيلُ بِضَمِّ الْمِيمِ : الْعَفَى .

وأنا الفقيرُ إلى نداك ومن بوارقه السيول
ولقد أضرتني الخمو دُ كما أضرتني الخمول
وقال على لسان إنسان في حاسد ، أعان عليه ، ثم توجع له :

- لا تُصنِّحْ للحسود في ندبه النعم مئةً مع كونه الجول^(١) إليها
فهو مثلُ السحابِ إذ يسترُ الشمسَ عن العينِ ثم يبكي عليها •
ومن نورِ نثره البديع ، ونورِ فجره الصديق ، وغررِ درره النصيحة^(٢) ، ودرارى
غره النصيحة ، ما تُحَدِّثُ له بهائمُ التمام ، وتحدى به كرائمُ المكارم ، ويربع
الحسن في روضه ، وتكرع الحسناء في حوضه ، وتغبط الآداب بدابه ، وترتبط
الألباب ببابه ، من مكاتبة :

- فصلت عنه في أخريات النهار ، وقد ظهر في أطراف الجدران لقرق فراق
الشمس اصفرار ، فلما ذهب ذهبُ الأصيلِ بنار الشفق ، ولبست للشارق السواد
لما تمَّ في المغارب على الشمس من الترق ، وأقبلت مواكب الكواكب في
طلب النار ، كدراهم النثار^(٣) ، وتشابهت زواهرها وإن اختلفت في الأشجان
بالأزهار في الأشجار ، وتكلف القمر للموافقة فظهر على وجهه الكلف ، ومرت
به طوالع النجوم فلم يستخبرها حسداً فأعرب عن غدر الخلف بالسلف ، وظهر
[٤٨ ظ] الوجوم في وجوه / النجوم ، وعيل صبر النسر^(٤) فواحد طائرٌ يحوم ، وآخر
واقع لا يقوم ، ولم تزل متلاحقةً متسابقةً لتقفوا الأثر وتسمع الخبر ، إلى أن بدا
سوسن الفجر ولاح ، وابتسم نثر الصباح عن الأفاح ، وكاد تعلُّبه يأكل عنقود
الثريا ، وبرزت النزلة من أس الكناس طلقةً الحيا ، وترادت الوجوه ،

(١) في اللرب : الشوق

(٢) النصيحة : الناصحة .

(٣) درايم النثار : الدرايم التي ينثرها الأمراء على من يقصدون أبوابهم فيكبون عليها ينتقلونها .

(٤) النسران : نيمان أحدهما يسمى النسر الطائر والثاني يسمى النسر الواقع .

وزال ما زال بغيتها من المكروه ، وأخذت النجوم بالخط من الطرب ، بمقدار ما قدمته من الحظ في الطلب ، وانخرطت في سلوك شعاعها نظاماً ، وزاد خوفها [منها ^(١)] على رجائها فيها فذابت إكباراً [لها ^(٢)] وإعظاماً .

ومن صلب مكاتبة :

• لم يزل العبد لِمَا عَرَضَ من إعراض المجلس — لا زالت أوامره نافذه ، والآمال بكعبة كرمه لاثنة ، ويده العالية بزمام الزمان آخذة ، وكتبه الكرائم لعزائم كجائب الإسلام شاحذة — وَحَدَّثَ من هجره له ، وظهر من قلة احتفاله به ، وخاض فيه للعارف من تغير عليه ، وتناقله الوشاة من أمر صدّه عنه ، وتعارضه الشامت من سوء رأيه فيه ، ذا زَفَرَاتٍ سوام تتصرّم ، وعبرات [هوام] تتصرّم ، وعبارات عن بسط عذره تعثر بالكلام عِيّاً فيتنذّم ^(٣) بالصمت عن أن يتحرر ويتصرّم ^(٤) ، وأفكارٍ تبتزه عن إساءة الظن بمودته فما يتكدر ^(٥) حتى يتكرم ، فكم تناول القلب جلده فجلّده ^(٦) بالقلق لما تجاوز حده ^(٧) وحده ، وأجرى من سوابق دموعه عسكرياً فخرى فشقّ حده وخده ^(٨) ، وأوجد السيل إلى أن أبدى صحيفة وجه صبره مسودّه ، وتمنى لو كان الموت قبل إخلافه وعُدّه وإخلافه ^(٩) وودّه ^(١٠) ، حتى جنى وُرد وورد كتابه الكريم من انتظام شوك انتظاره ، ورفع ناظره بقدومه عليه على كافة أمثاله وأنظاره ، فلم أن علم المودة قد رُفِعَ ، وموصول جبل الجفوة قد قُطِعَ ، وكاد القلب يُخرج لمصافحته لو استطاع نفاذاً ، واجتمعت فيه أمانى النفس فأتخذته دون جميع الملأ ملاذاً ، وتناوله بيد الإجلال ، وقصّه

(١) زيادة من اللرب . (٢) زيادة من اللرب .

(٣) يتذم : يستنكف . (٤) يتحرم : يتذم من الحرمة ، أو يحده حرماً .

(٥) في الأصل : يتكرر . (٦) في الأصل : مجلدة .

(٧) في الأصل : جده ، ومعنى غايته والتالية من المد وهو إيقاع الجزاء على الجاني

(٨) خده : شقه . (٩) لإخلاقه : من الخلق أى البالى أى جله لوده باليا .

(١٠) وده : من الود معطوف على تمنى .

بيد الإدلال ، الذى أباح له الإخلاد إلى الإحلال ، فوجده منظوماً على خطٍ كالكووس الرصعة ، لما لاح مدادُه مُدَاماً ونَقَطُه حَبَّياً ، وألفاظُ تبيح للناظر طلباً ، وتبيح للخواطر طرباً ، ومعانٍ ما حلت في ميدان البيان حتى جَلَّتْ فَحَسَبُ الأفكارِ بها حَسَباً ، وتعريضات لو كان التصريح فضةً لكانت ذهباً ، أو كان شرراً لكانت لبياً ، ومن ما لاحت سحائبها حتى وكَّفت ، وأياد ما استكفت فواضلها حتى عمت وكفت ^(١) ، فرفع إلى السماء يديه وهى قبلةُ الدعاء ، وعفّر في الأرض خديه وهو جهدُ الضعفاء .

وله من فصول جواب مكاتبة إلى صديق له سافر إلى الشام :

إلامَ يصيرُ القلبُ للخطبِ منبراً ويصيرُ للجلى وإن كان منبراً ^(٢)
وكيف يُلامُ الصبُّ فى صبِّ دمه عقيقاً على مصفرِّ خديه أحمرأ ؟
وقدَ وَقَدَ البرِّحُ للمبرِّحِ فى الحشا فراع دخانُ الوجدِ فى الوجه منظراً
وزادت دواعى الشوقِ إذ زالت القوى فأصبح معروفُ التجلُّدِ منكراً
فلو شامَ طَرْفُ الشامِ برقَ تنفسى لتذكار مَنْ فيه إذنٌ لتفطراً
على أَنَّ من أمسى رفيقَ تفرق ومن قصَّدَ ^(٣) الأشعارُ فى الشوقِ قصراً

وبعد فاضاق الصدرُ ، وضاع الصبرُ ، وضعفَ الجلدُ ، وتضاعفَ الكمدُ ،
وادهمَّ ليلُ ألمٍ بفراقِ الحضرة السامية حتى طلع بدرُ كتابها فاهتدت ضوالمُ
الأفكارِ الشاردة ، ولمع شهاب خطابها فاحترقت شياطينُ الظنون الماردة ، والله
المد على ما أعرب عنه من سلامة ركابها ، والرغبة فى تقوية أسباب استتباب
نعمتها وتمجيل إيجابها ، وأن يكون ذلك بحسب ما تورثه وتقرره ، بتلك الأعمال
من الأعمال الصالحة وتورثه .

(١) كفت : من الكفاية ، وكفت الأولى أى أمطرت .

(٢) منبرى : من البرى وهو النعت والمزال .

(٣) فى الأصل : قصر .

ومنها :

وإن الكتبة الكريمة الواردة إلى القاضى الرشيد ما فاحت أزاهيرها
حتى لاحت زواهرها ، ولا تأرج نورها حتى تبلى نورها ، ولا فتنت بها الخاصة ،
حتى جنت^(١) العامة ، فكم نثر من عقود قول كانت / متسقة النظام ، وحقت [٤٩ و]
من منقول مقول كان ملحوظا بالإعظام ، وعلى الجملة فلم يبق أحد من الفقهاء
والحكام ، وأرباب السيوف والأقلام ، حتى استشرف لرويتها وتشرف لروايتها .
وأنشدنى لنفسه من قصيدة :

كيف واصلت قطع رشف رُضابه وبدا السخط منك بعد الرضى به
وجرت اللام كي يرجع الطيف لئلا ترق عند عتابه
لتوحيث أن ترى صورة الصبر عليه من قبل حين ذهابه
ولمى لى لقد أسأت به الظن فعذبت باجتتاب عذابه
وقال فى رافضى متهم الخلوة :

اختصر واقصر على هزئك الناس ولا تدعى الحجي والكتابة
واحتسب وانتصب لضرب نعال دامغات من أجل سب الصحابه
واقصد فى البناء يا بن فعال وتوق انتصابه والتمسابه
فهو دلا - كما تقول - ولكن أنت صب برشف تلك الصنابه

وقال فى مدح الأجل الفاضل من قصيدة :

لا نل فى اضطرابنا^(٢) لاحتراة جل نار القلوب من جلتاره
وهو حد^(٣) يكاد يقبض منه كل طرف لولا اعتذار عذاره

(١) فى الأصل : حبت . (٢) فى الأصل : اضطرابنا .

(٣) الحد : الجلد وما يوجب الجلد ، ومنه حدود الشرع .

- مارأى منكراً رُضَابَ مدام مذ روى طرفه حديث خُماره^(١)
 ليس فيه من راحة لريد قبلة تُطْفِئُ اضطرام اضطرامه
 غير أن الحياء فيه مُضَاهٍ للحَيَا في انهماله وانهماره
 أَوْجَدَا^(٢) الفاضل الذى أوجد الجو د فن كَفَّهِ انضجارُ بحاره
 ذلك السيدُ للشَّيْءِ للجدِ إلى أن أتى على إشاره
 من غدا الدهرُ بأسمه باسم الزهرِ ضحوكا به بهارُ نهاره
 لم يطفنا من برِّه وردَ وعلم لم يَشْنُهُ انتظامُ شوكِ انتظاره

٦ - والبره

الخطير^(*) بن ممانى

١٠. قتيته بالقاهرة مستولى ديوان الملك الناصر - ديوان الجيش - فيه أديب .
 كان هو وجماعته نصارى ، فأسلموا فى ابتداء الملك الصلاحى ، وحصلوا على الجاه^(٣)
 والحرمة الوافرة والعيش الرخى .
 سارته فى الطريق مرة فأنشدنى لنفسه هذا البيت فى وصف الخمر إذا صُبَّتْ
 من الإبريق :

١٥. إذا أنبرت من فم الإبريق تحسبها شهابَ ليلٍ رى فى الكاس شيطاناً

(١) الخمر : بية السكر .

(٢) الجدا : الكرم والطاء وهو معطوف على الحيا أى المطر .

(*) هدم التعريف به أثناء الحديث عن ابنه أسعد . وقد عرض ياقوت وابن خلكان
 فى ترجمة ابنه لى من أخباره وخاصة ياقوت فإنه عرس للأسرة . والجد الأعلى ممانى الذى ينسب
 إليه أسعد ، وقال ابن خلكان إنه ممانى بفتح الأولى وتشديد الثانية . وقال أيضاً إن الخطير
 توفى عام ٥٧٧ هـ . وترجم له ابن سعيد فى الغرب قطعة الجامعة البرية الورقة ٢١٨ وقال
 إن بنى ممانى كانوا مملكين بالعل فى كتابة الجراج وانظر خطط المغرزي ١٦٠/٢ .

(٣) هكذا فى الغرب تلاء عن الجزيرة وفى الأصل : بالباه .

قال : ولأبى طاهر^(١) بن مكنسة فى المعنى :

إبريقنا عاكفٌ على قدحٍ كأنه الأمُّ ترضعُ الولدا
أو عابدٌ من بنى المجوس إذا توهَّم الكاسَ شعله سَجَدَا
وأبو للمليح^(٢) ممدوح ابن مكنسة الذى يرثيه بقوله (طويت سماء
الكرمات) جدُّ ابن ممانى .

وأنشدنى الخطير لنفسه فى كتابان السر :

وأكتمُ السرَّ حتى عن إعادته^(٣) إلى المسرِّ به عن غير نسيانٍ
وذاك أنَّ لسانى ليس يُعلِّمه سمعى بسرِّ الذى قد كان ناجانى
وأنشدنى لنفسه من قصيدة ، وكتبه بخطه :

١٠ لم يَبْقَ من جسدَى لقرطِ صبابى إلا الأسمى وتردُّ الأنفاسِ
وأغن^(٤) معسولِ الثنايا أشنبِ ألى المراففِ كالقضيبي الأسي^(٥)
يناد^(٦) من هيفِ القوامِ كأنه غصنٌ يجاذبه كثيبُ دهاس^(٧)
لولا توقدُ جهرِ نارٍ خدودِهِ فى نارٍ وجنته حساهُ حاسى
من خده وعذاره ورُضابه وردى وريحانى الجنى وكاسى
وله :

يظلمنى العاذلون فى رشا إن قيلَ كالشمس كان مظلوما

(١) فى الأصل : المكنسة وهو من شعراء مصر أوائل القرن الخامس للهجرة
وسيرجم له الماد .

(٢) هو ممانى وكان ابن مكنسة متقطعا إليه ، فلما مات رثاه بقصيدة طويلة يقول فيها :
طويت سماء الكرمات وكورت شمس اللدغ

انظر فى ذلك ترجمة حفيده أسعد فى ابن خلكان وياقوت .

(٣) فى المغرب : إذاعته . (٤) أغن : فى صوته غنة .

(٥) الألس : شجر . (٦) يناد : يتنق .

(٧) دهاس : الأرض السهلة ليست برمل ولا تراب .

مذ حلَّ رسمُ الصليبِ في يده حلَّ بقلبي هواهُ مرسوما
وله :

أعاذلتني إن الحديثَ شجونُ مكانُ سُلَيْمَى في الفؤادِ مكينُ
أأسمعَ عَذْلًا في التي تملك الحشا وأتبعُهُ إني إذنُ نخلُوف
ومنها :

هل العيشُ إلا قربُ دارٍ أحبةٍ هل الموتُ إلا أن يخفَّ^(١) قَطِين
وهل لفؤادي منذ شطَّ مزارها من الوجدِ إلا زفرةٌ وأنين
أيت رقيبَ النجمِ منها كأنما عيونِي لم يُخلَقْ لهنَّ جفون
ومنها :

كأنَّ ظلامَ الليلِ إذ لاحَ بدرُهُ دَجُوجِي^(٢) شَعْرٍ لاحَ منه جبينُ
كأنَّ الثريا ترُقُبَ البدرِ غَيْرَةً قد هجرتُ منها النامَ عيون
كأن سهيلًا^(٣) في مطالعِ أمه فؤادُ مَرُوعٍ خامرتهُ ظفون
كأن السها^(٤) تبدو أوانا وتجتلي لدى الليلِ سرًّا في حشاه مصون
وقد مالت الجوزاهُ^(٥) حتى كأنها كئيْ بَخَطِيَّ السماءِ^(٦) طعين

ومنها في المختص :

كأن صلاحَ الدين للشمس نورها ولولاه ما كان الصباحُ يبين

(١) يخف : يتحمل ويبرء ، والقطين : القيم .

(٢) الدجوجي : شديد السواد والظلام .

(٣) سهيل : كوكب يرتفع وبضه في رأى العين .

(٤) السها : نجم خفي . (٥) الجوزاء : برج في السماء .

(٦) السماء : كوكب نير .

وقال :

لو كانت الأمراض محمولةً / يحملها العبدُ عن المولى
 حملتُ عن جسمك كل الأذى / وكان جسمي بالضنا أولى [٤٩ ط]

وقال :

إلى الله أشكونار شوقٍ كاشكا • إلى الله فقدَ الوالدينِ يتيمُ
 رحلتُ فصار القلبُ أُنَى رحلتُ / ولكنَّ وجدى ثابتٌ ومقيمُ
 ولما بكتُ عيني دماءً لفقدكم / تيقنتُ أن القلبَ فيه كلومُ

وقال في العذار :

وشادن^(١) لما بدا مقبلاً / سبَّحتُ ربَّ العرشِ باريه
 ومن رأيتُ النملَ في خدهِ / أيقنتُ أنَّ الشَّهَدَ في فيه

وقال :

يا ربَّ خَوِّدِ زُرَّتِيهَا / في الليلِ بعد هُجُودِهَا^(٢)
 فأجأتها فتبالمهت / فلزمتُ ضمَّ نهودها
 ورشفتُ خمرَ رضاها / وجنيتُ وردَ خلودها
 وأمنتُ في قِصْرِ الوسا / لِحياةٍ طولِ صدودها
 حتى إذا وَلَّى الدجى / في عُدَّها وعديدها
 وبدتُ جيوشُ الصبحِ في / أعلامِها وبنودها
 فأرقَّتْهَا ومدامى / تحكى جُحَانَ عقودها

(١) الشادن : النزول حين يشب ويستغنى عن أم والاستعارة واضحة .

(٢) المهجود : النوم .

وقال من قصيدة في المدح :

مُرِدَى الْكِتَابِ بِذَالِ الرَّاغِبِ فَضَّاحُ السَّحَابِ بَرُّ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَالْغَافِرُ الذَّنْبِ عَفْوًا عِنْدَ قُدْرَتِهِ وَالرَّائِعُ الْخُطْبِ قَسْرًا غَيْرَ مَحْضَلِ
إِذَا طَوَتْ خَيْلُهُ فِي السَّيْرِ مَرَحَلَةً طَوَى الرَّدَى مِنْ عِدَاهُ مُدَّةَ الْأَجَلِ
بِكُلِّ قَرْنٍ يَلَاقِي الْمَوْتَ مَبْتَهَجًا كَأَنَّمَا الْمَوْتُ مَا يَرْجُو مِنَ الْأَمَلِ ٥
يَلْذُ فِي السَّلْمِ تَقْيِيلَ اللَّيْلِ شَفْعًا لَحْبُهُ فِي الْقَنَا تُنْمِرُ الْقَنَا الذُّبُلِ

٧ - الشريف النقيب النسابة بمصر

شرف الدين أبو علي محمد * بن أسعد بن علي بن معمر أبي الفناثم بن عمر
ابن علي ابن أبي هاشم الحسين النسابة بن أحمد النسابة بن علي الفسابة
ابن إبراهيم بن محمد بن الحسن الجواني الحسيني ١٠

كان نقيب مصر في الأيام المصرية . والآن فهو ملازم مشتغل بالتصنيف
في علم النسب ، وهو فيه أُوحد ، وله فيه تصانيف كثيرة .

قرأت بخطه كتابا إلى بعض الأشراف بدمشق في سنة إحدى وسبعين ، قد
صدره بهذه الأبيات :

أَحْنُ إِلَى ذِكْرِكَ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ وَأَرْجُو مِنْ اللَّهِ الْفَقْدَ عَلَى قُرْبِ ٥
لَمَّا لَكَ فِي قَلْبِي مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَرَى فِيهِ كُلَّ الْحَبِّ مُبْرَأً^(١) مِنَ الْخَلْبِ

(*) ترجم له الصغدي فقال : ولي قاية الأشراف مدة بمصر وله (كتاب طبقات
الطالبيين) و (تاج الأنساب ومنهاج الصواب) وكان شيعيا . توفي سنة ثمان وثمانين وخمسة .
والجواني بالميم والواو المشددة ويعرف باللائنداني . انظر فوات الوفيات طبع استانبول ٢٠٢/٢
وانظر ترجمته في لسان اللباز ٧٤/٥ .

(١) مبرأ وخفقت ، وفي الأصل : خيرا .

والمنخر السامى الذى قد حوىته
فأصبحت تاجاً للفخار ومقرّاً
قربنه ما [يا^(١)] تى إلى من الكتب
وقرأت أيضاً بخطه من كتاب كتبه إلى الأمير عز الدين حارن^(٢) لما قصده

بالشام ، فى أوله هذه القصيدة :

ترى هاجك ما هاجنى من جوى البعد
لئن جَلَّ ما أبديه شوقاً إليكم
جوى فى فؤادى كامنٌ ليس ينطقى
وما الدمعُ ما يجرى عليكم وإنما
إذا لَفَّ بُرْدُ النورِ أجفانَ راقِدِ
نهارى ليلٌ مدلهمُ لنفدكم
وهل كَرُّ بكم كرى وهل وجدكم وجدى
فإن الذى أخفيه أضاعفُ ما أبدى
عليكم كمن النار فى الحجرِ الصلد
نفوسُ أسلناها مع الدمع فى الخلد
لنفتُ جفونى فى رداء من السهد
وليلى نهارٌ من خيالكم عندى

ومنها :

ألا ياربِ الشوق سبرى فبلىنى
إلى الملك عز الدين ذى المنخر الذى
سلامَ محبِّ صادق الحبِّ فى الود
مناقبةُ تلو الكواكب فى القدِّ

ومنها :

ملكٌ إذا أطنبتُ فى وصفِ فضله
فما العنبرُ الشحرى^(٣) فى أنفِ ناشقٍ
علتُ بأنى لم أنل غاية الجهد
بأطيب من ذكره فى سمعٍ مستجدى

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) هكذا بالأصل ولها الحارنى نسبة إلى حارن إحدى بلاد الشام ، أو لعلها خازن .

(٣) الشعر : ساحل البحر بين عمان وعدن .

ومنها :

أَيَّامَنْ إِذَا سَارَتْ وَفُودٌ لِبَابِهِ تَرَى عِنْدَهُمْ وَفِدَاً إِلَى ذَلِكَ الْوَفْدِ
وَقَدْ عِلْمُ الْقَصَادُ قَصَدَ جَنَابِهِ فَنَوَّلَهُمْ قَبْلَ التَّفَوُّهِ بِالْقَصْدِ

٨ — والده

الشريف القاضي سناء الملك أبو البركات

أسعد (*) بن علي الحسيني النحوي

موصلي الأصل مصري الدار هاجر إليها واتخذها مسكناً، ورضى بها وطراً
وطناً؛ وكان كبير القدر، نابه الذكر. وجدت له شعراً في الصالح^(١) بن رزيك
في نوبة قتل عباس^(٢) : (أما والهوى النجدي ما سَمِنتُ إلَفاً).

ومنها :

لَنْ كُنْتُ قَدْ نَحَبْتُ^(٣) عَبَّاسَ مِنْ ظُبَا فَرَنْجَةً لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مُسْتَعْفَى
وَأَنْقَذْتَهُ مِنْ أَسْرِهِ وَهُوَ ذَاهِلٌ يَرُدُّ—عَنِ الْأَهْوَالِ فِي الْمَازِقِ—الطَّرْفَا
قَدْ سَمِعْتَهُ إِذْ فَرَّ مِنْكَ إِلَى مَدَى تَمَدُّ مَدَّاهُ نَحْوَ مُقْلَتِهِ الْحَقِيقَا
وَمَا فَرَّ مِنْ وَقَعَ الْأُسْنَةَ صَاغِرَا وَجَدُّكَ إِلَّا حِينَ لَمْ يَرَّ مُسْتَعْفَى

(*) ترجم له الفطلي ولم يزد في ترجمته عما ذكره الهاد. انظر إنباء الرواة بأنباء النعاة
طبع خار الكتب المصرية ٢٣٠/١.

(١) هو أبو الفارات ملائح بن رزيك وستأتي ترجمته بعد قليل.

(٢) هو عباس الصنهاجي بن يحيى بن تميم بن المز بن ياديس، وزير للخليفة الظافر
(٥٤٤ — ٥٤٩ هـ) ودبر له مؤامرة وقلته، فاستغاث بيت القاطمين بطلائع، فغاث من
الصعيد، وفر عباس إلى الشام وقتله الفرنج في الطريق.

(٣) في الأصل : نَحَبْتُ ، ونَحَبَ : سار به حتى قرب من الماء . والإشارة واضحة
إلى فراره .

/ وملة^(۱) الطعان المرء للک الذی یراه حیّاً عند ما یهبُ اللفا [۵۰ و]
وقال فی مدحه :

صاحِرْ إِنْ أَهْجُرْ سُلْبِي وَالرَّابَا فلقد بُدِّلْتُ مِنْ غَيِّ صَوَابَا
ولقد واصلتُ مِنْ بَعْدِهَا مدحَ مَنْ أَغْرَى بِجَدْوَاهُ انْتِسابَا
إِنَّ فِي كَفِّ ابْنِ رَزَّيْكَ لِمَنْ یبتغی الرّفْدَ لآمالاً خِصَابَا
ویمنی فارسِ الإسلامِ قد أُجْرِىَ البَحْرُ الذی عَبَّ عُبابَا
کم له فی الشام من معجزةٍ ومقامٍ لم یکن إلا احتسابَا
جَرَّبَ الإفْرِجِ مِنْ أَفْصَالِهِ فی صنادیدِهِمْ أَمْراً مُجَابَا

وله من أخرى :

۱۰ ومن یهو إدراکَ المعالی فإنه یَعُدُّ النایا من ملابسِهِ طُمْرا^(۲)
قریع الرزایا والقنا یقرع القنا خطیر العطایا یَسْتَقِلُّ^(۳) الجُداً خَطْراً^(۴)
یَنْخَطُّ^(۵) بالخطی فی النقع موطناً یحوز العلا والموتُ یلحظه شَرّاً

ومنها :

۱۵ إذا اهتز بالقساط غریاه لم یَدْعُ فؤاداً بأقصی روضةٍ لم یَمُتْ دُعْراً
وحيث ذکر الشرفاء فقد تعین ذکر الشریف أبی جعفر ، وهو :

(۱) فی الأصل : وظل

(۲) الطمر : الثوب الخلق .

(۳) هكذا فی إلباه الرواة ، وفی الأصل : والبأ .

(۴) الخطر : الشرف والمهلك . (۵) فی الأصل : وینخط .

۹ - الشریف أبو جعفر

محمد بن محمد بن ہبة اللہ العلوٰی الحسینی

من طرابلس^(۱) ومن الواجب إیراده فی شعراء الشام . کان فی مصر فی عهد أفضلها ، وحظی من مَنِّه بأجزائها . أهدى إلى دیوان شعره بمصر القاضی الفاضل ، فی جملة ما أسداه إلى من القواضل ، فأثبت منه ما استجدته بما وجدته ، واستطیبتہ بما استعذبتہ . فمن ذلك من قصيدة أعدّها للمدح الأفضل للتهنئة بعید الفطر سنة خمس عشرة وخمسة ، فقتل الأفضل عشية سلخ شهر رمضان من السنة ، وعاش الشریف ، ومدح الوزير بعده ، وأولّها :
قد تجاوزت فی الملا الجوزاء واستمدت منك البها والبهاء

ومنها :

لم تزل للعیون منذ تراءت لك حلاء وللقلوب رجاء
ومنها :

وجیوشاً كأنما قد كساها البرق فوق الدروع منها رداء
فی مجال سالت ظباه علی الأیدی كأن القمود^(۲) فجّرَن ماء

ومنها فی وصف سفن ألقدها إلى مكة ، وفيها غلّة :

بحوار تنساب^(۳) فی البحر كالأعلام تجری بها الراح رخاء^(۴)

(*) ترجم له ابن عساکر فقال : محمد بن ہبة اللہ أبو جعفر الحسینی الأنطلسی الأطرابلسی ، کان من أهل الأدب ، وله معرفة تامة بأنساب قریش ، وله أشعار ومدح بها بنی عمار (أصحاب طرابلس الشام) وتوجه إلى مصر ومدح بها الأفضل ابن أمیر الجیوش بدر الجمالی ، وكان قدم دمشق سنة اثنتین وتسعين وأربعمائة . توفي بمصر بعد سنة عشر وخمسة .

(۱) هی طرابلس الشام ، بلد علی الساحل بین اللاذقية وبيروت .

(۲) القمود : جمع غمد . (۳) فی الأصل : آانساب (۴) رخاء : لینة .

حَلَّ الماءَ كُلَّ سوداءَ منها حَمَلَتْ وقرها^(١) يَدًا بيضاء

وله من قصيدة في ابن عمار بطرا بلس :

جعلنا التشاكي موضع العتبِ بيننا فأصدقُ في دعوى الغرامِ وتكذبُ
خبرني أصلُ ليلِ الغرامِ بعزيمة تكفلُ بالإقبالِ^(٢) عنها فتعزُبُ^(٣)
فلا والموالي — إنها قسمُ العلا — أقيمُ ولي عن ساحةِ الذلِّ مذهب

ومنها :

ومن كان فخرُ الملكِ مرَمَى رجائه أصاب من الحظِّ الذي يَتَطَلَّبُ
بعيدُ مناطِ السيفِ لو طاول القنا تساوى [لدى المهيجا^(٤)] لولا ومنكب

ومنها يصف داره :

ويوم ابتدرنا الإذنَ نُرْعَدُ هيبَةً وقد غصَّ بالرُفدِ الرواقُ^(٥) المحجَّبُ
وصلنا وسلطنا على البدرِ جادَهُ سماءُ لها من ذائبِ التَّبرِّ هَيْدَبُ
وقد نَمَمَ الكفُّ الصَّنَاعُ بأهْمِها رياضاً كأنَّ الجوَّ منهنَّ مُعْشَبُ
ومصقولةُ الأرجاءِ ملثومةُ الثرى إلى جنةِ الفردوسِ تُغزى وتنسَبُ
نخالُ بأولى نظرةٍ أنْ دُرَّها يُنْتَرُ^(٦) أو عِقيانها يَتَصَوَّبُ

وقال من قصيدة :

ذَرَفَتْ مقلَّةُ الحَيَا بالحِجَابِ وانتشى الروضُ حالي الجلباب

(١) الورق : الجمل .

(٢) هكذا في الأصل والسياق يقتضى أنها محرفة عن كلمة : بالإدبار .

(٣) في الأصل . لتعرب .

(٤) في الأصل يياض وأكلنا البيت بما يتلام والسياق .

(٥) الرواق : ستر يعد دون السقف ، ومقدم البيت .

(٦) في الأصل . تنير .

وتمشّت به الصّبا وإزارُ المُنْزَنِ فیہ مُجرّرُ الهدّابِ
ومنها :

لم آتَمَ بَعْدَهُمْ سُلوًا وَلَكِنْ طَمَعًا أَنْ يَزُورَ طِيفُ الرَّبَّابِ
يَا خَلِيلِيَّ فِي النُّوَابَةِ مِنْ فِہْرِ أُمَيْلَا مَعَى صُدُورِ الرُّكَابِ
وَقَفَا الْعِيسَى كَيْ نُجَدِّدَ عَهْدًا الْهَوَى فِي مَعَاهِدِ الْأَحْبَابِ
أَسْقَمَ الْبَيْنُ رَسْمَهَا سَقَمَ جَسْمِي فَكَلَانَا خَافِي عَنْ الطَّلَابِ
يَا لُؤْلُؤَ الدِّيُونِ مِنْ غَيْرِ عُسْرٍ عُدْرُكُمْ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِي حِسَابِ
طَالَ رَغْبِي رَوْضَ الْأَمَانِي لَدَيْكُمْ وَرَجُوعِي عَنْكُمْ بِغَيْرِ ثَوَابِ
أَتَقَاضَاكُمْ وَمَاذَا عَلَيْكُمْ لَوْ سَمَحْتُمْ لِسَائِلِي بِجَوَابِ
مَا لِقَلْبِي أَرَاخِي اللَّهَ مِنْهُ كَيْفَ يَهْوِي مِنْ لَا يَرِقُّ لِمَا بِي
مَسَحَتْ صَبِغَةً الشَّبَابِ يَدُ الْمَهْمِ وَأَبَدَتْ نَصُولَ ذَلِكَ الْخَضَابِ

ومنها :

[۵۰ ط] وإذا كان ضائري حكم ذي الشيب / فواوحشتا لجلل الشباب

وقال :

أَحْبَابُنَا لَوْ سَرْتُمْ سِيرَةَ الْهَوَى لَكُنْتُمْ لِقَلْبِي مِثْلَ مَا لَكُمْ قَلْبِي
عَتَبْتُمْ وَمَا ذَنْبِي سِوَى الْبَعْدِ عَنْكُمْ وَإِنِّي لِأَهْوَاكُمْ عَلَى الْبُعْدِ وَالْقَرَبِ
فَلَا تَجْمَعُوا بَيْنَ الْفِرَاقِ وَعَتَبِكُمْ وَلَا تَجْعَلُوا ذَنْبَ الْقَادِرِ مِنْ ذَنْبِي
وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْأَفْضَلِ ^(۱) أُولَها :

أَجِلْ هَوَاكَ عَنْ مَنَنِ الْعِتَابِ وَإِنْ أَبْعَدْتَنِي بَعْدَ اقْتِرَابِ

(۱) هو الأفضل بن بدر الجمالی الأرمینی وزیر المستعلی الخلیفة الفاطمی (۴۸۸ — ۴۹۰) ثم الأمر بأحكام الله ، وما زال يلي وزارته حتى قتلته سنة ۵۱۰ هـ . وكان الأفضل ممدحاً للشراء ، وسيتردد ذكره في الخريدة .

ومنها :

أما وهواك لو خُبِرْتَ عني لما ألقاه عزَّ عليك ما بي
ولا تسأل سواك فليس يخفى عذابي عن ثنايك العذاب
ولولا أن تقولى خان عهدى قرعتُ على سُلوٰى كلِّ باب
رضيتُ وصال^(١) طيفك وهو زورُ وعند الشيب يرُضَى بالخضاب

ومنها :

ودون ثنية الصنمين ظيُّ وقورُ الججل^(٢) طيَّاشُ الحِقَابِ^(٣)
سقيمُ الطرف نشوانُ التثني صقيلُ الثغرِ معسولُ الرضابِ

ومنها :

وقفتُ بها سراةَ اليومِ صحي وقوفَ القلبِ^(٤) في زند الكعابِ
وقد أخفتُ معالمها الليالى كما درست سطورًا من كتابِ
فدع ذكراك أيا ما تقصَّت إذا ذهب الصَّبَا قُبَحَ التصابي
ولى بمدحِ شاهنشاه^(٥) شغلُ يُسَلَّى عن هوى ذاتِ السَّخَابِ^(٦)
يُوَدِّنُ جوده فيما حواه من الأموالِ حىَّ على الزهابِ

ومنها : ١٠

ويوم بعثهم شعثَ النواصي تسيلُ بهنَّ أفواهُ الشبابِ
لقيتُ هَجِيرَه^(٧) وانخليل تردى ولا ظلُّ سوى ظلِّ العُقَابِ^(٨)

(١) فى الأصل : طيال . (٢) الججل : الخفضال .

(٣) الحِقَاب : حزام تعلق به المرأة الحلي وتمسده فى وسطها .

(٤) القلب : سوار المرأة . (٥) هو لقب الأفضل ومعناه ملك الملوك .

(٦) السخاب : الغلادة . (٧) الهجير : نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر .

(٨) يريد أنه ليس هناك إلا ظل العقبان وهى تحوم على القتلى .

أثرتَ الليلَ في رَهَجِ المذاكي^(۱) وأطلعتَ النجومَ من الحِرابِ
مواقفُ لم تزلْ فيهِمْ من أَمْضى من الهندى زلًّا عن القِرَابِ^(۲)
وله من أخرى :

تجاوز العتبُ حدَّ السخطِ والنَّضبِ وأورث القلبَ صدعاً غيرَ مُنْشَعِبِ
إنْ كانَ ذنبُ فإنى منه معتذراً يكبو الجوادُ وينبوا السيفُ ذوالشُّطْبِ •
أو كانَ ذا منك تاديباً على زَلَلٍ متى خُسبِكَ قد أَسْرَفْتَ فى أدبِ
هل عهدُ وصالِكَ مردودٌ لِمَاهِدِهِ يا هاجرى شهوةً من غيرِ ما سبب
ومنها :

أو لا وعيشٍ مضتْ منا بشابته لِحَا^(۳) وسالفِ عيشٍ غيرِ مُؤْتَشِبِ^(۴)
ومبسمِ كَأَفَاحِ الرُوضِ بَارِ به فضلُ الرُّضَابِ على الصَّهْبَاءِ والضَّرْبِ^(۵) ۱۰
ومستديرٍ وشايحِ جالٍ فى هَيْفِ حيث التقي خيزُرَانُ الخضرِ بالسُّكْبِ
ما إِنْ أَذِنْتُ إلى الواشي كما أَذِنْتُ فَأَعْجِبْ لَهُ اليَوْمَ لم يظفر ولم يخب
لم يبقَ عندى اصطبارٌ أَسْتَعِينُ به على تَمَادَى صدودِ منك بَرَّحَ بى
ينى وبين صروفِ الدمرِ معتبة وليس عتبي على الأيامِ بالعجب
إِنْ سَرَّكُمْ بَ. مَسٌّ من نَوَائِبِهِ إِنْى إِذْنُ القَرِيرِ العَيْنِ بالثُّوْبِ ۱۵
ومنها :

إِنْ كُنْتُ أَضْمَرْتُ غَدْرًا فى الوفاءِ لَكُمْ فلا وَصَلْتُ بِأَمَالِي إلى أَرْبَى
وخانتى عنكَ شاهنشاهُ ما وَعَدْتُ به صَنَائِعُهُ من أَشْرَفِ الرتبِ

(۱) اللذاكى من الخيل : التى أتى عليها يمد قروحها سنة أو ستان .

(۲) القِرَاب : القند . (۳) فى الأصل : لِحْنا .

(۴) مؤْتَشِب : مجتمع . (۵) الضرب : العسل الأبيض .

ومنها :

تجلو عليك التهانى كلُّ شاكِرٍ
كلما رقتها والخمر نشوتها
يدًا سَبَقَتْ إليها عزمة الطلب
فأبْنُ النمامة فيها وأبْنَةُ العنبِ

وقال فيه :

خاطرُ بها فالجُدُّ مصحوبُ
وأطلبُ عناقَ العزِّ تحتَ الظُّبا
وأصحبُ إلى العلياءِ سُمَرَ القنا
ليس يروضُ الصعبَ مَنْ دِرْعُهُ
ولا يخنوضُ الغمراتِ القتي
وثيقُ بما تملُ عليكِ المني
ولا تَقُلْ يا بعدها غاية
لا تبتعدُ العلياءُ عن طالبِ
وأسرُ فظهرُ الغيبِ مركوبُ
فالزُّ محبوبٌ ومطلوبُ
ما صَحَّحِبْنِ أنايِبِ^(١)
مُحَقِّبَةُ^(٢) والسيفُ مقروبُ^(٣)
وطِزْفُهُ في الحىِّ بمجنوبِ^(٤)
[فالنبحُ مرجوٌّ ومقروبُ]^(٥)
ففي المقاديرِ أعاجيبُ
له من الأفضلِ تقريبُ^(٦)

وقال فيه :

إذا ما اجتدوا شَدُّوا حَبِيَّ الحِلْمِ للندى
كفيلون في دار الضحى لصريخة
هم سَطَرُوا بالبيضِ والسرذ كَرْمُ
صدورُ رماحٍ لم تَرَدْ حومةَ الوغى
وإن ركبوا سَدُّوا القنا بالراكبِ
بوجهِ نهارٍ بالعجاجةِ شاحِبِ
فأصبحَ عُنْوَانُ العُلا والمناقبِ
فتصدرَ إلا عن صدورِ الكتائبِ

(١) الأنايِب : كموب الرماح .

(٢) مُحَقِّبَةُ : في الحقيقة . (٣) مقروب : في قرابه أى غمه .

(٤) الطرف من الخيل : الجواد الكريم ، ومجنوب : مزول .

(٥) يياض في الأصل وزدنا الشطر ملائما للسياق . (٦) التقريب : ضرب من العدو .

ومنها :

إذا شَهِدَ الْجَلِّيَّ أَضَاءَتْ بَرَأْيُهُ دُجْنُهُ خَطْبٌ مُدْلَمٌ الْجَوَانِبُ
وقال أيضا :

بادِرْ يَا حَسَنُكَ اللَّيَالِي فَإِنَّ مِنْ شَأْنِهَا الْبِتَانَا^(۱)
كَمْ شَمْلٍ مَلَكَ عَدَتْ عَلَيْهِ فَصِيرَتْ جَمْعُهُ شَبَانَا
[۵۱ و] / وَفَرَكَتْ^(۲) قَبْلُ مِنْ عَظِيمٍ فَطَلَّقَتْ غَيْرَهَا ثَلَاثَا

وقال من قصيدة :

وَكَمْ لِلْحُبِّ مِثْلِي مِنْ صَرِيحٍ [بِحْدٍ^(۳)] الْبَيْضِ وَالسَّمْرِ لِلْمَلَايحِ
وَأَعْيَدَ مِنْ طِبَاءِ الْحَسَنِ حَيًّا بُورِدٍ أَوْ تَبَسَّمَ عَنْ أَقْلَاحِي
شَرِبْنَا مِنْ شَمَائِلِهِ شَمُولًا لَنْشَوَانِ الثَّنْيِ وَهُوَ صَاحِ
لَقَبِي الثَّأْرُ فِيهِ عِنْدَ عَيْنِي فَبَعْضُ جَوَارِحِي أَدَمَى جِرَاحِي
لَنْ عَاصِيَتْ عَذْلِي عَلَيْهِ وَلَمْ يَقْتَدِ مَلَامُهُمْ جَاحِي
فَإِنْ نَوَالَ شَاهِنْشَاهَ قَبْلِي عَصَى عَذْلَ الْعَوَازِلِ فِي السَّاحِ
إِذَا أُعْطِيَ تَبْلَجٌ فِي الْعَطَايَا كَمَا يَفْتَرُ مَبْتَسِمُ الصَّبَاحِ

ومنها :

مَلُوكُ إِنْ دَجَا لَيْلٌ جَلَوُهُ بِالْأَلَاءِ التَّرَائِكِ^(۴) وَالصَّفَاحِ
كَأَنَّ الْخَيْلَ تَحْتَ النِّقْعِ مِنْهَا شَقَقْنَ الْأَرْضَ عَنْ بَيْضِ الْأَدَاخِي^(۵)

(۱) البتات : هنا البت والقطع للصلة .

(۲) فركت : كرمت وملبت الفراق .

(۳) ساقطة في الأصل وزدناها متابعة للسياق .

(۴) الترائك : جمع تريكة وهي الخوذة أو البيضة .

(۵) الأداخي : جمع أذحية ، وهي مبيض النعام في الرمل .

نثرن عِجَاجَةً فی کل فِجٍّ کَانَ الْأُكْمُ تَنَسَّفَهَا الْمَسَاحِی
مَنَاقِبُ سَطَرَتْهُنَّ لِلوَاضِی فَمَا یَسْمُو إِلَیْهَا کَفُّ مَاحِی

وقال :

مَآخِلْتُ وَالْأَیَّامُ ذَاتُ عِجَابِ أَنِی أَعَدُّ مِنَ الْمَتَاعِ الْكَاسِدِ
وَأَكُونُ لِلدَّهْرِ الْخَوَّونِ عَقِیرَةً^(۱) وَأُعَاضُ مِنْهُ شَامِعًا مِنْ حَاسِدِ
فَأَسْأَلُ الْخَصْمَ الَّذِی لَا یُتَقَى وَأُثِيبُ عَذَابِ^(۲) ثَوَابِ الْحَامِدِ

وقال :

أُحِبُّ مِنَ الْفَتَیَانِ كُلِّ مَشِیْعٍ رُكُوبٍ إِلَى الْعِلَیَاءِ ظَهَرَ الشَّدَائِدِ
یُضْمُّ عَلَى فَضْلِ الْعَفَافِ ذِیوَلَهُ وَیَرْغَبُ عَنْ ضَمِّ الثَّدِیِّ وَالنَّوَاحِدِ

۱۰ ومنها :

إِذَا دَحَرْتُ^(۳) فِیهِ النَّعَایَ حَسْبَتْهُ حَبِيبُكَ دُرُوعٍ أَوْ مَتَوْنَ قَلَانِدِ
نِیمَ بَسْرٍ الْقِصَاعِ حَتَّى تَحَالَهُ أَسْتَعَارَ حِصَاةً مِنْ عَقُودِ الْخِرَائِدِ
نَزَلْنَا بِهِ وَالشَّمْسُ یُهْدِی شِعَاعُهَا لَهُ التَّسْوِیرَ إِلَّا أَنَّهُ غَیْرُ جَامِدِ
لِذِی رُوضَةٍ قَدْ نَشَرَ^(۴) الْعَصَبَ^(۵) نَبْتَهَا^(۶) وَنَثَرَ فِیْهَا النَّوْرُ ذُرَّ الْقَلَانِدِ

۱۱ ومنها :

کَانَ ذِیوَلِ الْأَفْضَلِ انْسَحَبَتْ بِهَا یُضَمُّهَا مِنْهُ أَرِیجُ الْحَامِدِ

(۱) المقبرة : ما عقر من صید أو غيره .

(۲) الكلمة فی الأصل مطبوسة وقیت منها : لی .

(۳) دحرت : اطردت وجرت ، والنعای : ریح الجنوب .

(۴) فی الأصل : بشر ، ونشر : من النشر ضد الطی .

(۵) العصب : ضرب من البرود الیمانیة ناصعة البیاض یصبغونها بمختلف الألوان .

(۶) فی الأصل ینتنا .

كريمٌ أعدَّ لـالٍ وقفاً على الجدا فأنحى نداه قاصداً كلَّ قاصد
إذا مدَّ يومَ الفخرِ باعاً لمفخرٍ حوى طرفيه من طريفٍ وتالد

ومنها :

جمعتَ سعودَ المشتري ووقاره إلى بأس بهرامٍ وحذقٍ عطارد^(١)

ومنها :

وما نمتَ عن شائٍ وقد نام دونه رجالٌ فلم أنبذ حياةً لراقد
ولو كنت ممن يجعل الفحش لفظه لنبههم منى عقابُ القصاد
وعَضَّ لحاظُ القومِ في كلِّ مجمعٍ قوافٍ كأطرافِ الرماحِ الحدائد
أَغْضَى على ضميمٍ وعزك ناصري وأخفق^(٢) في مجدٍ ونُجْحِكَ رائدى

وقال من قصيدة في محمد بن قابل وقد أنفذ إليه رفدا :

من منجدى بالشكر أم من مُسْعِدى أوفتَ على شكرى يدُ أغنتَ يدي
نام الورى عنى فلم أوقظهم أنفاً لمجدى من مقامِ اللجئدى
ورأيت عز الفقر من نيل الغنى بالنلِ أولى بالُملا والسود
ورددت ما يهبُ اللثامُ عليهم زهداً ولا مجدٌ لمن لم يزهّد
وكذاك نفسُ الحرِّ تحملُ الظما إن فاته يوماً كريمُ اللورد
وتداركنى منةٌ من مُنعمٍ يقظانٌ عن بطلِ الندى لم يرقد
ملاً الزمانُ بها مسامحاً أهله من شكر آل محمدٍ لمحمد
يعطيك مسؤلاً فيعجل رفده وتعوق هيئته السؤلُ فيبتلى

(١) عطارد وبهرام والمشتري : نجوم تنسب لها أعمال وحظوظ كما في البيت .

(٢) في الأصل : من .

ومنها:

أرسلتها فوق الرجاء تبرعاً أحلى الندى ما لم يكن عن موعد
لما سألتُ النعشَ يُسقى بالغنى [جوداً^(١)] بَعَثَتْ بِدِيمَةٍ من عسجد

ومنها:

وَلَتَنْصُرَنَّكَ بِاللِّسَانِ وَنَصْرُهُ أَتَى عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ نَصْرِ الْيَدِ

ومنها:

وإليكم أرسلتها تُرَضَى الْغُلَا فيكم وتقطعُ في قلوب الحُسَدِ
بسهولةٍ عنها للياء تفرقت وجزالةٍ منها متون الجلد
كالمسك من طيب الثناء عليكم فيكادُ يَعْبَقُ عَرَفُهَا بالمشد

١٠ وقال:

عصيتُ هوايَ حينَ وَفَى لَنَفْسِي^(٢) إياه صار من خُلُقِي وعادى
فبلغَ حاكمَ العشاقِ أَنِي عفاً قد حَجَرْتُ عَلَى فَوَادِي

وقال:

ألا يا خيلِي من وائلٍ أعنِّي على ليلَى الساهرِ
إلى كم أسوّفُ عطفَ الزمانِ وعزَّ النِّبَاجُ من العاقرِ
وعزَّ على المجد أَنِي قنعتُ بأيسرٍ من حَسَوَةِ الطائرِ^(٣)
وما ذلٌّ في انخبطِ عونائِي من لسانِي والمِخْدَمِ^(٤) الباترِ
ليالِي لا أنا شاكي الصَّحابِ ولا غدرُهُمْ شاغلُ خاطري

(١) في الأصل: بياض . (٢) في الأصل: لنفسي .

(٣) حسوة الطائر: مقدار ما يأخذ بمنقاره من الماء من مرة أي جرعه .

(٤) المخدّم: السيف القاطع .

[٥١ ط] / وإني على شغني بالقريض
سرى رَجَبٌ يستحثُ الشهور
لأنفُ من همةِ الشاعرِ
نزاعًا إلى فضلك الباهر
أتاك يحدُّ عهدَ المشوق
على كاهلِ الفلكِ الدائر
وله من قصيدة :

وقورٌ متى يستطلق الجملُ حَبَوَّةً
ويطرُبه ذكرُ الندى فتخاله
[تَبَيَّنَ فِي صَدْرِ النَّدَى وَقَارُهُ ^(١)]
أخا نشوة جارت عليه عُقَارُهُ
إذا اكتملت بالطعن أجفانُ خيله
إذا انبجست كفاه والمزن ممسك
فما ضررنا إلا بصوبِ قِطَارِهِ ^(٢)

وله من أخرى :

يا صاحبي قم ترى برقًا كما نُشِرَتْ
وسلَّ نسيم صبا نجد لعلَّ به
ملاءة الفجر هاج ^(٣) الوجد والذِّكْرَا
عن العذيب ^(٤) وجيران النِّصَا ^(٥) خبرا
تضوَّعت من ثرى واديه إذ خَطَرَتْ
تجنى ويغذُّرها ^(٦) حسنٌ تدلُّ به
رَيًّا فما زال من أرادانها عَطِرَا
فكلُّ ما فعلته كان مُتَقَفِّرَا

وله من أخرى :

خلعنا الصَّبَا ولبسنا الوقارا
ويا ربما لَيْلَةٍ قد خَطَرَتْ
وكان الشبابُ رداءَ مَعَارَا
إلى اللهو يُرْخِي مَرَا ^(٧) الإزارَا
أردُّ مشورة رأى التَّهَى
عليه وأَرْضَى الهوى مستشارَا

(١) ياض في الأصل وأكلناه حسب السياق .

(٢) القطار : اللطر . (٣) في الأصل : هان .

(٤) العذيب : ماء بين القادسية والمغيرة .

(٥) النضا : شجر . (٦) في الأصل : ويعدها .

(٧) الراح : النشاط والسرور .

لِیَهِنَكَ يَا عَاذِلُ أَنفَى مَلَكَتْ عَلَى صَبَوَاتِي ^(۱) الْخِيَارَا
رَقَّتْ ^(۲) دَمْعَةُ الشَّوْقِ مِنْ نَاضِرِي وَخَلَقْتُ غَيْرِي يَبْكِي الدِّيَارَا
وَلَمْ تُنْسِنِي عِفَّتِي غَادَةً تَزِينُ الْمَعَاصِمُ مِنْهَا السُّوَارَا
إِذَا انْتَقَبْتُ قَلْتَ بِدُرِّ التَّمَا مِ لَآثِ ^(۳) عَلَيْهِ النِّهَامُ الْخِمَارَا
وَلَا أُغِيدُ ^(۴) الْجَبِيدِ أُمْسَى يَدِيرُ مِنْ طَرْفِهِ وَيَدِيهِ الْعَقَارَا
إِذَا هُوَ أَرْعَفَ إِبْرِيْقِهِ كَسَتْ يَدُهُ كَأَسْهَ الْجُلُنَارَا
تَحَالُ فَوَاقِعُهَا لَوْلَا وَهَى سِلْكُهُ وَدُمُوعَا غَزَارَا
إِذَا اللَّاهُ غَابَ أَحْلَاقُهَا رَأَيْتَ الشَّقَائِقَ مِنْهَا بَهَارَا
تَضِيءُ لَنَا فَحَمَاتِ الظَّلَا مِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْبَسَ الْفَجْرُ نَارَا
وَبَيْنَ الْوُشَاحِينَ مِنْهُ الْقَضِيبُ ^(۵) وَتَحْتَ الْحَقَابِ ^(۶) نَقَا حَيْثُ دَارَا ۱۰

[وله من أخرى] وهى طويلة :

سَلْ بَنِي نِهَانٍ هَلْ زَهَدُوا فِي ثَنَاءٍ مِنْ فَتَى قُرَشِي
صَارَ كَالْكُتْمُونِ بَيْنَهُمْ بِالْمُنَى يُرْوَى مِنَ الْعَطَشِ
وَابْتِلَاهُ الدَّهْرُ بَيْنَهُمْ بِمَدْوِي مُرْتَشٍ وَبَشِي

۱۰ وله من أخرى :

هَلْ أَنْتَ بِالْيَأْسِ لِلرَّيْحِ مُخَلِّصِي مِنْ أَمْرِ مِيعَادِ الْمُنَى الْمُتَخَرِّصِ ^(۷)

(۱) الصبوات : جم صبوة وهى الليل إلى الجهل والفتوة .

(۲) رقت : جفت . (۳) لاث : لف .

(۴) كلمة أغيد معطوفة على غادة في قوله : ولم تنسني البيت .

(۵) القضيب : الفنس .

(۶) الحقاب : الحلي في حزام يدور على الحصر ، والنقا : الكتيب من الرمل .

(۷) للتخرص : إما من الحرس أى المزور أو بمعنى الكاذب .

وإليك أشكو سوء حظي مُشْرِقاً^(۱) أني شربتُ وإن أكلتُ مُعَصِّصِي
ماذا على الأيامِ لو هي أحسنتُ أو ساحتُ بالعيشِ غيرَ مُنْقَصِ
وأشدُّ ما لاقيتُ من أحداثها ما قد تجددَ في جفاء الخُلصِ
وعُدَّ الزيادة قد تطاولَ عمره حتى مللتُ ترقُّي وتربُّي
ما كنتُ أولَ مستزيدٍ لم يُزد وأنا السعيدُ اليوم إن لم أنقصِ ۵

وقال :

أغرى به الشوقَ اللجوجَ وحَرَضَا برقُ أضاءَ له على ذات الأضَا^(۲)
مبتسماً منهُ الغامُ كأنما هزَّ القيونُ به الحسامَ للنتضِ
وعصى الفؤادُ سُلوهُ لما غدا طوعَ الوشاةَ فصدَّ عنه وأعرضا
هيئاتِ إبراء السقيمِ^(۳) من الضنا يومًا إذا كان الطيبُ المرصَا ۱۰
ما كان لولا حبُّ من سَكَنَ النضا يُحشَى حشاهُ لذكره جمرَ الغضا
زمنٌ مضى فوقَ النى فكأنه حكمٌ تقاضى حسرةً ثم انقضِ
خالفتُ يومَ البينِ حكمَ تجلدى لما قضى فيه القراق بما قضى
وبميجتى رشاً أَعْنُ بطرفه مَرَضُ وجهه طَرَفِه أن يَمْرَضَا
قد صرَّحَ المجران فيه لمدنف خاف الرقيبَ على هواه فعرضا ۱۵
كم يقتضي الدهرُ حقَّ عنده الدَّيْنُ لى وأنا الغريمُ المُقتضى

وله على وزنها من أخرى :

كان الشبابُ وقد خلَّعتُ رداءهُ طيفاً سرى وخضاباً داجيةً نصّا^(۴)

(۱) مشرقى : من الشرق وهو الشجا والنصة .

(۲) الأضا : واد . (۳) في الأصل : لإفراق النسيم .

(۴) نفا : خلع ونسل .

ومنها فی الاعتذار عن مدح غیر هذا الممدوح :

شَعْرٌ حَلَّتْ سَوَادَهُ وَبَيَاضَهُ فوجدت أثقلَ ما حَلَّتْ الأَيْضاً
مَا إِنْ مَدَحْتُ سِوَاكَ إِلَّا رَقَبَةً منى لِصِلِّ حَمَاطَةٍ قَدْ نَضَضْتُ^(۱)
فَسَحَتْ بِالأَشْعَارِ عَطْفَ عُرَاهِ^(۲) وحلت عذرَ زمانه حتى انقضى
وَالْآنَ عُدْتُ وَكُنْتُ عَوْدًا ذَاوِيَا نبتاً بصوب نداكم قد رَوَّضَا
وَحُسِدْتُ مَا شَرَّفَتْنِي بِسَمَاعِهِ حتى تَمَنَّى مُنْعَمٌ أَنْ يَقْرَضَا

وقال :

كَلَّ يَوْمٍ نَلَقَى بِبَابِكَ غَيْظًا^(۳) أَمَلًا خَائِبًا وَسَعِيًا مَضَاعَا
/ وَوَجْهًا يُغْضُّ مِنْ دُونِهَا الطَّرْ فُ كَمَا قَابَلْتُ عَيُونََ شَعَا
لِيَتِهِمْ إِذْ حَمُوكَ مِنْ كَلْفَةِ الإِذْ ن لَنَا أَوْصَالُوا إِلَيْكَ الرِّقَاعَا
[۵۲ و]

وقال :

لَعَذْلُ الْعَوَازِلِ أَلَا أَعَى وَالْأَ أُصِیْخَ لَهُ مَسْمَعَى
وَيَا لَأَيْئٍ فِي غَرَامِي بِهَا أَضَعْتُ اللَّامَ فَخَذْتُ أَوْ دَعَى
أَتَطْمَعُ لِلْقَلْبِ فِي سَلَوَةٍ وَهِيَهَاتِ فِي ذَاكَ لَا تَطْمَعُ
أَطَعْتُ الْهَوَى وَعَصَيْتُ النَّصِيحَ وَقَالَ الْعِذُولُ فَلَمْ أَسْمَعُ
وَقَدْ أَنْكَرْتُ أَنْ حَبَى لَهَا كَسَرْتِي فِي غَيْرِ مُسْتَوْدَعِ
فَلَوْ جَازَ حَكْمِي لِدَعْوَى الْهَوَى جَعَلْتُ الْيَمِينَ عَلَى اللَّدَعَى
أَمَا عَلِمْتَ أَنْ لِي بِعَدَا هُمُومًا تُكَادِرُهَا أَدْمَعَى
أَبَى لِي تَنَاقُصِي مَا قَدْ مَضَى خِيَالٌ لَهَا لَارِمْ مَضْجَعَى

(۱) نضض الصل : حرك رأسه ؛ والحماطة : شجرة التين .

(۲) الغرام : الحدة والشدة ، وفي الأصل : غرامة .

(۳) في الأصل : غيضاً .

ومنها:

وزارَ برغمَ الکرى حاجعين
وأشعثَ أخفاه برحُ السقامِ
فيامنةً [قد^(۱)] شكرت الرقاد
نشأوى بكأسِ الهوى للترع
فدنت به أنه الموبج
لو أنى اتبتهت وقلبي معي

ومنها:

وقد علم الحرصُ أني برئتُ
وكم لي مع الدهر من وقعةٍ
تبلى^(۲) في وجهها الأملع
إلى راحة اليأس من مطمعي

وقال:

دع المطامع لا تحلل بساحتها
لا تخضعن لأمرٍ عزَّ مطلبه
وأرض القليلين من ربي ومن شيع
لا خير في العيش ما أدناك من ضرع^{۱۰}

وقال:

غريمُ فؤادي في الهوى غيرُ منصف
تكلف بي يومَ اللقاء بشاشةٍ
وماطلُ وعدى قد أبى النذر أن يني
وأفبح ما استحصنت بشرُ التكلف

ومنها:

رضيت وإن لم تسمحوا برضاكم
ليهن حسودي أن يُقدّم ناقصُ
ولو أنصف الدهرُ الكرامَ لما غدا
لن الله من قلبٍ لجوجٍ بصبوةٍ
على عزِّ قومي في الهوى ذلَّ موقفي^{۱۰}
فأصبح فضلي علةً لبعثي
يطيلُ على حظِّ اللثام تلقي
إلى المز ما يزداد غير تطرف^(۳)

(۱) ساقطة من الأصل .

(۲) تبلى : أضاء وأشرق .

(۳) التطرف : الكبر .

رکوبٍ لِأُتْبَاجِ الْخُفَافِ دُونَهَا وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْيَاءَ لَمْ يَتَخَوَّفْ
أَأَرْمَى بَعِيشَ الْخُلَامَيْنِ وَقَدْ أَبَى لِي اللَّهُ أَنْ يَرْضَى فِرَاسِي وَخُنْدِي^(۱)
ومنها فی القلم :

له القلم للماضی الشَّبَا فَكأنما تَهز به أَعْرَافُهُ^(۲) صَدَرَ مُرَهَفٍ
إذا ماسقاه للزُّنْ صَوَّبَ قَطَارَهُ كسا الطرسَ أَوَابَ الرِّبَعِ الْمُفَوِّفِ
وله من أخرى :

حَيٍّ مِنْ رِيًّا خِيَالًا طَرَفًا عَادَ جُنْحُ اللَّيْلِ مِنْهُ فَلَقَا
سَارِيًّا يَذْكُرُنَا عَهْدَ الْحَيِّ نَقَصَ الْبَيْدَ^(۳) وَقَصَّ الطُّرُقَا
حَبْذَا الطَّيْفُ تَغَلَّلْنَا بِهِ وَاصِفًا فِي الْبَيْنِ أَيَّامَ الْقَا
قَدْ رَضِينَا مِنْ أَبَاطِيلِ الْكُرَى رَدَّ مَامَوْهَهُ وَاخْتَلَقَا
الَّتِي إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الَّتِي لَهَا لَهَيَّ النِّعَمِ فِي الشَّقَا
هَلْ مُعَادٌ وَالْأَمَانِي ضَلَّةٌ مَوْقِفٌ بَيْنَ الْمَصَلَّى فَالْتَقَا
يَا نَسِيمَ الرِّيحِ إِمَّا جِئْتَهُمْ فَاشْكُ عَنْ قَلْبِي الْجَوَى وَالْخُرْقَا
وَتَعَرَّضْ لِمُلُولٍ مِنْهُمْ مُسْتَجِدٌّ كُلَّ يَوْمٍ خُلُقَا
وَطُمُوحِ الْعَيْنِ مَذَاقِ^(۴) الْهُوَى قَلَّ مَا مَزَحَ إِلَّا عَشَقَا
أَهْ وَالشَّكْوَى إِلَيْكُمْ خَوَزٌ بَعْدَ ظَنٍّ فِي هَوَاكُم أَخْفَقَا
يَا لَهِيْفَاءَ وَقَلْبِي كُلِّي قَلْتُ قَدْ أَفْلَتَ مِنْهَا عَلِقَا

(۱) الفراس : الخنقة ، والخنقة : مشية الخيلاء .

(۲) أعرافه : أعالیه وفي الأصل : أعراضه .

(۳) في الأصل : البید (۴) مذاق الهوى : غير مجلس

وخلّی کالشّجی معترضٍ ما محضتُ الودَّ إلا مَذَقًا
وله من قصيدة :

أَتَمَنَّا عَلَى بُغْدِ الْمَنَالِ وَأَسْوَمُ الصَّبْرَ عَنْهَا وَهُوَ غَالِي
وَأَرْجَى عَقْفَةَ السَّالِي وَقَدْ تَغَلَّقَ الْأَطَاعُ أَسْبَابَ الْحَالِ
وَعَلَى مَا مَرَّئِي أَوْ سَاءَئِي فَهَوَّ مَحْبُوبُ التَّجْنِي وَالِدَالِ
وَلِقَلْبِي مِنْ أَحَادِيثِ اللَّيِّ مَا لِعَيْنِي مِنْ سُرَى طَيْفِ الْخِيَالِ
ومنها :

لَسْتُ بِالْقَائِتِ حَظِّي مِنْكُمْ رَبِّ عَتَبٍ كَانَ بَابًا لِلْمَلَالِ
مَذْهَبٌ مَا ابْتَدَعْتُهُ غَادَةٌ يُبْذَلُ الْعِذْرُ لِرَبَاتٍ^(۱) الْحِجَالِ
أَنْكَرْتَنِي أَنْ رَأَيْتَنِي عَاطِلًا رَبِّ جَيِّدٍ عَاطِلٍ بِالْخُسْنِ حَالِي
مِنْ عَذِيرِي الْيَوْمَ مِنْ أَيْدِ خُطُو بٍ رَعَى الْبَادِنُ مِنْهَا فِي هِزَالِي
هُمْ الْعِلْيَاءُ ضَرَّاتُ الْفَنَى وَجِيوشُ الْفَقْرِ إِكْثَارُ الْعِيَالِ
فَارَضَ بِالْأَدْنَى إِذَا لَمْ تَرْقَ فِي دَرَجَاتٍ مِنْ ذُرَا الْجِدِّ عَوَالِي
أَوْ فَكَنْ جَارَ شَهْنَشَاهٍ تَصِفُ مُغْرَمًا بِالْجُودِ قِيَاضَ النَّوَالِ
كَغَلِّ الْمَلِكِ بِأَطْرَافِ الْقَنَا وَلِلْعَالِي فِي كَفَالَاتِ الْقَوَالِي^(۲)
وَمُطَاعِ الرِّمَحِ فِي يَوْمِ الْوَعَى نَافِذُ الْحَكْمِ عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالِي
عَلَقَ الْأَرْزَاقَ مِنْ أَثْمَرِهِ^(۳) مَعْلَقَ الرِّمَحِ بِأَطْرَافِ النَّصَالِ^(۴)
يَنْفُضُ الشَّيْرَ عَنْ أَعْطَافِهِ نَفْضَةَ الْأَجْدَلِ^(۵) أُنْدَاءُ الظَّلَالِ

(۲) العوالى : الرماح .

(۴) فى الأصل : الذبال .

(۱) فى الأصل : بربات .

(۳) الأسمر : الرمح .

(۵) الأجذل : الصقر .

وله من أخرى :

لولا الحظوظ التي في بعضها بَلَهٌ
مَّمْتُ لِبَسْتُ لَهُ ثَوْبَ الضَّنَا كَدًّا
لما علا الشمس بهرامٌ ولا زحلٌ^(١)
والهمُّ يفعل ما لا تفعلُ الملأُ

/ ومنها :

من كلِّ أروغ في المهباء يصحبه
الأرقمُ الصِّلُّ إِلَّا أَنَّهُ بَطْلٌ
عَزَمْتُ فَنَيْتُ ورأى منه مُكْتَمِلٌ
والأغلبُ الوزْدُ^(٢) إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ

ومنها :

وصاحبٌ مثلُ حَيِّ الرَّبْعِ^(٣) أرقبها
رَحَى وَلَوْ أَنِّي أَرْضِيهِ قُلْتُ لَهُ
مُنْعَرَى بِذِمِّي مِنْهُ لِلنَّطْقِ الْخَطِلُ
خَذَهَا إِلَيْكَ لَكَفَّ الْخَطِيءُ الشَّلُّ

وله من أخرى :

يا هل جَنَتْ أَعْيُنُ مَرَاضٍ
أَصَابَتْ الْقَلْبَ يَوْمَ سَلَجٍ^(٤)
قَلْبٌ إِذَا جِئْتَ آلَ سَهْمٍ
وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا تَعَرَّضْ
بَلَّغْ فَإِنَّ الْقَبُولَ أَوْلَى
وَصَفَّ غَرَامِي وَأَجْرِي فِيهِمْ
وَاحِرَّ قَلْبَاهُ مِنْ قَضِيْبٍ
كَالْحَرِّ تَسْطُو عَلَى الْعُقُولِ
بِنَافِذَاتٍ بِلَا نَصُولِ
مَا فَعَلَ السَّهْمُ بِالْقَتِيلِ
لِحَاضِرٍ بِالْفَضَا حُلُولِ
فِي طَاعَةِ الصَّبِّ بِالْقَبُولِ
ذَكَرَى لِلْهَاجِرِ الْمُلُولِ
رَيَّانَ لَمْ يَدِرْ مَا غَلِيلِي

(١) يشير إلى ما كانوا يعتقدونه في البروج والأفلاك والنجوم وترتيبها بالقياس إلى بعضها في الحظوظ .

(٢) الورد : النجاع الجريء .

(٣) حى الربع : التي تقطع ثلاثة أيام وتأتي في الرابع .

(٤) سلج : جبل في المدينة .

لو أَنْصَفَ الْحَبُّ مَا طَلَبَتِ الْوَصَالُ مِنْ طَيْفِهِ الْبَخِيلِ
ومنها فی المدح :

من أسرة النجم فی العالی وإخوة القيث للزلیل
تشابهوا واحداً وَنَجَّلاً^(۱) ما أشبه الكُتُبَ بالسُھول

وقال من أخرى :

رعى الله المنازل من غم^(۲) وحيا یومنا بلوی الصَّرم^(۳)
وروی أرضها حَلْبُ النُّوادی وصافح روضها وَلَعُ النِّسیم
وقفتُ بها فیا نثری^(۴) لدمع أرقتُ علی نثری تلك الرسوم
وما خِلْتُ للعالم قبل یومی بها صهباء تهفو بِالْحُلُم
متی تدنو لمشتاقٍ مُناهُ ویصحو من معاقرة المهوم ؟
ومنها :

ومن ناداك من قلبٍ سلیم كن داجاك بالودِّ السقیم
فلا تغررك صحَّةٌ صَفَحَتِیه فیتحت ثیابه نغل^(۵) الأذیم
فداؤك كل مغرورِ الأمانی رُجی مُنتَجِ الأملِ العقیم

وقال :

ركبوا قوادمَ رَوْعِهِمْ فكأُما طارت بهم حَذَرُ الحِمامِ حَمام
إنَّ لَدَّ عِنْدَكَ طیبُ عیشٍ بارد قلنا^(۶) وعزْمُكَ فی غُلاكِ ضِرَامُ

(۱) نجلا : نلا . (۲) الصم : موضح بین مكه والمدینه .

(۳) لوی الصرم : اللوی : منقطع الرمله ، والصرم : الأرض السوداء ، ولوی الصرم :

واد بالین .

(۴) فی الأصل : فیا سرعا (۵) النغل : الفساد . (۶) قلنا : من القیلوله .

ولہ فی مریض :

أما لو أن أغراضی لا یخرجن عن حکى
نقلت الداء من جسمك مختاراً إلى جسمى

ولہ من أخرى :

كالنصن أطلع بدر نيم باسمًا
يا عاذلى أقصر فسمعى فى الهوى
لو كنت أعلم أن نجداً قصدتهم
ووراء أقار المودج غلصة
كتبوا بأيدى الخليل خلف مطيهم
بالأخوان ملثمًا بالعندم
سلم الغرام وحرب لوم اللوم
يوم استقل فريقهم لم أنهم
نحى الحرم بالأقب^(۱) للجم
عين^(۲) المواجر^(۳) بلوها^(۴) لمتيم

۱. ومنها :

أنت شجاعتہ السلاح فسيفه
يبكى الدماء لرحمة المتحطم

ومنها :

لو أشهدت^(۵) رزق الورى شهدت به
نعم إلى نفحات سليل تنمى

ولہ من قصيدة أولها :

أثرها فقد طال هذا مقامًا
ورائح لها إن جاذب الزمما
تقص من النيث آثاره
فترعى جحيا^(۶) وتسقى جحاما^(۷)

(۱) الأقب من الخيل : الضامر . (۲) عين : جمع عيناہ وى واسعة العين .

(۳) المواجر : جمع حاجر وى منزل فى البادية يمر به الحاج .

(۴) بلوها : من قولهم فلان بلو حب ، إذا بلاه الهم والفكر .

(۵) فى الأصل : لو شهدت رقى ، وهو تحريف .

(۶) الجحيم : الثبت الذى طال بعض الطول .

(۷) الجحام : جمع جيم وهو معظم الماء .

ومنها :

أضادوا شمساً ، وثُمُوا بدوراً ولاحوا نجوماً ، وجادوا غماما

ومنها :

يا بائع بالبدونِ إِنَّ العُلاَّ لا ترضى ببيعكَ أعلَى بدونٍ
وعُدُّكَ قد أصبحتُ أَتْلُو له هيهات هيهات لما توعدون
إن كان حظِّي منك ما قد أرى^(١) قفل لحسادى ما تحسدون

وله من قصيدة :

وكم دُذْنَا الكرى عنا بليلٍ كعينِ الظُّبى أو فَرَعِ الفوانى
وقد نثرت كواكبهُ عقوداً نقوداً صُبْحُها لقطُ الجمان
صحبتنا فيه ملء القلب رعباً بخرق^(٢) كالملاءة صحصحان^(٣)
على مثل الأهلَّة طامحاتٍ إلى قر المعالى الإضحيان^(٤)

ومنها :

كأن البيض فى رَهَجِ المذاكى ضرامٌ تحت أودية الدخان

وله من قصيدة يصف خيمة وتقوشها :

صَرَبَتْ عين [رواق^(٥)] فى مقرِّ علاَّ أوفى على عَذَبَات^(٦) الطَّوْدِ ذى القُنَنِ
جَارَتْ مدى الطرفِ حتى خلتُ ذِرْوَتَهَا تأوى من الفلَّكِ الأعلى إلى سَكَنِ^(٧)

(١) فى الأصل : رأى . (٢) الخرق : القلاة .

(٣) الصحصحان : ما استوى من الأرض .

(٤) الإضحيان : الضيعة .

(٥) ساقطة من الأصل وزدناها مع السياق ، والرواق : الخيمة والفسطاط .

(٦) العذبات : الأعالي ، والفنن : القمم . (٧) فى الأصل : حادت .

أَقْطَارُهَا مَلَتْ مِنْ مَنْظَرٍ عَجِبَ يَهْدِي إِلَيْكَ ذَكَاءُ الصَّانِعِ الْقَطَنِ
فَنْ رِيَاضٍ سَقَاها الْفَكْرُ صَبِيحَهُ فَمَا بِهَا ظُلْمًا يَوْمًا إِلَى اللَّزْنِ
وَجَامِحٍ فِي عَنَانٍ لَا يَجَاذِبُهُ وَطَائِرٍ غَيْرِ صَدَّاحٍ عَلَى قَنَنِ
وَأَرْقَمٍ لَا تَمِجُّ السَّمَاءُ رِيقَتُهُ وَضَيْغَمٍ لَيْسَ بِالْعَادَى وَلَا الْوَهْنِ
وَمَائِلِينَ صَفُوفًا فِي جَوَانِبِهَا لَوْ يَسْتَطِيعُونَ خَرَّ^(١) الْجَمْعُ لِلذَّقَنِ
/ زَيْتٌ بِأَرْوَعٍ لَا تَحْصِي فُضَائِلَهُ مَاضٍ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعِلْيَاءِ فِي سَنَنِ [٥٣ و]
وَأَطْلَعَ الدُّسْتُ^(٢) فِيهَا شَمْسَ مَمْلَكَةٍ تُرَى التَّائُمْلَ فَضَلَ الْعَيْنِ لِلْأُذُنِ
وَعَدَّ عَلَى السَّعْدِ أَنَّ النُّصْرَ يَضْرِبُهَا بِالصَّبْرِ بَعْدَ فَتُوحِ الْهِنْدِ وَالْمِينِ
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى :

١٠ زَالَتْ بِيضُكَ هَامٌ عَنْ مَنَاكِبِهَا فَنَابَتِ السَّمَرُ فِيهَا عَنْ هَوَادِيهَا^(٣)
أَعْطَيْتُ مُلءَ رَجَائِي مِنْ غَفَى وَعُلَا فَصَرْتُ أَسْأَلُ نَفْسِي عَنْ أَمَانِيهَا
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى أُولَها :

١٥ لَيْتَ دَارَ الْحَيِّ إِذْ شَطَّتْ بِهَا حَمَلَتْ رِيحَ الصَّبَا نَشَرَ ثَرَاهَا
لَا عِدَاها الرُّىُّ مِنْ صَوْبٍ حَيًّا يَنْظُمُ الرُّوضَ لِأَعْنَاقِ رُبَاهَا
دَارُهُمُ بِالْفُورِ^(٤) إِذْ هُمْ جَبِيرَةٌ وَالنَّوَى مَا صَدَعَتْ شَمْلًا يَدَاهَا
وَسَمِيرَى فِي الدِّيَاجِي غَادَةٌ فخرِ الْبَدْرِ بِهَا^(٥) لَمَّا حَكَاهَا
وَمِنْهَا :

خَلَوَاتُ لَمْ تَكُنْ فِي رَيْبَةٍ أَكْرَمُ الصَّبُورِ مَا عَفَّ هَوَاهَا

(١) فِي الْأَصْلِ : جَرَّ ، وَغُرُونُ لَأَذْنَهُمْ أَوْ عَلَى أَذْنَانِهِمْ : يَسْجُدُونَ .

(٢) الدُّسْتُ : سِدْرُ الْبَيْتِ . (٣) الْهَوَادَى : جَمْعُ هَادَى وَهُوَ الْغَتَقُ .

(٤) الْفُورُ : تَهَامَةٌ . (٥) فِي الْأَصْلِ : بِهِ .

سَلْ عَفَايَ دُونَهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ رَيْقُهَا مِنْ خَرَّةٍ قَبْلَتْ طَاهَا
أَهٍ مِنْ بَيْنٍ وَشَوْقٍ لَمْ يَدْعُ حَسْرَةً تَعْتَادُنِي إِلَّا اقْتَضَاهَا
لَيْتَ شِعْرِي مَا لَدَى غَيْرِهَا أَوْ أَرَاهَا حَسَنًا أَنْ لَا أَرَاهَا
شَدًّا مَا أَجْرَتْ دُمُوعِي فَرْقَةً لَا أَرَى عَوْنًا عَلَى قَتْلِي سِوَاهَا

ومنها :

مَا عَلَيْكُمْ أَنَّهُ زَارَكُمْ فَمَسَعَتْ بَعْضَ مَا يَشْكُو شِفَاهَا
لَا تَذُودُوا عَيْنَهُ عَنْ نَظَرَةٍ قَدْ عَلِمَتْ أَنَّهَا تَجْلُو قَدَّاهَا
وَعِدُّوْا بِالطَّيْفِ إِنْ عَادَ كَرِيٌّ مَقْلَةٍ مَذْغَبْتُمْ غَابَ كَرَاهَا
أَوْ فَنَوْنُوهُ لِلنَّيِّ مِنْ قُرْبِكُمْ حَالَ يَأْسٍ بَيْنَ نَفْسِي وَمَنَاهَا
قُلْ لِمَنْ دَبَّتْ أَفَاعِي كَيْدِهِ لَسْتُ أَخْشَاهَا وَكَيْدِي مِنْ رُقَاهَا
لَا تَجَاذِبْنِي فَإِنِّي مُنْسِكٌ ذِمَّةً لِلْجَدِّ لَمْ تُفْصِمْ عَرَاهَا
مَا أَبَالِي سُخْطَ أَيَّامِي إِذَا فَازَ سَهْمِي بِرَضَى شَاهِنشَاهَا

وله من قصيدة :

وِغْضَبَانٍ أَعْدَى بِالْتَجْنِي خِيَالَهُ فَن لِي بَأَن أَلْقَاهُ فِي الْحِلْمِ رَاضِيَا

ومنها :

أَحْبَ تَرَى الْوَادِي الَّذِي تَزَلَّتْ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَا يَبْنِيَا مَتَدَانِيَا
وَأَكْبَرُ^(۱) أَنْفَاسَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى فَصَادَفَ جِرْعَاءَ الْحَمَى وَالْحَمَانِيَا

ومنها :

فِيَا لَيْتَ قَوْمِي جَنَّبُونِي عَقُوقَهُمْ وَلَيْتَ صَدِيقِي لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

(۱) في الأصل : وأكبد .

أَسْرُوا حِذَارَ الشَّامَتَيْنِ تَأَوَّهًا وَمَنْ ذَا مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ يُلَفَّ آسِيَا
وَأَظَنَّا فَاَرَوَى بِالنَّسِيمِ تَعْلَلًا عَنْ الْمَاءِ كَيْلًا يَعْلَمُ الْمَاءُ مَا يَبِيَا

ومنها :

وهاجرة تَدْوِي^(١) الوجوه ارتديتها وقد عَمَّتْ صُلُغَ الرَّبِّي^(٢) القباطيا^(٣)

ومنها :

وليل كأطمار^(٤) الشَّكَالَى ذَرَعَتْهُ بصحبٍ يُضَاهُونَ النُّجُومَ الدَّرَارِيَا
وَحَزَقٍ كِرَاحِ الْمُجْتَدِينَ قَطَعَتْهُ بِمَنَاطِرَاتٍ^(٥) كَالْقَيْسَى نَوَاجِيَا^(٦)
بِمَقْمُورَةٍ^(٧) مِثْلِ الْمَلَالِ كَأَنَّمَا طَلَى السَّيْرُ مِنْهَا بِالْكُحَيْلِ^(٨) الدَّوَارِيَا^(٩)
يَنَازِعُ مِنْ أَعْقَابِهَا الْجَذْبُ بِالْبَرَى^(١٠) أَفَاعِي حِفْفٍ^(١١) لَا تَجِيبُ الرَّوَاقيَا

(١) تدوي : تدبل ، وفي الأصل : تروى .

(٢) في الأصل هكنا : الروى ، والرني : الربوات .

(٣) القباطي : جمع قبيلة وهي ثياب تنسب إلى قبط مصر الذين كانوا يصنعونها .

(٤) أطمار : جمع طمر وهو الثوب الخلق .

(٥) المناطرات : اللقوسات ، ويريد الإبل .

(٦) نواجي : جمع ناجية وهي الناقة السريعة .

(٧) ممقورة : مضروبة ولعله يكتئ بذلك عن كثرة سيرها .

(٨) الكحيل : القطران . (٩) الدواري : الأعالي .

(١٠) البرى : جمع برة وهي حلقة توضع في أفت البعير .

(١١) الحفف : للموج من الرمل .

١٠ — الأعرز أبو الفتح

المعروف بابن قملؤس وهو

نهر* [الله] بن عبد الله بن علي بن الأزهري

ذكر لي نجم الدين بن مَصَال^(١) أنه كان من أهل الإسكندرية وقاد الخطاير،
 ذا الفضل الوافر، مات ببيذاب عند رجوعه من اليمن ولم يبلغ عمره ثلاثين سنة .
 أنشدني له من أبيات يصف أمراضه :

نُكِّسْتُ فِي الْأَمْرَاضِ بِهِ دَإً إِفَاقَتِي نَكْسَ الْهَلَالِ
 وَالرَّأْسُ مِثْلَ الْكَاسِ لَوْ لَا عِلَّةٌ نَالَتْهُ خَالِي

وأنشدني له من قصيدة :

لا تَبْنِ خَدَّكَ إِنْ الرُّوضُ قَدْ جِيَدًا^(٢) مَا عَطَّرَ الْقَطْرُ مِنْ نَوَارِهِ جِيَدًا ١٠

ومنها :

وَقَفَ^(٣) أَبْنُوكَ مَا لَانَ الْحَدِيدُ لَهُ فَإِنْ صَدَقْتَ قَلَّ : هَلْ صَرَتْ دَاوِدَا

(*) شاعر إسكندري ولد سنة ٥٣٢ هـ ، وتوفي سنة ٥٦٣ هـ رحل إلى صقلية وبقي بها نحو عامين ، ثم رجع إلى مصر وتركها إلى اليمن ومات ببيذاب بعد رجوعه منها سنة ٥٦٧ هـ .
 وله ترجمة في معجم الأدباء ٢٢٦/١٩ ، وابن خلكان ٢٣١/٢ ، وشذرات الذهب ٢٢٤/٤ ، وحسن المحاضرة ٣٢٤/١ ، ومسالك الأبيصار الجزء الثاني عشر المجلد الأول الورقة ٢٣ . ولابن قلاؤس ديوان مطبوع راجعه وضبطه خليل مطران ، وسنرجع إليه في تحقيق هذا النص .
 (١) أحد أعيان الدولة الأيوبية كان له عند صلاح الدين والفاضل فضل وإنصال ، وهو الذي سعى للعماد حتى يتخذه الفاضل في كتابه . انظر الروضتين ٢٠١/١ .

(٢) جيذا : نزل به الجود وهو المطر .

(٣) هكذا في الديوان وفي الأصل : وقد .

ومنها :

يا ثعلب الصبح ^(١) لاسرحان أوله خذ الثريا قد صادفت عنقودا
وله :

ما ضر ذلك الريم أن لا يريم لو كان يرثي لسليم سليم ^(٢)
ومنها :

تراه لما أن غدا روضةً أعلّ جسي كي أكون النسيم ^(٣)
رقيمٌ خذ نام عن ساهير ما أجدر النوم بأهل الرقيم ^(٤)
وله من أخرى :

فهمتُ عن البارق للمطر حديثاً ببالك لم يخطُـر
يقول سهرت فأجِر ^(٥) الدموع وإلا فإنك لم تسهر

ومنها :

فيا عبلة الساق لا أشتكى [إليك] ^(٦) / سوى وجدى القنترى ^(٧) [٥٣ ظ]
ثم ظفرت بكتاب الزهر الباسم من أوصاف أبي القاسم ^(٨) ، وهو بعضُ

(١) في الديوان ، وفي أعيان مصر (رقم ١٠٩٤ تاريخ بنار الكتب المصرية ج ٢ ورقة ٢٢٠) الفجر .

(٢) السليم : الصحيح والدينج . (٣) رواية هذا البيت في الديوان هكذا :
أغيد مذ همت به روضة أعل جسي لأكون النسيم

(٤) يشير إلى قصة أهل الكهف المروفة .

(٥) في الديوان : فأذر . (٦) زيادة من الديوان سقطت من الأصل .

(٧) القنترى : نسبة إلى عنتر ، ذكره مشاكلة مع كلمة عبلة في أول البيت .

(٨) هو أبو القاسم بن حود المعروف بابن الحجر ، وقد وصفه ابن جبير بأنه زعيم أهل الجزيرة من المسلمين في عصر النورمان بصقلية ، وأثنى عليه بكثرة الصنائع والصدقات .

القواد بجزيرة صَمَلِيَّة فَأَطْلَعْتُ فِيهِ وَأَطْلَعْتُ فِي فَلَكِ الْخَرِيدَةِ نَجُومَ مَعَانِيهِ .
 ذَاوِلَ مَا بَدَأَ فِيهِ بِوصفِ الْكِتَابِ ، كَلَامُ أَصْنَى دِيمَةٍ مِنْ دُرِّ السَّحَابِ ، وَأَوْفَى
 قِيَمَةٍ مِنْ دُرِّ السَّحَابِ . فَمِنْ ذَلِكَ :

- هَذَا كِتَابٌ نَظُمْتُ فَرِيدَهُ فِي عَقْدِ الْكَرَمِ ، وَجَلُوتُ فَرِيدَهُ فِي عَضْبِ
 الْمِهْمِ ، وَاسْتَخْلَصْتُ بِنَارِ الطَّعْمِ تَبْرَهُ ، وَشَعَذْتُ مِنْ لَسَنِ الذَّهْنِ نَبْرَهُ ، وَأَنْبَتُ ٥
 فِي رَوْضِ الشَّرَفِ أَزَاهِرَهُ ، وَأَثْبَتُ فِي سَمَاءِ الْعَرْزِ وَاهِرَهُ ، وَوَسَمْتُ عَوَاتِقَ الْمَجْدِ
 بِمَجَائِلِهِ ، وَرَقَّتْ دُمَائِي^(١) الْحَمْدَ بِمَجَائِلِهِ ، نَاضِرَةً^(٢) مُشْرِقَةَ الْأَلَاءِ ، بِلَ مُشْرِقَةِ
 الْأَلَاءِ^(٣) . وَهَذَا السَّيِّدُ الْأَيْدُ — وَإِنْ عَظُمَ سُورُهُ ، وَكَبُرَ صُورُهُ^(٤) ، وَشُرُفَ
 نَسَبِهِ ، وَظُرُفَ نَصَبِهِ^(٥) ، وَاجْتَلَى مِنْ مَجَالِسِ الْفَضْلِ ، وَمَغَارِسِ النَّبْلِ — مُتَنَدِي
 صُدُورِ إِيوَانِهَا^(٦) ، وَبَمْتَدَأِ سَطُورِ دِيَوَانِهَا ، فَإِنْ مَثَلِي وَإِيَاهُ كِرَاعِي سَتِينَ مَحْجَافٍ ، ١٠
 وَدَاعِي مُسَيِّتِينَ لَا يَحْجَافُ^(٧) ، طَوَاهُ إِدْقَاعٍ ، وَأَجْرَاهُ صَفْصَفِ قَاعٍ ، فَاحْتَلَّ بِوَهْدٍ ،
 رَهْنِ جَهْدٍ ، مَالَهُ بِالسَّحَابِ وَأَذْيَالُ السَّحَابِ مِنْ عَهْدٍ ، قَدْ لَقِيتُهُ النُّكْبَاءُ فِي شِمْلَتِهَا ،
 وَأَتَلَفْتُهُ بِفَضِيلَتِهَا وَجَمَلَتِهَا ، فَلَمَّا^(٨) يَسَّتْ مِرَاتَتُهُ ، وَيَسَّتْ مَطَامِعُهُ ، أَتَتْ أَكِيلَةً
 لَيْثٍ فَسَامَهُ ، وَعَنَّتْ نَحِيلَةً غَثِيثٍ فَشَامَهُ ، وَأَصَاحَ لَيْسَمَعُ أَيْنَ مَوْقَعُهُ ، وَيَنْتَجِعُ
 مَا يَنْفَعُهُ ، وَإِذَا هُوَ نَبْتُ ، فِي رَمْلِ خَبْتٍ ، قَدْ أَرْضَعْتَهُ بِدَرَّهَا الْأَطَارُ ، وَرَضَعْتَهُ ١٥
 بِدَرَّهَا الْأَزْهَارُ ، وَانْدَقَّتْ^(٩) أَنْهَارُهُ ، وَسَجَّتْ أَطْيَارُهُ ، بِمَا خَرَقَ لَهُ مُخَارِقُ^(١٠)

(١) دُمَائِي : جَمْعُ دَمِيَّةٍ وَهِيَ مَا سَهَلَ وَلَانَ مِنَ الْأَرْضِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : حَادِرَةٌ . (٣) فِي الْأَصْلِ : الْأَلَاءُ .

(٤) الصُّورُ : التَّغْيِيرُ الَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ .

(٥) النَّصَبُ : حُدُودُ الْبَيْتِ ، وَهِيَ كُنَايَةٌ . (٦) فِي الْأَصْلِ كِيَوَانِهَا .

(٧) اللَّيْثُ : اللَّيْثُ لَا يَحْرُكُ ، وَالْإِيْجَافُ : الْاضْطِرَابُ وَالْحَرَكَةُ ، وَفِي التَّلْهِيقِ أَوْجَفُ

فَأَعْجَبُ وَفِي الْأَصْلِ : لَا يَحْجَافُ .

(٨) فِي الْأَصْلِ : فَلَمَّا . (٩) فِي الْأَصْلِ : انْدَقَّتْ .

(١٠) مُخَارِقُ : مَفْنٌ مَشْهُورٌ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ .

خَيْبَ الإِدْبَاعِ وَانْخَطَّ بِهِ ابْنُ جَامِعٍ ^(١) عَنْ دَرَجَةِ الإِجْمَاعِ ، فَوْقَ اخْتِيَارِهِ
بِمَا أَدَاهُ إِلَيْهِ اخْتِبَارُهُ ، عَلَى شَجَرَةٍ أَصْلُهَا فِي الْمَاءِ ، وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ :
يَصِيفُ إِلَى مُرْتَقَى مُنْتَقَى وَيُسْتَى ^(٢) إِلَى مُجْتَلَى مُجْتَى
وَتَأْتِي عَلَى حَالَتِي سَوْمَهَا ^(٣) لَذَا بِالْمُنُونِ وَذَا بِالْمُنَى

وهو — أيده الله — تلك النخلة ذات الظل المديد ، والتمر الجديد ، من
الطلع النضيد ، وأنا ذلك الراعي الذي هَجَرَ مَلَأَهُ وَوَجَدَ كَلَأَهُ . وسائر الكرام
وإن كانوا كَنَبَقَةً [في] تلك الحديقة الأنيقة ، ففي كل شجر نار ، واستمجد
المرخ والعفار ^(٤) .

ومنها : والعصر ، إن في المص ^(٥) ملكاً استملك رقَّ اللدح ، واستهلك
لِخْنٍ بِالْمَنَحِ ، نقل الدهر إلى نقش خاتمه ، وجعل موطن كُثْبِهِ هِمَّةً « كَعْبِهِ »
وبأى بنهضة من عُمرِهِ نهضات « عُمرِهِ » ، وكَم نَقَى مِثَارِ عُثْبِيرِهِ ^(٦) ، من يصول
« كمنتره » ، وكَم استبله في بَاسِهِ مَن يَضْحَك « بِبَاسِهِ » . فما زال مَرْتَعُ
أَمَالِي فِي ذُرَاهِ خَصْبِيَا ، وسهم مطالبِي في ثغر النجاح مَصْبِيَا ، وَأَمَانِي لَا تَجْدُ
« لَابْنَ لَيْلِي » دُونَهُ فِي بَيْتِ « نَصِيبِ » ^(٧) نَصِيبًا .

وإنما لقيتُ من وعاء السفر ، ولقاء ^(٨) الخطر ^(٩) ، وابتغاء الظفر ، قبل

(١) ابن جامع : مثل مخارق ، وكأنا يفتيان في عصر الرشيد .

(٢) في الأصل هكذا : وسى .

(٣) السوم : في اللباقة .

(٤) في الأصل : واستجمد الزج والعفار . والمرخ والعفار : نوعان من الشجر يتخذ الزند

منهما . وهو مثل يضرب في تقضيل بعض الشيء على جتن .

(٥) في الأصل : مصر .

(٦) الثبير : الثبار .

(٧) يشير إلى مدح نصيب لابن ليلى وهو عبد العزيز بن مهروان ، وإلى مصر لأخيه

عبد الملك ، وكان ممدحاً للشراء يؤمونه من الحجاز والعراق ونجد .

(٨) في الأصل : ولقاء . (٩) في الأصل : الحضر

حلولى بهذه الحضرة النضرة حضرة القائد أبى القاسم الأجل الذى إن ألبس قلبه
 اللداد، عَرَى من الفصاحة « قُسُّ إِيَاد » ، وَأَنْطَقَ طِرْسُهُ الرِّسَائِلَ ، أَخْرَسَ عَنْ
 الْخُطَابَةِ « سَحْبَانَ وَائِل » . يَلْزِمُ لَهُ « ابْنُ الْعَمِيد » سَمَتَ الْعَمِيد ، وَيَغْدُو عَلَيْهِ
 « عَبْدُ الْحَمِيد » غَيْرَ حَمِيد ، وَيَقُولُ لَهُ « الصَّاحِب » أَنَا عَبْدُ لَا صَاحِبَ ، وَنَهَايَةَ
 « الصَّابِي » أَنَّهُ بِالْفَاظَةِ صَابِي ؛ حَتَّى لَوْ انْقَلَبَ الدِّيَوَانُ دِيَوَانَ شَعْرٍ ، وَالْقِرْطَى ^(١)
 أَقْرَاطُ شَذَرٍ ، لَكَانَ هُوَ الْمَقْرَطُ الْمَلَّى وَالْمَقْرَظُ الْحَلَّى — مَا أَوْجَبَ ذَلِكَ الشُّكُو
 الَّذِي دَخَلَ بِهِذَا الشُّكُّ ، وَجَاءَ بِهِذَا الشُّكْر . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَدًّا تَقْصُرُ الْأَقْلَاطُ عَنْ
 حَصْرِ مَعَانِيهِ ، وَيَعْبِي النِّيَّةَ مَتْنَاهُ عَنْ قَدْرِ وَسْعِهَا فَتَعَانِيهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَآلِهِ مَا خَفِيَ آلَ ، وَحَقَّقَ الْأَمَالَ فِي هَذَا الْحِسَابِ مَالٌ وَمَأَلٌ .

ومنها في وصف البحر .

إِنِّي لَا تَسَنَّمْتُ ^(٢) الْأَمْوَاجَ فِي ذَاتِ الْأَلْوَحِ ، وَتَسَنَّمْتُ الْإِزْعَاجَ مِنْ ذَاتِ
 [٥٤هـ] الْأَرْوَاحِ ^(٣) ، قُلْتُ السَّلَامَةَ إِمَّا مِيلَادَ ^(٤) / وَمَعَادَ ، أَوْ يَوْمَ مَعَادَ ، وَعَجِبْتُ مِنْ حَالِي ،
 فِي حَلِي وَتَرْحَالِي ، فَتَشْوَقْتُ الْوَطْنَ وَالْوَطَرَ ، وَكَلَّفْتُ الْخَاطَرَ وَصَفَ ذَلِكَ
 الْخَطَرَ ، قَالَ :

لَوْ لَمْ يَجْرَمْ عَلَى الْأَيَّامِ إِنْجَادِي مَا وَاصَلْتُ بَيْنَ إِنْهَائِي وَإِنْجَادِي ^(٥)
 ١٥ طَوْرًا أَسِيرُ ^(٦) مَعَ الْحَيْتَانِ فِي الْجَلِجِ وَتَارَةً فِي الْفَيْيَافِ بَيْنَ آسَادِ
 إِمَّا بِطَائِرَةٍ فِي ذَا وَرَازِمَةٍ ^(٧) أَوْ فِي قِتَادٍ عَلَى هَذَا وَأَقْتَادٍ ^(٨)

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَلَمْلَهَا وَالْقِرْطَى .

(٢) فِي الْأَصْلِ : انْتَسَمْتُ . (٣) ذَاتِ الْأَرْوَاحِ : الرِّيَاحِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : مِيلَا ، وَمَعَادَ : رَجُوعَ ، وَيَوْمَ الْمَعَادِ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْنَى بِهِ عَنِ الْمَوْتِ .

(٥) إِنْجَادِ الْأَوَّلَى : مِنَ النَّجْدَةِ ، وَالثَّانِيَةِ : مِنَ نَجْدٍ وَكَذَلِكَ إِنْهَائِي : مِنَ تَهْمَةٍ .

(٦) فِي الدِّيَوَانِ : أَلْبَسَ .

(٧) الرَّازِمَةُ : النَّاقَةُ الْمَرْفُوزَةُ مِنْ كَثَرَةِ الْبَيْرِ ، وَفِي الْأَصْلِ : وَطَارِمَةٍ .

(٨) الْقِتَادُ : شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ كَالْإِبْرِ ، وَالْأَقْتَادُ : جَمْعُ قَتَدٍ ، وَهُوَ خَشَبُ الرَّحْلِ .

والناس كُثْرٌ ولكن لا يقدّر لي
 هذا وَلَيْتَ طَرِيقِي مَارُمَيْتُ^(١) به
 وما أسيرُ إلى رومٍ ولا عربٍ
 أقْلَعْتُ والبحرُ قد لانت شكائمه
 فَمَاذَا لَاعَادَ ذا رِيحٍ مُدْمِرَةٍ
 ولا أَقُولُ أَبِي لِي أَنْ أَفَارِقَكُمْ
 وقد رأيتُ به الأَشْرَاطَ^(٢) قَائِمَةً
 تَعْلُو فلولاً كَتَابُ اللَّهِ صَحَّ لَنَا
 ونَحْنُ فِي مَنْزِلٍ يَسْرَى بِسَاكِنِهِ

١٠ ومنها:

لا يَسْتَقِرُّ لَنَا جَنْبٌ بِمُضْجِعِهِ
 فَمَنْ يُعْفَرُ^(٣) حَدَّ غَيْرِ مَنْعِفٍ
 حَتَّى كَأَنَّا وَكَفَ النَّوْمُ تَقْلُقَنَا
 وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي أَحْشَاءٍ جَارِيَةٍ

١٠ ومنها:

يَا إِخْوَتِي وَلَنَا مِنْ وَدْنًا نَسَبُ
 نَقْرَا حُرُوفَ التَّهْجِيِّ عَنْ أَوَاخِرِهَا
 وَلَا تَلَاوَةَ إِلَّا مَا نَسْكَرُهُ
 عَلَى تَبَايُنِ آيَاةٍ وَأَجْسَادِ
 وَنَحْنُ نَحْبِطُ مَهَا فِي أَبِي جَادٍ
 مِنْ مَبْتَدَأِ النَّحْلِ أَوْ مِنْ مَتْنِهِ صَادٍ

(١) في الديوان: مَرْمَيْتُ .

(٢) بِشْرًا لِي مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ وَصْفِ رِيحٍ عَادَ وَأَنَّهَا كَانَتْ صَرَصَرًا عَانِيَةً

(٣) يَرِيدُ أَشْرَاطَ السَّاعَةِ .

(٤) هَكَذَا فِي الدِّيَّوَانِ ، وَفِي الْأَصْلِ أَعْيَادُ .

(٥) هَكَذَا فِي الدِّيَّوَانِ ، وَفِي الْأَصْلِ : فَلَمْ يَصْعُرْ .

مَتَى تُنَوِّرَ آفَاقَ الْمَسَارَةِ لِي بِكُوكِبٍ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَقَادَ
وَأَلْخَطُ الْمُسْرِفَاتِ الْبَيْضَ مُشْرِقَةً كَالْبَيْضِ مُشْرِقَةً فِي هَامِ أَنْجَادِ
وَأَسْتَجِدُّ مِنَ الْبَابِ الْقَدِيمِ هَوًى عَنْ الْكَنِيسَةِ فِيهِ جِلْدٌ إِسْنَادِي
بَحِثْ أَنْشُدْ آثَاراً وَأَنْشِدْهَا قَيِّلُنْ الْعَذْرُ نَشْدَانِي وَإِنْ شَادِي
الْقَصْرُ فَالْتَخَلُّ فَالْجَمَاهُ بَيْنَهُمَا^(١) فَالْأَثَلُ فَالْقَصَبَاتُ الْخَضِرُ فِي الْوَادِي •
مَتَى^(٢) أَرْوَحُ وَأَغْدُو فِي مَعَاهِدِهَا كَمَا عَهْدْتُ سَمَاهَا الرَّائِحُ الْغَادِي
مَتَى تَقْرَأُ^(٣) دِيَارُ الظَّاعِنِينَ بِهِمْ وَالْبَيْتُ يُطَالِبُهُمْ بِالْمَاءِ وَالزَّادِ
وَمِنَ النَّثْرِ فِي وَصْفِ الْمَرْكَبِ وَأَهْلِهِ :

نَمُ إِنَّ الْبَحْرَ تَحْبَطُهُ شَيْطَانُ اللَّوْجِ مِنْ مَسِّ الرِّيحِ ، فَلَوْرَأَيْتَهُ وَقَدْ شَابَ فِي •
عَنْفَوَانِ شَبَابِهِ ، وَشَابَهُ فُرُوعُ الْأَطْوَادِ بِأَصُولِ هَضَابِهِ ، وَالْحِنِّيَّةُ^(٤) تَدْوِي بِأَهْلِهَا ،
كَانْطَلِيَّةٍ بِنَحْلِهَا ، وَنَحْنُ نَصِلِي لِمُؤْنَسِ يُونُسَ وَعَلَى لَوْحِ نُوحٍ ، لِاسْتَرَشَدَتْ رَأْيِي مِنْ
آثَرِ الْجَبَلِ فِي الْعَصْمَةِ وَمَا لَحَقَتْ^(٥) بِأَبِيهِ — لَوْلَا وَحْيُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ — وَلَقَلَّتْ
الصَّخْرُ ، يَبْقَى أُنَّى حَضَرٍ . هَلْ غَفَى لِمُجَنُوبَتِهِ^(٦) عَلَيْهِ إِلَّا النِّيَّةُ ؟ وَلَمْ يَزَلْ يَدْنُو كَالْمُجَنُونِ ،
وَنَدَارِيهِ مِنَ الْجُنُونِ ، حَتَّى كَسَتْهُ الرِّيحُ ثَوْبَ قَارِهَا ، وَأَمْسَكَتِ الزَّعْمُغُ عَنْهُ كَأَنَّ
عُقَارَهَا ، فَصَحَّ وَصَحَّا بَعْدَ جُنُونِهِ وَسُكْرِهِ ، وَنَطَقَ مِنَّا بِلِسَانِ الْحِجَازِ بِالْحَقِيقَةِ بَعْدَ •
١٥

(١) شطر من بيت لأبي قطيفة الذي قاده ابن الزبير عن المدينة إلى دمشق ، فكثرت يكتب فيها منشوقاً ومن شعره :

القصير فاللتخل فالجاء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جبرون
والقصير قصر سعيد بن الماس في المدينة ، والجماء : مرثع صخرى تسيل منه المياه ، ويشتهر المقيق بمجاوات ثلاث . وجبرون : دمشق .

(٢) في الأصل : عني . (٣) في الديوان : تعود .
(٤) الحنية : المركب لانحناء شكلها وهوسها في الأصل : الحلية .
(٥) في الأصل : وألحقت . (٦) المجنوبة : يريد بها السفينة .

الحجاز^(١)، فوصلنا طرف الجزيرة بمسّين^(٢) غرة شعبان سنة ثلاث وستين وخمسمائة.
بلدٌ أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووسُ
فكأنما الأنهارُ منه سلافةٌ وكان ساحاتِ الديارِ كزُوسُ
ومن شعره في الزهر الباسم قصيدة^(٣) مطلعها :

راقها مطربُ الأغاريدِ فاسترقتْ هزّة الأماليدِ^(٤)
ودبَّ خمرُ الشرى بأذرعها فقى على اليدِ في عراييدِ
وغادرتها الصبا بمهلكة^(٥) تفجرُ الماء في الجلاميدِ
تحملُ عن روضِ عالم^(٦) خبراً تسنده عن ظبائه النعيدِ
أجرى عليه السحابُ دمع شجٍ ومزقَ البرقُ جيبَ مقمودِ
فأغرقَ الرياحُ بين أربعها موجٌ وجيفٌ يبحر توحيدِ

ومنها :

في ذمة الشوق مهجةٌ ركضتْ تتبعُ زوراً من اللواميدِ
أهدوا إليها الخيالَ إذ كحلوا جفونَ أحداقها بتسفيدِ
وانعطفوا للأراكِ وهي على عهدٍ من البانِ غيرِ معهودِ
عذرٌ يهزُّ الجفاه دوحته تحت صدوح اللالِ غرّيدِ
| وناصرٍ يحضُّ للودة لي وليس في نصحه بمودودِ
ظنَّ فؤادي معي فأنبههُ وهو من الوجدِ غيرُ موجودِ
سار وجيشُ الغرام يتبعه تحت لواءِ عليه معمودِ

[٥٥٤]

(١) الحجاز : يعني به المضيق الواقع بين صقلية والبر الإيطالي .

(٢) مسّين : بلد بجزيرة صقلية في ركنها الشرق ولها مرسى كبير تجتمع إليه السفن الكبار والسافرون والتجار .

(٣) هذه القصيدة ليست في الديوان ، والديوان في حقيقته مختارات .

(٤) الأماليد : الأفضان الناعمة . (٥) المهلكة : المفازة .

(٦) عالم : موضع به رمل .

ومنها :

- عَرَجَ عنها الصبَّاحُ منطلقاً
لا يعرف الثعلبُ القيمَ بها
من عُلُقَ البيضَ صارمتَ يدهُ
وعِمَّةُ الشيبِ لا خُدِعتَ بها
واللهوُ خذنُ الصبا فَمُذٌ^(١) قُذِدتَ
وأغبنُ الناسَ من أَلَمَ به
وفي بنى الدهرِ كلُّ مُغْضِلَةٍ
إن أسكرونى بخمرِ لومهمُ
وموَعِدِ صاحِ بى قُلتُ له
قد أقسمَ الحمدُ لا يسيرُ إلى
فى يده للنوالِ معركةٌ
وعنده للضيوفِ نارُ قِرَى
- وغادرَ الليلَ رهنَ تقييد
لولا الثريا مكانَ عَنقود
حبالُ تلكَ الغدائرِ السود
أَخْلَقُ شىءَ أوانٍ تَجديد
أَيامُهُ لم يكنْ بمحمود
فَقَدْ سوادَ وفوتُ تسويد^(٢)
من الذى فاتَ والمواجيد
قد رَمَوْا عِرْضَهُمَ لمريريد
ربِّ وعيدٍ يَطِيحُ فى اليد
غيرِ أبى القاسمِ بنِ حُجود
أَرى بها البخلَ صارِمَ الجيد
تعرفها البزلُ^(٣) كلها يُودى^(٤)

ومنها :

- وتلتقى كُتُبُه الكُتائبُ فى
بكلِّ لفظٍ كأنه نَفْسٌ
صَحَّتْ معانيه فاقسمنَ إلى
وربما استضحك الخليسُ به
- جيشٍ من الخطِّ صائدِ الصيد
غيرُ مُبْلٍ بطولِ توريد
فضلِ ابتكارِ وحسنِ توليد
عن أهرت^(٥) الماضعينِ صنديد

(١) فى الأصل : فقد .

(٢) السواد : سواد الشعر كناية عن الشباب والتسويد : الحُضَاب .

(٣) البزل : الإبل .

(٤) يريد كلما ذبح البزل للضيوفان .

(٥) أهرت : من الهرت وهو التزريق .

يهوى قَوَامَ القَنَاةِ ذَا هَيْفٍ وَوَجَنَةَ الْعَضْبِ ذَاتَ تَوْرِيدٍ
ومنها :

دوحُهُ مَجْدٍ تَمِيدُ نَاضِرَةً لِحَسَنَاتٍ بِحَسَنِ تَجْدِيدٍ
عَرَضَتْ مِنْهَا لِنَارٍ تَجْرِبُنِي عَوْدًا قَفَاحَتْ رَوَائِحُ الْعُودِ
ومن قصيدته الموردة الثانية كلمة مطلعها :

نَعَمْ هُوَ الْبِرْقُ عَلَى الْأَنْعَمِ ^(١) فَاشَقَّ بِهِ إِنْ شئتَ أَوْ فَأَنْعَمِ
لَا حَ بِأَعْلَى هَضْبَةٍ خَافِقًا خَفَقَ لَوَاءُ الْبَطْلِ الْمُعَلِّمِ
وَزَلَّ عَنْ صَهْوَةٍ طَرْفِ الدَّجَى سَقَطَ جُلُّ الْقَرَسِ الْأَدْهَمِ
حَتَّى إِذَا قَابَلَ وَادَى النُّضَا أَغْضَى عَلَى مَدْمَعِهِ اللَّثِيمِ ^(٢)
وَاسْتَقْبَلَ السَّفْحَ وَكَمْ فَوْقَهُ ١٠ مِنْ مَقَلَةٍ سَلْخَةٍ بِالْهِمِ
فَحِينَا شَقَّ كَنْوزَ الرَّبَى عَنْ ذَلِكَ الدِّينَارِ وَالْدَّرْهِمِ
قَامَ نَسَاءُ ^(٣) الْحَى يَجْنِينُهُ بَيْنَ فِرَادَى مِنْهُ أَوْ تَوَامِ
فَأَشْكَلَ الثُّورَانِ مِنْ مَلْسِمٍ تَعَبَقَ رَّيَّاهُ وَمِنْ مَلْسِمٍ ^(٤)
وَاشْتَبَهَ الرُّوضَانَ فِي نَضْرَةٍ إِلَى حَيَاءٍ وَحْيًا يَنْبَغِي
مَا بَيْنَ جَنَاتٍ إِلَى أَعْيُنٍ وَبَيْنَ خَيْرِيٍّ ^(٥) إِلَى حَيْرَمٍ ^(٦)
١٥ وَمَعْرَكٍ بَيْنَهُمَا لَمْ يَزَلْ
يَفْقُكُ فِيهِ الظُّبَى بِالضَّمِيمِ

(١) الأنعم : موضع في عالية نجد .

(٢) اللثيم : من أعجمت السماء : سال مطرها ودام .

(٣) في الديوان : فرادى .

(٤) منسم : من سم المكان : عبق بالأريج .

(٥) الحيرى : نوع من الزهر .

(٦) الحيرم : البقر الوحشى ، وفى الأصل : حرم .

- بين حَيٍّ بات كليب^(١) به
يمنعُ ضيفَ العين منه القري
يا عاقري النيب^(٢) لضيفانهم
أتلقتُ قلبي فإذا الذي
كم من دمٍ باتَ به^(٣) حَيْكُم
وكم عيونُ أصبحت عندكم
لا طَرَقَتْ رِبْعَكُمُ غَارَةٌ
ولا سرتُ نَحْوَكُمُ أُسْرَةٌ
من كل من تصدُرُ أسيافه
يقول إن جرَّ كعوبَ القنا
لوم تكن من فتكاتِ الهوى
ما هــنـذه أوَّل ماردني
فخلَّ عن عتبك لي إنها
أقسمتُ بالله ولولا عـُـلا
إن ابنَ حـمـودٍ له راحةٌ
الجميل^(٤) للنعم إن حُبَّرتْ
مجددًا من شملة المحتى
وهو مباحٌ ليدٍ أو فم
غلطمُ في كبدِ النـفـرم
خففَ عنكم قِـلَـلَـلَـمَـغـرم
كانه ملقط العنـفـم
معدودةً من جملة الأسم
يسألُ فيها معشري عن دمي
تأمرُ بالداهية الصـم^(٥)
بضربةٍ مثل دم الأهم^(٦)
تأبَّط الضـمـنـمُ بالأرقم
شقتُ على الحافرِ والنـسـم
عنه بلا أجـرٍ ولا مغم
شـنـشـنةٌ تُعـرِّفُ من أخـزـم^(٧)
مجدد أبي القاسم لم أقسم
تستجلب الحمد من اللـزـم^(٨)
مدائحُ في الجمل للنعم

(١) يشير هنا إلى كليب وما كان عليه من زهو شديد فكان يجمي مواقع السحاب ، فلا يرعى حماه ، ولذلك يقال في الثلث (أعز من كليب) .

(٢) في الديوان : البيت وهو تحريف .

(٣) هكنا في الديوان وفي الأصل : بكم . (٤) الصيلم : السيف .

(٥) الأهم : لقب سنان بن خالد لأن ثنيته هتمت يوم السكالب .

(٦) مثل يضرب في قرب الشبه .

(٧) اللزيم : نوء ونجم من الشريرين وحامن نجوم المطر .

(٨) الجمل : الذي يصنع الجميل .

والكعبة الغراء لكنها^(١) تُحِلُّ مَا يَحْرُمُ لِلْحَرَمِ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لَوْفُودِ النَّدَى
 بِيَابِهِ^(٢) مُجْتَمَعُ الْمَوْسِمِ
 لَمَالٍ مِنْ رَاحَتِهِ عِنْدَهُمْ
 / يَفِيضُ بِحَرِّ الْجُودِ مِنْ كَفِّهِ
 سَائِلُهُ أَوْ سَأَلُهُ تَجِدُهُ
 هُدًى جَهْلٍ وَغَفًى مُقَدِّمِ

[٥٥ و]

ومنها :

ولو أَعَارَ اللَّيْلَ آرَاءَهُ
 فَضَائِلُهُ كَادَتْ لِإِفْرَاطِهَا
 مَا بَدَأَ الْإِحْسَانَ فَاحْتَاجَ أَنْ
 يَقُولَ رَاجِيَهُ لَهُ تَمَّ
 يَأْمَنُ يَحَارِيهِ إِلَى غَايَةِ
 سَالِمُهُ وَأَرْجَعُ دُونَهُ تَسَلَّمَ
 لَا يَرْتَقِ لِلنَّجْمِ ذُو سُؤْلٍ
 فَكَيْفَ مِنْ كَانَ بِلَا سَلَمِ
 يَأْسِيْدًا أَفْعَالُهُ غُرَّةُ
 فَوْقَ جَبِينِ الزَّمَنِ الْأَدَمِ
 يُشَجُّوهُ قَوْلِي لَكَ صُمُّ أَوْ صِمِّ
 حَاسِدًا
 وَابْقَ وَزْدَ وَاعْلُ وَسُدِّ وَأُصْطَفِعْ
 وَأُرْدَفُ^(٤) وَجُدُّوَابِدًا^(٥) وَعِدُّوَأَسْلَمَ

١٠

١٥ وله من قصيدة :

زَهْرَنَ^(٦) فَاعْجِبْ لِرَوْضِ مَالِهِ زَهْرُهُ
 وَلَا تَقْلُ لِهَبِّ الْوُجُنَاتِ يَحْرِقُهَا
 إِلَّا الْمِبَاسِمُ وَالْأَلْحَاطُ وَالطَّرَرُ
 فَلِلْعَذَارِ^(٧) عَلَى أَرْجَائِهَا نَهْرُ

(١) في الديوان : لكنه .

(٢) في الديوان : بنانه .

(٣) صم : من الوسة وهي البيب والعار .

(٤) في الديوان : وارق .

(٥) في الديوان : وابد .

(٦) في الديوان : سقرن ، وسفر وزهر : أضاء .

(٧) في الديوان : فللقود .

أَحْسِنُ بِهَا غُرًّا قَالَتْ مُحاسِنُهَا بالنفسِ يُحْمَدُ فِي أُمْسَالِي الْغُرُّ^(١)
 سَفَرَنَ^(٢) وَاللَّيْلُ طُرِفَ أَدْهُمُ فَجَرَتْ فِيهِ الْحَجُولُ مِنَ الْأَنْوَارِ وَالْغُرُّ
 وَقُمْنَ^(٣) يَحْمِلْنَ فِي الْأَجْفَانِ مَرْهَمَةً لَوْ كَانَتِ الْبَيْضَ قَلْنَا لِمِنَهَا الْبُتْرُ
 وَكَانَ مِنْ فَعْلُهَا بِالسَّحْرِ أَنَّ فَعَلْتُ^(٤) عَلَى الْعِشَاءِ بِمَا يَأْتِي بِهِ السَّحَرُ
 فَمَا ارْتَقَبْتُ الدَّرَارِي إِذْ مَهَرَتْ لَهَا الْأَكَاصِدَافِ يَمَّ^(٥) حَشْوُهَا دُرُّ
 وَلَا اجْتَلَيْتُ بِدُورِ الْأَفْقِ عَنْ كَلْفٍ إِلَّا بَيْنَ أَتْلَفْتُ فِي صَوْنِهِ الْبِدَرُ
 وَفِي الْحَشَا وَالْحَشَايَا صَبُوءٌ كَبُرَتْ فَوَادِهَا عَنَفُونًا ذَلِكَ الْكَبِيرُ
 تَوَرَّى زِنَادَ اشْتِيَاقِي مَا اسْتَطَارَ بِهِ لِي مِنْ مَشْيِي بَلْ مِنْ أَمْعَى قَمَرٍ
 وَفِي فَوَادِي لَا فَوْدِي قَتِيرٌ^(٦) هَوًى لَمْ يُخَفِّهِ الشَّعْرُ إِنْ لَمْ يَبْدِهِ الشَّعْرُ

ومنها :

أَنَا الْحَبِيبُ وَمَا بِي مِنْ يَقَالُ لَهُ أَوْلَى لَكَ الْعَذْلُ لِأَوْلَى لَكَ الْعَذْرُ
 إِنْ قُلْتُ مَا سَ فَا قَصْدِي بِهِ غُصْنٌ أَوْ اسْتَنَارَ فَا قَصْدِي بِهِ قَمَرٌ
 لِلْمَالِ عِنْدَ ذَوِي الْإِقْتَارِ^(٧) مُخْتَقِبٌ وَالْمَالُ عِنْدَ ذَوِي الْأَقْدَارِ مُحْتَقِرٌ
 فَإِنْ عَدِمْتُ الَّذِي صَارُوا بِهِ عُدْمًا فَمَا افْتَقَرْتُ وَعِنْدِي هَذِهِ الْفِقْرُ
 وَلَمْ أَقْلِلْ رُكَابِي أَنْ نَأَى^(٨) وَطَنٌ وَلَا أَطْلُتُ اغْتَرَابِي أَنْ نَبَا وَطَرُ
 لَكِنْ بَنُو الْحَجَرِ اسْتَدْعَتْ مَكَارِمَهُمْ عَزَمِي وَقَدْ كَادَ يُسْتَدْعَى بِهَا الْحَجَرُ
 نَادَى لِسَانُ النَّدَى مِنْهُمْ فَأَسْمَعُنِي قَعْمْتُ أَعْبَرُ بِحَجْرٍ^(٩) كُلَّهُ عِبَرُ

(١) الغرر : الخطر

(٢) في الديوان : ولجن .

(٣) في الديوان : وقلن .

(٤) في الديوان : هجمت .

(٥) في الأصل : صم .

(٦) القتير : الشيب .

(٧) في الأصل : الأقبار ، وفي الديوان : الأوزار .

(٨) في الأصل : نبا .

(٩) في الديوان : سحر .

ومنها :

تري المواخرَ تجرى في زواجره فترقى في أعاليه وتنحدر
من كل سوداء مثل الخلال يحملها بوجنة منه فيها للضحى خفر
لذاك جادوا ندى فيه أجدت بنا فليس يعرف لا حصر ولا حصر

ومنها :

والشعرُ منه قصيرُ عمره زهرٌ يذوى ومنه طويلُ عمره زهرٌ^(١)
وكلما عظم سهلٌ صوغها زبرٌ وكلحديدٌ تقيلٌ وزنه زبرٌ^(٢)
أو كالسيونِ فهذى حفظها حورٌ يفتض منها وهذى حفظها حورٌ

ومنها :

١٠ لله درُ حياء^(٣) حزنه وجباً^(٤) كأنك العصبُ منه الأثرُ والأثرُ
وفي يمينك يجرى كيف تأمره ما يحسد الذكركر عنه الصارمُ الذكركر

ومنها :

١٥ أنالني في اغترابي كلَّ مُغربة فما النفيُّ بمعلومٍ ولا النقر
وشد أُررى فما أخفى بنائية تقولُ أياتها هيات لا وُزُر
من بعد ما قرعتني كلُّ قارعة أيامها الحر^(٥) من أعيانها الحمر
وبت أضرب بالأشعار طائفةً لو أنهم ضربوا بالسيف ما شعروا
إذا نحت القوافي من مقاطعها قالوا تكلف لنا أن يفهم البقر

(١) زهر : نجوم كناية عن الخلود .

(٢) الزبر الأولى : الكتب ، والثانية : قطع الحديد .

(٣) في الديوان : حياً قد حزنه .

(٤) الحيا : العطاء .

(٥) الأيام الحر : الشديدة أو المجدة .

وقال من قصيدة يصف فيها البحر وركوبه وقصده أيام وفوده :

سَرَرْتُ عَنْكَ أَوْجُهُ الْأَسْفَارِ وَجَرَرْتُ بَالْمُنَى إِلَيْكَ الْجُوَارِ
فَرَفَعْنَا لَكَ الْكُؤَاكِبَ يَا بَدْرَ رَ الدِّيَاجِي عَلَى الْمَلَالِ السَّارِ
وَرَكَبْنَا عَلَى عَذَابِ بَحَارِ أَنْزَلْنَا عَلَى عَذَابِ بَحَارِ
وَاعْتَسَفُ الْأَخْطَارِ ^(١) يُجِلُّ ^(٢) مَا كَا نَ طَرِيقًا إِلَى ذَوَى الْأَخْطَارِ
مَا امْتَطَيْنَا أَسْتَ السَّحَابِ إِلَّا لَتَوَافَى بِنَا أَخَا ^(٣) الْأُمَاطَارِ
كُلُّ نَوْنٍ مِنَ الْمَرَاكِبِ فِيهَا أَلْفَاكُ مَصْفُوفَةٌ لِلصَّوَارِ ^(٤)
تَقْسِمُ الْمَاءَ وَالْمُهْوَاءَ لِسَاقِ ^(٥) وَجَنَاحٍ مِنْ عَائِمٍ طَيَّارِ
وَمِنْ ضِدَّانٍ مِنْ جَوَانِحِ لَيْلِ قَدْ أَقِيمَتْ وَمِنْ جَنَاحَيْ نَهَارِ ^(٦)
/ صُورَتْ كَالْقَيْوُولِ لَوْلَا قُلُوعُ ١٠ أَبْرَزَتْهَا فِي صُورَةِ الْأَطْيَارِ
عَوَّضَتْنَا الْأَوْطَانَ عِنْدَكَ وَالْأَوْ طَارَ بَعْدَ الْأَوْطَانِ وَالْأَوْطَارِ
فَاسْتَحَقَّتْ بَارًا تَعَوَّضَ عَوْدَا بَعْدَ عُودٍ وَعَنْبَرًا مِنْ نَارِ

ومنها :

وَأَيَّادِيكَ لِنَهْنٍ ثَمَارِ حَمَلَتْهَا مَعَاطِفُ الْأَحْرَارِ
وَمَسَاعِيكَ لِنَهْنٍ نَجْوَمِ مَشْرِقَاتُ عَلَى سَمَاءِ الْفَخَارِ
أَنْتَ فِي الْفَضْلِ فِي بَنَى الْحَجَرِ السَّا دَةِ مِثْلُ الْيَاقُوتِ فِي الْأَحْجَارِ

(١) في الأصل : يحمل . (٢) ما : هنا ظرفية زمانية .

(٣) في الأصل : أخو .

(٤) رواية الديوان : أَلَفَ مُسْتَقِيمَةً لِلصَّوَارِ . والصواري : جمع صارية وهي السند التي

يشد إليها الصراع أو القلح .

(٥) في الديوان : يساق .

(٦) يشير إلى ظاهر الفينة ، وما كانوا يضعون عليها من قار ، وإلى قلاعها

وشراعها .

ومنها في القلم :

وبيمينك طَيْرُ يُنْ (١) وسَعْدٍ أَصْفَرُ الظَّهْرِ أَسْوَدُ اللَّفْخَارِ
قَلْبُ دَبْرِ الْأَقَالِمِ فَالْكَنَّةُ بُ بِهِ مِنْ كِتَابِ الْقَدَارِ (٢)
يا طراز الديوان والملاك أصبح مت طراز الديوان في الأشعار
وبنوكت الذين مهما دجا الخط بُ أَرُونَا مَطَالِعَ الْأَقْمَارِ
فأبو بكر الذي أحرز الجند بسعى الرّواح والإبتكار
وتلاه فيما تلاه أخوه عُمَرُ عاش أطولَ الأعمار
ولعثانَ حَظُّ عُثْمَانَ إِلَّا فِي الَّذِي دَارَ مِنْ حَدِيثِ الدَّارِ (٣)

ومنها :

وإذا شئت فالجمرّة بَحْرٌ لِي فِيهِ بَنَاتُ نَفْسِي سَمَارِي (٤)
وبكئي من النجوم كثيرٌ هُوَ مَا قَدْ وَهَبَتْ مِنْ دِينَارِ

ومن نثره فيه :

ولما أذن لشوالٍ في أن تُشالَ (٥) الكؤوس، ويُوضع (٦) في طاعة الخمر بالرموس،
خلعنا عن سوائف الخلاعة عذار (٧) العذل، وركبنا خيل الفتك والجون على أرض
الجلد، وقلبنا لبطن الغنة ظهر المجن، وسرنا نَبْعَج (٨) تحت تجاجِ النذر (٩)
وداج (١٠) الدن.

(١) هكذا في الديوان وفي الأصل : سعد . (٢) في الديوان : الأقدار .

(٣) يشير إلى قصة محاصرة الثوار لدار عثمان ثالث الخلفاء الراشدين ، وهي محاصرة

انتهت بقتله . (٤) سماری : جمع سمير وخفف للشمير . (٥) تشال : تحمل .

(٦) يوضع : من أوضع البعير في السير ، وأوضع : أسرع .

(٧) في الأصل : عذر . (٨) نبّعج : نشق بالسكين .

(٩) في الأصل : البدور ، والتنזור : جمع نذر ، وهو الوعد ، وهو أيضاً العقل

في الثأر . (١٠) الوداج : عرق في المنق .

وله في وصف بركة :

بركة بورك ففتحُ لبيها نَسْتَفِيدُ الْغِيَارَ^(١) فِي مَحْضِ
قَطْرٍ مِنْ قَرَارِهَا بَعِيونَ غَادَرْتَنَّا بِأَسْرِعِ الْإِلْتِمَاحِ
تَسْرُقُ اللَّحْظَةَ اخْتِلَاسًا وَتَغْضَى نَظْرَةَ الصَّبِّ خَافَ إِنْكَارَ لَاحِ
قَدْ صَفَتْ وَاعْتَلَى الْحَبَابُ عَلَيْهَا فَهِيَ سَيَانٌ مَعَ كُؤُوسِ الرَّاحِ
أَيُّ دَرْعٍ مَصُونَةٍ النَّسِجِ تَمْتِدُ السَّوَاقِي فِيهَا^(٢) بِمَثَلِ الصَّفَاحِ

ومنها :

وَمَنْ تَنَاوَلَتْ يَدُهُ الْعَوْدَ فَغَادَتْ^(٣) بِنَا إِلَى^(٤) الْأَفْرَاحِ
جَسَّ أَوَّارَهُ فَأَصْلَحَ مَتْنًا صَالِحًا صَارَ فِي يَدِ الْإِصْلَاحِ
بَيْنَ رِيحٍ مِنَ الزَّامِيرِ أَسْرَى بَيْنَ أَجْسَامِنَا مِنَ الْأُورَاحِ
وَصَبَاحٍ قَدْ عَقَدُوا طُرُزَ اللَّيْلِ جَمَالًا عَلَى الْوُجُوهِ الصَّبَاحِ
يَبِيعُ الرُّوضُ مِنْهُمْ حَرَكَاتٍ سَرَقَتْ بَعْضُهَا طَوَالَ الرَّمَاحِ
هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا طُرُقُ الْجِدِّ غَيْرُ طُرُقِ الْمَزَاحِ

وله في وصف مغن :

لَا أَشْرَبُ الرَّاحَ إِلَّا مَا بَيْنَ شَادٍ وَشَادِنٍ^(٥)
وَإِنْ فَنَيْتُ فَعَنَيْتُ إِلَى مَعَادٍ مَعَادِنٍ
قَمْ يَا نَدِي فَأَنْصِتْ وَاللَّيْلُ دَاجٍ لَدَاجِنٍ^(٦)

(١) الغيار : جمع غمر ، وهو الماء الكثير . (٢) في الأصل : عليها .

(٣) في الأصل : لنا . (٤) في الأصل : على .

(٥) الشادن : النزال إذا طلع قرناه .

(٦) داجن : مغيث .

غَسَّى وَنَاحَ فَزَزَهُ تُ ثَوْبَ خَاشِيٍّ مُجَاسِينٍ^(١)
 طَاوِغُ عَلَى الْقَهْوِ وَالْعَزْ فِي كُلِّ حَاسٍ مُجَاسِينٍ^(٢)
 وَانْهَضَ بِطِيشِكَ عَنْ سَمِّ تِ ذِي وَقَارٍ وَقَارِنِ
 هَابِ الْبِكَيْتِ^(٣) وَأَهْلًا مِنْهَا بِصَافٍ وَصَافِنِ
 أُتُوْرُ مِنْ ذِي وَمِنْ ذَا بِكُلِّ غَابٍ غَابِنِ^(٤)
 وَإِنْ رَجَعْنِي اللَّيَالِي يَوْمًا بِدَاهٍ أَدَاهِنِ

وله في ذم زامر :

تَعَبْتَ وَمَا أَتَيْتَ لَنَا شَيْءً فَكَيْفَ تَكُونُ سَاعَةً تَسْتَرِيحُ
 فَلَا تُكْثِرْ عَلَيْنَا فِي مُجَالٍ بِزَمْرِكَ ، صَحَّ أَنْ الزَّمَرُ رِيحُ

١٠ وله :

يَنَافِرُ إِيْقَاعُهُ صَيَوْتُهُ فَمِنْهَا يَزِيدُ وَذَا يَنْقُصُ
 وَيَتَّبِعُهُ زَائِرٌ مِثْلَهُ تَبِيعُ^(٥) لَهُ نَفْسٌ أَوْقَصُ^(٦)
 فَإِنْ قَامَ مَا بَيْنَنَا رَاقِصًا فَكُلُّهُ إِلَى يَتْبَعِهِ يَرْقِصُ^(٧)

وله في معنى :

تَنَنَّى فَلَامِيسُ^(٨) النَّصُونِ وَلِيْنَهَا وَرَجَعَ أَصْوَاتًا فَلَا تَذْكُرُ الْوُرْقَا
 وَأَعْجَبُ [إِذْ تَحْتِ^(٩)] يَمْنَاهُ طَارَةٌ فَتَسْمَعُهَا رَعْبًا وَتَبْصُرُهَا بَرْقًا

(١) في أعيان مصر : حاش مجاسين . (٢) في أعيان مصر : وحاسن .
 (٣) الكيكت : الخمر والقرس . وجاء في آخر البيت بضمي « صاف و صافن » مناسبتين
 لهذين للمعين على التاج .

(٤) في أعيان مصر : في كل غاب وغابن . (٥) في الأصل : تليع .

(٦) أوقص : قصير . (٧) يرقص : يسرع .

(٨) هكذا في الديوان ، وفي الأصل : تننى فلا تنسى ، وهو تحريف .

(٩) زيادة من الديوان ، سقطت من الأصل ، واحت : حرك ، والطاردة : الدف .

وله التصديعة السيارة التي مظهرها :

أَلْحَقْ بِنَفْسِجٍ جَفْرِى وَرَدَدْتِ شَفَقِي ^(١) كافورة الصبح فَنَّتْ مَسَكَةَ النَّصَقِ
 قَدْ عَطَّلَ الْحَسَنُ ^(٢) مِنْ أَسْمَارِ ^(٣) أَنْجَمِهِ فاعقدْ بِجَمْرِكَ فِينَا حِلْيَةَ الْأَفْقِ
 قُمْ هَاتِ جَانِكَ شِمْسًا عِنْدَ مَصْطَبِحِ وَخَلِّ كَاسِكَ نَجْمًا عِنْدَ مُنْتَبِحِ
 وَأَقْسِمُ لِكُلِّ زَمَانٍ مَا يَلِيقُ بِهِ فَإِنَّ لِلزَّيْنِدِ حَلِيًّا لَيْسَ لِلْعَنَقِ •
 هَبَّ النَّسِيمُ وَهَبَّ أَرْيَمُ فَأَشْتَرَكَا فِي نَكْهَةٍ مِنْ نَسِيمِ الرُّوضَةِ السَّيْقِ
 وَأَسْتَرْقَصْتَنِي كَاسْتَرْقَصَ ^(٤) حَامِلُهَا فَخْضَرَةُ الْوُرْقِ فِي خُضْرَةِ الْوَرْدِ
 وَبَتُ ^(٥) بِالْكَأْسِ أَغْنَى النَّاسِ كُلَّهُمْ / فَالْمَرْءُ مِنْ عَسْجِدٍ وَلِللَّهِ مِنْ وَرْدِ
 كَمْ وَرَدَتْ وَجَنَاتُ الصَّرْفِ فِي قَدَحِ [فَتَنَّتْ بِالْمَزَجِ مَا تَمَلَّوْهُ مِنْ حَقِّ] ^(٦)
 يَسْعَى بِهَا رِشَاءُ عَيْنَاهُ ^(٧) مَذْ رَمَقَتْ لَمْ يُبْقِ فِيَّ وَلَا فِيهَا سِوَى الرِّمَقِ
 حَبَابُهَا وَأَحَادِيثُ وَمَبْسِئُهُ ثَلَاثَةٌ كُلُّهَا مِنْ لَوْلُوٍ نَسَقِ
 حَتَّى إِذَا أَخَذْتُ مِنْى ^(٨) بِسَوْرَتِهَا مَا يَأْخُذُ النَّوْمُ مِنْ أَجْفَانِ ذِي أَرْقِ
 رَكِبْتُ فِيهِ بِحَارًا مِنْ عَجَائِبِهَا أُنِّي سَلَمْتُ—وَلَمْ أَشْعُرْ ^(٩)—مِنْ الْفَرْقِ
 وَلَمْ أَزَلْ فِي ارْتِشَافٍ مِنْهُ رَيْقَ فَرٍ [أَطْفَأْتُ فِي بَرْدِهِ مَشْبُوبَةَ الْحَرْقِ] ^(١٠)

(١) الشطر في الديوان هكذا : أَلْحَقْ بِنَفْسِجٍ جَفْرِى وَرَدَدْتِ شَفَقِ ، وهو تحريف .

(٢) في الديوان وأعيان العنبر : ٢٣٣/٢ : الْأَفْق .

(٣) أعيان العنبر : أسماط .

(٤) هكذا في الديوان وأعيان العنبر وفي الأصل : واستقرضتني كاستقرضاني .

(٥) في الديوان : فصرت .

(٦) يبايض في الأصل ، والتمتة من أعيان العنبر ، والبيت غير موجود في الديوان .

(٧) في الديوان : لَنْ عَيْنِهِ رَمَقَتْ .

(٨) في أعيان العنبر : مِنْى .

(٩) في أعيان العنبر : وَمَا أَتَرَى .

(١٠) في الأصل يبايض ، والتمتة من أعيان العنبر ، والبيت غير موجود في الديوان .

ياسا كن القلب عما قد رميت به من ساكنى الجزع^(١) مع ما فيه من قلق .
 [لا تعجبَنَّ لكل الجسم كيف مضى وإنما أعجب لبعض الجسم كيف بقي]^(٢)
 لم أَسْرِقُ بِنَاهِي وَصَلَ طِينُهُمْ فَمَا لَهُ صَارَ مَقْطُوعًا عَلَى السَّرَقِ
 من شعر أبي محمد بن سنان الخفاجي^(٣) حيث يقول :

إِذَا سَكَنْتُمْ قَلْبِي دَائِمُ الْقَلْقِ وَإِنْ رَقَدْتُمْ فَطَرْفِي دَائِمُ الْأَرْقِ
 سَرَقْتُ بِالنَّوْمِ وَصَلًّا مِنْ خِيَالِكُمْ فَصَارَ نَوْحِي مَقْطُوعًا عَلَى السَّرَقِ
 ومن قصيدة ابن قلاؤس^(٤) :

فِي الْمُنْدَمَا^(٥) قِيلَ أَسْيَافُ الْحَدِيدِ وَلَوْ لَا هَنْدُ مَا قِيلَ أَسْيَافُ مِنَ الْحَدَقِ
 وَبَتْ بِالْجَزَعِ فِي آثَارِهِمْ جَزِعًا إِنْ جُرِدَ الْبَرْقُ إِيْمَاضًا عَلَى الْبُرْقِ^(٦)
 ١ : فِي نَارٍ وَجَدْنِي مَعْنَى مِنْ تَلْهِيهِ وَفِي فَوَادِي مَا فِيهِ مِنَ الْوَلَقِ^(٧)
 وله من قصيدة في مدح وزير^(٨) صاحب صقلية :

جَرَتْ خَيْلُ النَّسِيمِ عَلَى الْغَدِيرِ وَرَدَّتْ تَحْتَ قَسْطَلَةِ^(٩) الْعَبِيرِ
 وَعَبَّ الصَّبْحُ فِي كَأْسِ الثَّرْيَا وَكَانَ بَرَاةَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
 وَقَامَ عَلَى جَبِينِ الشَّمْسِ يَهْفُو كَمَا يَهْفُو اللَّوَاهُ عَلَى أَمِيرِ
 ١٥ : وَدَارَ بِهِ^(١٠) عَلَى يَدِهِ فَكَانَتْ كَطَوَقِ الْجَامِ فِي كَفِّ الْمَدِيرِ

(١) الجزع : منعطف الوادي وقرية عن يمين الطائف .

(٢) الزيادة من أعيان العصر .

(٣) من أدياء القرن الخامس للهجرة ، وهو من تلامذة أبي العلاء ، ومن أشهر مؤلفاته سر الفصاحة . توفي سنة ٤٦٦ هـ .

(٤) في الأصل : وله من ، وكلمة له زائدة .

(٥) أعيان العصر : قد . (٦) البرق : جمع برقة وهي الروابي .

(٧) الولق : الطعن .

(٨) سماء جردنا فيما يلي وربما كان في كلمة وزير شيء من التجوز .

(٩) قسطال : قسطال ، وكلاما التبار . (١٠) في الديوان : بها .

وَجَّتْ فِي زَجَاجِ الْمَاءِ لَوْنًا هِيَ^(١) انْتزعت من حَلَبِ الْعَصِيرِ
 قَمْعَنَا نَسْتَقِيمُ^(٢) إِلَى قُلُوبٍ تَنَاجَتْ تَحْتَ أَسْتَارِ الصُّدُورِ
 نُحَقِّقُ بِالْمَنَى عِدَّةَ الْأَمَانِي وَغَلًّا بِالرَّضَى حُبَّ السُّرُورِ
 إِلَى أَنْ غَادَرَتْنَا الْكَأْسُ صَرَعِي نَفْرًا مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ

ومنها :

وَجَرَدْنَا^(٣) الدَّمَاحَ فَاسْتَقَرَّتْ عَلَى أَوْصَافِ جُرْدَنَّا^(٤) الْوَزِيرِ
 فَظَنَّمْنَا الْمَفَاخِرَ كَاللَّالِي وَحَلَيْنَا الْعَالِي كَالنُّحُورِ
 وَقَنَا فِي سَمَاءِ الْعَزْزِ نَرَى جَبِينَ الشَّمْسِ فِي الْيَوْمِ^(٥) لِلطَّلِيرِ
 وَأَعْجِبُ مَا جَرَى أَنَا أَمِنَّا وَنَحْنُ بِجَانِبِ الْيَثِ الْهَضُورِ
 وَأَرْسَلْنَا مِنَ الْأَفْدَاحِ رِيحًا^(٦) نَهَزَتْ بِهَا الْمَعَاطِفَ مِنْ ثَبِيرِ^(٧) ١٠
 وَقَلَدْنَاهُ دُرًّا جَاءَ مِنْهُ كَذَلِكَ الدُّرُّ جَاءَ مِنَ الْبُحُورِ

ومنها :

لَهِيْبُ صَوَاعِقِ الْعَزَمَاتِ مِنْهُ يَكَادُ يَذِيبُ أَفْنَدَةَ الصُّخُورِ
 وَمَاءُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْهُ يَكَادُ يَرُدُّ صَاعِدَةَ الزَّفِيرِ
 وَأَغْرَاسُ الْأَمَانِي فِي يَدَيْهِ تَهْزُ مَعَاطِفَ الدَّوْحِ النَّصِيرِ ١٥

(١) فِي الدِّيَوَانِ : قَدْ . (٢) فِي الدِّيَوَانِ : نَسْتَقِيمُ ، وَلَمَلَهَا عَرْفَةٌ عَنْ نَسْتَقِيمُ .

(٣) فِي الدِّيَوَانِ : وَجَرَدْنَا .

(٤) Giordano ، وَلَيْسَ فَيَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ مَصَادِرِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ رَجُلًا بِهَذَا الْاسْمِ كَانَ وَزِيرًا لِلْمَلِكِ غُلِيَّامِ الثَّانِي ، وَلَكِنَّهُ اسْمُ شَائِمٍ فِي صَقَلِيَّةٍ فِي الْعَصْرِ النُّوْرَمَانِي . وَفِي الدِّيَوَانِ : يَرْجِرِدُ .

(٥) فِي الدِّيَوَانِ : الْفَيْثُ .

(٦) فِي الدِّيَوَانِ : وَأَرْسَلْنَا مِنَ الْأَشْعَارِ نَشْرًا .

(٧) ثَبِيرٌ : جَبَلٌ بِظَاهِرِ مَكَّةَ .

١١ - الشيخ أبو الحسن

على بن أبي الفتح بن خلف الأموي

لا شك أنه من ساكني صقلية فإن ابن قلاقس أورد في الزهر الباسم ،
وقال : هو حَذَقَةُ العلم الناضرة ، وحديقة الأدب الناضرة . وإنما ذكرته أنا في أهل
مصر حيث اقتضاه هذا الموضع للمكاتبات التي جرت بينه وبين ابن قلاقس .
قال : كتب لي أبو الحسن على بن خلف الأموي رقعة أنفذها لما أردت
الرحيل عن صقلية :

يا ماجداً طَبَعَهُ أَحلى من اللادى ^(١) ومن يفوق ذكاء أهل بغداد
وَهَمْتُ في رُقعة سَيَرْتُهَا عَجلاً إليك ما بين تلميذ وأستاذ
فَأَبْسَطُ لِي العُذْرَ وأعلم أنني قلق ذو خاطر لنواكم آلم هاذي
قال : فأجبت ، ولو أظمت الخجل لاحتجبت :

هذي المحاسن قد أوتيتها هذي فكل شخص تعاطى شأوها هاذي
أقسمت بالنحل إنَّ النحل قائله ما ذى الخلاوة مما يُحْسِنُ اللادى
أنفذت شعراً فأنفذت القوى فجزى شكوى وشكر لإفاد وإنفاذ
وقمت لي من جفاء من صقلية بلطف مصر عليه ظرف بغداد
إن كان طبعك من ماء ورقته فإن ذاك فرند بين فولاذ ^(٢)
وما وهمت وفي التلميذ معرفتي حقاً لأنك معروف بأستاذي
الله يعلم لولا أنت ما جعلت بدى على كبد هبيب أفلاذ
قال : وفاض بحر آدابهِ فيضاً ، فكتب إلي أيضاً :
أيّا شمس الجلال على اقتصاد يا بدر السكال لدى أهداد

(١) اللادى : السمل الأبيض .

(٢) حكنا في الديوان وفي الأصل : بولاذ .

[٥٦ ط] ويا من بدَّ في الأشعار من قد / أباد الدهر من أزمانٍ عامٍ
لقد أصبحت لى خلاً صَفِيًّا / وحُبُّك قد تمكَّن في فؤادى
ومنها :

يعزُّ على أن تنأى وأبقى / فريداً مستهماً للبلاد
وإن حكمت بفرقتنا الليالى / وقديماً فرقت أهل الوداد
فودى ثابتاً أبداً مقيمٌ / على سرِّ الليالى فى ازدياد
ولولا طيرةً للبين تخشى / لبستُ لذلك أثوابَ الحداد
قال : فأجبت ، وليتقى أنجبت :

هو النادى وأنت به أنادى / فيأمرؤى الحياء مورى الزناد
لسانك أم سنانك دارٍ فيما / أراه من الجدال أو الجلال
تبرز فى اضطلاع وإطلاع / وتبرز فى انتقاد وأتقاد
وكم لك فى الفصاحة من أبادٍ / ملكت بها الفخار على الإيادى^(١)
ومنها :

من الشعراء قلبى منك أخى / يهيمُ صِجابَةً فى كل وادٍ
تخذتك من صقلية خليلاً / فكنت الورد يُقطف من قتاد
وشمتك بين أهلها صَفِيًّا / فكنت الجمر يُقبس من زناد
فإن وسعتك حيزوم^(٢) وإلا / فأ ضاقت حيازيم البلاد
فدينتك كلها فيها غريبٌ / وفا فسبى يضاف إلى الوداد
مرادى أن أواك ولست أشدو / عذرك من خليلك من مراد^(٣)

(١) يزيد بن ساعدة الإيادى .

(٢) الحيزوم : الأرض الصلبة ، والصدور .

(٣) مجز بيت من الشعر يقال إنه هلى بن أبى طالب كان يرويه لفا رأى ابن ملجم .

ومدره : أريد حياته ويريد قتل .

ومنها:

وإني عنك بعد غدٍ لغادٍ وقلبي عن فِنائِكَ غيرُ غادٍ
فأبعدُ بعدنا بُعدُ التداني وأقربُ قربنا قربُ البعاد
وذِكر غير هذا مما كتبه والجواب عنه .

١٢ - ابن النجيم

من مصر

نشرو الدولة على * بن مفرج النجيم

سمعت القاضي أبا القاسم حمزة^(١) بن عثمان^(٢) سنة إحدى وسبعين بدمشق ،
وقد وفد إليها بمهمة^(٣) ، يقول : بمصر شاب مبرز في الشعر مجيد وقد وَخَّطه الشيب ،
واتقنى عن أدبه العيب ، وله بديهة مليحة ، وفكرة صحيحة ، وذِكاء وقرينة ،
وإنما أفسدَ حاله أنه ضمن الصابون والملاهي ، وارتكب في عسف الناس المناهي ،
فاستغنوا منه واستعدوا عليه ، وامتدت ألسنتهم فيه ، فعُذِّبَ بالنفي إلى عَيْذاب ،

(*) نشأ ابن النجيم على اللهور والمجون ، وله أخبار كثيرة في بدائع البدائه لابن ظافر
وهي تدل على أنه كان لا يكاد يفتقر عن ابن الدورى وابن قلاؤس وقال السيوطي في حسن
المخاطرة (طبع بولاق ١٢٩٩ هـ) ٣٢٦/١ : كان أشعر أهل زمانه وأفضل أقرانه ، مدح
اللوك والوزراء ، وفيه فضائل ، ولد عام ٥٤٩ هـ وتوفى عام ٦٢٠ هـ . وانظر القرب نسخة (دار
الكتب) المجلد الثاني الورقة ١٧٢ ولم يزد ابن سعيد شيئا عن الهاد ، وانظر ترجمة أسامة بن
مبتدئ في ابن خلكان .

(١) ترجم له ابن سعيد في القرب (نسخة دار الكتب) المجلد الثاني الورقة ١٥٥ وقال
ابن أبي عثمان يتقدمون حتى عصره (القرن السابع) في الدواوين البصرية ، ثم أجاز لي أن أبا القاسم
هذا كان عميد الأسرة وأنه توفى سنة ٦١٦ هـ .

(٢) حكينا في ديوان ابن سناء الملك وفي الأصل : عيان .

(٣) في الأصل : بمعيته .

وهذب بها الأهذاب^(١) ، ثم وصل إلى الشام في خدمة الملك المظفر تورانشاه ابن أيوب من المين فلقيته ، واستنشدته من شعره فأشددني كثيراً منه ، وعرفني أن القصيدة العينية التي كتب بها شمس الدولة من تياء منصرفه من المين إلى أخيه الملك الناصر بدمشق هي له .

وتسارنا في طريق مصر فأشددني لنفسه من قصيدتين يبتين في الخضاب ، وهما :

وما خضب الناسُ البياضَ لقبحه فأقبحُ منه حين يظهرُ ناصِلُهُ
ولكنما مات الشبابُ فسُخِّمَتْ^(٢) على الرسمِ من حُزْنٍ عليه مَنَازِلُهُ

وأما العينية التي كتبها عن شمس الدولة إلى أخيه فهي :

ولما تبادتْ مُدَّةُ البينِ بيننا ونازعني قلبُ إلى الشامِ نازِعُ
ركبتُ أَشْتِياقًا مَوْضِعًا حينَ شاقني هوى ساكنها لم تَسْعَني المَواضعُ
فهل لأخي بل مالكي علمُ أني إليه وإن طالَ التردُّدُ راجعُ
وإني يومٍ واحدٍ من لقائه لملكى على عَظَمِ البريةِ بائعُ
ركبتُ إليه الليلَ وهو غياهِبُ وجئتُ إليه الأرضَ وهى بلاعُ
وليتته لما دعاني مسارعًا بنفسى ومالى وللشوقِ مسارعُ
فيا بَرُقُ طالعُهُ بَأْنَى واصلُ إليه ونجمُ القُربِ بالوصلِ طالعُ
ولم يبقَ إلَّا دونَ عشرينَ ليلةً وتَجَنَّى لئلى أبصارُنا والسماعُ
لدى ملكٍ تمنو الملوكةَ لبأسِهِ وتخشعُ إعظامُنا له وهو خاشعُ

ومنها :

وتضطربُ الدنيا لبثَ جنوده سوى ما حواه مُلكُهُ فهو وادِعُ

(١) في الأصل: الأهذاب

(٢) في النجوم الزاهرة طبع دار الكتب: ٦/٤٦٦ م: فيسويت .

١٣ - الفقيه البليغ

أبو عمر

موسى بن على السخاوى

من الأعمال الثرية بمصر ، وسكنه الإسكندرية . ذكره لى الأمير عز الدين محمد بن مصال فى سنة سبعين وأثنى على فضائله وقرّظها ، وأنشدنى من أشعاره التى حفظها ، وذكر أنه الآن شاعر تلك اللدرة^(١) ، وبساع قلّته جلاله الأفهام الصّدّة / وصفاه القرائح الكدرة .

[٥٧ و]

فن قصيدة له قوله :

هذى ديارهم وتلك نوارُ نأت النوى وتدانت الأوطارُ
فأرح متون العيس من دويّة تسرى الرياح بأرضها فتبحار
يتجشم المشتاق شمّ ترابها ويضلّ فيها الكوكب السّيار

ومنها :

ولرب موحشة قطعتُ ومؤنسى طرفُ أغرّ وكوكبُ غرار
وذكر بعد ذلك ليلة ، ووصفها إلى أن قال :

حتى استجاش على نجاجى الدّجى من قيصرى الشّدفة^(٢) الإسقار
وأى بزى الترك [يرقل^(٣)] فى قبا والشهبُ حول جيوه أزرار

ومنها :

هذا هو الخبرُ اليقينُ فإن تردّ علماً فمعد جهينة الأخبار
وكان المدوح قد أوقع بعرب الصعيد ومن جلتهم جهينة

(١) اللدرة : اللدنة . (٢) فى الأصل : السدفا وهو تحريف .

(٣) ساقطة من الأصل وزدها ملاحة لسياق .

ولما وصلت إلى القاهرة سنة اثنتين وسبعين دخلت إلى القاضي الفاضل
برماً وعنده للبليغ السخاوي [قصيدة^(١)] قد مدحه بها في جمادى الأولى وهي
جامعة للإحسان فتأملتھا ، وهي :

أَغْضَى وَأَدْعَنَ حِينَ عَنَّ الرَّبْرَبُ حَتَّى تَصَيَّدَهُ الْغَزَالُ الْأَشْنَبُ
فَطَوَى حِشَاهُ عَلَى جَوَى جَحْرِ الْفَضَا مِمَّا جَنَى مِنْ جَمْرَةٍ تَلْهَبُ ٥
وَصَبَا فَأُشْرَاهُ^(٢) الْغَرَامُ وَذَادَهُ عَنْ وَرْدِهِ وَهُوَ الْمَزْبَرُ الْأَغْلَبُ
وَصَبْتُ إِلَيْهِ مِنَ الصَّبَابَةِ لَوْعَةً تُغْرِى بِكُلِّ مُحَرَّبٍ^(٣) لَا يُغْلَبُ
وَهِيَ الَّتِي مَا زَالَ يَجْنِي حُلُوهَا^(٤) مِنْ مَرْهَاهَا فَعَذَابُهَا مُسْتَعَذَّبُ
وَيَعِدُهَا مِنْ كُلِّ آخَرَى آخَرٍ مَا مِنْهُ يَرْتَاعُ الْكَيْلُ الْمُحَرَّبُ^(٥)
إِنِّي عَلَى أُنَى الْأَبْنَى فَوَادُهُ فَارْعَبُ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ يَقْرُبُ ١٠
أَدْنُو وَأُشْجِعُ إِذْ دَنَتْ أَسْدُ الشَّرَى وَتَعْنُ لِي الْعَيْنُ الْحَسَانُ فَأَرْهَبُ
وَأَمِيلُ مِنْ خَجَلٍ إِلَى وَجَلٍ بِهِ أَضْنَى فَذَا يَكْسُو وَهَذَا يَسْلُبُ
وَأَهَابُ مِنْ أَهْوَى فَأَسْتَجِدِي كَمَا اسْتَجَدَى لِفَضْلِ الْفَاضِلِ السُّتَعِيبُ
السُّتَيْبُ بِكُلِّ فَضْلٍ فَضْلُهُ فِجْنَابِهِ الْمَأْمُولُ أَخْضَرُ مُخْصِبُ
وَالْمُسْتَرْقُ حَرَارَتِ الشَّمْسِ الَّتِي أَبْدَأُ تُصَانُ عَنْ الْأَنَامِ وَتُحْجَبُ ١٥
مُتَحَسِّدٌ مِنْ لَفْظِهِ وَبِلَاغِهِ طَلَفْتُ بِأَبْكَارِ الْمَعَانِي تُثْمَبُ^(٦)

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) في الأصل : فأُسْرُهُ ، وأُشْرَى : أُمَالُ .

(٣) المحرّبة : الأسد ، والفتحاج . (٤) في الأصل : حَوْلُهُ .

(٥) المحرّبة : للزّبي هل على ما ينتميه من الحرب .

(٦) ثَمَب : تَحْمِيلُ .

- كالنارِ إلا أنها لا تنطفئ .
 وعليه من نور السكينة حلة .
 يسمُّ اليراعة بالبراعة وثمة .
 ويقول إلا أنه القول الذى
 أضحى على سحبانٍ سحبٌ ذيله .
 وحسامه القلم الذى لم يُضهِ
 عارٍ وليس بمُحرمٍ ، ومنطقٍ
 يفرى^(٣) بريقته للنايا وللى
 كالحية التضاضِ إلا أنه
 وتراه يصمتُ حين يُرجى راجلاً
 ويظلُّ ينظرُ من ظلامٍ فى ضحى
 واشٍ^(٤) بمكنون الضمير وعلمه
 فإذا وشى [وشى^(٥)] للمهارق أحرقاً
- والبحر إلا أنه لا يُنصبُ
 وثق الزمانُ بأنَّها لا تُسلبُ
 عند^(١) الخطوب وحين يُعربُ يُعربُ
 أعياء وأعجز فهو لا يُتعَبُ
 تيهًا وعن إعرابٍ يُعربُ يُعربُ
 إلا وذلٌّ له الحسام المُنصبُ^(٢)
 تلقاه وهو أصمُّ أبكم يُخطبُ
 أبدًا ويُرضى إذ يهزُّ ويُغضبُ
 يسعى فيرجى حيث كان ويرهب
 أبدًا وينطق راكبًا إذ يشربُ
 فكأما لحظَّ النهار الغيبُ
 عنه وعن فطنِ الأنام مُغيَّبُ
 هن الرياض أصابهن الصَّيبُ^(٦)

ومنها :

- وإذا الكرام الكاتبون تصفَّحوا
 ونشرفَ انطلُّ الأصلُ بأنه
 فلذاك سالمهُ الزمانُ ولم يكن
 وتقاصرت همُّ الرجالِ عن الذى
- صفحاته كُتبت رَضُوا ما يكتبُ^(٧)
 يُغزى إلى عبد الرحيم ويُنسبُ
 إلا على أحكامه يتقلبُ
 لم يرضَ مركبه وعما يركبُ

(١) فى الأصل : غرد .

(٢) القصب : القاطع .

(٣) فى الأصل : وشى .

(٤) الميب : السحاب المطر .

(٥) فى الأصل : يعدى .

(٦) ساقطة من الأصل .

(٧) فى الأصل : يكتبوا .

وَعَنَّتْ لَهُ الدُّنْيَا وَدَانَتْ وَهِيَ إِذْ مَلَأَتْ يَدَيْهِ بَعْضُ مَا يَسْتَوْجِبُ
وَذَكَرَهَا جَمِيعَهَا وَهِيَ طَوِيلَةٌ ^(١) :

قال : وسمعت الملك الناصر يثنى على بلاغته ، وبديهيته في براعته ، وأنه سمي
بليغا لنثره الذي هو أحسن من شعره . وتوفى فجأة — وَجِدَ مِيتًا في فراشه في
منزله في ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين .

١٤ — الصالح أبو الفارات

طَمُوْعٌ * بَن رَزِيْكَ

سلطانُ مصرَ في زمانِ الفاترِ وأولِ زمانِ العاضدِ . مَلَكَ مصرَ ، واستولى على
صاحبِ القصرِ ، ونفق في زمانه النظم والنثر ، واسترقَّ بإحسانه الحمد والشكر

(١) يظهر أن هذه العبارة من كلام الناسخ فهي مزيدة على الحريدة ، ويكون معنى ذلك
أنه اختصر القصيدة .

(*) هو مِطْلَاحُ بَن رَزِيْكَ الأرمي كان واليا بمنية خصب في الصعيد فلما قتل عباس
الصنهاجي الخليفة الظاهر كما أسلفنا لجأ إليه أهل القصر واستصرخوه ، فأقبل ، وملك مصر
واستغل بالأمور في عهد الخليفة الفاتر (٥٤٩ — ٥٥٥ هـ) ولما مات الفاتر وبوع الباضد
استمر ابن رزيك وزيره ، وزوجه ابنته ، وكان صغيراً ، فاستبد بالأمهونه ، وقطع أرزاق الخاصة
فدبرت له مؤامرة لقتله ، فقتل سنة ٥٥٦ هـ . ووزارته صنعة مشرقة في تاريخ مصر قبل
استيلاء صلاح الدين الأيوبي عليها ، إذ وجه كل همه لحرب الصليبيين وأجلاءهم عن بلاد كثيرة في
فلسطين ، ولذلك لقب بأب الفارات . وكان شاعراً مجيداً ، ويقول ابن خلكان إنه رأى ديوان شعره
في مجلدين ، وفي عقد الجمان للمبني أن أكثر أشعاره في مدح أهل البيت ، وفي الوافي بالوفيات
أنه كان يجمع العلماء وينظرهم على الإمامة وكان يرى القدر وصنف كتاباً سماه (الاجتهاد في الرد
على أهل النقاد) يقرر فيه قواعد الرفض ، وفي ابن الأثير أنه كان إمامياً ولم يكن على مذهب
المولوين الغريين . انظر ترجمته في عقد الجمان للنسخة للصورة بدار الكتب المصرية في وفیات
سنة ٥٥٦ هـ وكذلك في النجوم الزاهرة ، وابن الأثير ، وفي ابن خلكان ٣٣٧/١ وفي الوافي
بالوفيات للنسخة للصورة بدار الكتب الجزء الخامس في القسم الأول منه الورقة ٢١٣
والمغرب لابن سعيد نسخة الجامعة العربية الورقة ١١ وما يفدها ، ويقول ابن سعيد إنه كان
ينسب نفسه إلى غسان ويعدده للشعراء بذلك . وترجمته أول ترجمة افتتح بها صاحب الجمان
كتابه ، وقد بنى عمارة المبني كتابه التكت المصرية عليه وعلى حياته وأجاده . .

وَقَرَّبَ الصَّلَاةَ ، وَاتَّخَذَهُمْ لِنَفْسِهِ جُنَاسًا ، وَرَحِلَ إِلَيْهِ ذَوْرُ الرَّجَاءِ ، وَأَقْلَصَ عَلَى [٥٧ ط] الداني والقاصي بالعطاء . وله قصائد كثيرة مستحسنة أنفذها إلى الشام ، يذكر فيها قيامه بنصر الإسلام . وما يصدقُ أحدٌ أن ذلك شعره لجودته ، وإحكام مباني حكته ، وأقسام معاني بلاغته ، فيقال إن المذهب^(١) بن الزبير كان ينظم له وإن الجليس بن الحباب كان يعينه ؛ وله ديوان كبير ، وإحسان كثير . مَلَكَ سنة تسع وأربعين ، وَقُتِلَ بِهِ فِي دَهْلِيزِ الْقَصْرِ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِالْقَاهِرَةِ ؛ وَانْكَسَفَتْ شَمْسُ الْقُضَائِلِ الزَّاهِرَةِ ، وَرَخَصَ سَعْرُ الشَّعْرِ ، وَانْخَفَضَ عِلْمُ الْعِلْمِ ، وَضَاقَ فِضَاءُ الْفَضْلِ ، وَاتَّسَعَ جَاهُ الْجَهْلِ ، وَانْحَلَّ نِظَامُ أَهْلِ النِّظَمِ ، وَانْتَثَرَ عِقْدُ ذَوَى النَثْرِ ، وَاسْتَشْشَرَ [الْقَافَةُ^(٢)] الشُّعْرَاءُ ، وَعَدِمَ الْبُلَغَةُ الْبُلْغَاءُ ، وَعَدَّ الْفَضْلُ فَضُولًا ، وَالْعَقْلُ عَقُولًا . وَظَلَّ الْفَعْلُ الْقَارِحُ مِنْ قَرِيحَةِ الْحَبَابِ مَقْرُوحًا مَجْنُوبًا ، وَطَلَبَ الْمَهْذَبُ مَذْهَبًا فِي الذَّهَابِ مَحْبُوبًا ، وَمَرَكَبًا فِي النَّجَاةِ مَجْنُوبًا ، وَأَضَلَّ^(٣) الرِّشِيدُ طَرِيقَ رَشْدِهِ فَاحْتَرَقَ بِشَرَارِ شَاوِرٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَادَ ابْنُ الصِّيَادِ إِلَى حَرْفَةِ أَبِيهِ ، وَنَبَا الْمَقَامَ بِالنَّبِيلِ النَّبِيهِ ، وَعَجَّلَ ابْنُ رَوْاحَةِ الرُّوَّاحِ ، حِينَ تَأْمَلَ دَفْتَرُ تَأْمِيلِهِ فَلَا حَاقَ أَنْ لَا فَلَاحَ . [وَعُضِلَ الْمَهْذَبُ^(٤)] بِالشَّامِ أَخْتُ الْكَافِيَّةِ

(١) : سَتَأَى تَرْجَمَةُ الْمَهْذَبِ وَكَذَلِكَ الْجَلِيسُ بْنُ الْحَبَابِ وَغَيْرُهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمَصْرِيِّينَ الَّذِينَ أَشَارَ إِلَيْهِمْ .

(٢) : سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ .

(٣) : سَتَأَى تَرْجَمَةُ الرِّشِيدِ وَقَدْ قُتِلَ شَاوِرُ .

(٤) : فِي الْأَصْلِ : يَبَاضُ وَقَدْ وَضَعْنَا الْإِزَادَةَ مَلَأْمَةً لِلْسِّيَاقِ وَكَذَا أَنَّ الْمَهْذَبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَسْعَدَ الْمَوْصِلِيَّ الشَّافِعِيَّ مَدَحَ طَلَاتِحَ بِقَصِيدَةٍ كَافِيَةٍ ، وَيَقُولُ الْمَادُ فِي تَرْجَمَتِهِ لَهُ بِالْمَرْيَدَةِ بَيْنَ شُعْرَاءِ الْمَوْصِلِ : الْقَفِيهِ الدَّرْسِ بِجَمْعٍ ، وَقَدْ سَارَتْ كَافِيَتُهُ بَيْنَ فَضْلَاءِ الزَّمَانِ . كَافَةٌ فَتَشْهَدُ بِكَفَائَتِهِ وَسَجَلَتِ بِأَنَّ أَهْلَ الْعَصْرِ لَمْ يَلْفِتُوا إِلَى غَايَتِهِ ، ثُمَّ أَتَشَدُّهَا الْمَادُ . وَأَشَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا الصَّدُوقِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ لَطَلَاتِحَ .

الكافية لما عدم كنفها الأيد^(١) ، وحَصَّ الحصكتي^(٢) الكفتي عدة قصائد فلم
يسمها^(٣) من قريته قطر^(٤) مصر البعد ، وطلق فضلاء الحضرة ينيبون لحضور
الناقصين ، وكربه أدياه^(٥) تلك المدة يذوبون لجود الغامضين الغامضين ، وعاد
الجرُّ شوكي ، والعيدُ عاشورا ، والسخبُ منشورا ، والسف مأثورا ،
والقريضُ مقروضا ، ويد الرفض مقبوضة ، وعين الحد مغضوضة ، وعمَّ رزه ابن
رزيك ، وملاي صرْفُ الدهر ذلك الليلك ، فلم تزل مصر بعده منحوسة الخطَّ
منسوخة^(٦) الجلد ، منكوسة الراية ، معكوسة الآية ، إلى أن ملكها يوسف الثاني ،
وجعلها مغاني المعاني ، وأنشر رميمها ، وعطر نسيمها ، وأرج ربابها ، وبلج تحياها ،
وأعلى سناها ، وأحلى جناها ، وأعاد ماها ، وأباد أعداءها ، وافترع عُذرها ، وفرع
ذروتها ، ونفى سُودها^(٧) ، وعنى أسودها ، وخلَص فتوحها ، ونلص شروحا ،
وتسلم قصرها ، والزم^(٨) خصرها . فليفتح الصالح عينه ليعاين مُلك الصلاح ،
ناهضا بفتح النجاح ، خافقا في الخافقين بقوادم الإقدام ، طائرا من قدام
بأسه بخوافي الخوف قلبُ الباسل الهام . قال : جرى لي جود الخاطر في جواد
البيان ، ومضار هذا الميذان ، وأخرجني من شرط الكتاب ، إلى بسط هذا
الباب ، فلنقطع أطناب الإطناب ، ولنورد ما نلقله^(٩) من الأشعار المنسوبة
إليه ، فن جيده القصيدة الطائية التي كتبها إلى الأمير مؤيد الدولة في جواب
قصيدة طائية كتبها إليه ، ومطلعها في غاية الحسن ، وهي قوله :

(١) في الأصل : إليه .

(٢) هو يحيى بن سلامة خطيب مياقريين من كبار الأدباء والشعراء في عصره وكان
ضربا توفي سنة ٥٥١ هـ .

(٣) في الأصل : يسمها . (٤) في الأصل : يقصد .

(٥) في الأصل : وكرها . (٦) في الأصل : منحوسة .

(٧) يعني ما كان في مصر من السودان في مصر الفاطمي .

(٨) التزم : عاتق . (٩) في الأصل : نلقلها .

هي البدر لكنّ الثريا لها قرطٌ . ومن أنجم الجوزاء في نخرها سبطٌ
 مشّت وعليها اللّهامِ ظلالٌ . تظّلُ ومن نسج الرّيع لها بسطٌ
 تؤم صريعاً في الرجال كأنه . من السقم ، والأيدى ثقله ، خطٌ
 فما أخضر ثوب^(١) الأرض إلا لأنها . عليه إذا زارت بأقدامها تخطو
 ولا طاب نشر الأرض إلا لأنه . يجرّ عليه من جلابيها مرط
 ولا طار ذكر الظبي إلا وقد غدا^(٢) . يصدّ كما صدّت ويغطو كما تغطو
 من البيض مثل الصبح ما للظلام في . محاسنها - لولا ذوائبها - قسط
 إلى العرب الأعحاض يغزى^(٣) قبيلها . وقد ضمها في الحسن مع يوسف سبط
 ولما غدت كالعاج زين صدرها^(٤) . بحقّين منها قد أجادها الخرط
 وأرسل فوق الخدّ صدغ مكلّل . كما أرسلت في الروض حيّاته الرقط
 ذوائب زان الخصر منهنّ فاحم . تحدّر لا جسد الثّبات ولا سبط
 ومنها وهي طويلة :

وظلّاء للشهب الدراري إذا سرت . هناك مع السارين في جنبها خبط
 كما أوّل الفجر ينسقط يسأل من / حشاها كذاك البرق في جوارها سقط^(٥) [٥٨ و]
 سلّنا بها البيض السيوف فلاح في . شباب الدجى لما بدا لعمها^(٦) وخبط
 سيوف لها في كل درع وجنّة . إذا ما اعتلت قد^(٧) أو اعترضت قط

(١) مكنا في الأصل ويمكن أن تقرأ أيضا : رب .

(٢) في الأصل : عدا .

(٣) في الأصل : معزى .

(٤) في الأصل : صدورها .

(٥) في الأصل : مقط ، وسقط النار ما يسقط منها عند التدح وكذلك الولد ما يسقط

قبل تمامه .

(٦) في الأصل : إلهها .

(٧) في الأصل : قدا ، والقند : الشق طولاً ، والقط : القطع عرضاً .

ومنها :

وحربٌ لها الأرواح زاهقةٌ لِمَا تُمايُنُ والأصوات من دَهَشٍ لَنَطُ
إِذَا أُرْسِلَتْ فرعًا من النقع فاحمًا أَيْثًا فأَسنانُ الرماح لها مُشَط
كَأَنَّ القنا فيها أَناملُ حاسب أَجَدَّ بها في السرعة الجمعُ واللقط

ومنها في القطع وذكر القصيدة :

على أَنها تشيطنُ إِن هِي ساجلتُ أَحبةٌ قلبي إِن تدانَوْا وَإِن شَطُوا
يشير إلى مطلع قصيدة مؤيد الدولة^(٥).

ومن شعر الصالح في الغزل :

ومنهفٍ ثملِ القوام سَرَتْ إلى أعطافِهِ النَّشواتُ من عينيهِ
ماضى الحافظِ كَأَمَّا سَلَّتْ يَدِي سَيْفًا^(١) غداةَ الرّوع من جفنيهِ
الناسُ طوعُ يَدِي وأَسْرَى نافذٌ فيهِمْ وقلبي الآن طوعُ يَدِيهِ
فأعجبٌ لسلطانِ يَعمُ بَعْدَهُ ويجورُ سلطانُ الغرام عليه
قد قلتُ إِذ كَتَبَ العذارُ بَحْدَهُ في وَرْدِهِ^(٢) أَلَقِيهِ لا لاميهِ
ما الشَّعْرُ لاحِ بمارضيهِ وإِما أَصداغُهُ نَفَضَتْ على خَدَيْهِ
واللهُ لولا أَسْمُ الفِرارِ وَأَنَّهُ مستقبَحٌ لقررتُ منه [إليه]^(٣)

(١) يريد أسامة بن منقذ الشيزي أحد أبطال الحروب الصليبية وشراء عصره المهين ، دخل مصر أواخر العصر الفاطمي فكان مؤثرا مشاراً إليه بالتعظيم ، واشترك في المؤامرات ، وفر مع عباس الصنهاجي إلى الشام ، ولحق عصر صلاح الدين وتوفي سنة ٥٨٤ هـ .

(٢) ذكر أغلب من ترجموا لطلّاح هذه الأبيات وجاءت فيها هذه الكلمة : سيق .

(٣) في الأصل : وردني وفي ابن خلكان والرائي بالوفيات وغيرهما من المراجع :

قد قلتُ لِإِذْ خط العذار بِمِسْكَةٍ في خَدِهِ أَلَقِيهِ لا لاميهِ

(٤) في الأصل يئس ، والزيادة في كل المراجع .

وقال في الزهد :

خَضَ بِجَارِ الْمَوْتِ فِي الثَّقَلِ مِنْ دَارِ الْهَوَانِ
وَأَحْمَلَ النَّفْسَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى حَدِّ السَّفَانِ
وَأَجْتَهَدَ إِلَّا يَرَاكَ النَّاسُ مَبْسُوطَ الْبَنَانِ
فَعَسَى الرَّحْمَنُ يُغْنِيَ عَنْ فُلَانٍ وَفُلَانِ

ونقلت من درج بخط الصالح بن رزيك قصيدة له أعارني ابن أخته ما
نظمه سنة خمس وخمسين ، أولها :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُؤَيَّدًا مَدَى الدَّهْرِ مَنْصُورَ الْيَدَيْنِ عَلَى الْعِدَا
وَكَمْ جَاهِلٍ قَدْ زَادَهُ الْحُمُ غَزَا عَلَى غَيْرِهِ لَمَّا فَسَحَتْ لَهُ الْمَدَى
فَأَوْرَدَتْهُ مِنْ رَاحَتِي مُورِدَ النَّدَى وَلَمَّا أَسْرَّ الْقَدَرُ أَوْرَدَتْهُ الرَّدَى
وَهَاجَرَ فَاسْتَدْرَجَتْهُ وَدَفَعَتْهُ بِحُلَى أَنَاةً وَانْتَظَارًا بِهِ غَدَا
عَسَى هُوَ أَنْ يَصْحُو مِنَ الْجَهْلِ أَوْ يَرَى عَلَيْهِ الْحَسَامُ لِلشَّرَفِ مُعْرِيدَا

ومنها في وصف حسام :

فَعَاجَلَهُ مُسْتَحْكِمُ الرَّأْيِ قَدْ غَدَا لَقَهْرٍ الْأَعَادَى فِي الْحُرُوبِ مُؤَيَّدَا
رَمِيَتْ بِهِ سَهْمًا مَصِيبًا وَإِنَّهُ لَدَى الْحَرْبِ مَا زَالَ الْقَوِيمُ مُسَدَّدَا
هُوَ الْأَسَدُ الْوَرْدُ الَّذِي عَادَ سَبْقُهُ إِلَيْنَا مِنَ الضَّرْبِ الدَّرَاكُ الْمُورِدَا
فَلَا يَغْتَرُّ بِي بَعْدَهَا ذُو جِهَالَةٍ فَلَيْتُ الشَّرَى يُخْشَى وَإِنْ كَانَ مُلْبِدَا

وأعارني درجاً فيه بخط الصالح قصيدة أخرى منها :

تَوَالَتْ عَلَيْنَا فِي الْكَتَائِبِ وَالْكَتَبِ بِشَائِرُ مِنْ شَرْقِ الْبِلَادِ وَمِنْ غَرْبِ
بِشَائِرُ تَهْدِي لِلْمَوَالِي مَسَرَّةً وَتُحَدِّثُ لِلْبَاغِينَ رُعبًا عَلَى رُعبِ

ففي ^(١) كبدٍ من حرها الذارُ تلتظي وفي كبد أحلى من البارد العذب ومنها :

جعلنا جبال القدس فيها وقد جرّت عليها عتاق الخليل كالنفنف ^(٢) الشهب
فقد أصبحت أوعارها وحزونها سهولاً توطاً للقوارس والركب
ولما غدت لأماء في جنباتها صبيها عليها وإبلاً من دم سكب ^(٣) .
وجدت بها سحُب الدروع من العدا نجيماً فأغنتها القداة عن السحُب
وأجرت بحاراً منه فوق جبالها ولكن بحار ليس تعذب للشرب
فقد عمها خصب به من رءوسهم بها ولكم خصب أضرم من الجذب
وقد روعتها خيلنا قبل هذه مراراً وكانت قبل أمانة السرب
وأخفى صهيل الخليل أصوات أهلها فعاقت نواقيس القرنج عن الضرب ^(٤) ١٠
ومنها :

وأبطال حرب من كتامة ^(٥) دَوْخُوا بلاد الأعادي بالمسومة ^(٦) القب
وعادوا إلينا بالءوس على القنا وأغنهم كسب الثناء عن الكسب
ومنها :

وإنا بنو رزيك ما زال جارنا يحلّ لدينا بالكرامة والخصب ^(٧) ١٥
ونفتك بالأموال في السلم دائماً كما نحن بالأعداء ^(٨) نفتك بالحرب

(١) هكذا في الغرب وفي الأصل : أقي .

(٢) النفن : للفازة ، والسهب : للمستوى من الأرض .

(٣) في الأصل : سلب .

(٤) هكذا في الغرب وفي الأصل : كنانة وكنانة قبيلة مغربية جاءت مع الفاطميين

من بلاد المغرب . (٥) المسومة : اللمة ، والقب : جمع أقب وهو من الخيل الضامر .

(٦) هكذا في الغرب وفي الأصل : في الأعداء .

وذكر عمارة البيني قال دخلت عليه السادس [عشر ^(١)] من شهر رمضان سنة ست وخمسين قبل موته بثلاثة أيام بعد قيامه من السباط فدخل وخرج وفي يده قرطاس قد كتب فيه بيتين من شعره قد عملهما في تلك الساعة :

نحن في غفلة ونومٍ وللموتِ عيونٌ يقظانةٌ لا تنامُ
قد رحلنا إلى الحمامِ سنيئاً ليت شعري متى يكون الحمامُ ؟

/ قال عمارة : ومن عجب الاتفاقِ أننى أنشدتُ وله في تلك الليلة [٥٨ ط] قصيدة منها :

أبوك الذي تسطو الليالي بحده [وأنت ^(٢) يمينٌ] إن سطا وشمالُ
لرتبته المُطعمى وإن طال عمره إليك مصيرٌ واجبٌ ومآلُ
تخالسك اللحظ ^(٣) المصون ودونها حجاب شريف لا أتقضى ^(٤) وحجالُ
فانتقل الملك إليه بعد ثلاثة أيام

ومن شعر الصالح في مملوك له رآه يوم العيد ، في السلاح لا بس الحديد ^(٥) :
لبس الحديد فزاد في إعجابه بدرّ تظلّ الشمس من حجابهِ
لامطعمٌ في أن يرقّ وقلبه أفسى على العشاق من جلبابه
قد كان يُغنيه سيفٌ لحاظه عن حمل صارمه ليوم ضرابه
لوجاد لي فوق اللثام بقبلة تشق فؤاد الصبّ من أوصابه
رويت ظامئة الرماح من العدا وضّيت من ظلي لبرد شرابه

(١) في الأصل يائس والزيادة من النكت المصرية لعمارة البيني طبع درنبرغ ص ٤٩ .

(٢) في الأصل يائس والزيادة من النكت .

(٣) هكذا في النكت وفي الأصل : تجالسك اللحظ .

(٤) هكذا في النكت وفي الأصل : الاقضا وهو تحريف ، والحجال : جمع حجلة ،

وحى البيت الذي يزين للعروس .

(٥) في الأصل : الجديد .

وقال :

عاذلى عدلكَ سهمٌ فى الحشا كيف كتمانى وسرّى قد فشا
صار مابى من غرامِ كامنٍ ظاهراً ينقله واشٍ وثى
من رأى قبلى ياريمَ القلا أسداً يقنصُهُ لحظُ رشا

ومنها :

وجهِكَ الرّوضة آتتْ نرجساً^(١) وجئى الوردِ فيها فُرِشا
خفتُ أن يُجنى فوكّلتُ بها عقرَباً طوراً وطوراً حنّشا

وقال :

ألا إن أشواقى بقلبى برّحتُ فأصبحتُ فى بحرٍ بعيدٍ من الشاطى
قلّقتُ وقد جدَّ الفراقُ لبُعْدِكُم كَأَنى على جمرِ النّصا بَعْدَ كُمِ واطى
ولا غرو فيكم أن أفضتُ مضاجعى وقد بانَ فى حُبّى لَكُم وجهُ إفراطى

وقال :

وفاتر الطرف فى الخدِّ الأسيل له وردّ جنّى حَتَمَهُ أَسْهُمُ القُللِ
نَهَبْتُهُ بَقِىَ لَمّا وَقَدْ غَفَلْتُ عينُ الرّقيب وكَلَّتْ أَلْسُنُ العَدَلِ
وخاف أن يفتن الواشى بنا وبه فعاد يُخَلِّفُ ما قد مَنَّ بالخبيلِ
إن مال عنى فقد مال النعيمُ وإن يَمِلُ إلى أَجْدِهِ غَايَةُ الأملِ
هابتُ سَطائى ليوثُ الغاب غاديةً ورحت من لحظاتِ الظّئبى فى وَجَلِ
فرَجّتُ صَنَكَ الوغى فى كلِّ معركةٍ بِمُحْدُ سِفَى وضاقَتْ فى الهوى حَيْلِى

(١) آتت ، أثمرت .

وقال :

ظبيٌ يُحَيِّرُ في الملاحَةِ كلّا كرّرتُ طرفي في بديع فنونه
أشكو إليه صابتي فيجيني وردُّ يبرّدُ لوعتي بممينه
قسماً به وبوردةٍ في خـده وتمازى قامته وسحر جفونه
لو أن ركبا في القلّة تحيروا لسروا بضوء من هلال جبينه
وأنشدني زين الدين بن نجّا^(١) الواعظ الدمشقي له في غلام سابق على حصان
أخضر أشقر :

ولما حضرنا للسباق تبادرت خيولٌ ومن أهواه أقدمها سباقا
على أشقرٍ شبه الالهيب توقدا ولونا قلنا البدر قد ركب البرقا
وأنشدني زين الدولة الحسين بن الوزير أبي الكرام قال : كتب الصالح

ابن رزّيك إلى والدي بعد عوده من مصر إلى الشام سنة إحدى وخمسين :
أحباب قلبي إن شطّ المزار بكُم فأنكم في صميم القلب سكّانُ
وإن رجعتُ إلى الأوطان إن لكم صدورنا عوّض الأوطان أوطانُ
جاورتُم غيرنا لما نأت بكُم دار وأتم لنا بالودّ جيران
وكيف نساكم يوما لبعدهم عنا وشخصكم للعين إنسان
وأنشدني له :

وإذا تشبّ النارُ بين أضالعي قابلتها من أدمعي بسيول
فأنا التريقُ بل الحريقُ أموت في هذا وكذالة القنفذيل
وكان قد ذكر عنده بيتا من نظم عوام بغداد من كان وكان^(٢) وهو :

(١) هو زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجّا الحنبلي الواعظ ، وله شهرة مدوية في عصره ، توفي سنة ٥٩٩ هـ

(٢) ذكر ابن طاهر في بدائع البداة ص ١٣٣ هذه الحادثة ؛ وقال إن بعض جلساء الصالح أنشده بيتا من الأوزان التي يسميها المصريون الزكالكش ، ويسميها العراقيون كان وكان .

النار بين ضلوعي وأنا غريقٌ مدامي
كانى^(١) قتيلة قنديل أموت حريقٌ غريق^(٢)

فأنشد ابن الحباب أبو المعالي الجليس في المعنى :

هل عاذرٌ إن رمتُ خلع عذارى في شَمٍّ سالفَةٍ ولثم عذار
تتألفُ الأصدادُ فيه ولم تزل في سالفِ الأيام ذاتَ فقارٍ •
قله من الزفراتِ لفحُ صواعقي تُرْدَى وبالمسراتِ سحُ بحارٍ^(٣)
كذباله القنديل قُدرَ هُلكها ما بين ماء في الزجاج وناو

فقال المهنّب بن الزبير في المعنى :

كأنى وقد فاضت^(٤) سيولُ مدامي فَشَبَّتْ^(٥) حريقاً في الخشا والترائب
ذباله قنديلٌ تمومُ بمائها وتُشعلُ فيها النارُ من كل جانب ١٠
/ وحديثي أبو الذكاء^(٦) البعلبيكي ، وكان رسولاً بمصر ، قال : لما جلس

الصلح بن رزيك في دست الوزارة نظم هذه الأبيات :

أَنْظُرْ إِلَى ذِي الدارِكُمْ قد حلَّ ساحتها وزيرُ
ولكم تبخترَ آمناً وَسَطَ الصَّفوفِ بها أميرُ
ذهبوا فلا والله ما بَقِيَ الصَّغِيرُ وَلَا الْكَبِيرُ ١٥
ولمثل ما صاروا إليه من القناء غداً نصيرُ

(١) الشطر في البدائع : كَتَّى . (٢) في البدائع : غريق و حريق .

(٣) الشطر في البدائع : وله من المبرات لِح بحار .

(٤) في البدائع : سالت . (٥) في البدائع : فأذكت .

(٦) ذكره السلي في معجمه (نسخة دار الكتب للصورة) الورقة ٣٣٢ ، وقال أبو الذكاء فهم بن حسان بن أحمد البني النمشي كان من أهل الفهم والأدب قدم الثغر ، وسافر إلى الأندلس ، ثم رجع إلينا وتوجه إلى الشام .

قال زين الدين الواعظ : عمل فارسُ المسلمين أخو الصالح له دعوةً في شعبان من السنة التي قتل فيها فعمل هذه الأبيات وسلمها إلى :

أنت بكم دهرًا فلما ظننتم أني تفرقت بقلبي وحشة للفرق

وقال :

وأعجبُ شيء أني يومَ بينكم بقيتُ وقلبي بين جنبي ما بقي
أرى البعدَ ما بيني وبين أحبي كبعدي^(١) للذي ما بين غربٍ ومشرقٍ
ألا جددي يا نفسُ وجدًا وحسرةً فهذا فراقٌ بعده ليس تلتقي

قال : فلم يبق بعدها لم اجتماع في مسرة ، وقتل في شهر رمضان . قال : وما نظمته :

يادهرُ حسبك ما فعلت بنا أترأك تطلبُ عندنا إحنا
كم تنقيك بكل سابعة وسهامُ كيدك تخرق الجُننا^(٢)
ما تنفعُ الدرع الحصينة من عَمَّا قليل يلبسُ الكفنا
كلا ولا الأيام تقبلُ عن أرواحنا رَشَوًا ولا ثمنًا
لو بالثريَّا حلَّ مُعْتَصِمٌ منها لكان له الثرى وطنا
ولقد يهونُ ما أصابكم قدُ الحسين الطهر والحسنا
وبينهم إذ طوحت بهم أيدى زمانهم هنا وهنا
وأرى الأئمةَ جار دهرهم في فعله بهم فكيف أنا
لي أسوة بهم الغداة إذا أصبحتُ في الأجداثِ مرثنا

وقال :

يارا كبا ظَهَرَ المصاى أوما تخافُ من القصاصِ
أوما ترى أسبابَ عمرك في انتقاضٍ وانتقاضِ

(١) في الأصل : لبعدي . (٢) الجنن : جمع جنة وهي ما يستريح فيه من سلاح .

وقال :

يَانَامًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَمَا أَنِ اتَّبَاهُكَ
لِللَّال^(١) لَا يُغْنِيكَ فِي الْآخِرَى وَلَا يُنْجِيكَ جَاهُكَ

وقال :

مَشِيْبُكَ قَدْ نَضَّا صَبْعَ الشَّبَابِ وَحَلَّ الْبَازُ فِي وَكْرِ الْغُرَابِ^(٢) .
تَنَامُ وَمَقَلَّةُ الْحَدَثَانِ يَفْقَلِي وَمَا نَابُ النَّوَابِ عَنْكَ نَابِ
وَكَيْفَ بَقَاءُ عَمْرِكَ وَهُوَ كَنْزٌ وَقَدْ أَفْضَقْتَ مِنْهُ بِلا حِسَابِ

وقال :

أَيَا دَهْرُ أَينَ الْمُلُوكُ الَّذِينَ كَانُوا فَأَضْحَوْا كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا
وَكَانَتْ قَصُورُهُمْ لَا تَرَامُ فَتَلِكْ قَبُورُهُمْ لَا تَبِينُ^(٣) ١٠

وقال :

أَيُّهَا الْمَرُورُ لَا تَفْتَرِ فِرْعَاكَ خَيْبُ
سَائِقُ الْمَوْتِ وَإِنْ طَالَ بِنَا الْعَمْرُ حَيْثُ
إِنَّ مِنْ جَادَتْ عَلَى الْخَلْقِ بِجَدْوَاهِ غِيوُثُ
وَأَوَّلُو الْمَجْدِ الْقَدِيمِ السَّهْدِ مِنْهُمْ وَالْحَدِيثُ^(٤) ١٥
أَصْبَحَ الْيَوْمَ حَدِيثًا وَغَدًا نَحْنُ حَدِيثُ^(٥)

(١) في الأصل : لا اللال .

(٢) في الواقع : القباب .

(٣) الى هنا تنتهى نسخة نور عثمانية وجاء في آخرها هذه البارة (تم الجزء التاسع من كتاب خريدة القصر وجرينة المصر ، وطلوه في الجزء العاشر منه إن شاء الله تعالى شعر الأمير أبي المهند حسام بن قضة بن مبارك القليلي من المصريين) .

١٥ — الأمير أبو المهند حسام* بن مبارك بن فطنة العقيلي

لم يكن في مصر أخم منه شأنًا ، وأعظم سلطانًا ، أيام سلطنة ابن رزيك وهو ابن أخت الصالح ، كان مقدم عسكره ، في مورده ومصدره ، وحسامه الفاصل . من شعره من أبيات عاتب بها خاله :

أُحِلَّكَ أَنْ يُيْلَمَ بِكَ الْعِتَابُ وَأَنْ يُخْنَى — وَحَاشَاكَ — الصَّوَابُ
ومنها :

وإني في يَمِينِكَ حين تَسْطُو حُسَامٌ لَا يُفْلِلُهُ الضَّرَابُ
وَكَمْ أَرْسَلْتَنِي سَهْمًا مُصَيَّبًا فَأَحْرَقَ ضِدَّكُمْ مَنَى شِهَابُ

١٦ — أبو الفاسم* هبة الله بن عبد الله بن كامل

كان داعي الدعاة بمصر للأدعياء ، وقاضى القضاة لأولئك الأشقياء ، يلقبونه ١٠ بفخر الأمناء ، وهو عندهم في المحلة العليا ، والمرتبة الشماء ، والمزلة التي في السماء ،

(*) نقلنا هذه الترجمة عن عود الشباب لملى الرضا وهو مختصر الخريدة ، وفي دار الكتب المصرية نسخة منه ، وكذلك في التيمورية تحت عنوان طبقات العلماء لابن أبي طي ، وهو خطأ ، وقد ترجم عمارة البني في التكت المصرية لصاحب الترجمة (ص ١٠٩) وأشاد به طويلا ، وقال إنه كان يلي بعض مهاكز الصعيد ، ثم ولى البحيرة ، ثم الصعيد ثانية ، وذكر عمارة له فيه شعراً كثيراً يصف فيه كرمه وشجاعته .

(*) نقلنا هذه الترجمة عن كتاب الروشتين ١ / ٢٢٤ حيث روى الترجمة عن العماد بنصها ، ولابن كامل ترجمة مقتضبة في مختصر الخريدة ، وترجم له الغرب لابن سعيد نسخة دار الكتب في الورقة ١٦٢ من المجلد الثاني ومقدمة الترجمة منقولة عن العماد لكنها مختصرة أيضاً وإن كان قد زاد بعد بيتي العماد أبياتاً أخرى نقلها عن ابن أبي الإصبع وغيره ، أما البيتان اللذان رواهما العماد فقال لهما لابن القابلة السبتي ، ولعل هذا هو السبب في أن ابن كامل كان ينكرهما وترجم له أيضاً الصغدنى في الوافي بالوفيات نسخة دار الكتب ، ولم يذكر البيت الذي شك فيها ابن سعيد (انظر المجلد الثاني من الجزء السابع الورقة ٣١٠) ، وكذلك ترجم له ابن العماد في شذرات الذهب ٤ / ٢٣٥ .

حتى انكدرت نجومهم ، وتغيرت رسومهم ، وأقيم قاعدتهم ، وعضد عاضدهم ، وأخليت منهم مصرهم ، وأجلى عنهم قصرهم ، فحرك ابن كامل ناقص الذب عنهم والشد منهم ، فأمال قوما على البيعة لبعض أولاد العاضد ، ليلغوا به ما تحيلوه من المقاصد ، وسولوه من المكاييد ، فأثمرت بجهتهم الجذوع ، وأقترت من جوسومهم الربوع ، وأحكمت في لحومهم النسوع^(١) . وهذا أول من ضمه جبل الصلب ، وأمه فاقرة الصلب ، وهذا صنع الله فيمن ألد ، وكفر النعمة وجحد ، وذلك غرة رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة . سمعت الملك الناصر صلاح الدين يذكره وقد ذكره عنده بالفضل والأدب ونسبوا إليه هذين البيتين في غلام رقاء وأنشدهما الملك الناصر وذكر أنه كان ينكرهما :

يا رافقاً خَرَقَ كُلَّ مَوْبٍ ويا رَسَافاً حُبُّهُ اعْتِقَادِي^(٢)
عَسَى بِكَفٍّ^(٣) الوصال تَرْفُو ما مَزَقَ الهَجْرُ من فَوَادِي

١٧ - الرومي* ابن البرزوي أبو الحسن علي بن عبي

شاب نشأ في هذا الزمان ، موصوف بالإجادة والإحسان ، له في أحذب :
يا أخى كيف غَيَّرْتُكَ الِيَالِي وَأَحَالَتْ مَا بَيْنُنَا بِالْمِحَالِ

(١) النسوع : جمع نسع وهو سير من جلد .

(٢) في المغرب : اعتيادي . (٣) في المغرب : بخيط .

(*) قلنا هذه الترجمة عن المغرب لابن سعيد نسخة دار الكتب المجلد الثاني الورقة ١٧٠ ولم نقلها عن مختصر الحريدة ، لأنه أشد اختصاراً ويبدو من المغرب أن هذا كل ما قاله العباد في الحريدة ، وقد عقب عليه بقول أخرى من كتاب الذيل والسيل للعباد وهو ذيل له على الحريدة ، ويقول ثانياً من ديوان ابن النروي نفسه وقال : إنه قرأ في ديوانه مدح العاضد الفاطمي ، وصلاح الدين ، والقاضي الفاضل ، وابن شكر ، ونقل أيضاً في ترجمته من كتب أخرى . وفي كتاب الروضتين أشعار له كثيرة وأكثرها في مدح القاضي الفاضل . وقد توفي ابن النروي سنة ٥٧٧ هـ . انظر ترجمته في المغرب وفي كتاب الروضتين ٢ / ٢٧ ومواضع متفرقة منه وفوات الوفيات (طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ) ٩٤ / ٢ وحسن المحاضرة ١ / ٣٢٦ .

- حاشَ اللهُ أَنْ أَصَافِي خَلِيلًا فِيرَانِي فِي وَدَّةٍ ذَا اخْتِلَالِ
 زَعَمُوا أَنِّي أَتَيْتُ بِهِجْرٍ مَعْرَبٍ فَيْكَ عَنْ شَنِيعِ الْمَقَالِ
 كَذَبُوا بِإِمْنٍ وَصَفْتُ الَّذِي فِيكَ مِنَ الثَّبَلِ وَالسَّنَا وَالْكَامِلِ
 لَا تَظَنَّ حَذْبَةَ الظَّهْرِ عَيْبًا فَهِيَ لِلْحَسَنِ مِنْ صِفَاتِ الْهَلَالِ
 وَكَذَلِكَ الْقِسِيُّ مُحْدَوْدِيَاتٌ وَهِيَ أَنْكِ مِنَ الطُّبَّا وَالْعَوَالِي
 وَدَانِي^(١) الْقُضَاةِ وَهِيَ كَمَا تَقْلَمُ كَانَتْ مُوسَمَةً بِالْجَمَالِ
 وَأَرَى الْإِنْخَاءَ فِي مَنْسِرِ الْكَأْسِ سِرُّ يُبْلَقِي وَخِلَابِ الرَّبِّالِ
 وَأَبُو الْفَضْلِ أَنْتَ لَا شَكَّ فِيهِ وَهُوَ رَبُّ الْقَوَامِ وَالْإِعْتِدَالِ^(٢)
 كَوْنَنَّ اللَّهُ حَذْبَةً فَيْكَ إِنْ شَاءَ مَتَّ مِنْ الْفَضْلِ أَوْ مِنْ الْإِفْضَالِ
 فَاتَتْ رَبُوبَةً عَلَى طُودِ حِلْمٍ مِنْكَ أَوْ مَوْجَةٍ بِبَحْرِ نَوَالِ
 مَا رَأَتْهَا النِّسَاءُ إِلَّا تَمَنَّتْ لَوْ غَدَتْ حِلْيَةً لِكُلِّ الرَّجَالِ
 وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْهَجْرِ بُدٌّ فَصَسَى أَنْ تَزُورَنِي فِي الْخِلَالِ
 وَهَذِهِ الْأَيَّاتُ لَمْ يَقُلْ مِثْلَهَا فِي أَحَدٍ وَنَبِيٌّ فِي ابْنِ أَبِي حَصِينَةَ الَّذِي أَصْلُهُ
 مِنَ الْمَعْرِةِ . وَلَهُ فِي الْمَهْذَبِ جَعْفَرُ الْمَعْرُوفِ بِشُلْعَامِ^(٣) :
- لَا تَصْجَحِبَنَّ سَوَى الْمَهْذَبِ جَعْفَرٍ فَالْشَيْخُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُهْذَبُ
 طَوْرًا يُعْنَى بِالرَّابِّابِ وَتَارَةً تَأْتِي عَلَى يَدِهِ الرَّابِّابُ وَزِينُ

(١) دنية القاضى : قلفسوته .

(٢) بعد هذا البيت فى الروضتين :

قد تحليت بانخاء فأنت الـ

وتعجلت حل وزرك فى الظلمـ

إن حمل الذنوب أهون فى الذنـ

(٣) أحد شعراء الدولة الأيوبية ، وله ترجمة فى المغرب نقلها عن المعاد . وستأتى ترجمته

فى الحريدة .

مراكم المستمر فى كل حال

مر فأنت فى موقف الأهوال

يا على أنه من الأتھال

١٨ - القاضي الجليس * أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين

ابن الحباب الأزغلي السعدي النجفي

جليس^(١) صاحب مصر ، فضله مشهور ، شعره مأثور ، وقد كان أوحده
عصره في مصره نظما ونثرا ، وترسلا وشعرا ، ومات بها في سنة إحدى وستين ،
وقد أناف على السبعين . ومن شعره :

لا تعجبي من صَدْدٍ ونفاره لولا الشيبُ لكنت من زُوَارِهِ
لم تترك الستون إذ نزلت به من عهد صبوته سوى تذكارِهِ
وله :

حيّ بتفاحةٍ مخضبةٍ من شَفَى حُبِّهِ وتَبَيَّنَى
فقلتُ ما إن رأيتُ مشبهها فاحمرَّ من خبطة فكذبني

ومن شعره :

وسما يكفُ الحافظُ المَنصورُ عنا المَحَلَّ كَفَا
أَوَاهُمُ كَرَمًا وصا نَ حريمهم ففعا وعَفَا

(*) أول هذه الترجمة غير موجود في النسخة للصورة بدار الكتب وقد أخذناه عن
الروشتين ١ / ١٤١ ومختصر الحريدة والمغرب نسخة الجامعة العربية الورقة ١٠٩ ، فقد
احتفظت كل من هذه النسخ بترجمة الجليس نافذة لها عن الحريدة . والجليس من ذرية بني الأغلب
التميميين سلاطين إفريقية تولى ديوان الإنشاء مع الموفق بن الخلال الذي ستأثر ترجمته للخليفة الفاطمي
الملقب بالفاتر (٥٤٩ هـ - ٥٥٥ هـ) في عهد وزيره طلائع بن رزيك . وقد أشاد به عمارة
البيهي في التكت العصرية ص ٤٣ ومدحه بأشعار مختلفة وقال : إنه دخل اليمن (انظر ص ٥٩٥)
ولعله ذهب إلى هناك برسالة فاطمية . وانظر ترجمته في نوات الوفيات لابن شاكر الكتبي
١ / ٢٧٨ والنجوم الزاهرة ٥ / ٢٩٢ وكذلك ٥ / ٣٧١ وحسن المحاضرة ١ / ٣٢٤ .
(١) هو الفاتر فقد كان يجالسه ويسامره ، وفي النجوم الزاهرة : كان يجالس خلفاء
مصر من بني عبيد قسي الجليس .

وَأُنْشَدْنِي لَهُ الْأَمِيرُ نَجْمُ الدِّينِ بْنِ مِصَالٍ مِنْ قَصِيدَةٍ يَقُولُ فِيهَا :

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ السَّيْفَ لَدَيْهِمْ تَحِيضُ دِمَاءُ وَالسَّيْفُ ذِكُورُ
وَأَعْجَبَ مِنْ ذَا أَنَّهَا فِي أَكْفِهِمْ تَأَجَّجُ نَارًا وَالْأَكْفُ بِحُورِ
وَأُنْشَدْنِي لَهُ الشَّرِيفُ إِدْرِيسُ ^(١) الْإِدْرِيسِي قَصِيدَةً سَيَّرَهَا إِلَى الصَّالِحِ بْنِ
رَزِيكَ قَبْلَ وَزَارَتِهِ يَحْرُضُهُ عَلَى إِدْرَاكِ ثَارِ الظَّافِرِ ، وَكَانَ عَبَّاسُ وَزِيرِهِ قَتْلَهُ وَقَتْلَ
أَخِيهِ يَوْسُفَ وَجَبْرِيلَ ، يَقُولُ فِيهَا :

فَإِنْ بَنُو رَزِيكَ عَنْهَا وَنَصَرَهُمْ فُلُو عَايِنْتُ عَيْنَاكَ بِالْقَصْرِ يَوْمَهُمْ
وَمَصْرَعُهُمْ لَمْ تَكْتَحِلْ بِرُقَادِ حُشَّاشَةٍ نَفْسٍ آذَنْتَ بِنَفَادِ
تَدَارُكَ مِنَ الْإِيمَانِ قَبْلَ دُثُورِهِ فَزَقَّ جَمُوعَ الْمَارِقِينَ فَلَيْتَهَا
بَقَايَا زُرُوعٍ آذَنْتَ بِمَحْصَادِ ١٠
وَلَهُ فِيهِ مِنْ أُخْرَى فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ :

وَلَمَّا تَرَاهُ الْبَرْبَرِيَّ بِجَهْلِهِ إِلَى فَتْكَةٍ مَارَمَهَا قَطُّ رَأَيْتُ
رَكِبْتَ إِلَيْهِ مَتْنٌ عَزَمْتَكَ الَّتِي بِأَمَثَلِهَا تَأْتِي الْخَطُوبُ الْعَظَامُ
وَقُدَّتْ لَهُ الْجُرْدُ الْخِلَافُ كَأَمَّا قَوَائِمُهَا عِنْدَ الطَّرَادِ قَوَادِمُ ^(٢)
١٥ / وَتَنْصَلُّ مِنْهَا وَالْعَجَاجُ خَضَابُهَا هُوَادُ لِأَرْكَانِ [الْبِلَادِ هَوَا] دِمُ [١ و]
تَجَافَتْ عَنِ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ فَرِيضُهَا دِمَاءُ الْعِدَا فَعَى الصَّوَادِي الصَّوَادِمِ
وَقَتَ بِحَقِّ الطَّالِبِينَ طَالِبًا وَغَيْرُكَ يُفْضِي دُونَهُ وَيُسَالِمُ
أَعَدْتُ إِلَيْهِمْ مُلْكَهُمْ بَعْدَ مَا لَوَى بِهِ غَاصِبٌ حَقَّ الْأَمَانَةِ ظَالِمُ

(١) ترجم له ابن سعيد في المغرب ولم يزد عن أن العباد ترجم له في (الذيل والسيل)
وأنشد له بعض الشعر مما ذكره العباد . انظر الورقة ٩ من نسخة الجامعة العربية .

(٢) إلى هنا ينتهي القل عن المراجع السابقة ، وتبدأ نسخة إدريس وبتين من
تسلسل أرقام صفحاتها أنها ورق دشت ، وقد رتناها على أساس مختصر الخريدة الذي أشرنا
إليه مراراً .

فما غالبٌ إلا بنصرِكَ غالبٌ وما هاشمٌ إلا بسيفِكَ هاشمٌ
 فأذكِرُ بشارٍ^(١) الدينِ منه ولم تزلْ عن الحقِّ بالبيضِ الرقاقِ تُخاصِمُ
 وأنشدني الأميرُ العَضُدُ مرهفٌ^(٢) للجليسِ^(٣) يخاطبُ الرشيدَ بنَ الزبير
 في معنى [نكبة^(٤)] خاله الموفق :

تَسْمَعُ مقالِي يا ابنَ الرشيدِ فأنتَ حقيقٌ بأنَّ تَسْمَعَهُ
 بُلينا بذى نَسَبٍ سائلٍ قليلِ الجَدِّا في أوَانِ الدَّعَةِ
 إذا ناله الخَيْرُ لم تَرَجُهُ وإن صَفَعوه صُفِعْنَا معه
 وأنشدني بعضُ فضلاء مصر لابن الحباب :

سيوفُكَ لا يُفْلُها غِرارٌ^(٥) فقومُ المارقين بها غِرارٌ^(٦)
 يُجَرِّدُها إذا أخرجتْ سُخْطاً على قومٍ ويُفِيدُها اغْتِفَارٌ
 طَرِيدُكَ^(٧) لا يفوتُكَ منه نَارٌ وخصمُكَ لا يُقالُ له عِثَارٌ
 وفيما نلته من كلِّ باغٍ لمن ناواك — لوعَقَل — اعتبارٌ
 فرُّ يا صالحِ الأملاكِ^(٨) فينا بما تختارُهُ ، فَلكَ الخِيَارُ
 فقد شَفَعَتْ إلى ما تَبْتَغِيهِ لك الأقدارُ والفَلَكُ المَدَارُ

(١) في الأصل : نأر .

(٢) الأمير مرهف : هو مرهف بن أسامة بن منقذ وقد تقدم التعريف بأبيه ، وهما من أعيان شير .

(٣) في الأصل : الجليس .

(٤) زيادة يدل عليها الكلام في ابن خلكان إذ يقول : كان للموفق يوسف بن الحلال على ديوان الإنشاء في أواخر العصر الفاطمي ، وكان يعاونه القاضي الجليس والرشيد بن الزبير وهو ابن أخته ، ويصطرد ابن خلكان فيقول : إن ابن الحباب كان حصل له بسبب نكبة ابن الحلال صداع ، فنظم هذه الأبيات .

(٥) القرار : حد السيف . (٦) القرار : النوم القليل .

(٧) في الأصل : طريد .

(٨) يريد طلائع بن رزيق وكان يلقب بالملك الصالح ، فهذه الأبيات في مدحيه .

/ولو نوتِ النجومُ له خِلافًا هَوَتْ في الجوِّ يذروها^(١) [أنتثارُ] [١ ط] ومنها :

عدلتَ وقد قَسَمْتَ وكم ملوكُ أرادوا العدلَ في قَسَمٍ فجاروا
ففي يدِ جاحِدِ الإحسانِ غُلٌّ وفي يدِ حامِدِ النعمى سِوَار
لقد طَمَحَتْ بطرخانٍ^(٢) أمانٍ له ولثله فيها بوار
وحاولَ خُطَّةً فيها شماسٌ على أمثاله وبها نِفَار
هل الحسبُ القَتَّى بمسْتَقَلٍ إذا ما عَزَّه الحسبُ النضار
أنتيكَ بجائنٍ قدامه سعيًا كما يَسْعَى إلى الأسدِ الحمار
وشانَ قَرينَه لما أناه كما قد شانَ أسرته قُدَّار^(٣)

١٠ وأنشدني بمصر ولده القاضي الأشرفُ أبو البركات عبد القوي لوالده الجليس
من قطعةٍ كتبها إلى ابن رزيك في مرضه يشكو طيبًا يقال له ابن السديد^(٤)
على سبيل اللداعبة :

وأُصِّلُ بلبقى من قد غزاني من السقمِ لِلْمِلْحِ بِسَكَّرَيْنِ
طبيب طِبُّهُ كغرابٍ بين يفرقُ بين عافيتي ويني
أنى الحمى وقد شاختَ وبأختَ فردَّ لها^(٥) الشباب بنسختين
ودَّبرَها بتدبيرٍ لطيفٍ حكاةً عن سنانٍ^(٦) أو حنينٍ^(٧)

(١) يائس بالأصل

(٢) هو طرخان بن سليط والى الإسكندرية ثار على طلائع جُرد له جيشا بقيادة الأمير
أبي الهند حسام بن مبارك البجلي الذي مرت ترجمته ، ففضى عليه (انظر النكت المصرية ص ٧٣ ،
١١١ ، ١١٣ ، ٣٣١) إذ انتهت ثورته بصلبه . (٣) قدار بن سالف عافر ناقة صالح .

(٤) في الأصل هكذا : ابن سره . وابن السديد كان طبيب الحفقاء القاطنين وعاش
بعدهم طويلا حتى توفي سنة ٥٩٢ هـ .

(٥) في المغرب : فأليسها ، وفي القوات : فعاد لها .

(٦) هو سنان بن ثابت بن قرة . (٧) هو حنين بن إسحق .

وكانت نوبةً في كلِّ يومٍ فضيَّرها بمَحْدَقِ نوبَتَيْنِ
/ وأنشدني أيضاً لوالده في مدح طيب : [٣٢و]

- يا وارثاً عن أبٍ وجَدِّ فضيلةَ الطبِّ والسنادِ
وكاملاً ردَّ كلِّ نفسٍ هَمَّتْ^(١) عن الجسمِ بالبعادِ
أقسمُ أن لو^(٢) طببتَ دهرأ لعادَ كوناً بلا فسادِ .
- ورأيتُ من كلامه في خطبة ديوان الصالح بن رزيك : هو الوزير الكافي
والوزيرُ الكافل ، والملكُ الذي تُلقَى بذكره الكِثائبُ ، وتهزمُ باسمه الجحافلُ ،
ومن جَدَّدَ رسومَ الملكة ، وقد كاد يَحْقِيقُها دُورُها ، وعاد به إليها ضياؤها ونورُها :
وقد خَفِيتَ من قبله معجزاتها فأظهرها حتى أقرَّ كَفُورُها^(٣)
أَعَدَّتْ إلى جسمِ الوزارةِ روحه وما كان يُرْجَى بعبثها ونُشُورُها ١٠
أقامتَ زماناً عند غيرك طامناً وهذا أوانُ قرنتها وطهورها
من العللِ أن يحيا بها مُسْتَحَقُّها ويخلفها مردودةٌ مُسْتَمِيرُها
إذا خطبَ الحساء من ليس أهلُها أشارَ عليه بالطلاق مُشِيرُها
فقد نشرت أيامه مطوىَّ الهم ، وأنشرت رقات الجودِ والكرم ، ونفقت
بدولته سوقَ الآداب بعد ما كسدت ، وهبَّت ريحُ الفضلِ بعد ما ركبت . ١٥
إذا لها الملكُ بالقمان والمعارف ، كان لهوهُ بالعلوم والمعارف ، وإن عَمَّرُوا أوقاتهم
بالخمر والقمر^(٤) ، كانت أوقاته معمورةً بالنهي والأمر :

(١) هكذا في الفوات ، وفي الأصل : سمت .

(٢) في الفوات : لو قد بدلا من : أن لو .

(٣) في الروضتين ١ / ١٤٢ أن هذه الأبيات تمثل بها الجليس وهي لصرد في ديوانه
من قصيدة يمدح بها وزير الخليفة ينفاد غر الدولة أبا نصر محمد بن محمد بن جوير ويهنته بمودته
إلى الوزارة .

(٤) القمر : القمار .

ملكك، إذا أُلْهِىَ الملوكَ عن اللهما / مُحَارٌّ، وخَرٌّ، هاجِر الدَّلِّ والدَّنا
 / ولم تُنْسَ الأوتادُ أوتار قينسيه / إذا ما دعاه السيفُ لم يَنْتَهِ اللَّثَنُ [٣٣٢ظ]
 ولو جَادَ بالدنيا وعَادَ بضعفها / لظنَّ من استصناره أنه ضَنَا
 ولا عيبَ في إنعامه غيرَ أنه / إذا مَنْ لم يُتْبِعْ مواهبهُ مِنَّا
 ولا طمَنَ في إقدامه غيرَ أنه / لَبُوسٌ إلى حاجاته الضرب والطَّعْنَا
 لاشكَّ أَنَّ هذه الأبيات لعيره .

ومن أبياته في النزول :

ربَّ بيضٍ سلانٍ باللحظ بيضاً / مرهفاتٍ جفونهنَّ الجفونُ
 وخدودٍ للدمع فيها خدودٌ^(١) / وعيونٍ قد قاض منها عيونُ

١٠ وله :

تُرَى أَخْلَسَتْ فِيهِ الْقَلَا بَعْضَ رِيَّاهَا / قفَاتٍ فَنِيَتِ الْمَسَكِ نَشْرُ خَزَائِمِهَا
 أَلَمْتُ بِنَا^(٢) وَاللَّيْلُ يُرْهِى بِلْمَةً / دجوجيةً لم يكتحلْ بعدُ فَوَدَّاهَا
 فَأَشْرَقَ ضُوءُ الصَّبْحِ وَهُوَ جَبِينُهَا / وقاحتُ أَزَاهِيرُ الرُّبَا - وَهِيَ رِيَّاهَا
 إِذَا مَا اجْتَنَّتْ مِنْ وَجْهِهَا الْعَيْنُ رَوْضَةً / سَفَعَتْ^(٣) خِلَالَ الرُّوضِ بِالْدمعِ أَمْوَاهَا
 وَإِنِّي لَأَسْتَسْقِي السَّحَابَ لَرْبِمَا / وإن لم تكن إلا ضلوعى مأوَاهَا
 إِذَا اسْتَعْرَتْ نَارَ الْأُمْسِ بَيْنَ أَضْلَعِي / نَضَحْتُ عَلَى حَرِّ الْحِشَا بَرْدَ ذِكْرَاهَا
 وَمَا بِي^(٤) أَنْ يَصَلَّى الْقَوَادُ بِحَرِّهَا / وَيُضَرِّمَ لَوْلَا^(٥) أَنْ فِي الْقَلْبِ مَأْوَاهَا^(٦)

(١) الخدود : الشقوق .

(٢) هكذا في اللرب والقوات ، وفي الأصل : بها .

(٣) في اللرب والقوات : أسالت .

(٤) هكذا في اللرب والقوات ، وفي الأصل : لى .

(٥) هكذا في اللرب وفي الأصل : إلا .

(٦) في اللرب : متوآها وفي القوات : سكنها .

وله في غلام تركي :

ظليُّ من الأتراكِ أَجفانُهُ تسطو على الراحِ والنابلِ
 سبان منه إن رَمَى أو رَنَّا ليس من السهمين من وائلٍ ^(١)
 يفرُّ منه القرنُ خوفاً كما يفرُّ ظليُّ القاعِ من حابلِ
 يا ويحَ أعدائك ما هالَهُم من عُصْنٍ فوقَ نَقَا هائلِ
 لا تَقْرُقُوا صَوْلَةَ نُشَابِهِ فربَّ سَهْمٍ ليس بالقاتلِ
 وحاذروا أسْهُمَ أَجفانِهِ فسرُّ ذا النابلِ من بابلِ

وله في النرجس :

وَقَدَّ الرِّيعُ على العيونِ بنرجسٍ يحكي العيونَ قَمَدَ حباها نَقَسَها
 علقتُ على استحسانِهِ أَبْصارُنَا شغفاً إِذِ الأشياءُ تمشقُ جنسها
 يُلحِي وَيُؤْنِسُ مَنْ جفاهُ خليلُهُ كم مَنَّةٍ في أنسِهِ لم أنْسَها
 قارَضَ الرِّياضَ بزورَةٍ تلهو بها واخْتُخِ على حَدَقِ الحِداثِ عَكْسُها ^(٢)

وله :

زارَ وجنحَ الليلِ مُحَلِّكٌ داجٍ فَيَّاهُ مُحَيَّاهُ
 مُتَمَنِّياً يُنْيدُهُ لِأَلَاؤُهُ والبلدُ لا يَكُمُ مَسْرَاهُ
 نَمَّ عليه طيبُ أنْفاسِهِ كما وَشَى بالمِسْكِ رِيَّاهُ

وله :

قد طُرِّزَتْ وَجَنَاتُهُ بِمِذارِهِ فكساها ^(٣) رَوْضُ الحُزْنِ من أَرْهَارِهِ

(٢) عكس الحدق : القدح .

(١) وائل : مخلس وعاصم .

(٣) يثير شعراء العرب دائماً إلى جمال روض الحزن وهوقه على روض السهل ، ولهذا اختار هنا روض الحزن .

وَتَأَلَّفَتْ أَضْدَادَهُ فَلَمَّا فِي خَدَّيْهِ لَا يُطْفِئُ تَلْهَبَ نَارِهِ
/ وَحِكْمَتُهُ فَمَدَامِي تَهْمِي عَلَى نَارِ الْحَشَا وَتَزِيدُ فِي اسْتِعَارِهِ [٤٣٣ظ]
وَمِنْهَا :

وَإِذَا بَدَأَ فَالْقَلْبُ مَشْغُولٌ بِهِ وَإِذَا اشْتَى فَالطَّرْفُ فِي آثَارِهِ
فَتَمَى أَعَانُ عَلَى هَوَاهُ بِنَصْرَةٍ وَجَوَانِحِي لِلْحَيْنِ مِنْ أَنْصَارِهِ

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

وَكَمْ طَامَحَ الْآمَالُ هَمَّ قَفَصَرَتْ خُطَاهُ بِهِ إِنْ الْعَلَا صَعْبُهُ لِلرَّقَى
وَضَنَّ بَأَنَّ الْبُخْلَ أَبْقَى لَوْفَرِهِ وَلَوْ أَنَّهُ يَدْرِي لَكَانَ النَّدَى أَبْقَى
ظَهَرَتْ فَكَنْتَ الشَّمْسَ جَلَّى ضِيَاؤُهَا حُنَادَسَ شِرْكٍ كَانَ قَدْ طَبَّقَ الْإِفْقَا
عُلُوتٌ كَمَا تَعْلُو ، وَأَشْرَقَتْ مِثْلَهَا تَضَيُّ ، وَزَجُّوْا أَنْ سَتَبَقَى كَمَا تَبَقَى
وَهَنَّتِ الْأَعْيَادُ مِنْكَ بِمَاجِدٍ تَبَاهَتْ بِهِ الْعُلَا ، وَهَامَتْ بِهِ عَشَقَا
مَوَاسِمُ قَدْ جَاءَتْ تَبَاعًا كَأَنَّمَا تَرَى الْقَجَرَ فِي لُقْمِكَ يَا خَيْرَ مَنْ يُبْلَى
تَوَالَتْ بِدَارِ تَعْتِفِكَ كَأَنَّمَا (١) تَرُومُ لَفَرْتُ الشَّوْقُ أَنْ تُحَرِّزَ السَّبَقَا
وَكَانَ لَهَا الْأَضْحَى إِمَامًا أَمَامَهَا فَأَرْهَقَهُ النُّورُ (٢) يَمْنَعُهُ الرِّقَا
وَكَمْ هَمَّ أَنْ يَعْدُو سَرَارًا فَرَعْتَهُ فَأَبْقَى ، وَلَوْلَا فَرَقُ بَأْسِكَ مَا أَبْقَى
أَبَى اللَّهِ فِي عَصْرِ تَكُونُ عَمِيدُهُ وَسَائِسُهُ أَنْ يَسْبِقَ الْبَاطِلُ الْحَقَا
فَجَاءَكَ هَذَا سَابِقُ جَالٍ بَعْدَهُ مُصَلٍّ وَكَانَا لِلَّذِي تَبْتَنَى وَفَقَا
وَأَعْقَبَهُ عَيْدُ الْغَدِيرِ (٣) فَلَمْ نَخْلُ لِقُرْبِ التَّدَانِي أَنْ يَنْهَمَا فَرَقَا

(١) فِي الْأَصْلِ : كَلَا .

(٢) النُّورُوزُ : أَوَّلُ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ الْفَرَسِيَّةِ وَكَانَتْ تَعْتَظُ فِيهِ الْأَسْوَاقُ وَتَهْرَقُ فِيهِ الْكِسْوَةُ لِرِجَالِ الدَّوْلَةِ وَالرَّسُومِ مِنَ الْمَالِ وَحَوَائِجِ النُّورُوزِ (خَطَطُ الْمَقْرِزِيِّ طَبْعُ بُولَاقِ ١ / ٤٩٣)
(٣) كَانَ فِيهِ تَرْوِجُ الْأَيَّامِ وَفِيهِ الْكِسْوَةُ وَتَهْرِيقُ الْمِهَابَاتِ وَعَقْتُ الرِّقَابِ وَغَيْرُ ذَلِكَ ، وَهُوَ مِنْ أَعْيَادِ الْفَرَسِ لِلْهَيْمَةِ ، وَكَانَ الْفَارِسِيُّونَ يَحْتَفِلُونَ بِهِ احْتِفَالًا مَشْهُودًا (خَطَطُ ١ / ٤٩٢)

وقوله :

[٣٤و] / خُذْهَا إِلَيْكَ بِمَاءِ الطَّبْعِ قَدْ شَرِقَتْ
لو مازَجَ الْبَحْرَ مِنْهَا لَفُظَةً عَذْبًا
جَوَالَتْ بِنَوَاحِي الْأَرْضِ مُنْمَعَةً
في السَّيْرِ لَا تَشْتَكِي أَيْنًا وَلَا نَصَبًا
أَلْفَاظُهَا الدُّرُّ تَحْقِيقًا وَمِنْ عَجَبِ
تُعْلِي^(١) عَلَى الْبَحْرِ دَرَّ الْبَحْرُ مُجْتَلِبًا

وقوله من قصيدة أولها :

دَعِ الْبَيْنَ تَحْدُونَا حَثَاثُ رِكَابِهِ
فَنُفِرَى مِنْ يَشْجُوهِ صَوْتُ غَرَابِهِ
سَارَكِبُ ظَهَرَ الْعَزْمِ أَوْ أَرْجَعَ لِلّٰى
بِرَجْعَةِ مَوْفُورِ الرِّجَاءِ مَثَابِهِ
فَإِمَّا حَيَاةً يَسْحَبُ الْمَرْءُ فَوْقَهَا
ذِيُولَ الْغَنَى وَالْعَزْزِ بَيْنَ صَحَابِهِ
وَإِمَّا مَمَاتٌ فِي الْعُلَا يَتْرُكُ الْفَتَى
يَقَالُ أَلَا لِلَّهِ دُرٌّ مُصَابِهِ

ومنها :

وَأُرْوَعَ يَشْكُو الْجُودَ طَوْلَ ثَوَائِهِ
لَدَيْهِ ، وَيَشْكُو الْمَالُ طَوْلَ اغْتِرَابِهِ
تَصُدُّ لِلْمُلُوكِ الصَّيْدَ عَنْ قَصْدِ أَرْضِهِ
فَقَرَّجِمَهَا مَحْرُوبَةً^(٢) بِمَحْرَابِهِ
وَيَعْطِفُهَا مِيلَ الرَّقَابِ مَهَابَةً
وَلَمْ تَكْتَحِلْ أَجْفَانُهُ بِتَرَابِهِ
وَأَغْزَوْ بِأَبْكَارِ الْقَصَائِدِ وَفَرَهُ
فَارْجَعُ قَدْ فَازَتْ يَدِي بِنَهَابِهِ

وقوله :

أَمَّا وَجِيادُكَ الْجُرْدِ الْقَوَادِي
لَقَدْ شَقِيتَ بِعِزِّمَتِكَ الْأَعَادِي
رَأَوْا أَنَّ الصَّيْدَ لَمْ مَلَاذُ
فَلَمْ يُحْمِ الصَّيْدُ مِنَ الصَّعَادِ^(٣)
/ وَرَأَوْا مِنْ يَدَيْكَ قَرَى عَتِيدًا
فَأَهْدَيْتَ الْحَتُوفَ عَلَى الْهَوَادِي

[٣٤ظ]

(١) في الأصل : على .

(٢) محروبة : مسبوكة .

(٣) الصعاد : جمع صعلقة ، وهي القناة للسنوية .

وقوله وقد جمع ثمان تشبيهات في بيت واحد :

بدا وأرانا منظراً جامعاً لِمَا تفرّق من حُسْنٍ على الخلق مُوقِفاً
أفاحاً وراحاً تحت وردٍ وزرجٍ وليلاً وصُبْحاً فوق غصنٍ على تقا
وقوله يصف الحجر :

معتقةٌ قد طالَ في الدنَّ حبسُها ولم يدعها شُرايها بنتَ عامها
وقد أشبهت نَارَ الخليلِ لأنها حكمتنا في برِّدها وسَلَامِها
وذ كر ابنُ الزبير في كتابه أنه كَتَبَ إليه مع طيبٍ أهدها :

بمَتْ عِشَاءً إلى سَيْدِي بما هو من خُلُقِهِ مُقْتَبَسٌ
هديةً كُلُّ صَاحِبِ الإِخَاءِ جَرَى مِنْهُ وَدُكَّ مَجْرَى النَّفْسِ
فَجَدُّ بِالْقَبُولِ وَأَيُّقُنْ بَأَنَّ لَقَرَطِ الْحَيَاءِ أَتَتْ فِي الْفَلَسِ ١٠

وله يصف خيلاً :

جَنَائِبُ^(١) : إِنْ قِيدَتْ فَأَسَدٌ ، وَإِنْ عَدَّتْ

بِأَبْطَالِهَا فَهِيَ الصَّالِحَةُ وَالْجَنَائِبُ
أَنَارَتْ بِأَكْنَافِ الْمَصَلَّى عِجَاجَةً دَجَتْ وَبَدَتْ لِلْبَيْضِ مِنْهَا كَوَاكِبُ

١٠ وله يهجو :

وَكَمْ فِي زَيْدٍ^(٢) مِنْ قَفِيهِ مُصَدِّرٌ وَفِي صَدْرِهِ بِحْرٌ مِنَ الْجَهْلِ مُزِيدٌ
إِذَا ذَابَ جَسْمِي مِنْ حَرِّهِ بِلَادِكُمْ عَلِقْتُ عَلَى أَشْعَارِكُمْ أَتَبَرَّدُ
وله يصف معركة :

/ تَكَادُ مِنَ النِّفْعِ الثَّارِ كُمَاتُهَا تَنَّا كَرُّ أَحْيَانَا وَإِنْ قَرَّبَ النَّحْرُ [٣٥و]

(١) الجنايب : الخيل ، وأيضاً : الرياح الجنوبية .

(٢) مدينة باليمن أحدثت في أيام المأمون ، ولعل في هذا ما يدل على ما قلناه في التعريف به من أنه زار اليمن .

عجاج يظلُّ الملتقى منه في دُجَى وإن لمعت أسيافه طلعَ الفجر
وخيل يلف النثر بالتربِ عدوها وقتل يعاف الأكل من هامها النسر
ومن شعره يرثى بعض أهله :

ما كان مثلك من تغتاله الغير لو كان ينفع من ضرب الردى الحذر

ومنها :

قد أعلن الدهر ، لكن غالنا صمم عنه ، وأنذرنا ، لو أغنت النذر
يغرنا أمل الدنيا ويخدعنا إن التورر بأطاع للتي غرر

ومنها :

قد كان أنفس ما ضنت يده به لو كان يعلم ما يأتي وما يذر
أغالب القول مجهودًا وأيسر ما لقيته من أذاه العي والحصر ١٠
وقال يرثى أباه ، ومات غريقا في البحر لريح عصفت :

وكنتم^(١) أهدى مع الريح السلام له ما هبت الريح في صُبْح وإساء
إحدى ثقاتي عليه كنت أحسبها ولم أخل أنها من بعض أعدائي

ومن شعره في العتاب والاستبطاء والشكوى قوله :

كم من غريبة حكمة زارتك من فكرى فما أحسنت قط ثوابها ١٥
جاءتك ما طرقت وفود جبالها ألأسماع إلا فتحت أبوابها
[٣٥ ط] / فتنتك إيجابا فحين هممت أن تحبو سويداء القواد صوابها
وافتك من حسد وساوس حكمة جعلت لعينك كالمشيب شبابها
فتنيت طرفك خاشيا لازهدا ورددتها تشكو إلى مأبها

وَأَرَاكَ كَالْمُنِينِ مَ بَكَاعِي يَكْرِ وَأَعَجَزَهُ الْفَكَاحُ فَعَلَبَهَا
وله في الغزل :

أَشْجَعُ النَّفْسَ عَلَى حَرْبِكُمْ تَقَاضِيًا وَالسَّلَامُ يَزْوِيهَا
أُسُومَهَا الصَّبْرَ وَالْحَظَاكُمُ قَدْ جَعَلَتْهَا مِنْ مَرَامِهَا
وَكَيْفَ بِالصَّبْرِ عَلَى أَمْتِهِمْ نَصَّالَهَا بِالْجَنْرِ رَامِهَا

١٩ - القاضي الرشيد أحمد بن علي بن الزبير

من أهل أسوان الساكن بمصر

كان ذا علم غزير ، وفضل كثير . أنشدني الأمير نجم الدين بن مصال بن
سليم بن مصال له ، ونحن في الحميم للملك الناصري بظاهر بعلبك في ثاني رمضان
سنة سبعين وخمسة ، من قصيدة :

إِذَا مَا نَبَتْ بِالْحَرِّ دَارٌ يَوْذُهَا وَلَمْ يَرْتَحِلْ عَنْهَا فُلَيْسُ بَذِي حَزْمٍ
وَهَبْتُ بِهَا صَبًا أَلَمْ يَذِرْ أَهْنًا^(١) سِيرَجُهُ مِنْهَا الْحِمَامُ عَلَى رَغْمٍ

(*) من أسرة أسوانية اشتهرت بالعلم والشعر ، ولد بأسوان وهاجر منها إلى مصر
فاتصل بملوكها ومدح وزرعاها وتقدم عندهم ، وأنقذه الخليفة المافظ إلى اليمن داعياً له سنة
تسع وثلاثين وخمسة ، وقال إنه حاول أن يدعو لنفسه بالخلافة هناك فضربت له السكة ، ثم
قبض عليه وأرسل إلى مصر فغنى عنه . وكان من أفراد الدهر فضلاً في فنون كثيرة من العلوم
وله رسالة (منية الأمل وبلغة الدعي) وهي مطبوعة وتدل على معرفته بالثقافة والنحو واللغة والأنساب
والنطق والمهنة والموسيقى والطب . وكان إلى ذلك شاعراً متمكناً ، وهو ابن أخت الموفق بن
الحلال كبير كتاب ديوان الإنشاء الفاطمي كما مر ، ولعل ذلك سبب الغفوة عنه . وقد تقدم في
عهد خلافة ابن رزيق ، وولى النظر بشئ الإسكندرية في الدواوين السلطانية سنة تسع وخمسين
 وخمسة ، وقتله شاور سنة اثنتين وستين (وفي ابن خلكان سنة ثلاث وستين) ظملاً ليله
 لأسد الدين شيركوه . انظر ترجمته في معجم الأدياء لياقوت ٤ / ٥١ وابن خلكان (طبع
 ديسلان) ١ / ٧٥ والطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد طبع الطبعة الجالية
 بمصر من ٤٧ وشنولت الذهب ٤ / ١٩٧ و ٤ / ٢٠٣ ومعجم السلفي (نسخة مصورة بدار
 الكتب المصرية) الورقة ٢٢ .

(١) في الطالع السعيد وابن خلكان : أنه .

ولولا الأجلُ الكاملُ لَمَلَكْتُ أَرْقَلْتُ^(١) بَنِي الْعَيْسُ فِي الْبَيْدَاءِ وَالسَّقْنُ فِي الْيَمِّ
[٣٦ و] ولم تكن الدنيا تضيقُ على فتى يرى الموتَ خيراً من مقامٍ على هُضُمٍ

لم يعملْ بشعره ، ولم يرحل من ضُرِّه ، وهذا ممدوحه الكاملُ ولد شاور
الذى لم ينبج من شره ، فإن شاورَ قتله صبراً في سنة اثنتين وستين ونسب إليه
أنه شارك أسد الدين شيركوه في قصده ، فكافأه مكافأة التماسح وجعل قتله له
مقام رفده .

وله الرسالةُ التي أودعها من كلِّ علم مُشْكَلُهُ ، ومن كلِّ فنٍ أفضلهُ .
ذكره لى محمد^(٢) بن عيسى البيني ببغداد سنة إحدى وخمسين وقال : وفداً لمن رسولاً
وأقام بها سنتين قال : وهو أستاذى فى علم الهندسة . وأنشدنى لنفسه بالبين :

لئن خاب ظنى فى رجائك بعدما ظننتُ بأنى قد ظفرتُ بمنصفِ
فإنك قد قلدتني كلَّ منةٍ ملكتُ بها شكري لى كلِّ مؤقفِ
لأنك قد حذرتني كلَّ صاحبٍ وأعلتني أن لى فى الأرض من بينى

وأنشدنى الشريف إدريس الإدريسي الحسنى بدمشق سنة إحدى
وسبعين للقاضي الرشيد بن الزبير فى مدح الصالح بن رزيك من قصيدة أولها :

ما للفصون تميذُ سكراً هل سقيتُ بالزُّنِ خراً

منها فى المدح :

[٣٦ ط] / جارى الملوك إلى العلا لكنهم ناموا وأسرى

(١) أرقلت : أسرع ، والكامل المذكور فى البيت هو الكامل شجاع بن شاور و قد
قتله العاضد بعد قتل والده سنة ٥٦٤ هـ .

(٢) فى التكت المصرية لمهارة الأمير س ٥٦٦ : ورد ببغداد فى سنة خمسين وخمسمائة ،
وهو فاضل مهندس ، لكن له طبع شرس ، . وترجم له الهادى فى الحريدة ، القسم الخامس بالبين .

سائلٌ به عَصَبَ النفا ق غداةَ كان الأمرُ إنرا^(١)
أيامَ أُنحى النكرُ معروقاً وأمسى العُزفُ نكرا

ومنها:

قسماً بمن طافَ الحجيحُ بيته شُفنا وغُبرا
لولا طلائعُ لم نكنْ نرجو لثمتِ الدينِ نَشرا

• وأنشدني ابن اخته القاضي محمد بن القاضي محمد بن إبراهيم المعروف بابن الداعي من أسوان وقد وفدتُ إلى دمشق سنة إحدى وسبعين قال: أنشدني خالي الرشيدُ ابن الزبير لنفسه من قصيدة:

تواصى على ظلمي الأنامُ بأُسْهِمِمْ وَأَظْلَمُ من لاقيتُ أهلى وجيرانى
لكل امرئٍ شيطانُ جِنِّ يَكِيدُهُ بسوءِ ولى دون الورى أَلْفُ شَيْطَانِ ١٠
وقد صَنَّفَ كتابَ جنان^(٢) الجنان ورياض الأذهان، وذيل به اليتيمة، وطالعتُ منه جزءاً، ذكر فيه شعرا.

٢٠ — ولده على* بن أحمد بن المنزهر

رأيتُه فى الحضرة السلطانية^(٣) فى القاهرة سنة ثلاث وسبعين وخمسةائة وقد

١٥ وقف ينشد الملك الناصر قصيدة قد اتخذها لقصده خريمة/ وجرَّ بها وفودَ النجح [٣٧]

(١) إمرا: شديداً أو عصبياً وفي القرآن الكريم « لقد جئتُ شيئاً إمرا » .
(٢) سينقل للؤلأف كثيراً عن هذا الكتاب ، وهو من أهم الكتب التى ألُفَت عن الشعر المصرى فى العصر الفاطمى واعتمد عليه المهاد فى الخريدة ، وابن سعيد فى اللغز ، وكل من كتبوا من السابقين عن شعراء هذا العصر .
(*) ذكره الإدفعى فى الطالع السعيد ص ١٩٧ ولم يزد فى ترجمته عما ذكره المهاد .
(٣) فى الأصل : السلطان .

إلى آماله في تلك الشريعة شريعة ، وكشفتُ بحواره حُوراً^(١) أَدَبَهُ ، وفصمت
بسراره سِوَارَ أَرْبِهِ ، فما أحاطت معرفتي له بمعرفة ، ولا حصل لي من قدر قدره
مَرَقُ رَقَوِي في مِغْرَقَةٍ . لكنني لكونه ولدَ ذاك الكبير ، أوردت من القصيدة
التي أحضرها أبيتاً تناسب عَرَفَ العبير .

مطلعهما :

شَيَّدَتْ بِالْبَيْضِ وَالْعَسَلَةِ الذُّبُلُ مجدداً أنافَ على النَّسْرَيْنِ وَالْحَمَلِ^(٢)

ومنها :

تَخَضَّرُ^(٣) أَكْنَافُ أَرْضٍ إِنْ نَزَلَتْ وَإِنْ نَازَلَتْ تَحْمَرُّ^(٤) أَرْضُ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
مازلت أفرى دجى ليلٍ التمام سُرى ونورٌ وجهك يَهْدِينِي إِلَى السُّبُلِ
بكل مهمةٍ يبكى التمامُ بِهَا خوفاً وَيَخْفِقُ قَلْبُ الْبَرِّقِ مِنْ وَجَلِ ١٠
تحتى الرياحِ النُّوَارِ^(٥) مِنْ مَهَالِكِهَا فما تَهَبُّ بِهَا إِلَّا عَلَى مَهَلِ
حتى أَنْخَتُ^(٦) لِلطَّايَا فِي ذُرَى مَلِكٍ يَبْشُرُ النِّجَاحَ فِي تَأْمِيهِ أَمَلِ

ومنها :

خدمتكم ليكونَ الدهرُ مِنْ خَدَيْ فما أَحَالَهُ عَنْ حَالَتِهِ الْأَوَّلِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ بِكُمْ حَالِي مُبَدَّلَةً فما انتفacy يعلم الحَالِ وَالْبَدَلِ^(٧) ١٠

(١) في الأصل : عوار ، والحوار : التناج .

(٢) النسران : كوكبان والحمل : برج في السماء .

(٣) هكذا في الطالع السعيد وفي الأصل : مخضر .

(٤) هكذا في الطالع السعيد وفي الأصل : عمر .

(٥) هكذا في الطالع السعيد وفي الأصل : النورارى .

(٦) تصنع لاصطلاحات نحوية .

٢١ - المهذب أبو محمد الحسن *

ابن علي بن الزبير

هو أخو الرشيد ، مُحَكِّمُ الشعر كالبناء للرشيد ، وهو أشعرُ من أخيه ، وأعرَفُ [٣٧] بصناعته وإحكام معانيه . توفي قبل أخيه بسنة ، لم يكن في زمانه أشعر منه أحد . وله شعر كثير ، وحلٌّ في الفضل أثير . أنشدني له نجم الدين بن مصال يعطيك في رمضان سنة سبعين من قصيدة في الصالح بن رزيك يعرضُ بشاعره المعروف بالمفيد ^(١) :

لقد شكَّ طرفي والركائبُ جَنَحُ أنت ^(٢) أم الشمسُ المنيرةُ أُمْلَحُ
ومنها في الغزل :

١٠ يَظْلُ جَنَى الْعُنَابِ فِي صَحْنِ خَدِّهِ عن الوردِ ماءَ النرجسِ الغضِّ يَمْسَحُ
ومنها :

فيأشاعراً قد قال ألفَ قصيدةٍ ولكنها من بيته ليس تَبْرَحُ
ليهنِكَ - لاهنَّتْ - أن قصائدِي مع النجم تسرى أو مع الريح تَسْرَحُ
أنشدني زين الحاج أبو القاسم ^(٣) قال : أرسلني نورُ الدين إلى مصر في زمان

(*) هو أخو الرشيد بن علي بن الزبير ، وقد اخذت بطلائع بن رزيك ، ويقول ابن خلكان في ترجمته لأخيه الرشيد : أول شعر قاله سنة ست وعشرين وخمسة ، وقال ياقوت في ترجمته : صنف المهذب كتاب الأنساب وهو كتاب كبير أكثر من عشرين مجلداً ، وهو غاية في معناه ، وقال الإدريسي : له تفسير في خمسين مجلدة ، ويقول ابن خلكان : إن الرشيد أعلم منه في سائر العلوم ، وقد دخل اليمن كما دخل أخوه . وحصل له من طلائع مال جم . توفي سنة ٥٦١ هـ . انظر ترجمته في معجم الأدباء ٤٧ / ٩ وابن خلكان ١ / ٧٥ وفوات الوفيات ١٢٤ / ١ والطالع السعيد ص ١٠٠ والنكت المصرية ص ٣٥ وحسن المحاضرة ٣٢٤ / ١ .
(١) في الأصل هكذا : المفيد ، والمفيد هو ابن الصياد أحد شعراء طلائع وسيترجم له المهاد فيما بعد .
(٢) في الأصل : إليك .
(٣) يلقب بأمين الدين ، وكان متولى الديوان عند نور الدين .

الصالح بن رزيك فلقيت المهذب بن الزبير فأشدني لنفسه :

وشادن ما مثله في الجنان قد فاق في الحسن جميع الحسان
لم أرَ إلا عينه جعبةً لل سيف والنصل وحَدَّ السَّنان

[٣٨] ووجدت في بعض الكتب له / من قصيدة في مدح الصالح طلائع بن رزيك بمصر :

وتلقى الدهر منه بليث غابِ عَدَتِ سمرُ الرماح له عَرِينَا ٥
تخالُ سيوفه إمَّا انتضاها جداولَ والرماح لما غصونا
وتحسبُ خيله عِقبانَ دَجْنٍ يَرُخْنَ مع الظلام وينبتدينا
إذا قَدَحَتْ بجنح الليل أَوْرَتِ سَنَا يُعْشَى عيونَ الفاظرينا
وإن جَبَحَتْ مع الإصباح عَدَوَا أَثَارَتْ للعجاج به دُجُونَا
كَانَ الشمس حين تُثِيرُ ثَقَمًا تَحَاذِرُ من سَطَاهُ أن تيننا ١٠
وما كُسِفَتْ بدورُ الأفقِ إلَّا أَمَى إذ أَبْصَرَتْ منه الجيئنا
وما اضطربت رماحُ الخطِّ إلَّا مَخَافَةً أَنْ يُحْطَمَهَا مُيِينَا^(١)
وما تَنَدَّقُ يومَ الزَّوْجِ حتى يَدُقُّ بها الكواهلَ واللتونا
عجبتُ لما تَصَافَحُ مِنْ يَدَيْهِ - وَتَوْصَفُ بِالظَّمَا - بِجَرٍّ مَعِينَا
ويورِدُهَا ولا يُحْطِى بِرَأْيِ نِطَاقًا من دروع الدارعينا ١٥
وهل يَشْفَى لها أَبَدًا غِيلٌ وَقَدْ شَرِبَتْ دماءَ الكافرينا
إذا لَقِيتُ عيونَ الروم زُرْقًا حَسَبَتْ نِصَالَهَا تلكَ العيونا
وقائعُ في المُنَادَا له تُبَارَى صَنَائِعُ في الثَغَاةِ المجدينا
ولإِغْثَامٍ به أَبْكَى عَمِينَا وَإِنْعَامٍ أَقْرَبَ به عَمِينَا

(١) هكذا في الأصل وربما كانت معرفة عن : تيننا أى جماعات .

[٣٨٨ط]

وله فيه قصيدة :

أَقْصِرْ - فَدَيْتُكَ - عَنْ لَوْحِي وَعَنْ عَدْلِي

أَوْ لَا تَخْذَلْنِي أَمَانًا مِنْ يَدِ^(١) الْقَتْلِ

من كلِّ طَرْفٍ مريض الجفنِ تنشدنا الحَاظِلُ « رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي تُعَلٍ »^(٢)

إِنْ كَانَ فِيهِ لَنَا وَهُوَ السَّقِيمُ شِفَاً فَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعَمَلِ^(٣)

إِنْ الذِّي فِي جَفَوْنِ الْبَيْضِ إِذَا نَظَرْتُ نَظِيرُ مَا فِي جَفَوْنِ الْبَيْضِ وَالْخَلَلِ^(٤)

كَذَلِكَ لَمْ يَشْتَبِهْ فِي الْقَوْلِ لَفْظُهُمَا إِلَّا كَمَا اشْتَبَهَا فِي الْفِعْلِ وَالْعَمَلِ

وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى الْأَطْلَالِ أَحْسَبُا جَسْمِي الَّذِي بَعْدَ بُعْدِ الظَّاعِنِينَ يُبْلِي

أَبْكَى عَلَى الرَّسْمِ فِي رَسْمِ الدِّيَارِ فَهَلْ عَجَبْتَ مِنْ طَلَلٍ يَبْكِي عَلَى طَلَلِ

وَكُلَّ بَيْضَاءٍ لَوْ مَسَّتْ^(٥) أَنْامِلُهَا قَيْصَ يَوْفَ يَوْمًا قَدْ مِنْ قُبُلِ

يُنْعَى عَنِ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَبْسُومًا^(٦) لِحُسْنِهَا فَلَهَا حَلِيٌّ مِنْ الْعَطَلِ

بِالْخُلْدِ مِنْ آثَارِ الدَّمُوعِ كَمَا لَهَا عَلَى الْخُلْدِ آثَارُ مِنَ الْقُبُلِ

كَأَنَّ فِي سَيْفِ الدِّينِ مِنْ خَجَلٍ مِنْ عَزَمِهِ مَا بِهِ مِنْ خُحْرَةِ الْخَجَلِ

هُوَ الْحَسَامُ الَّذِي يَسْمُو بِحَامِلِهِ زَهْوًا فَيَفْتَكُ بِالْأَسْيَافِ وَالِدُولِ

إِذَا بَدَأَ عَارِيًا مِنْ غَمْدِهِ خَلَقَتْ غَمْدَ الدَّمَاءِ عَلَيْهِ هَامَةُ الْبَطْلِ

وَأِنْ تَقَلَّدَ بَحْرًا مِنْ أَنْامِلِهِ رَأَيْتَ كَيْفَ اقْتَرَانُ الرِّزْقِ بِالْأَجْلِ

(١) فِي الْقَوَاتِ وَالطَّالِعِ السَّعِيدِ : ظِلَا .

(٢) رَوَايَةُ الشُّطْرِ فِي الْقَوَاتِ : (يَارَبَّ رَامٍ يَنْجِدُ مِنْ بَنِي تُعَلٍ) وَهَذَا الشُّطْرُ مَضمُنٌ مِنْ

قَصِيدَةٍ لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ يَقُولُ فِيهَا :

رَبِّ رَامٍ مِنْ بَنِي تُعَلٍ مَخْرَجُ كَفَيْهِ مِنْ سِتْرِهِ

وَيَنْوِي ثَمَلٌ طَائِرُونَ وَهُمْ مَشْهُورُونَ بِمَجْدِهِ : أَلَمْ يَرَى .

(٣) تَصْمِينٌ لَشُّطْرٍ مِنْ قَصِيدَةٍ لِلْفَتَنِ بْنِ وَصْدِ الْبَيْتِ : لَمَلْ عَتَبَكَ مَحْمُودُ عَوَاقِبِ

(٤) فِي الطَّالِعِ السَّعِيدِ : وَالْخَلَلُ ، وَالْخَلَلُ : جَمْعُ خَلَّةٍ وَهِيَ جُفْنُ السَّيْفِ ، أَوْ بَطَانَةُ مَطْرَازَةٍ بِالْقَهْبِ

(٥) مَكْنَزًا فِي الطَّالِعِ السَّعِيدِ وَفِي الْأَمَلِ . أَمَسَتْ .

(٦) مَكْنَزًا فِي الطَّالِعِ السَّعِيدِ وَفِي الْأَصْلِ : لَبَسَتْهَا .

[٣٩] من السيوف التي لاحت بوارقها في أنمل هي سحُبُ العارضِ الهطل
 فجاءنا لبني رزبك مُعْجِزُها بآية لم تكن في الأعصرِ الأولِ
 / تبدو شمسًا هم أقارؤها وترى شهبَ القنا في سماءِ النقع لم تقِل^(١)
 قد غايرت فيهم السمرَ الرقاقَ رقا

قُ البيض خلف سُجوفِ النقع في الكلل .
 إن عانقوا هذه في يوم معركة لاحت لهم بتلظى تلك كالشعل
 وقد لقوا كلَّ من غاروا بمُشِيهِه حتى لقوا النجل عند العَرْضِ بالنجل^(٢)
 وضارب الرومَ رومَ من سيوفهم وطاعنَ الرُعبِ أعرابَ من الأسل
 وهزَمَ لصهيل الخيل تحت صهيل البيضِ ماهرٌ أعطافَ القنا الخِطل^(٣)
 فالدمَ خَمَزَ وأصواتُ الجيادِ لهم أصواتُ مَعْبَدِ^(٤) في الأهراجِ والرمل .
 ١٠ والخيَلُ قد أطربَتْها — مثلًا طربوا —

أفعالهم ، فهي تمشي مِشْيَةً الثيل
 من كل أجردَ تختالِ بفارسِهِ إلى الطُّعانِ جريحِ الصِّدرِ والكفل
 وكلَّ سَلْمِيَّةٍ^(٥) للريحِ نَسْبَتْها لكنها لو بَغَتْها الريحُ لم تُنل
 ١٠ أفارسَ السِّلِينِ أسمعَ فلا سَمِعَتْ عِدَاكَ غيرَ صليلِ البيضِ في القتل
 مقالَ ناءِ غريبِ اندارِ قد عدمَ أَلْأَنْصارَ لولاك لم يَنْطِقْ ولم يَقُلْ
 يشكو مصائبَ أيامٍ قد اتسعتَ فضاكَ منها عليه أوسعُ^(٦) السُّبُلِ
 يرجوك في دفعها بعد الإلهِ وقد يُرْجَى الجليلُ لدفعِ الحادثِ الجَلَلِ

(١) نمل : تأمل .

(٢) النجل : الأولى : العيون والثانية : العلمات .

(٣) الخطل : من الخطل ، وهو الاضطراب والتحرك .

(٤) مفعن مشهور في البصر الأموي .

(٥) السلمية من الخيل : ما عظم وطال عظامه .

(٦) في الطالع السعيد : واسع .

- وكيف ألقى من الأيام مرزئةً عجلت ولى من بنى رزيك كل ولى
لولا هم كنت أفرى^(١) الحادثات ، إذا نابت ، بهضة ماضى العزم مرزجل ؟
وكيف أخلع ثوب الدل حيث كفي ل الحر بالمرز وخد الأينق^(٢) الدل
/ فأتخاف الردى نفسى وكم^(٣) رضىت بالعجز خوف الردى نفس فلم تبجل^[٣٩]
إنى امرؤ قد قتل^(٤) الدهر معرفة فما أيت على يأس ولا أمل^(٥)
إن يزو ماء الصبا عودى قد عجمت منى طروق الليالى عود مكمهل
تجاوزت بى مدى الأشياخ تجر بى قديما وما جاوزت بى سن مقتيل
وأول العمر خير من أواخره وأين ضوء الضحى من ظلمة الأصل
دونى الذى ظن أنى دونه فله تعاظم لينال المجد بالحيسل
والبدر تغظم فى الأبصار صورته ظنا ويصغر فى الأفهام عن زحل
ما ضرر شعري أنى ما سبقت إلى (أجاب دعى وما الداعى سوى طلال^(٦))
فإن مدحى لسيف الدين تاه به زهوا على مدح سيف الدولة البطل
للشراء للذهبين للذهبين للذهب ، على هذا الوزن المعجز المعجب ، قصائد ،
فرائد ، قلائد . وهذا مهذب مذهبهم إذ هو وحيد العصر ، مجيد النظم والنثر .
واستعرت من الأمير عز الدين^(٧) حسام جزءا فيه قصيدة بخط المهذب بن الزبير
مدح بها الصالح بن رزيك سنة ثلاث وخمسين وخمسة ويصف أسطوله ونصرته
فى البحر على الروم :

(١) فى الطالع السعيد : أئدى ، ومعنى أفرى . أقطع .
(٢) الوجد للثوق : الإسراع وسعة الخطو .
(٣) فى الطالع السعيد : وقد . (٤) فى الطالع : بلغت .
(٥) فى الطالع : ملل .
(٦) هذا الشطر للثني يقول ماضر شخره أنه لم ينظم ما نظمه الثني كناية عن أنه لا يقل عنه .
(٧) هو الأمير أبو المهند حسام بن مبارك بن قضة العقيل الذى ترجى له قبلا .

- [٤١ و] أَعْلِمْتَ حِينَ تَجَاوَرَ الْحَيَانِ أَنْ الْقُلُوبَ مَوَاقِدُ النَّيْرَانِ
/ وَعَرَفْتُ أَنَّ صَدُورَنَا قَدْ أَصْبَحَتْ فِي الْقَوْمِ وَهِيَ مَرَابِضُ الْغَزْلَانِ
وَعَيُونُنَا عِيُوضُ الْعَيُونِ أَمَدَهَا مَا غَادَرُوا فِيهَا مِنَ الْغُدُرَانِ
مَا الْوَحْدُ هَزَّ قِيَابَهُمْ بَلْ هَزَّهَا قَلْبِي عَشِيَّةَ سَارِ فِي الْأَطْلَانِ
وَبِمَهْجَتِي قَرَرْتُ إِذَا مَا لَاحَ لِلْسَّارَى تَضَاعَلْ دُونَهُ الْقَمَرَانِ •
قَدْ بَانَ لِلْمَشَاقِ أَنَّ قَوْلَهُ سَرَقَتْ شَمَائِلُهُ غُصُونُ الْبَانِ
وَأَرَاكَ غُصْنًا فِي النَّعِيمِ [تَمِيلُ^(١)] إِذْ غُضُنُ الْأَرَاكِ يَمِيدُ فِي نَعْمَانِ^(٢)
لِلرَّمَحِ نَضَلُّ وَاحِدٌ وَلَقْدَهُ مِنْ نَظَرِيهِ إِذَا زَنَا نَضَلَانِ
وَالسَيْفُ لَيْسَ لَهُ سَوَى جَفْنٍ وَقَدْ أَضْيَى لَصَارِمٍ طَرْفُهُ جَفْنَانِ
وَالسَهْمُ تَكْفِي الْقَوْسُ فِيهِ وَقَدْ غَدَا مِنْ حَاجِبِيهِ لِلْحَظِّ قَوْسَانِ ١٠
وَلَرْبَّ لَيْلٍ خَلْتُ خَاطِفَ بَرَقِهِ نَارًا تَلْفَعُ لِلدَّجَى بِدُخَانِ
كَالْمَائِلِ الْوَسْطَانِ مِنْ طُولِ الشَّرَى جَوَزَاؤُهُ، وَالزَّاقِصِ السَّكْرَانِ
مَا بَانَ فِيهِ مِنْ ثُرَيَّا^(٣) سَوَى إِبْجَامِيهَا وَالذَّلَالُ فِي الدَّبْرَانِ^(٤)
وَتَرَى الْحَجَرَ فِي النُّجُومِ كَأَنَّهَا تَسْقِي الرِّيَاضَ بِمَجْدُولٍ مَلَّانِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ نَهْرًا لَمَا عَامَتْ بِهِ أَبْدًا نَجْمُ الْحَوْتِ وَالسَّرَطَانِ ١٥
نَادِمْتُ فِيهِ الْفَرَقْدِينَ كَأَنِّي — دُونَ الْوَرَى — وَجَذِيمَةٌ أَخْوَانِ
وَتَرَفْتُ هِمَمِي فَمَا أَزْضَى سَوَى شُهْبِ الدَّجَى عِيُوضًا مِنَ الْخِلَافَانِ
وَأَنْفَتُ حِينَ فُجِعْتُ بِالْأَحْبَابِ أَنْ أَلْهُو عَنِ الْإِخْوَانِ بِالْخَوَّانِ
/ وَاعْتَصَمْتُ مِنْ جُودِ الْوَزِيرِ مَوَاهِبًا أَسَلْتُ عَنِ الْأَوَطَارِ وَالْأَوَطَانِ [٤١ ظ]

(١) ساقطة من الأصل وقد زدناها من الطالع السعيد .

(٢) نعان : واد وراء عرفة .

(٣) الدبران : منزل للقمر .

(٤) قيل : كان جذية الأبرش ملك الحيرة لا ينادم إلا الفرقدين تكبراً عن منامحة الناس .

(١٤ — خريدة)

ومنها يحته على قصد شام الفرج :

يا كاسر الأصنام قُمْ فَانْهَضِ بِنَا
فَالشَّامُ بِمُلْكِكَ قَدِ وُرِثَتْ ثَرَاتُهُ
فَإِذَا شَكُكْتَ بِأَنْهَا أَوْطَانُهُمْ
أَوْ رِثْتَ أَنْ تَتَلَوْا مُحَاسِنَ ذِكْرِهِمْ

حتى تصير مُكْسِرَ الصُّلْبَانِ
عن قَوْمِكَ الْمَاضِينَ مِنْ عَشَانِ
قَدَمَا فَسَلْ عَنِ حَادِثِ الْجَوْلَانِ^(١)
فَاسْبِغْ رَوَاتِبَهَا إِلَى حَسَّانِ^(٢)

منها في وصف الزلزلة :

ما زِلْتُ أَرْضُ الْعِدَا بِلِ ذَالِكِ مَا
وَأَقُولُ إِنَّ حَصُونَهُمْ سَجَدَتْ لِي
وَالنَّاسُ أَجْدَرُ بِالسُّجُودِ إِذَا غَدَا
وَلَقَدْ بَعَثَ إِلَى الْفَرَجِ كَتَائِبًا

بِقُلُوبِ أَهْلِهَا مِنْ الْخَلْقَانِ
أَوْتِيَتْ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ سُلْطَانِ
لَعَلَّكَ يَسْجُدُ شَامُخُ الْيُنْيَانِ
كَالْأَسَدِ حِينَ تَصُولُ فِي خَفَّانِ^(٣)

لَبَسُوا الدَّرْعَ وَلَمْ تَخْلُ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَتَيَمَّمُوا أَرْضَ الْمَدُونِ بِقَفَرَةٍ
عِشْرِينَ يَوْمًا فِي الْغَارِ وَلِيْلَةٍ
حَتَّى إِذَا قَطَعُوا الْجَفَارَ^(٤) بِجُحْلٍ

أَغْرَيْتَهُمْ بِحِمَى الْعِدَا فُجِعَتْهُ
عَجَلَتْ فِي تِلْكَ الْمَجُولِ قِرَاهِمُ

بِقُلُوبِ أَهْلِهَا مِنْ الْخَلْقَانِ
أَوْتِيَتْ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ سُلْطَانِ
لَعَلَّكَ يَسْجُدُ شَامُخُ الْيُنْيَانِ
كَالْأَسَدِ حِينَ تَصُولُ فِي خَفَّانِ^(٣)

أَنْ الْبَجَارَ تَجُلُّ فِي غُدْرَانِ
جُرْدَاءَ خَالِيَةِ مِنَ السِّكَاكِ
يَسْرُونَ تَحْتَ كَوَاكِبِ الْخِرْصَانِ^(٥)
هُوَ فِي الْعَدِيدِ وَرْمَلُهُ سَيَّانِ

بِسَطَاكَ بَعْدَ الْعَزِّ دَارَ هَوَانِ
وَهُمْ لَكَ الضِّيفَانُ^(٦) — بِالذِّيفَانِ^(٧)

(١) اسم إقليم في شمال شرق الأردن مقترن باسم القناسة كما يقترن باسم قرينهم أو مدينتهم « جابية الجولان » وكان طلائع ينسب إلى القناسة ومن هنا قال الشاعر ما قال .
(٢) هو حسان بن ثابت الذي اشتهر بمدحه للقناسة قبل الإسلام وخاصة جبلة بن الأيهم .
(٣) خفان : مأسدة قرب الكوفة .
(٤) الخرصان : جمع خرص وهو الرمح .
(٥) الجفار : القلعة بين الریش و مصر .
(٦) الذيفان : السم القاتل .

[٤٠ و] / لما أبوا ما في الجفان قرّيتهم
 وثقلت في يوم العريش عروشهم
 ألجأتهم للبحر لما أن جرى
 مدح الوري بالباس إذ خضبوا الطبا
 ولأنت تحضب كل بحر زاخر
 حتى ترى دمهم وخضرة مائه
 بصوادم ملئت من الأجفان
 بشبا ضراب صادق وطمان
 منبأ ومن دمهم معاً بحرّان
 في يوم حربهم من الأقران
 ممن تحارب بالنجيع القاني
 كشقائق نثرت على الرميحان

في وصف الأسطول :

وكان بحر الرّوم خلق وجهه
 ولقد أتى الأسطول حين غزا بما
 أحبيب إلى بها شواني^(١) أصبحت
 شهبان بالتراب في ألوانها
 أوقرتها^(٢) عدد القتال قد غدت
 فأتتك موقرة بسبي بينه
 حرب عوان حكمتك من العدا
 وأعدت رسل ابن القسم^(٣) إليه في
 والقال يشهد باسمه أن سوف يغدو الشام وهو عليكما قيمان
 وطقت عليه منابت اللرجان
 لم يأت في حين من الأحيان
 من فتكها ولها العداة شواني
 وفعلن فعل كواسر العقبان
 فيها القنا عوضا من الأشطان
 أسرأهم مغلوله الأذقان
 في كل بكر عندهم وعوان
 شعبان كي يتلاءم الشعبان
 منها في مدح نور الدين :

[٤٠ ظ] / وأراك من بعد الشهيد أبال
 وهو الذي مازال يفعل في العدا
 وجعلته من أقرب الإخوان
 ما لم يكن ليعد في الإمكان

(١) الشواني : السفن الحربية .

(٢) أوقرت : حملت .

(٣) هو نور الدين صاحب الشام في عصر طلائع وأستاذ صلاح الدين الأيوبي ومولاه .

ومنها في وصف قتله البرنس ويصف رأسه على الرمح بمعنى بديع :
 قَتَلَ الْبِرْنَـسَ وَمِنْ عَسَاةِ أَعَانِهِ لَمَّا عَتَا فِي الْبَنِي وَالْعُدَوَانِ
 وَأَرَى الْبَرِيَّةَ حِينَ عَادَ بِرَأْسِهِ مَرَّةً الْجَنَى يَبْدُو عَلَى الْمُرَانِ
 وَتَعَجَّبُوا مِنْ زُرْقَةٍ فِي طَرْفِهِ وَكَأَنَّ فَوْقَ الرَّمْحِ نَصْلًا ثَانِي
 فَلَيْهِنَهُ أَنْ فَازَ مِنْكَ بِسَيْدٍ أَوْفَى بِرَبَّتَيْهِ عَلَى كَيَوَانٍ^(١)
 قَدْ صُلِغَ مِنْ^(٢) أَرْمَاحِهِ لِمَسَامِعِ الْأُمْلَـكِ أَقْرَاطُ^(٣) مِنَ الْخِرِصَانِ
 وَالْخَلِيلِ تَعْلَمُ فِي الْكَرْبِيَّةِ أَنَّهُ قَدْ حَطَّ هَيْكَلُهَا^(٤) عَلَى الْقِرْسَانِ
 عَجَبًا لِمَجُودٍ يَدِيهِ إِذْ يَبْنِي الْعِلَا وَالسَّيْلُ يَهْدِمُ ثَابِتَ الْأَرْكَانِ
 [ومنها] يصف شعر الصالح :

١٠ وَلَنَارُ فُظْلَتِهِ تُرِيكَ لَشَعْرِهِ عَذْبًا يُرَوَّى غَلَّةَ الظَّمَانِ
 وَعَقُودَ دَرٍّ لَوْ تَجَسَّمْ لَفُظْهَا مَارُصَّتْ إِلَّا عَلَى التَّيْجَانِ
 وَتَنَزَّهَتْ عَنْ أَنْ تُرَى أَفْرَادُهَا لِمَوَاضِعِ الْأَقْرَاطِ وَالْآذَانِ
 مِنْ كُلِّ رَاقِعَةٍ الْجَمَالَ زَهَتْ بِهَا بَيْنَ الْقَصَائِدِ عِزَّةُ السُّلْطَانِ
 سَيَارَةٌ فِي الْأَرْضِ لَا يَتَقَاتَمُ فِي سَيْرِهَا قَيْدٌ مِنَ الْأَوْزَانِ
 ١٥ / يَا مُنْعِمًا مَا لِلنَّهْـاءِ وَلَوْ غَلَا يَوْمًا بِمَا تَوَلَّى يَدَاؤُهُ يَدَانِ [٤٢ و]
 قَلَّدَتْ أَعْنَاقَ الْبَرِيَّةِ كُلَّهَا مِثْنًا تَحْمِلُ ثِقْلَهَا الثَّقَلَانِ
 حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِيكَ وَأَصْبَحَ الْقَاصِي بِمَنْزِلَةِ الْقَرِيبِ الدَّانِي
 وَرَحِمَتْ أَهْلَ الْعَجْزِ مِنْهُمْ مِثْلًا أَصْبَحَتْ تَغْفِرُ لِمَسِيءِ الْجَانِي
 وَأَنْشَدَنِي الشَّرِيفُ إِدْرِيسُ الْحَسَنِيُّ لِلْمَهْذَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ
 ٢٠ ابْنِ زُرَيْكٍ أَيْضًا أَوَّلًا :

(١) كيوان هو زحل وهو عند العرب مثل في الملو والبعد .

(٢) في الأصل : في . (٣) في الأصل : أخراماً .

(٤) الأصل : مذ قط سكلها .

أَجْلِسْ فِي حِلِّ الْعِزِّ أَمْ قَلَّكَ هَذَا؟ وَهَلْ مَلَكَ فِي الدَّسْتِ أَمَّ مَلَكَ

منها في المدح :

أَغْنَى عِيَانُ مَعَانِيهِ النَّوَاطِرَ عَنْ قَوْلٍ يُبَلِّغُ فِي قَوْمٍ وَيُؤَنِّفُ^(١)
يَا وَاحِدَ الدَّهْرِ لَا رَدَّ عَلَى إِذَا مَا قُلْتَ ذَلِكَ فِي قَوْلِي وَلَا دَرَكَ^(٢)
مَا كَانَ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَتَى فِيهِ الشَّجَاعَةُ—إِلَّا أَنْتَ—وَالنَّسْكَ^(٣)
فَالْفَعْلُ مِنْهُ^(٤) وَمَنْكَ الْيَوْمَ مُتَّفِقٌ وَالنَّعْتُ مِنْهُ وَمَنْكَ الْيَوْمَ مُشْتَرِكٌ
يُدْعَى بِصَالِحِ أَهْلِ الدِّينِ كُلِّهِمْ وَأَنْتَ صَالِحٌ مِنَ الْبَالِغِينَ يَمْنَعُكَ
لَمْ تَرْضَ أَسْمَاءَ قَوْمٍ أَصْبَحُوا رِيماً كَأَنَّ الْقُلُوبَ مِنْ بَعْدِهِمْ تُرْكُ^(٥)

ومنها :

وَأَقَى فَأَرَدَى رَجَالاً بَعْدَ مَا نَعِمُوا دَهْرًا وَأَحْيَا رَجَالاً بَعْدَ مَا هَلَكُوا ١٠
[٤٢ ظ] ليس في هذا البيت مدح ولا ذم ، ولا له في الثناء والإطراء سهم ، فإنه كما
أحسن بالإحياء ، أساء بالإرداء ، فكفر بهلاك أولئك حياة هؤلاء ، ولو قال :
أردى لثاماً بعد ما نعموا ، وأحيا كراماً بعد ما هلكوا ، لوفى الصنعة حق
التحقيق ، وأهدى ثمرة المعنى على طبق التطبيق .

١٥ طَلَعَتِ الْبَدْرَ نِصْفَ الشَّهْرِ فِي قَرْنٍ فَأَشْرَقَتْ بِكَ الْأَرْضُونَ وَالْفَلَكَ
وَأَسْفَرَ الْجَوْحَ حَتَّى ظَنَّ مَبْصَرُهُ بِأَنَّ لَمَعَ السَّنَا فِي أَفْقِهِ ضَحِكُ
يَقُودُ كُلَّ مُجَنِّحٍ^(٥) ضِغْنٌ ذِي تَرَةِ يَكَادُ مِنْ حَرِّهِ الْمَادَى يُنْسَبُ

(١) يؤنفك : من الإفك وهو الكذب والاختلاق .

(٢) الدرك : التبعة .

(٣) في الأصل : منك .

(٤) في البيت تورية واضحة .

(٥) في الأصل : مسن .

حتى أعادَ بجند السيفِ مُلكَ بنى الزهراءِ وأسْخِجَ الحقُّ الذى تركوا
فلو يكونُ لهم أمثالُه عَصْدًا فيما مضى ما غدت مغصوبةً فذلك^(١)
لقد أبطل فى هذا القول للوثقك ، وغفل عن سر الشريعة فى فذلك ،
وفضّلَ مدحوه على السلف فى الشرف ، وأدث به المبالغة فى الضلال إلى السرف .
وأنشدنى الأمير مرهف بن أسامة بن منقذ للمهذب بن الزبير من أبيات :

بالله يا ريجَ الشما ل إذا اشتملت الليل بُردا
وحملت من نَشْرِ الخزا مى ما اغتدى للندي نِدا
ونسجت فى الأشجار بين غصونهنَّ هوى وودا
/ هبى على بردى^(٢) عساه يزيد من مسراك بردا
أحبابنا ما بالكُم فينا من الأعداء أعدى
وحياةٍ ودمكم وترُّ به وصلكم ما خنت عهدا
وأنشدنى له من قصيدة أولها :

ريحَ القوادِ خلالَ تلك الأريجِ فكأنها أولى بها من أضلئ
منها فى المديح فى ابن رزيك الصالح وكان يغرى الشعراء بعضهم بالبعض :
يا أيها للملك الذى أوصافه عُرِّجَتْ تجلّت للزمان الأسنج
لا نطمِيع الشعراء فى فائتي لو شئتُ لم أجبن ولم أنخسج
إن لم أكن ملء العيون فإنى فى القول يا ابن الصيِّد ملء المسمج
فليسكوا عني فلولاً أنى أبقى على عِرْضى إذن لم أجزع

(١) يشير لى ما كان من رأى أبى بكر وعمر فى أن فاطمة لا تراث (فذلك) التى تركها الرسول
لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ، والشيعه يرون أن
أبا بكر وعمر أخطأ وأنه كان يجب أن يتركها لفاطمة .
(٢) بردى : نهر دمشق .

وَأَمُّ مَنْ لُجُوجِي لَمْ مَدْخُ الَّذِي وَفَعِ الْقَرِيضُ إِلَى الْحُلِّ الْأَرْفَعِ
وَلَوْ أَنَّهُ نَاجِي ضَمِيرِي فِي الْكَرَى طَيْفُ الْخِيَالِ بَرِيَّةٍ لَمْ أَهْجَعِ
وَإِذَا بَدَأَ الْهَجْرُ لَمْ أَرَّ شَخْصَهُ وَإِذَا يُقَالُ لِي الْخُفَا لَمْ أَسْمَعِ
وَالنَّاسُ قَدْ عَلِمُوا بِأَنِّي لَيْسَ لِي مَذْكَتُ فِي أَعْرَاضِهِمْ مِنْ مَطْمَعِ

ومنها في صفة الشعر :

[٤٣ ط] / فَلَا كَسُونَ عِلَاكَ كُلَّ غَرِيَّةٍ وَلَجَّتْ بِلُطْفٍ سَمِعَ مَنْ لَمْ يَسْمَعِ
خُصِمْتُ بِمَا ابْتَدَيْتُ بِهِ فَتَقَابَلْتُ أَطْرَافَهَا بِمُوشِجٍ وَمُرَصَّعِ
وَالشَّعْرُ مَا إِنْ جَاءَ فِيهِ مَطْلَعٌ حَسَنٌ أَضِيفَ إِلَيْهِ حُسْنُ الْقَطْعِ
كَالْوَرْدِ : أَوَّلُهُ بَزْهَرٍ مُؤْتِقٍ يَأْتِي ، وَآخِرُهُ بِنَاءٍ مُنْمِجِ

وَأُنْشَدَنِي لَهُ الْقَاضِي الْأَشْرَفُ أَبُو الْقَاسِمِ حَمْزَةُ بْنُ الْقَاضِي السَّعِيدِ بْنِ عُمَانَ ،
قَالَ أَنْشَدَنِي وَالَّذِي عَلَى بْنِ عُمَانَ الْخَزَوِيُّ ، قَالَ أَنْشَدَنِي الْمَهْذَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ لِنَفْسِهِ
فِي ابْنِ شَاوَرٍ لِلْعُرُوفِ بِالْكَامِلِ :

وَخَاصِمِي بِدُرِّ السَّمَاءِ فَخَصَّيْتُهُ بِقَوْلِي ، فَاسْمَعْ مَا الَّذِي أَنَا قَائِلُ
أَتَى فِي اتِّهَافِ الشَّهْرِ بِحِكْمِكَ فِي الْبَهَا وَفِي النُّورِ لَكِنْ أَيْنَ مِنْكَ الشَّمَائِلُ !
قَعَلْتُ لَهُ يَا بِدْرُ إِنَّكَ نَاقِصٌ سِوَى لَيْلَةٍ ، وَالْكَامِلُ الدَّهْرُ نَكَمَلُ

وَأُنْشَدَنِي بَعْضُ الْمَصْرِينَ لَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

أَغَارَتْ عَلَيْنَا بِالْحَاضِرِ عَيْوُنُ لَهَا الْحَسَنُ مِنْ خَلْفِ النَّقَابِ كَيْنُ
وَسَلَّتْ عَلَيْنَا مِنْ غُمُودِ جُفُونِهَا كَذَلِكَ أَسْمَاءُ النُّعُودِ جُفُونُ

ومنها :

أَعْرَأَ نَظْمَ شَعْرِي مِنْكَ غَيْثًا بِصِيرَةٍ فِي (١) طَيْبٍ لِلْكِيَمِيَاءِ كُنُونُ

(١) فِي الْأَصْلِ : وَفِي .

[٤٤ و] / قد شاركتنا فيه كفك إذ غدت عليه لنا عند العطاء تعين
تجود لنا بالبر ثم ترده لها وهو ذو بالديح ثمين
وأنشدني له أيضاً :

لقد جرّد الإسلام منك مهتداً حديدًا شباه لا يُداوى له جرح
إقامه حدّ الله في الخلق حدّه إذا سلّه ، والصفح عنهم له صفح
وله :

وذي هيف يُدعى بموسى ، بطرفه بقيه سحر تأخذ العين والسمما
وحياته أصدافه ، وعذاره يُخيل لي في وجهه أنها تسقى
وله في غلام له خال بين عينيه :

١٠ ومهفّف أسيف مقلته أبداً تُريق من الجفون دما
عيناه في قلبي تنازعتا فسواده قد ظلّ بينهما

وله في غلام تفرغت عيناه عند الوداع :

١٥ ومرتج الأعطاف تحسب أنه رُمح ولكن قدّ قلبي قدّه
إن قلت إنّ الوجّه منه جنة أنضى يكذبني هنالك خده
ولئن تفرّق دمه يوم النوى في الطرف منه وما تثار عقده
فالنسيف أقطع ما يكون إذا غدا مُحجّراً في صفحيه فرنده^(١)

وله :

ثم نصب عيني : أنجدوا أو غاروا ومي فؤادي : أنصفوا أو جاروا

[٤٤ ط]

وهم مكان السر من قلبى وإن
فارقهم وكأنهم فى ناظرى
تركوا المنازل والديار فاهم
واستوطنوا البيد القفار فأصبحت
فلئن غدت مصر فلاة بعدهم
أو جاوروا نجداً فى من بعدهم
أنفوا مواصلة الفلا والبيد مذ
بقلائص^(١) مثل الأهلة عندما
وكانما الآفاق طراً أقسست
والدهر ليل مذ تنامت دارهم
لى فيهم جار يمت بجرمتى
لا بل أسير فى وثاق وفاته

ومنها :

أمنازل الأحباب غيرك البلى
سقياً للهر كان^(٢) منك تشابهت
قصرت لى الأعوام^(٣) فيه فذناًؤا
/ يادهر لا يغررك ضعف تجلدى

[٤٥ و]

وله :

كان قدودهم أنبت على كسب الرمل قضبانها

(١) جزر الشئ : وسطه ومظله .

(٢) القلائص : جمع قلويس وهى الشاة من النوق .

(٣) فى الطالع : مرفيك . (٤) فى الطالع : بن الأيام .

جججنا بها كعبة للحرور ترانا نُسَحُّ أَرْسَانَهَا
 فطوراً أعانقُ أغصانها وطوراً أنادم غنماً لها
 على عاتقٍ ^(١) إن خبتْ نُسَمْنَا ففضضنا عَنّ الشمسِ أذنانها
 وإن ظهرتْ لك محجوبةً قرأتْ بأَنفِكَ غُنُونَهَا
 كُثِيتُ من الراح لَنَكْنَا جعلنا من الروح فرحاتها
 إذا وجدتْ ^(٢)، حلبة للحرور وكان مَدَى الشكر قَيْدَانَهَا
 يطوفُ بها بأبلى الخفونِ تنضجُ خَدَاهُ أَلْوَانَهَا
 إذا ما أدعتْ سَقَمًا مَقْلَتَاهُ أَثَّتْ بِجَنَسِي بُرْهَانَهَا
 بكأسٍ إذا ما علاها للزاجُ أحالَ إلى التبرِ مَرَجَانَهَا
 كَانَ اتِّجَابٌ وَقَدْ قُلِدَتْهُ دُرٌّ يُفَصِّلُ عَقِيَانَهَا
 وَمُسَمِّعَةٌ ^(٣) مثل شمس الضحى أَضَافَتْ إِلَى الْحَسَنِ إِحْسَانَهَا
 وراقصةٌ رَقَصَتْهَا لُحُونِ عَرَّوْضُ تَقْيِيدُ أَوْزَانَهَا
 ولما طوى الليلُ ثوبَ النهارِ وَجَرَتْ دِيَاكِجِهَ أُرْدَانَهَا
 جلونا غرائسَ مثل اللجينِ صلعنا من النار تيجانها
 / وصاغتْ مدامعها خِلْيَةً عَلَيْهَا تَوْشِجُ جُبْمَانَهَا
 رماحاً من الشمع تفرى الدجى إِذَا صَقَلَّ اللَّيْلُ خُرْصَانَهَا
 بها ما بأفئدةِ العاشقينِ فليستْ تَفَارُقُ نِيرَانَهَا
 وقد أشبهتْ رُقْبَاءَ الحبيبِ فَا يَدْخُلُ الْغُنْصُ أَجْفَانَهَا
 وفيها دليلٌ بَأَنَّ النَفْوِ سَنَ تَبْقَى وَتُذْهِبُ أَبْدَانَهَا

[٤٥ ط]

(١) العاتق : الحُر وسيفسرها هو بنفسه .

(٢) يريد نعى حلبة .

(٣) السمعة : المغنية .

ومن شغره ما أورده أخوه في (الجنان) وهو قوله :

لم تنل بالسيف في الحرب إلا مثلنا نلت باللواخط منّا
وعيونُ الظبّا ظبّا وبهذا سُميَ الجفنُ للتشابه جفنا

وقوله :

وقد أنكروا قتلى سيف لحاظه ولو أنصفوني ما استطاعوا له جحدا
وقالوا دج الدعوى فما صحَّ شاهدُ عليها ولسنا تقبلُ الكفَّ والحدّا
ولو كان حقّا ما تقبّلُ وتدعى على مقلّتيه غاد تزجتها وردا
وما علموا أن الحسام يسّكه دم القرن يوما عدّ أمضى الظبّا حدّا

وقوله :

لقد طال هذا الليل بفد فراقه وعنهى به لولا^(١) التراق قصيرُ
وكيف أوجي الضبحَ بقدّم وقد توكّلت شمسٌ منهم^(٢) وبدور

وقوله :

[٤٦ و] / ليت شعري كيف أنتم بقعدنا أترى عندكم ما عندنا
بتّم والشوق غنا لم يين وظننتم والأسى ما ظننا

ومنها :

قل لسرورين بالبين - وقد شقنا من أجلمن ما شقنا -
لم يين قط علينا بقدكم مثلنا هان عليكم بقعدنا
ولقد كنّا نمرى النفس لو كنتم قبل التناى مثلنا
لم تبالوا إذ زحلّتم غلوة أي شيء صنّع الدهر بنا

(١) في القواف : قبل . (٢) في القواف : بعدهم .

سهرت أجبانتنا^(١) بعدكم
لا رأت عين رأت من بعدكم
ومنها:

وأخذوا العين بطيف مثلما
تخدع القلب أحاديث النني
وقوله:

ويا عجبا حتى النسيم يخونني
تصله سلمى إلينا سلامها
وقوله من قصيدة:

أترى بأى وسيلة أتوسل
أشكو وجوزكم يزيد وما الذى
إن أصبغت عيني لدعى متها
لم تجملوا بى فى الهوى فجملوا^(٢)
يغنى التميم أن يقول وتعلموا [٤٦ ظ]
فالعين فى كل اللغات المنهل^(٣)

وقوله فى المديح من قصيدة:

عصدت الندى بالبأس تقضى على العدا
سحاب جود فى يديك تضمنت
إذا ما عصت أمرا لمن قلوبهم
سيوفك ، أو تقضى عليك الكارم
صواعق ظنوا أنهم صوارم
ضلالا أطاعت أمرهن الجلام

ومنها:

وغر على غر جيد كأنما
قوائمها يوم الطراد قوادم^(٤)

(١) فى الأصل: أجبانتكم .

(٢) تجميل : بتشديد اللام تكلف الجليل ، ولم تجميلوا : أى لم تصنعوا الجليل .

(٣) هنا تورية واضحة .

(٤) قوائم الطير : مقادير ريشه وهى غير فى كل جناح .

إذا ابتدروا في مَأْقِطٍ ^(١) فَرِحَتْ بِهِمْ صدورُ للذاكي ^(٢) والقنا والصوارم
ومنها في صفة السهوف :

تريك بروقا في الأكف تدلنا على أَنَّ هاتيك الأكف غمام
ومنها في صفة الرماح :

ويُثَرِّ عوَالٍ زَيْنَتْهَا أَكْثُهُمْ • قَدَّ حَسَدَتْ مِنْهَا الْكُحُوبُ الْإِهَادُ ^(٣)
إذا عَقَلُوهَا خِلْنَهُمْ مُتَوَشَّحِي سَاوِخٍ وَفِي الْإِيمَانِ مِنْهُمْ أَرَاقِمُ
تَلُوحُ نَجُومًا ، فِي النُّجُورِ غُرُوبَهَا إِذَا جَنَّا لَيْلٌ مَعَ النُّعْرِ قَاتِمُ
ومنها في المدح :

إِذَا ضَلَّتْ قَالَ الدِّينُ وَالْمَدْلُ : مُنْصَفٌ فَإِنْ جُدَّتْ قَالَ الْجُودُ وَالْمَالُ : ظَالِمٌ

[٤٧ و] / وقوله : ١٠

مَالُهُ مِنْ فَتْكَ رَاحَتِهِ كَأَعَادِيهِ عَلَى وَجَلٍ
أَبْدًا تَلُو مَوَاهِبُهُ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ^(٤)

وقوله في الوزير رضوان ^(٥) بن ونطشى :

إِذَا قَابَلَتْهُ مُلُوكُ الْبَلَاءِ دِخَرَتْ عَلَى الْأَرْضِ تَيْجَانُهَا
وَلِلَّهِ فِي أَرْضِهِ جَنَّةٌ بِمَصْرَ وَرِضْوَانُ رِضْوَانُهَا

١٠

(١) المَأْقِط : ميدان القتال .

(٢) للذاكي : من الحيل التي أتى عليها بعد قروحها بسنة أو سنتان .

(٣) الإِهَادُم : الأحمالي .

(٤) هذا الشطر اقتباس من القرآن الكريم .

(٥) هو رضوان بن ونطشى وزير المحافظ (٥٢٤ — ٥٤٤ هـ) وقد قتل عام ٥٤٣ هـ

إذ استولى على شئون الدولة وحجر على المحافظ فدى عليه السودان فقتلوه (النجوم الزاهرة

وقوله من قصيدة في المدح :

وَقَبِلَ كَفِّكَ — لَازَلْتَ مُقَبَّلَةً — ما إن رأينا سحابًا قطره بِدَرٍّ^(١)
أَحْيَتْ وَأَرَدَتْ فَنِ أَنْوَاتِهَا أَبَدًا صوبُ الندى والردى فى الناسِ مُنْهَمِر
أُعَيْتَ صِفَاتِكَ فَكَرَى وَهَى وَاضِحَةٌ كالشمس يَعْجِزُ عن إدراكها البَصَرُ

• وقوله من قصيدة :

جَمَعَ النُفُيَّاتِلَ كُلَّهَا فَكَأَنَّمَا أَصْحَى لِشَخْصٍ لِّلْكِرَامَاتِ مِثَالًا
مَا كَانَ يُبْقَى عِدْلُهُ مُنْظِلًا لَوْ كَانَ يُنْصِفُ جُودُهُ الْأَمْوَالَ
لَا يَرْضَى فِي الْجُودِ سَبَقَ سَوَالِ مَنْ يَرْجُوهُ حَتَّى يَسْبِقَ الْأَمَالَ

وقوله من المراتى فى كبير ، عَقِبَ مَوْتُهُ نُزُولُ مَطَرٍ كَثِير :

١٠ / يَنْفَسِ مِنْ أَيْكِي السَّمَوَاتِ مَوْتُهُ^(٢) بَغِيثٌ ظَنَنَاهُ نَوَالٍ يَمِينِهِ [٤٧ ط]
فَمَا اسْتَمْتَرَتْ إِلَّا أُمِّي وَتَأَشُّفًا وَإِلَّا فَاذَا الْقَطَرُ فِي غَيْرِ حِينِهِ ؟

وقوله :

فَإِنْ تَكُ قَدْ غَاضَتْ بِجُودٍ أَكُفِّكُمْ عَيُونٌ ، وَفَاضَتْ بِالْدموعِ عَيُونُ
وَعَانَتْكُمْ — وَالْدهرُ يُرْجَى وَيُتَّقَى — حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَبْقَى وَتَخُونُ
فَلَا تَيَاسُوا إِنْ الزَّمَانُ صُرُوفَةٌ وَأَحْدَاثُهُ مِثْلُ الْحَدِيثِ شُجُونُ ١٠

وقوله من قصيدة :

هُوَ الدَّهْرُ ، فَانْظُرْ أَيَّ قَرْنٍ تَحَارِبُهُ وَقَدْ دَهَمْتَنَا دُهُمُهُ وَأَشَاهِيهِ^(٣)
لِيَالٍ وَأَيَّامٍ يُتَرَّى بِهَا الْوَرَى وَمَا هِيَ إِلَّا جُنْدُهُ وَكُتَابُهُ

(١) البير : جمع بيرة وهى البصرة من القنود .

(٢) فى القوافى ومعجم الأدباء : قبحه .

(٣) يريد الليال والأيام على التشبيه بالجيل .

ومنها :

وما تُثْمُهُ غيرُ الكرامِ كأنما منافعُهُم — عند الفَخَارِ — مثالبُهُ

ومنها :

لقد غابَ عن أفقِ الملا كلُّ ماجِدٍ إذا ذكُرَتْهُ النفسُ بثُّ كَأَنِّي
أَسِيرُ عِدًّا سُدَّتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ ولم يَلِكْ سَاهَرْتُ أَنْجُمُ أَقْيَمِهَا
إِذَا غَابَ عَنِّي كَوْكَبُ لَاحِ صِلَاحِهِ يطولُ عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّمَا
مُشَارِقُهُ لِلنَّاطِرِينَ مَغْيِبَارِهِ وقد أَسْلَمَ الْبِدْرُ الْكَوَاكِبَ لِلدَّحِي
وَفَاءَ لِبَيْدِرٍ أَسْلَمَتْهُ كَوَاكِبُهُ [٤٨ و] / يُخَيَّلُ لِي أَنَّ الظَّلَامَ عِجَاجُهُ (١)
وَأَنَّ النُّجُومَ السَّارِيَاتِ مَوَاكِبُهُ وَأَنَّ الْبُرُوقَ اللَّامِعَاتِ سَيُوفُهُ
وَأَنَّ الْغَيُوثَ الْهَامِعَاتِ (٢) مَوَاهِبُهُ ١٠

ومنها :

قلْ لِلْيَالِي بَعْدَ مَا صَنَعْتُ بِنَا أَلَا هَكَذَا فَلْيَسْلُبِ الْجَدَّ سَالِبُهُ
وقوله في العتاب والمجاء من قصيدة :
خَلِيلٌ إِنْ ضَاقتْ بِلَادٌ بِرُخْبِهَا ورأى فَمَا ضَاقَ الْفَضَاءُ أَمَامِهَا
يُظَنُّ رِجَالٌ أَتَى جِثْتُ سِبَاثِلَا فَأَسْخَطَنِي أَنْ جَابَ فِيهِمْ رِجَالِيَا
وَمَا أَنَا مِمَّنْ يُسْتَفَرُّ بِمَطْمَعٍ فَيُخَلِّفُهُ مِنْهُ الَّذِي كَانَ رَاجِيَا
وَلَكِنِّي أَصْفَيْتُ قَوْمًا مَدَامَنِي فَأَصْبَحَ لِي تَقْصِيرُ قَوْمِي هَاجِيَا
فَإِنْ كُنْتُ لَا أَلْقَى عَلَى اللَّعْنِ سَاخِطًا كَذَلِكَ لَا أَلْقَى عَلَى الْبَذْلِ رَاضِيَا
عَاسَنُ لِي فِيهِمْ كَثِيرٌ عَدِيدُهَا وَلَكِنِّهَا كَانَتْ لِيهِمْ مَسَاوِيَا

تَقَالِدُهُمْ مِنْ دُرٍّ نَحْرَى قَلَانِدًا وَلَوْ شِئْتُ عَادْتُ عَنْ قَلِيلٍ أَفَاعِيَا وَمِنْهَا :

وَلَوْ كُنْتُ أَنْصَفْتُ لِلدَّائِحِ فِيهِمْ لَصَيَّرْتُهَا لِلْكَرْمِينِ مِرَاثِيَا وَقَوْلُهُ :

لَا تَرْجُ ذَا نَقْصٍ ^(١) وَلَوْ أَصْبَحْتُ مِنْ دُونِهِ فِي الرِّبَةِ ۚ الشَّمْسُ كَيَوَانُ ^(٢) أَعْلَى كَوْكَبٍ ^(٣) مَوْضِعًا وَهُوَ — إِذَا أَنْصَفْتَهُ — نَحْصُ وَقَوْلُهُ فِي ذِمِّ الزَّمَانِ :

كَمْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الدَّهْرَ ذَوِ غَيْرٍ فَالْيَوْمَ بِالْخَبَرِ أَسْتَغْنَى عَنِ الْخَبَرِ

وَمِنْهَا :

١٠ تَشَابَهَ النَّاسُ فِي خَلْقٍ وَفِي [خَلْقٍ] ^(١) تَشَابَهَ النَّاسِ وَالْأَصْنَامُ فِي الصُّوَرِ وَلَمْ آيْتِ قَطُّ مِنْ خَلْقٍ عَلَى ثِقَةٍ إِلَّا وَأَصْبَحْتُ مِنْ عَقْلِي عَلَى غَرَرٍ ^(٢) لَا تَخْدَعُنِي بِمِرْيَةٍ وَمُسْتَمْعٍ فَمَا أَصْدَقُ لَا سَمْعِي وَلَا بَصَرِي وَكَيْفَ آمَنُ غَيْرِي عِنْدَ نَائِبَةٍ يَوْمًا إِذَا كُنْتُ مِنْ نَفْسِي عَلَى حَذَرٍ تَأْتِي الْمَكَارِمُ وَالْجُدُّ لِلْمُؤْتَلُّ لِي مِنْ أَنْ أَقِيمَ ۚ وَأَمَالِي عَلَى سَقَرٍ ١٥ إِنِّي لِأَشْهَرُ فِي أَهْلِ الْفَصَاحَةِ مِنْ شَمْسٍ وَأَسْبَرُ فِي الْآفَاقِ مِنْ قَمَرٍ

(١) فِي الْقَوَاتِ : نَحْصٌ .

(٢) كَيَوَانٌ — فِي رَأْيِ الْعَرَبِ كَمَا قَدِمْنَا — أَبْهَدُ الْكَوَاكِبِ عَلَوًا وَفِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ يَجْعَلُونَهُ كَوْكَبَ النَّحْصِ وَالشُّؤْمِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ كَوْكَبًا .

(٤) سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَسْلِ وَالْآيَاتِ غَيْرُ مُوجُودَةٍ فِي الْمَرَاجِعِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا وَقَدْ زِدْنَا الْكَلِمَةَ مَلَامَةً لِلِسِّيَاقِ .

(٥) الْغَرَرُ : الْخَطَرُ .

وسوف أزمى بنفسى كلَّ مهلكة
تَسْرِى بها الشهبُ إن سَارَتْ على خَطَرٍ
إِنَّمَا الْعَلَا ، وإليها مُنْتَهَى أُمْلَى
أو الرَّدَى ، وإليه مُنْتَهَى الْبَشَرِ
وقوله :

لا تُنْكِرَنَّ مِنَ الْأَنَامِ تَفَاوُنَا
إِذْ كَانَ ذَا عَبْدًا وَذَلِكَ سَيِّدَا
فَالنَّاسُ مِثْلُ الْأَرْضِ مِنْهَا بُقْعَةٌ
تَلْقَى بِهَا خَبْنًا وَأُخْرَى مَسْجِدًا •
وقوله :

ومن نكد الأيامِ أَنِّي كَمَا تَرَى
أُمِنْتُ عِدَاتِي ثُمَّ خِفْتُ أَحِبَّتِي
أُكَابِدُ عَيْشًا مِثْلَ دَهْرِي أَنْكَدَا
لَقَدْ صَدَقُوا ، إِنَّ الثَّقَاتِ هُمُ الْعِدَا

[٤٩ و] / ومن شعره في عدة فنون قوله :

لا تَطْمَعَنَّ فِي أَرْضٍ أَنْ أُقِيمَ بِهَا
فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ مِنْ نَسَبٍ ١٠
حَيْثُ اغْتَرَبْتُ فَلَئِنْ عَفَّتْ وَطَنُ
أَوَى إِلَيْهِ وَأَهْلُهُ مِنْ ذَوَى الْأَدَبِ
لَوْ لَا التَّجَنُّلُ أَغْيَا أَنْ يَبِينَ عَلَى
بَاقِي الْكُؤُوبِ فَضْلُ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
وقوله في شمة :

ومصفرية لا عن هَوَى غَيْرِ أَنَّهَا
تَحْوِزُ صِفَاتِ الْمُسْتَهَامِ لِلْعَذَبِ
شَجُونًا وَسُقْمًا وَاصْطِبَارًا وَأَدْمَعًا
وَحَقَّقًا وَتَسْهِدًا وَفِرَاطًا تَلَهَّبُ ١٥
إِذَا جَمَّسَتْهَا ^(١) الرِّيحُ كَانَتْ كِمَعَصِمٍ
يَرُدُّ سَلَامًا بِالْبَنَانِ الْخَضَبِ
وقوله :

لئن زادني قُرْبُ الْلَزَارِ تَشَوُّقًا
لِقِيَاكَ ، آذَى فِعْلُهُ عَدَمُ الْحَسِّ
فأنا إلا مثْلُ سَاهِرٍ لَيْلَةٍ
بدا الفجرُ فازداد اشتياقًا إلى الشمسِ

(١) التجيش : اللامعة والغازلة .

٢٢ - القاضي أبو الفتح محمود* بن إسماعيل بن صمير القهرى

وَأَصْلُهُ مِنْ دِمَاطٍ وَذَكَرَهُ أَبُو الصَّلْتِ فِي رِسَالَتِهِ وَقَالَ : محمود بن إسماعيل
الدمياطى كاتبُ الإنشاء بالحضرة المصرية . قال القاضي الفاضل توفى سنة إحدى
وخمسين ، وأنشدني له أشعارًا بحكمة النسيج / كالدُرِّ في الدرّج . علق بحفظي من [٤٩ ط]

قصيدة هائية هذا البيت :

أَثَرُ الشَّيْبِ بِقَوْدِهِ وَفُؤَادِهِ الْجَاهُ أَنْ يَبْنَى لِسِيهَا الْجَاهَا
وَأَنْشَدَنِي لَهُ فِي ابْنِ الزَّيْبِرِ وَكَانَ أَسْوَدَ :

يَأْشِبُهُ لِقَانُ بِلَا حِكْمَةٍ وَخَاسِرًا فِي الْعِلْمِ لَا رَاسِخَا
سَلَخْتُ أَشْعَارَ الْوَرَى كُلِّهِمْ فَصَرْتُ تُدْعَى الْأَسْوَدَ السَّائِخَا
وَأَنْشَدَنِي الْأَمِيرُ مَرْهَفُ بْنُ مُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ أَسَامَةَ بْنَ مَنْقِذِ الْأَبَى الْفَتِيحِ
ابْنِ قَادُوسٍ فِي رَجُلٍ كَانَ يُكَبِّرُ كَثِيرًا فِي الصَّلَاةِ :

وَقَاتِرِ النَّيِّبَةِ عَيْنَيْنِهَا مِنْ كَثَرَةِ الرَّغْدَةِ وَالْمِرْزَةِ
مُكَبِّرِ سَبْعِينَ فِي مَرَّةٍ كَأَنَّهُ صَلَّى عَلَى خَمْرَةٍ

وَأَنْشَدَنِي قَوْلَهُ أَيْضًا :

وَلَا تَمِ يَوْمِي يَوْمِي يَرِيدُ مِنِّي تَوْبَتِي
يَقُولُ لِي : لِلْوَتِّ غَدَا قُلْتُ : هَذَا حُجَّتِي

وَأَنْشَدَنِي قَوْلَهُ أَيْضًا فِي طَيْبٍ :

عَلَيْهِ مِنْهُ عَلَى حَالِي خَسَارٍ يَحْصُلُ
تُؤْخَذُ مِنْهُ دِيَةٌ وَبَعْدَ هَذَا يُقْتَلُ

(*) في حسن المحاضرة للسيوطي ٣٢٤/١ : كاتب الإنشاء بالديار المصرية وشيخ القاضي
الفاضل وكان يسميه ذا البلاغتين

[١٣٥ و] / وأنشدني قوله في المهجو :

قد كنتَ علقاً نفيّاً سمحاً تجودُ بنفسك
إذْ جاءكُ الحظُّ فافخرْ على أبنائكُ جنسك
وإنْ تذكرَ قومُ حديثَ أمسِكَ أمْسِكَ

وله من قصيدة :

قَمَ قَبْلَ تَأْذِينَ النَوَاقِسِ وَأَجَلُ عَلَيْنَا بِنْتَ قَسِيْسٍ
عَرُوسَ دَنْ لَمْ يَدْعَ عِتْمَتُهَا إِلَّا شُعَاتًا غَيْرَ مَلُوسِ
تُجَلِّي عَلَيْنَا بِاسْمَا تُعْرِهَا فَلَا تَقَابِلُهَا بَتَقِيْسِ
مُذْهَبَةُ اللَّوْنِ إِذَا صُقِّقَتْ مُذْهَبَةُ اللَّحْمِ وَالْبُوسِ
نَارُ إِلَى النَّارِ دَعَا شُرْبُهَا وَشَرَّدَتْ بِالْعَقْلِ وَالْكَيْسِ
لَا غَرَوَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ رِيَّةٍ لِأَنَّهُمَا عُنْصُرُ إِبْلِيسِ
لَيْسَ لَهَا عَيْبٌ سِوَى أَنَّهَا حَسْرَةُ أَقْصَامِ مَفَالِيسِ
فِي رَوْضَةٍ كَانَتْ أَزَاهِيرُهَا كَأَنَّهَا رِيشُ الطَّوَاوِيسِ
فَاغْنَمِ الْإِلْدَاتِ فِي دَوْلَةٍ صَافِيَةٍ مِنْ كُلِّ تَفْكِيسِ
بَقِيَتْ فِي عَمْرِ فَسِيحِ الْمَدَى مِنْ كُلِّ مَا تَحْذَرُ مَحْرُوسِ

وله من قصيدة :

خَلَعْتُ عُدَارِي وَالْتَقَى فِي هَوَاكُمُ فَأَصْبَحْتُ فِيكُمْ مُعْجَبًا بِذَنُوبِي
/ وَمَا مِثْلُ هَذَا الْحَبِّ يُحْمَلُ بَعْضُهُ وَلَكِنْ قَلْبِي فِي الْهَوَى كَقُلُوبِ

وله :

لَمَّا تَعَلَّقَ ظِلْيُومَةُ رُودًا^(١) وَظِلْيَا أَهْيَفَا^(٢)

(١) الرود: الشابة الحسنه . (٢) أهيف : ذو هيف ، وهو ضمور البطن ورقة الحاصرة.

وتألفا بفؤاده صار الفؤاد ^(١) مُصَحَّفاً

وله :

وليلةً كاضٍ الطرفِ قَصَرَهَا وصلُ الحبيبِ ولم تُقْصِرْ عَنِ الْأَمَلِ
يَتَنَكَّرُ نَجَازِبُ أَهْدَابِ الظَّلَامِ بِهَا كَفَّ الْمَلَامِ وَذَكَرَ الصَّدِّ وَاللَّلِ
وَكَلَّا رَامَ نَطْقًا فِي مَعَاتِبِي سَدَدْتُ فَاهُ بِطَيْبِ اللَّثْمِ وَالْقُبُلِ
وَبَاتَ بَدْرُ تَمَامِ الْحُسْنِ مُعْتَنِقِي وَالشَّمْسُ فِي فَلَكِ الْكَاسَاتِ لَمْ تَقِلِ

ومنها البيت الذي سار له :

فبتُّ منها أرى النَّارَ التي سَجَدْتُ لها المَجُوسُ ، من الإِبريقِ تَسْجُدُ لِي
رَاحٌ إِذَا سَقَاكَ التَّدْمَانُ مِنْ دَمِهَا ظَلَّتْ تَهْفُهُ فِي الْكَاسَاتِ مِنْ جَذَلِ
قُلٌّ لِمَنْ لَمْ يَهْمَ فِيهَا إِنِّي كَلِفٌ مُعْرِى بِهَا مِثْلُهَا أَغْرَيْتَ بِالْعَذَلِ

وله :

أَأَحَدُكُمْ لَكَ عِنْدِي يَدٌ كَمَا انْبَعَثَ الْمَاءُ مِنْ جِلْدِ
قَصَرْتُ عَلَى شُكْرِهَا مَنْطِقًا رَطِيبَ اللِّسَانِ نَدَى ^(٢) النَّدَى ^(٣)
فَلَا تَقَطِّعْتَهَا فَإِنِّي أَخَافُ تَطْطِيرُ قَوْمٍ بِقَطْعِ الْيَدِ

[١٣٦ و]

/ وأنشدني الأمير مرهف بن أسامة بن منقذ له :

أَكْرِمْ بَقْلِي لِلْأُحْيَةِ مَنْزِلًا رَبِّعُوا ^(٤) بِهِ أَمْ أَرْمَعُوا مُتَرَحِّلًا
جَادَتُهُ أَنْوَاهُ الدَّمُوعِ فَا أَعْتَدِي يَوْمًا لِنَيَّاتِ الْحَيَا مُتَحَمِّلًا
حَفَظِي لِعَهْدِ الْغَادِرِينَ أَضَاعَ لِي قَلْبًا أَقَامَ غَرَامُهُ وَتَرَحَّلًا

(٢) في الأصل : ند .

(٤) ربوا به : وقوا .

(١) تصحيفه فؤاد .

(٣) الندى : الصوت .

- لا يَبْعُدَنَّ زَمَنٌ مَضَى لَوْ تُشْتَرَى سَاعَاتُهُ بِالْعَمْرِ أَجْمَعِ مَا غَلَا
أَيَّامُ أَغْصَانِ الْقُدُودِ ، قُطُوفُهَا تُجْنَى ، وَأَقَارُ الْمَلَاةِ تُجْتَلَى
ومَهْفُفٍ لَوْلَا سَهَامُ جُفُونِهِ تُصْنَى لِأَدْرَكَ عَاشِقٌ مَا أَمْلَا
كَالْبَدْرِ وَجْهًا وَالْعُزَالِ تَلْقُتَا وَالحِيفُ ^(١) رَدَقًا وَالْقَضِيبَ تَمِيلَا
وَيَكَادُ مِنَ طَيْبِ الْمُقْبَلِ يَنْثَنَى عود الأراك من الثنايا مُبْدِلَا
إِنْ كَانَ يَحْكِي الْبَدْرَ وَجْهًا إِنَّهُ يَحْكِيهِ أَيْضًا فِي الْبُرُوجِ تَنَقَّلَا
وَلَقَدْ أُدِيلُ مِنَ الصَّبَابَةِ هَمِي وَأَشِيمُ ^(٢) مِنْ شَيْبَى عَلَيْهَا مُنْصَلَا
وَأَصُونُ عَقْدَ بِلَاغَةٍ نَظْمَتُهُ عَنْ أَنْ يُرَى بِسُورَى عُلَاكَ مَقْصَلَا
يَا مِنْ تَسَاوَتْ فِي الْعِلَا أَقْسَامُهُ وَسَمَا بِهِمْتُهُ فَكَانَ الْأَفْضَلَا
أَرْضٌ سَعَتْ قَدَمَاكَ فِيهَا لَا تَزَلْ لِنَدَى الْمَالِكِ قَبْلَهُ وَمُتَبَلَا
وَنَدَاكَ ، كُلُّ مُؤْمِلٍ مَا أَمْلَا إِلَّا تَجَهَّمُ لِلْعُفَاةِ وَأَمْلَا
مَلِكٌ يَلَاقِي الطَّيْفَ وَهُوَ مُدْرَعٌ حَزْمًا ، وَيَقْتَنَصُ الْفَوَارِسُ أَعْرَا

/ وَأَشْدَنِي أَيْضًا لَابْنُ قَادُوسٍ فِي الرَّشِيدِ بْنِ الزَّيْبِرِ وَكَانَ أَسُودَ :

[١٣٦ ظ]

- إِنْ قُلْتَ مِنْ نَارٍ خِلَةٌ تَوَقَّتْ كُلَّ النَّاسِ فَهَمَا
قُلْنَا صَدَقْتَ فَمَا الَّذِي أَطْفَاكَ حَتَّى صِرْتَ فَمَا ؟

وله :

- مَلِيكَ تَذِلُّ الْحَادِثَاتُ لِعِزِّهِ يُعِيدُ وَيُيَدِي وَالْيَالِي رَوَاغُمُ
وَكَمْ كَرِيهٍ يَوْمَ الزَّالِ تَكْشَفَتْ بِحِمْلَانِهِ وَهِيَ الْعَوَاشِي النَّوَاشِمُ
تَشِيدُ بِنَاءَ الْحَمْدِ وَالْجَدِّ بَيْضُهُ وَهَنَّ لَأَسَاسِ الْهُوَادَى هَوَادِمُ
رَفَاقُ الطُّبَا تَجْرِي بِأَجَالِ ذِي الْوَرَى وَأَرْزَاقِهِمْ ، فَهِيَ الْقَوَاسِي الْقَوَاسِمُ

(٢) شام سَيْفُهُ : أَسْتَلَّهُ .

(١) الحيف : الموج من الرمل .

[ومن قصيدة] في صفة زاهد :

إذا قَامُ السيف اثْنِي فِي مُلْكَةٍ عن الفعل أغنى وحده وهو قائم
فأَصْدَرَتْ عن موردِ النفس خِلَتَهَا بأغناها وهي العواري العوارم
ومنها مخاطباً للزاهد :

صحائفُ أعداها الشباب بصيغة فهل أنت ملح ما تخطئ المآثم

ومن محاسن ابن قادوس ، في شعره العلق بالنفوس ، ما استخرجته من ديوانه

قوله في صفة كتاب :

مدادُهُ فِي الطُّرْسِ لَمَّا بَدَا قَبْلَهُ الصَّبُّ وَمَنْ يَزْهَدُ
كَأَمَّا قَدْ حَلَّ فِيهِ اللَّيْ أَوْ ذَابَ فِيهِ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ

[١٣٧ و]

١٠ وقوله :

مَنْ عَازَى مِنْ عَازِلٍ يَلُومُ فِي حُبِّ رَشَا
إِذَا نَكِرَتْ حُبُّهُ قَالَ كَفَى بِالْذَمِّ شَا
أى شاهد .

وقوله في صبي لم يدرك :

سَالِمُ الْفَكْرِ مِنْ تَخَالُجِ شَكِّ مُضْبِحُ الرَّأْيِ فِي اللَّمِّ الْبَهِيمِ
يُوجِئُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ مِنْ الْخَلِّ طَّ بَلْفَظٍ كَشَرَاتِ النَّجْمِ

وله من قطعة :

لَقَدْ كَانَ جَامِي عَرِيضًا بِكُمْ فَلِمَ صَارَ كَالْخَطِّ لَا عَرَضَ لَهُ
وَكَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ مَشْكُورَةٍ وَمَالِي فِيهَا وَلَا أُنْزَلَةٌ

وقوله في ابن اللّاني للمرى :

هذا ابن علّانيكمُ ، شِئْرُهُ ينوب في الصيف عن الخيشِ
إن لم يكن مثل امرئ القيس في أشجاره فهو امرؤ القيشِ

وله في أظفٍ :

وقيتَ قصاك من وقع القوافي وألغازٍ خفافٍ كالخفافِ .
متى تُرجى لنفجٍ أو لدفعٍ وقلبك مثل ... في غلافٍ

[١٣٧ ط] / وله :

لام العواذل مغرماً في حبٍّ مُلهيةٍ وقينةٍ
ولو أنهم رأين تأ ثيرَ الغرام به وقينةٍ

٩٠

وله في مرثية :

يا نجمةً هي في الجنانِ مَسْرَّةٌ لقدومه تختال في غُرَقَاتِهَا
إن كان في الدنيا عليه ماتمَّ فأراه عُرسَ الحورِ في جَنَاتِهَا

وله :

يا من يكرُّ على جريحٍ اللحظ منه مُجْهِزٌ^(١)
ديباج خديبه بسندُسٍ عارضته مَفْرُوزٌ^(٢)
ويجذِّه خالُّ لدا نيرةً للملاحِ مَزَكْرُ
قل لي ولحظك صايرٌ في أيّ دِزَعٍ أْبْرُزُ
أبدأً بسُلطانِ الجا ل وبالهموى يَجْمَزُ

١٥

(١) مجهز : من أجهز عليه أي قضى . (٢) ثوب مفروز : له تطاير

ويقول غِرٌّ بالتجنى وهو فيه مُهَرَّزٌ
وَيُسَوِّمُنِي مَا لَا يَجُو زُنُ الْأَذَى فَاجُورُ
لولا الوزيرُ وعدله لم يُغْنِ فيه تَحَرُّزُ
عدله بِنَفِيضِ وهمة تَنْهَى العذولَ وَتَحْجِزُ

وله :

[١٣٨] يا أَسْرَحًا أَرْمَدَ الْعَيْنِ مِنْ دَمَاءِ الْجِرَاحِ /
يقول طرفي شاكٍ صدقت ، شاكٍ^(١) السلاح
وله يهجو شاعراً :

لو كان ينصفُ حين يَنْشِدُ شعْرَهُ وَنَطَأَ اللَّلا
صَفْعُوهُ عِدَّةَ كُلِّ حَرْزٍ فِي فِيهِ لَكِنْ جَمَلًا^(٢)
وله يهجو :

إذا قال لا يمدو كلامَ ابنِ فاعِلٍ على أَنْ تَحْضَ الْجَمَلُ حَشْوُ دِمَاجِهِ
وليس كلاماً ما يقول وإنما يحجب الصدا من رأسه من فراغه
وله في جارية سوداء :

وعاذلٍ محضلٍ مجتهدٍ في عَذَلِي ١٥
يلومني في ظليمة مخلوقة من كحل
إن السَّوَادَ عَلَّةٌ من نورٍ هذى للقل
والحجرُ الأسودُ لم يُخْلَقْ لنِيرِ الْقُبُلِ
والقارُ—مذ كان—وعا السلسبيلِ السَّلْسَلِ

(١) شاكٍ السلاح : له شوكة وحدة في سلاحه .

(٢) غائب الجمل : هدير الحروف المبهجة بأرطام تختلف باختلاف الحروف .

وله :

فإن عدتُ إلى وِصلِكَ فالأُطافُ مَرَجُوةٌ
وإن لَجَّ بِكَ الهجرُ فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ

[١٣٨ ظ] / وله :

حواله اليومَ أناسٌ كُلُّهُمْ يُرْهِى بَرَأئِهِ
وهو مثلُ الماءِ فيهِمْ لَوْنُهُ لَوْنُ إِيَّائِهِ

وله :

ابنُ فلانٍ رجلٌ صالحٌ فامْتَحِنُوهُ وأَقْبِلُوا رَأْيِي
ارموهُ في البحرِ لِكى تَنْظُرُوا فَإِنَّهُ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ

وله في ذم السواد :

أَهْوَنُ بِلَوْنِ السَّوَادِ لَوْنًا مَا فِيهِ مِنْ حُجَّةٍ لِنَاسِبٍ
لَسْتُ تَرَى مُجَرَّةً تَخْدِي فِيهِ وَلَا خُضْرَةً لشارِبٍ

وله في فرس يستعمل في الماء :

أَرَدْتَهَا تَنْتَقِي وَقَدْ كَلَّمْتُهَا بِالْمَاءِ قُوْتًا

لَكِنْ لَشِدَّةٍ ضَعِفَهَا مَا كَانَ فِيهَا أَنْ تَمُوتَا

وله يهجو :

عِرْسُ هَذَا الْفَعِيلِ مَذْ غَرَسِ النَّا كُهُ فِيهَا . . . وَهِيَ مُبَاخَةٌ
أَمَرْتُ رَأْسَهُ قَرُونًا طَوَالًا إِنَّ هَذَا لَمِنْ غَرِيبِ الْفَلَاخَةِ

وله :

يقظانُ ملتهبُ الندَى فكأنه مُغرَى بِاتلافِ النَّصارِ مُسَطَّ
ومن شعره ^(١) :

ذو عارضٍ كالغرابِ لونا وشاربٍ مثل ريشِ بيَنا
وله يهجو أنفاً كبيراً :

أنفُ الشريفِ دونه الآنافُ كأنما الدنيا له غِلافُ
ومن شعره :

قل لمن قد مَحَضَتْهُ خالصُ الحبِّ فلم يَجْزِنِي على قدرِ حُبِّي
قد قَنَعْنَا بمنظرٍ يُطْفِئُ الوجَدَ ولَقَطِ بُلْهَى الفؤادِ وَيُصَيِّ
١٠ ما أَحَبُّ الوصالَ إِلَّا لهذا فبقلبي أجكم لا
وله في رجل كبير الأنف :

عليك لا لك أنفٌ ظلَّ مُشْتَرِفاً حتى غداً بنجومِ الأفقِ مُلتَصِفاً
فلا تَقُلْ خلقَهُ الله اذدريتَ بها فقد يعاذُ به من شرِّ ما خلَقا
وله في اللعين :

١٠ كأنه السدُّ الذي يَبْنِنا وبينَ يأجوجٍ ومأجوجٍ
وله في اللعين أيضاً :

ورُبَّ أنفٍ لصديقٍ لنا تحديدهُ ليس بمعلومٍ
ليس على العرشِ له حاجبٌ كأنه دعوةٌ مظلومٍ

(١) هنا في الأصل خرم ، وقد أكلنا الترجمة من مختصر الخريدة .

٢٣ - الموفق أبو الفجاج يوسف* بن محمد المعروف بابن الخلال

هو ناظر ديوان مصر وإنسان ناظره ، وجامع مفاخره ، وكان إليه الإنشاء ، وله قوة على الترسل يكتب كما شاء ، عاش كثيراً وعطل في آخر عمره وأضر ، ولزم بيته إلى أن تعوض منه القبر ، وتوفى بعد تملك الناصر مصر بثلاث أو أربع سنين . وأنشدني مرهف بن أسامة بن منقذ ، قال أنشدني الموفق بن الخلال لنفسه من قصيدة :

عَدَبْتُ لِيَالٍ بِالْعَذِيبِ خَوَالِي وَحَلْتُ مَوَاقِفُ بِالْوَصَالِ خَوَالِي
وَمَضَتْ لِنَادَاتِ تَقْضَى ذِكْرُهَا تُصْنِي الْحَلِيمَ وَتَسْتَهِمُ السَّالِي
وَجَلَّتْ مَوَرَدَةُ الْخُلُودِ فَأَوْتَقَتْ فِي الصَّبُورَةِ الْخَالِي بِحُسْنِ الْخَالِي
قَالُوا سِرَاةُ بَنِي هَلَالٍ أَصْلُهَا صَدَقُوا كَذَاكَ الْبَدْرُ فَرَعَ هَلَالٍ ١٠

وقلت من كتاب جنان الجنان ورياض الأذهان من شعر ابن الخلال قوله :

وَأَغْنَى سَيْفُ الْحَاضِرِ يَفْرَى ^(١) الْحَسَامُ بِمَجْدِهِ
فَضَحَّ الصَّوَارِمَ وَاللِّدَا نَ بَقْدُهُ وَبَقْدُهُ
عَجَبَ الْوَرَى لِمَا حَيَّيْتُ ^(٢) وَقَدْ مَنَيْتُ بِيَعْدِهِ ^(٣)

* سقط أول هذه الترجمة في الحرم المذكور وقد جئنا به من ابن خلكان إذ قل عبارة العهد بلنظها ، ورجعنا إلى المغرب وقد قلها هو الآخر كما رجعنا إلى المختصر بحيث رم النقص هنا . وإن الخلال آخر رؤساء ديوان الإنشاء في العهد الفاطمي ، وتردد في صبح الأعشى رسائل له كما يتردد اسمه . ولم يزل في ديوان الإنشاء إلى أن طعن في السن وعجز عن الحركة وتسلم مقاليد الأمور أسد الدين شيركوه ، فاقطع في بيته ، وتولى الديوان القاضي الفاضل ويقال إنه كان يرعى له حق تخرجه ، إذ كان أستاذة وعلى يديه تخرج في صناعة الرسائل ، فكان يجري عليه كل ما يحتاج إليه إلى أن توفى سنة ٥٦٦ هـ . انظر ترجمته وفيات الأعيان وفي المغرب نسخة الجلاسة الريبة الورقة ١١٣ وشذرات الذهب ٤ / ٢١٩ وحسن المحاضرة ١ / ٣٢٤ .

(١) في ابن خلكان : يفرى (٢) في المغرب : بقيت :

(٣) في المغرب : يصده

وبقاء جسمي ناعلا يضلي بوقدة صده^(١)

/ كبقاء عنبر خاله في نار صفحة خده [١٣٩ و]

وقوله في شمة :

وصيفة بيضاء تطلع في الدجى صبحا وتشفي الناظرين بدائها

شابت ذوائبها أو أن شبابها واسود مفرقها أو أن فناها

كالعين في طبقاتها ودموعها وسوادها وبياضها وضيائها

وقوله في الشمة أيضا :

وصعدة لدنة كالنبر تفتق^(٢) في جنح الظلام إذا ما أبرزت فلقا

تدنو فيخرق برود الليل لهدمها فإن نأت رنق الإظلام ما فتقا

وتستهل بماء عند وقديتها كما تالقي برق النيث فاندقا

كالصب لونا ودمعا^(٣) والتظاوضنا وطاعة وسهادا دائما وشقا

والحب أنسا ولينا وأستوا وشدا وبهجة وطروقا وأجتلا ولقا

وقوله :

أما اللسان فقد أخفى وقد كتما لو أمكن الجفن كف الدمع حين هما

أصبت^(٤) بسهام الحظر مهجته فهل يلام إذا أجرى الدموع دما

قد صار بالسقم من تعذيبكم علما ولم ينبج بالذي من جوركم علما

فما على صامت أبدي لصدكم في كل جراحة منه السقام فما

وقوله في مرثية بالعضات مثرية^(٥) :

/ شيم الأيتام صد بعد ود والليالي عهدا أهون عهد [١٣٩ ظ]

(١) إلى هنا ينتمي النقل من ابن خلكان والمقارنة على غيره مما ذكرناه

(٢) في الغرب : تصبى حكنا في الغرب وفي الأصل : ولما

(٣) في الأصل : مثرية

(٤) في الأصل : مثرية

إِن أَعَانَتْ عَدَلَتْ أَوْ خَذَلَتْ سَلَبَتْ أَوْ وَجَدَتْ رَاعَتْ بِفَقْدِ
 أَفٍّ لِلدُّنْيَا فَكَمْ تَحْدَعُنَا مِنْ حَيَاهَا^(١) بِمُعَارٍ مُسْتَرَدٍّ
 مَا وَقَتْ أَعْوَامُ قُرْبٍ بِالنَّيِّ جَنَّتِ اللُّوْعَةُ مِنْ سَاعَةِ بُعْدِ
 يَا أَخَا النِّرَّةِ حَسْبُ الدَّهْرِ مِنْ عِظَةِ الْمُرُورِ مَا أَصْبَحَ يُبْدِي
 تَوَثُّرُ الدُّنْيَا فَهَلْ نَلَتْ بِهَا لِحْظَةً تَخْلُصُ مِنْ هَمٍّ وَكَدٍّ ٥

٢٤ - الصَّحْبُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْمُؤَدَّبِ

قرأت في مجموع له :

وَأَهْيَفُ كَالْقَضِيبِ مُعْتَدِلًا بَاتَ بَرُوضِ الْجَمَالِ مَغْرُوسًا
 أَثْمَرُ بِالشَّمْسِ وَالظَّلَامِ وَهَلْ يَجْتَمِعُ الصَّبْحُ وَالْحَادِيسَا
 سُمِّيَ بِاسْمِ الْمَسِيحِ وَهُوَ عَلَى ضِدِّ الَّذِي كَانَ فَاعِلًا عَيْسَى ١٠
 فَذَلِكَ يُخْبِي وَذَا بَيْتُ ضَنَا صَبًّا عَلِيًّا لَدَيْهِ لَا يُومَى
 تَحَكُّمٌ فِي النُّفُوسِ يَمْلِكُهَا مِثْلَ سُلَيْمَانَ عَرْشَ بَلْقِيسَا
 يَنْتَقِفُ السَّحَرِ سَحَرُ نَازِرِهِ كَأَنَّمَا لِحْظُهُ عَصَا مُوسَى

وله في ذم العذار :

انْقَعِ غَلِيلَ الْأَمَى بِدَمْعِ تَفْرِحُ أَسْرَابُهُ الْجَفُونَا ١٥
 / مَحَا اسْمَكَ الشَّعْرُ مِنْ خُدُودِ أَثْبَتَتْ فِي صَحْفِهَا شُجُونَا
 مَا دَبَّ فِي عَارِضِيكَ حَتَّى بَذَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ المَصُونَا
 فَلَا عَدَمْنَا اللَّحَى فَإِنَّا بِهَا نَرُوضُ الْفَقَى الْحُرُونَا

[١٤٠ و]

٢٥ - الشريف أبو الحسن

على بن محمد الأفخشى المغربي الشاعر

كنت أسمع التجار من أهل مصر وغيرهم من أهل الشام يصفونه ويُطرونه ،
وعلى من بمصر من الشعراء يقدمونه ، فإذا استنشدتم أحد شعره قالوا ما نحفظه ،
لكننا لقبوله بمصر بعين الفضل نلحظه ، حتى أنشدني الشريف أحمد^(١)
ابن حيدرة الزيدى الحسيني شعره ، فوجدت موافقا لخبره خبره . أنشدني له من
قصيدة في المنبوز بالآمر^(٢) :

سَقَى دِمْنَ السَّقَحِينَ لِلْقَطْرِ صَيِّبُ وَحَيَّا رُبِّي حَتَّى رَبَا فِيهِ رَرْبُ
فَهَلْ لِي إِلَى شَهْدِ اللَّوَاعِسِ مَشْهَدُ وَهَلْ لِي إِلَى شُعْبِ الْأَحَبَّةِ مَسْعَبُ
وَمَا لِي عَنْ شَرَعِ الصَّبَابَةِ مَشْرَعُ وَمَا لِي إِلَّا مَذْهَبَ الْحَبِّ^(٣) مَذْهَبُ
وَفِي الْحَيِّ رُودٌ فِي عَذَابٍ وَرُودَهَا عَذَابُ يُذِيبُ الْعَاشِقِينَ وَيَعْذُبُ
عَلَى نَحْرِهِ يَطْفُو عَلَى الْمَاءِ جَوْهَرُ وَفِي خَدِّهِ تَسْعَى عَلَى النَّارِ قَهْرُ
إِذَا غَرَبَتْ فِي فِيهِ شَمْسُ مُدَامَةٍ فَمَشَرَهَا مِنْ خَدِّهِ حِينَ تَغْرُبُ
بِرُوضِ بَدِيعِ الْحَسَنِ أَمَّا شَقِيقُهُ فَخَذُّ وَأَمَّا الْأَقْوَانُ فَأَشْنَبُ^(٤)
سَمَاءَهُ كَلَّاءَ الْمَاءِ فِيهِ بَجَرَةٌ وَلِلوَرْدِ تَمَسُّ وَالشَّقَاقِ كَوْكَبُ [١٤٠ ظ]

(١) سيرت في العباد فيما بعد وهو مدني الأصل مصري الولد رحل إلى العراق .

(٢) الأمر : السابع من خلفاء مصر الفاطمية تولى من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٤ هـ

(٣) في الأصل : الحد

(٤) الأشنب : الثغر فيه رقة وبرد وعذوبة

كَأَنَّ غَصُونَ الْأَيْكِ عَادَتْ مَنَابِرًا بِهَا وَكَأَنَّ الطَّيْرَ فِيهِنَّ تَخْطُبُ
وَعَنَّتْ عَلَى الْأَوْرَاقِ وَرَقٌ كَأَنَّهَا قِيَانٌ بِأَوْتَارِ الْمَعَازِفِ تَضْرِبُ
بِلِيلٍ مِنَ الْبَدْرِ لِلنَّيْرِ مَفْضَضٍ يُنَاطُ بِهِ شَمْسٌ مِنَ الصُّبْحِ مَذْهَبُ
تَعَسَّفَتْهُ لَمَّا تَنَصَّلَ بِالضُّحَى عَنْ الصَّبْحِ قَوْدٌ بِالظَّلَامِ مُحْضَبُ
وَهَجَرَتْ الرِّمَاضَ وَالْأَلَّ مَاحٍ ^(١) كَأَنَّ عَلَى أَمْوَاجِهَا الْعَيْسَ مَرَكَبُ
وَقَدْ زَجَلَتْ ^(٢) جَنُّ الْقَلَاةِ بِمِمْهٍ إِذَا جِئْتَ مِنْهَا مَسْبَبًا عَنْ سَبَبِ
إِلَى ذُرْوَةِ النُّورِ الْعَلَّائِي ^(٣) إِنَّهُ إِلَى ذُرْوَةِ النُّورِ الْإِلَهِيِّ يُنْسَبُ
وَأُنْشَدْنِي لَهُ مِنْ قَصِيدَةِ أَوَّلِهَا :

مَتَى يَشْفِي الشَّتَاقُ مِنْ لَوْعَةِ الْأَمْسَى وَدَائِي دَوَائِي ، وَالْأَمْسَى مَعْدِنُ الْأَسَا

ومنها :

غَزَالٌ كَحِيلُ الطَّرَفِ أَحْوَى ^(٤) مُفَلَّجٌ تَدَرَّجَ جَلْبَابَ الْمَلَاخَةِ وَاكْتَسَى
وَيَتَلَوُ كِتَابَ السَّحْرِ مِنْ كَلْطَانِهِ كَأَنَّ لَدَيْنَ السَّحْرِ فِيهَا مُدَرَّسًا

ومنها :

أَلَا فَاتَخِذْ تِلْكَ الرِّيَاضَ مَنَازِحًا فَإِنْ أَمِيرَ الْغَيْثِ فِيهِنَّ عَرَسَا ^(٥)
وَكَنْ بَظَبَاءِ الْإِنْسِ صَبَاً مَتِيًّا بِأَشْنَبَ مَعْسُولِ النَّثِيَّاتِ ^(٦) أَلْعَسَا ^(٧)
لَهُ اسْمٌ مَتَى مَا شِئْتَ كَشَفَ غِيُوبَهُ كَمَا يَكْشِفُ الصَّبْحُ الْبَلَجُ حِنْدِسًا

(١) الْآل : السَّرَاب ، وَمَاحٍ : مَنْ مَاحَ الدُّلُوفَ إِذَا مَلَأَهَا مَاءً

(٢) زَجَلَتْ : غَنَتْ

(٣) فِي الْأَصْلِ : الْقَلَانِ

(٤) أَحْوَى : أَسْوَدَ الشَّفَةِ

(٥) التَّعْرِيسُ : التَّزُولُ لَيْلًا

(٦) النَّثِيَّاتُ : جَمْعُ نَثِيَّةٍ وَهِيَ الْأَسْنَانُ فِي مَقْدَمِ الثَّنَرِ .

(٧) الْعَسَّ : لَوْنُ الشَّفَةِ إِذَا كَانَتْ تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ .

/ مُدَامَ وَحُورٌ ثُمَّ مِسْكٌ وَدَمِيَّةٌ فهذا اسم^(١) ظبي جلَّ أَنْ يَقَيَّسَا [١٤١ و]
وَأُنْشَدْنِي لَهُ فِي وَلَدٍ نَقِيبِ الْعُلُوَيْنِ بِمَصْرِ الْمَلَقَبِ بِأَنْسِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ مُقَدِّمًا
عَلَى الشُّعْرَاءِ لِنَسَبِهِ ، وَشِعْرُهُ نَازِلٌ :

سَمَتْ بِابْنِ أَنْسِ الدَّوْلَةِ الرَنْبُ الَّتِي تَطَاوَلُ قَرْنَ الشَّمْسِ حَتَّى تَطُولَهُ
يَحَاوِلُ قَوْلَ الشُّعْرَاءِ جُهْدَهُ وَتَأْبَى لَهُ أَعْرَافُهُ أَنْ يَقُولَهُ
وَكَمْ قَائِلٍ لَمَّا ذَكَرْتُ انْتِسَابَهُ لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ هَاتِ دَلِيلَهُ
فَقُلْتُ لَهُمْ أَقْوَى دَلِيلٍ أَقْتَهُ عَلَيْهِ بَأَنَّ الشُّعْرَ لَا يَنْبَغِي لَهُ
وَأُنْشَدَ أَيْضًا الْأَمِيرُ أَسَامَهُ بْنِ مَنْقُذِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَقَالَ : كُنْتُ فِي خِدْمَةِ ابْنِ
عَمِّهِ وَهُوَ يَنْشُدُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، وَأُنْشَدْنِي لَهُ فِي الْعِزَّارِ بَيْتَيْنِ أَغْرَبَ فِي مَعْنَاهَا
عَلَى الْإِبْتِكَارِ : ١٠

وَكَأَنَّ الْعِزَّارَ فِي حُمْرَةِ الْخُلْدِ عَلَى حُسْنِ خَدِّكَ لِلنَّعْوَتِ
صَوْلِحَانٌ مِنَ الزُّمُرِ مَعْطُو فَعَلَى أَكْرَمٍ مِنَ الْيَاقُوتِ
مَا أَحْسَنَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، لَوْلَا أَنَّهُ ذَكَرَ الْخُلْدَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مَرَّتَيْنِ . أَقُولُ :
الشَّرِيفُ الْأَخْفَشُ ، بِسَمَاعِ شِعْرِهِ مَيِّتُ الْحَسَنِ يَنْعَشُ ، وَخَلَى الْقَلْبَ يَدْهَشُ ، فَهُوَ
كَالِدِيَّاجِ لِلنَّقْشِ ، وَابِلِاسْتَانَ الْعَرَّشِ ، مَذْهَبُهُ فِي / التَّجْنِيسِ مُذْهَبٌ ، وَنَظْمُهُ فِي [١٤١ ط]
سَمَاءِ الْفَضْلِ كَوَكَبٍ ، وَاسْتَقَالِي بِتَكَرُّرِ الْخُلْدِ فِي وَصْفِ الْعِزَّارِ كَمَا حُكِيَ عَنْ
ابْنِ الْحَمِيدِ أَنَّهُ اسْتَقَالَ قَوْلَ أَبِي تَمَامٍ :
جَوَادٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَمَتَى مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحَدِي
فَقَالَ : تَكَرَّرَ أَمْدَحُهُ قَوْلُ رُوحٍ ، وَقَابَلَ اللَّحْمَ بِاللَّوْمِ وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقَابَلَ
بِالْهَجَاءِ وَهَذَا نَظَرٌ دَقِيقٌ . ٢٠

(١) يُشِيرُ إِلَى أَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّدٌ .

ونقلت من بعض التعليل بدمشق من قصيدة للأخس في عبد الحميد المنبوز

بالحافظ بمصر :

- ذَكَرَ الدَّوْحَ شَاطِئِي بَرَدَى وَحَبَابًا فِيهِ يَطْفُو بَرَدَا
وَالصَّبَا تَمَرَحُ فِي أَرْجَائِهِ فَتَصَوِّغُ الْمَوْجَ مِنْهُ زَرَدَا
يَتَمَنَّى الْقِرْنَ أَنْ يَلْبَسَهُ بَيْنَ أَهْطَالِ الْوَعَى لَوْ جَدَا
رَكَدَتْ سَارِحُهُ الرِّيحَ بِهِ فَبُرْتُ خَيْلًا وَمَرَّتْ سَرَدَا
يَفْتُرُ الْبَدْرُ عَلَيْهِ فَضَّةً وَتَذِيبُ الشَّمْسُ فِيهِ عَسَجَدَا
رَشَاءٌ لَوْ لَمْ تَكُنْ رَيْقُتُهُ قَهْوَةً صَافِيَةً مَا عَرَبَدَا
تَحْجُبُ الْكَلَّةُ مِنْهُ قَرَا وَيَحْوِزُ الدَّرْعُ مِنْهُ أَسَدَا
قَرُّ إِنْ هَزَّ رِيحًا فِي الْوَعَى هَزَّ مِنْ عَطْفِيهِ غَصَنًا أَمَلَدَا
لَيْتَهُمْ إِذْ مَنْطَقُوا أَعْطَافَهُ بِالْثَرَا قَلَدُوهُ الْقَرْقَدَا
طَافَ بِالرَّاحِ التِّي لَمْ تَذَرِغْ بِحَسَامِ لِلزَّجِ إِلَّا زَبَدَا
قَلَّاهَا دُرُّهُ يَا قُوَّةً ذَابَ سَقَمًا جَسَمَهَا فَأُطْرَدَا

[١٤٢ و] / ومنها في المديح ، وقد أفضى به الغلو إلى الكفر الصريح :

- صِرْفُ جِرْيَالٍ يَرَى تَحْرِيمَهَا مِنْ يَرَى الْحَافِظَ فَرَدًا صَمَدَا
بَشَرٌ فِي الْعَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ نَوْرٌ وَهْدَى
جَلٌّ أَنْ تَدْرَكَ أَعْيُنَنَا وَتَعَالَى أَنْ تَرَاهُ جَسَدَا
فَهُوَ فِي التَّسْبِيحِ زُلْفَى رَاكِعٍ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ مِنْ حَمْدَا
تَدْرُكُ الْأَفْكَارُ فِيهِ نَبَأً كَادَ مِنْ إِجْلَالِهِ أَنْ يُعْبَدَا

واقصرت على هذه أتمودجاً لشركه ، وأخرت الباقي من سلكه ؛ وأنشدت

له مطلع قصيدة :

لغوجا بمنعرج السهجين أو روجا . فقد قضى مَرَبَعٌ كُنْتم له روحا
والشريف الأخص من قصيدة يمدح فيها الشريف القاضي الفضل إمام
ابن حيدرة بن علي قاضي بليس — كان — وأولها :
لنجران ، فالهرق الحجازي أبرقا وعُشْتان ، فالزُنُ اليماني أودقا^(١)
ومن جعلتها :

شريف يدُ الشرع انتقت منه قاضيا فكان لهذا الدين أفضل مُنتقى
خلاصته في العدل تُرضى وتُرجمي وسطوته في الحق تُخشى وتُنقى
إذا ما تَعَدَّى ماردُ لسمائه أعدّه له نجما من التذفِ مُحرقا
/ يُثَبِّتُ مَنْ لَمْ يَرَقْ في ذروة الكُلا ويدحض عن عرشِ المالِ مَنْ أُرْتَقِ [١٤٢ ظ]
وسبَّاقُ غاياتٍ يبطاء وثَبَّةٌ ولم يُبْطِ بالتثيت إلا ليسبقا
هو الفيت يَمْنُهُ إذا كان مُمطرًا وخذ حذرا منه إذا كان مُضيقا
وما أَصْفَرُ لونُ التبرِ عند اجتماعه بكفيه إلا خيفة أن يُقرقا
وأخر هذه القصيدة :

فلا طَمَحَتْ بي نحو غيرك عَزَمَةٌ ولا باتَ بابُ منك دوني مُغْلَقًا
ومن شعراء بني رزيك :

٢٦ — الخطيب المفير أبو القاسم * هبة الله بن برمر المعروف بابن الصياد
وجدت له في مجموع ألفه الجليل بن الحباب^(٢) في شعراء ابن رزيك
والمداح فيه ، من قصيدة أولها^(٣) :

(١) في الأصل : أبرقا ، وأودق الزن : تزل .

* ترجم له ابن سعيد في المغرب نسخة دار الكتب المجلد الثاني الورقة ١٧١ ولم يزد في ترجمته عما ذكره البهادر .

(٢) في الأصل : الجنان وهو تحريف .

(٣) قل ابن سعيد نس هذه العبارة فقال : « ذكره صاحب الحريدة وقال : وجدت له في مجموع ألفه الجليل بن الحباب في مدائح شعراء ابن رزيك قوله من قصيدة في ابن رزيك الخ » .

بسمي عن التَّعَدَّالِ فِيكَ تَصَامُمٌ فَبِهْدَى عِصْيَانِي إِذَا لَمْ لَأْتُمْ
منها يصف عدوه :

ولما رأى الغدَّارُ قُرْبَ حلولِهِ تَيَقَّنَ أَنَّ الْمَوْتَ مَا مِنْهُ غَاصُمٌ
ولو كان ذا حَزَمٍ لَمَّا حَاقَ قَبْلَ أَنْ يرى الخليلَ بل من قبل تبدوا الصَّوَارِمُ
أَمْسَخِرُهُ هَلْ مِنْ قَدَارٍ ^(١) لَرِيثَةٌ على هزٍّ بِحَرِّ مَوْجُهُ متلاطمٌ .

[٦٧ و] / وله فيه من قصيدة :

كَأَنَّ اخْتِطَافَ الْمَاهِمِ عِنْدَكَ بِالظُّبَا ابْتِهَاجًا بِهِ يَوْمَ الْوَعَى ثُمَّ يُجَنِّحُنِي
غَدَاةَ جَعَلْتَ الْبَيْضَ أَغْمَادَهَا الطَّلَا وَخَيْلَ الْعِدَا تُقْنِي وَثْمَرَ الْقَنَا تَقْنًا ^(٢)
وله من قصيدة يذكر فيها قتله أرناط ^(٣) مقدم خيل الفرنج :

عَنْ سَيْفِ دِينِ اللَّهِ سَلَّ أَرْنَاطًا حَيْثُ لِلْنِّيَةِ كَاسُهَا يُتَعَاطَى ١٠
وَالْمُشْرِقِيَّةُ قَدْ حَكَّتْ فِي جِيشِهِ فِي الْمَلِّ وَالتَّهْلِ الْقَطَا الْقُرَاطَا ^(٤)
قَدْ شَامَ طَيْرُ الْكَفْرِ مِنْهُ مَنَسَرًا أَشْنَى ^(٥) وَعَايَنَ خَيْلًا عَطَاطًا ^(٦)
هُوَ مُلْبِسٌ جُنُثَ الْعِدَا فِي الْحَرْبِ مِنْ حُلَلِ النِّجْمِ مَجَاسِدًا وَرِيطَا ^(٧)
فِيَا دُهُ تُشْكُو مَزَاجَةَ الْقَنَا وَتَرْدُ خِرْصَانِ الرِّمَاحِ سِيَاطَا
هُوَ فَارَسُ الْإِسْلَامِ يَحْفَظُ بِالظُّبَا مِنْ دِينِهِ الْأَطْرَافَ وَالْأَوْسَاطَا ١٥

(١) قنار : قدرة .

(٢) تقني الأولى من الاقتناء ، والثانية مخففه من قنأ أي يصبح لونها قانأ .

(٣) انظر حروب طلائع في الروضتين ١/ ١١٥ ، ١/ ١٢١ .

(٤) القراط : للمتقدم إلى الورد .

(٥) للنسر الأشنى : المنسر لسباع الطير هو للنفار لغيرها ، والأشنى : التي تختلف

أسنانه طولاً وقصراً وتسمى العقاب الشنواء (٦) عطاطا : حاداً يشق شقاً .

(٧) الرباط : الثياب اللينة الرقيقة ، والملاءة ، والمجاسد : الثياب التي تلي الجسد .

كَمْ قَدْ أَثَارَ مِنَ الْأَسِنَّةِ أُنْجَا لَمَّا أَثَارَ مِنَ الْعَجَاجِ غُطَّاطَا^(١)
فَخَالَهُ مَلَكًا رَى بِشَاهَا فِي الرَّوْعِ شَيْطَانُ الْحُرُوبِ فَشَاطَا
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى :

شَرَّدَتْهُمْ حَتَّى أَقْدَ قَاسُوا عَلَى تِلْكَ الْعِقَابِ^(٢) أَلِيمَ كُلِّ عِقَابٍ
سَيِّمُوا الْعَذَابَ وَذَكَّرْهُمْ حَالَهُمْ حَفِظَاتُ أَيَّامٍ سَلَقْنَ عَذَابَ
هَابِرِكَ فَانْدَعَرُوا وَمِنْ أَعْدَارِهِمْ أَنْ السَّوَامَ تَهَابُ لَيْثَ الْغَابِ
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى :

لِلَّهِ أَنْتَ عَلَى أَقْبَ مُطَهَّمٍ^(٣) نَهْدٍ^(٤) بِمُجُوزَاءِ السَّمَاءِ مُشْتَفٍ^(٥) [٦٧ ط]
وَمِنْهَا :

أَضْرَمْتَ فِي أَكْبَادِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ بِالنَّصْلِ نَارَ تَأَشْفٍ وَتَلَهْفٍ ١٠
قَقْوَادٍ^(٦) ذَى الْجَلَّاشِ الرِّبِيطِ مَخَافَةٍ يَحْكِي جَنَاحَ الطَّائِرِ نَلْتَرَقِرِفِ
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى :

وَشَرَّدَهَا إِشْفَاقُهَا مِنْكَ فَانْتَدَتْ تَرَى الْأَرْضَ خَوْفًا وَهِيَ مِنْ ضَيْقِهَا فَتَرُ
فَذَلُّوا كَأَنَّ الْعِزَّ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَصَارُوا كَأَنَّ الْفَقْرَ عِنْدَهُمْ قَبْرُ
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى :

أَضَحَّتْ لَوَاتُهُ^(٧) شَرَّدًا مِنْ بَأْسِهِ فَلَدِيهِمْ سَعَةُ الْقَضَاءِ مَضِيْقُ

(١) الغطاطا : بقية من سواد الليل والسحر .

(٢) العقاب : جمع عقبة وهي المراق الصعبة .

(٣) الأقب : من الخيل الضامر ، ومطهم : عظيم الوجنات .

(٤) النهْد : الفرس الجسيم الوسيم (٥) مشف : من الشف وهو القرط

(٦) في الأصل : ققوادى

(٧) لواتة : قبيلة مغربية ، ومعروف أن الجيش الفاطمى كان جزء كبير منه من المغرب .

لم يضر بوا طنباً^(١) لخوفهم فهم مثل الوعل إذا حواها النيق^(٢)
 لأن غاب فيهم وجهه فخاله ليلاً كما هو في النهار طروق
 لو هبت الريح اغتدى لسماعها قلب الشجاع القلب وهو خفوق
 جعلوا الهزيمة عنه برّاً إذ لهم لسواه في شقّ العصى عقوق

- وسمعت أن هذا ابن الصياد كان من شعراء الصالح بن رزيق. وكان سريع
 الخاطر في النظم لا يقف قلبه، ولا يتنضع فيه علمه، ويغريه الصالح يجلسائه بهجوم
 وكانوا يتعرضون به وسمعت أن ابن الحباب كان كبير الأنف وكان ابن الصياد
 [٦٨ و] مولعاً بأنفه قد هجاه بأكثر من ألف مقطوعة وما كان يصدّه شيء عنه حتى
 انتصر له أبو الفتح بن قادوس فقال فيه :

- ١٠ يا من يعيب أنوفنا الشم التي ليست تعاب
 الأنف خلقه ربنا وقرونك الشم اكتساب

٢٧ - ابن قيسر * من أهل الإسكندرية

كان كثير المنظوم، قليل الجيد منه.

قرأت في مجموع : كتب الفقيه الرشيد أبو الحسن علي بن قيسر في جواب

١٥

كتّاب :

وصل الكتاب فلا عدمت يدًا نثرت عليه جواهر الكلم
 وعجبت كيف ترى لها أثراً وبناتها ينهل كالديم

(١). الطنب : الحبال تشد بها الخيام (٢) النيق : أرفع موضع في الجبل.
 * عرف به الساني في مجمله (نسخة دار الكتب للصورة) الورقة ١٩٣ وقال : هو
 أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الأزدي كان من أهل الأدب والفقه ويؤلف ابن قيسر وكان
 كثيراً ما يحضر عندي وعلقت عنه مخطوطاته كثيرة.

ووجدتُ له في مجموع شعراء ابن رزيك قصيدة فيه أولها :

الصبرُ عن بانٍ الحى وعقيقه في حقٍّ ساكنه أجلُّ عُقُوقِه
ظيُّ ظُباٍ ألحاظِه فتَّاكُهُ تُغْنِيهِ يومَ الروعِ عن إبريقِه
لو قال يوم الأُنس :

• سيانٍ عندى الخمرُ في إبريقه أو ما حواه ثمرُهُ من ريقه
أين هذا من قول ابن خيوس :

فعلُ اللدَامِ ولونها ومذاقُها في مُقَلَّتَيْهِ وَوَجَنَّتَيْهِ وَرِيقِه
تمام قصيدة ابن قيسر :

لا فرقَ بين خياله وَوَصَالِه في سَرَد^(١) ما طَلِه وفي تحقيقه

١٠ / ومنها :

والله ما للشمس في إشراقِها وضياءٍ بهجتها كبعضِ شروقِه
كالزَّئيمِ حالَ نضارِه ، والبدرِ عند كمالِه ، والنصنِ عند بُسُوقِه
لا تحملُ المجرانِ بعضَ عقوبتي فتكلَّفَ الشُّلُوانَ غيرَ مطيقِه
وأُرفقُ فمن دينِ الرُّؤُوةِ في الهوى وعداته رفقِ الهوى برفيقِه
والله ما صدقَ اللامُ ولا جرى ذا العذلُ عند ذوى الثَّغْيِ بطريقِه
كلُّ الجوارحِ في يديه فأياها يُضغى لزورِ العذلِ أو تنميقِه
فَدَرِ اللامَ فبذاه لذكُرِه فيه ، ملامِ الصبِّ في مَعشُوقِه^(٢)
يا راكبَ المَهْرِيَّ أضحى ظلُّه في عُرضَةِ البَيْداءِ من مَسْبُوقِه
بلغَ إلى اللَّائِكِ الهامِ أمانةً تبليغُها للحرِّ من توفيقِه

(١) سرد : نسج وصوغ .

(٢) الشطر في الأصل : فيه قلوب الصب من معشوقه .

حَتَامَ حَفْلِي فِي الْحَضِيضِ ؟ وَإِنِّهِ فِي الْفَضْلِ عِنْدَ النَّاسِ فِي عَيْشِهِ
مِثْلِي بِمَصْرَ وَأَنْتَ مَالِكُ رِقَّةٍ مِثْلُ الْعَقَابِ مُرَدًّا فِي نَيْفِهِ ^(١)

ومنها :

وَاللَّهِ خَلْفَةً صَادِقٍ بَرَّ بِهَا يُضْطَرُّ سَامِعُهَا إِلَى تَصَدِيقِهِ
لَوْ كُنْتُ أَرْضَى الشَّرَّ خَطَّةً فَاضِلٍ لَجَلْتُ عِرْضَكَ رَوْضَةً لِأَنْفِقِهِ

ومنها :

إِنَّ الْحَدِيثَ صَلَاحُهُ بِصَلَاحِ مُنْهِيهِ كَذَلِكَ فَسَوْفَهُ بِفُسُوقِهِ
[٦٩ و] / وَالصِّرْفُ يَبِينُ عِنْدَ مُحْكِهِ كَمْ بَيْنَ خَالِصِهِ إِلَى سَتُوقِهِ ^(٢)
وَلَقَدْ أَشَاعَ النَّاسَ أَنَّكَ فِي الْوَرَى مِنْ لَيْسَ يَنْفَقُ بَاطِلٌ فِي سَوْقِهِ
أَبْطِلُ بِنُورِ الْعَقْلِ سُلْطَانَ الْهَوَى وَأَعْمَلُ بِكُلِّ الْجَهْدِ فِي تَطْلِيْقِهِ ١٠
فَأَجَابَهُ الصَّالِحُ بْنُ رَزِيكَ بِقَصِيدَةٍ مِنْهَا :

نَفَقَ التَّادِبُ عِنْدَنَا فِي سَوْقِهِ وَبَدَا الْيَقِينُ لَنَا بِلَعْنِ بَرُوقِهِ
أَهْدَى لِي الْقَاضِي الْفَقِيهُ عِرَائِسًا فِيهَا بَدِيعُ الْوَشْيِ مِنْ تَنْمِيقِهِ
فَأَجَلْتُ طَرْفِي فِي بَدِيعِ رِيَاضِهِ مِنْ وَرْدِهِ وَبَهَارِهِ وَشَتَقِيْقِهِ
فَكَلَّمْنَا أَجْمَعُ الْأَحْبَةَ فَانْبَرَتْ يَدُ عَاشِقٍ تَهْوِي إِلَى مَعشُوقِهِ ١٥
أَدَبٌ سَمِعَى مِنْهُ إِلَى غَايَاتِهِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ فَضْلَكَ سَابِقُ
فَلِذَا اتَّعَبْتُ وَلَمْ أَرَ الْإِمْعَانَ فِي
وَأَرَى الزَّمَانَ جَرَى عَلَى عَادَاتِهِ
وَالشُّوقُ فِي قَلْبِي تَفَرِّمٌ وَهَجُؤُ
فَتَى أَرَاهُ يَكْفُ عَنْ تَحْرِيقِهِ ٢٠

والسمعُ من عيني يَسُخُّ فهل يُرى من بخره يوماً نَجاةً غريقه
نَزَّهَتْ في بستانِ نظمك ناظري فَحَظِيتُ من زهرِ الرَّبِّي بأنيقه
يا من تَدُلُّ فسونُ ما يَأْتِي به من حَلِي مَنْطِقِهِ على توفيقه
أنت امرؤٌ مَن قال فيك مقالةً أَلْغَى^(١) فكلُّ الخلقِ في تصديقه
/ وأنا أَرى تَقْدِيمَ حاجةٍ صاحبي من دون حاجاتي أَقْلَ حقوقه [٢٦٩ ظ]
وكذا الكريمُ فَمِهْلٌ لأُمُورِهِ لا مُهْلٌ أَبَداً أُمُورَ صديقه
هذا النجاحُ ، فكل ما قد رُمِئَتْ قد تَمَّ^(٢) فانظرُ منه في تحقيقه

٢٨ - مُرَدُّ هَانِي*

هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مفضل الأزدي الأندلسي موضعه مع
١٠ شعراء الأندلس واتفق إراداه هاهنا وينسب إلى ابن هاني المغربي الأندلسي .
كان في العصر الأقرب ، وهو معروفٌ بالنظم للذهب ، وتوفي في آخر أيام
الصلاح بن رزيك قبل سنة ستين ، على ما سمعته من المصريين ، وطالعت ديوانه
بمصر فنقلت منه ما انتقدته ، وعقلت ما عقدهته ، ونسخت ما نسخ السحر ،
ونسجَ الزهر ، وانحلت العقودُ الصحيحةُ لنسيم شمال أسحاره ، وتمثلت العقول
١٥ الصاحبةُ لتسليم^(٣) شَمُولٍ عَقَّارِهِ . ووجدت له على قافية الهزجة من قصيدة :
سَدَلْتُ غَدائرَ شعريها أَسْماءَ وَصَرَّتْ فما شَعَرَتْ بها الرُّقَبَاءُ
والليلُ تحت سَنَا الصُّباحِ كَأَسْوَدٍ وَضَحَتْ عليه عِمَامَةُ بِيضاء

(١) التالي : اللزق في مديحه (٢) في الأصل : هم

* عرض له ابن ظافر في كتابه بدائع البداهة (طبع بولاق) ص ٢٢٤ وروى أنه هجا
الوفيق بن الحلال فاضطعن ذلك له وانهز فرسة لإنشاده للعائظ الخليفة الفاطمي ذات مرة ، فلما
سأله عنه نوبه به ، إلا أنه تأسف لغيره قد هجا الحافظ ، آله الموقف على البديهة ، فكان
ذلك سبباً في قطع سلطته وكاد أن يفرط الحافظ في عقوبته ولم يحصل له انتعاش من جهة — كما
يقول ابن ظافر — بطول مديحته . (٣) التهنيد : الإتياء

[٧٠ و]

زارتُ نعامها^(١) وزارَ خيالها فتميمتُ بكلّهما تيمّاه^(٢)
 ومشتُ تيمسُ يجرُ فضلَ ذيولها دِغصٌ يميلُ ، وبانهُ غَفاه
 هُنَّ لها يموى كناسُ قلوبنا منهن ما لا تحوى السَّيراه^(٣)
 يوحِشُنَّ أَفئدةً وهنَّ أوانسُ ويرُعنَّ آسادًا وهنَّ ظباء
 وتحولُ دون قباها هنديةً بيضاه ، أو يرَنيّةً سمراء

ومنها في المخلص :

لأمرقنَ حشا الدُّجَنَةِ نحوها والليلُ قد دَهَمَتْ به الدهناه^(٤)
 في متن زنجيٍّ الأديمِ كأنما صَبَغَتْهُ مما خاضها الظلماء
 وكانَ محمَّرَ البروقِ صوارمُ سَفَعَتْ على صفحاتهنَّ دماء
 أو يَنْبَغِي لا أزورُ خيامها ولأسعدَ القاضى الأشمُ مضاء

ومنها في المدح وتقريله بالقضاء :

قاضي له دينٌ وصدقُ شهادة ذوالجاء فيها والضعيفُ سواء
 وعدالةٌ حَفِظَتْ بعقلٍ راسخٍ لا تستميلُ جنابهُ الأهواء

وله من أخرى أولها :

لمن الأنساتُ وهى ظباء واليعافيرُ^(٥) حُجُبُها السَّيراه
 والشموسُ التى لوينَ غصونًا لم تُرَنِّحْ خصورها صهباه
 فاخفنى فى القُدودِ أَرى^(٦) ورايح وبدا فى الخلدودِ نارٌ وماء

(١) النماى : ربع الجنوب (٢) تيماء : مدينة فى شمال الحجاز .

(٣) السيراء : نوع من البرود فيه خطوط صفراء ويخالطه حرير .

(٤) الدهناء : القلعة ، ودهمت : أسودت من الدمة وهى السواد .

(٥) اليعافير : جم يعفور وهو الظبي الأورق أو الرمادى . (٦) الأروى : السلس

/ تنثني قائمةً وتَجْرَحُ طَرْفًا فَهِيَ لِلسَّمْهَرِيَّةِ ^(١) السَّمْرَاءُ [٧٠ ظ].
طَرَقَتْ وَالْكَبَاءُ ^(٢) وَالْمَنْدَلُ ^(٣) الرُّطْبُ عَلَيْهَا وَحَلْيَا رُقْبَاءُ

ومنها :

وَدُؤِنَ الْفَتَاةِ أَيْضُ رَقْرَا قُ الْحَوَاشِي وَلَأَمَةٌ خَضْرَاءُ
وَفِي لَاحٍ فَوْقَ أَدْهَمٍ نَهْدٍ قَرَأَ فِي عَسَنَانِهِ ظِلْمَاءُ
وَكَاةٌ تَجْلُو الْأَسِنَّةَ شُهْبَاءُ وَدُجَاهَا التَّجَاجَبَةُ الشَّهْبَاءُ
تَصْدُرُ الْمَرْهَفَاتُ عَنْ مَوْرَدِ الْمَا مِ كَمَا ضَرَّجَ الْخُدُودَ حَيَاءُ
يَا لِحَى اللَّهِ رَيْبَ دَهْمٍ خُؤُونٍ سَادَ فِيهِ كِرَامُهُ الْوُثَاءُ !
وَزَمَانًا نَجْبُهُ ! فَكُنَّا حِينَ يَسْطُونَا — لَهُ أَعْدَاءُ

٧٠ ومنها في المختص :

بِالْعَلَا يُعْرِفُ الْكِرَامَ وَلَكِنْ عُرِفَتْ بِالْمَوْقِفِ الْعِلْيَاءُ
مَاجِدٌ لَوْ عَرَا اللَّيَالِي دَلَاءُ كَانَ فِي رَأْيِهِ لَهْنٌ شَفَاءُ
رَاحَةٌ لَا تُرَاحُ مِنْ هَدْمِ جُودٍ يَبْنَانِ لَهَا الْمَعَالَى بِنَاءُ
هَدَمَ الْجُودَ لَيْسَ بِتَقْرِيطٍ ، وَإِنَّمَا اللَّحْخُ لَوْ قَالَ مِنْ هَدَمَ لِلْمَالِ بِالْجُودِ .

فَهُوَ وَالْذَهْرُ حِنْدِسِيٌّ بِهِمٌ غُرَّةٌ فِي جِينِنِهِ زَهْرَاءُ
وَلَوْ أَنَّ الصَّبَا لَهَا مِنْهُ عَزْمٌ نَهَضَتْ بِالْجِبَالِ وَهَى رُخَاءُ
طَوْدٌ حَلِمَ رَسَتْ بِهِ الْأَرْضُ لَمَّا شَمَخَتْ مِنْهُ ذِرْوَةُ شِمَاءُ

/ ومنها :

ذَكَرَكَ الرَّاحُ وَاللَّذْكَرُ سَاقٍ وَكَأَنَّ السَّامِعَ الثَّدْمَاءُ

(١) السمهريّة : الرماح الصلبة (٢) الكباء : عود البخور

(٣) المندل : عود الطيب .

فَإِذَا مَا أَدِيرَ حَمْدُكَ صِرْفًا هَزَّ أَعْطَفْنَا عَلَيْكَ الثَّنَاءَ

وله في جارية رقاصة :

ولطيفة في الرقص يُعْطَفُ قَدْهَا كَتَعْطَفِ الْبَزَنِيَّةِ السَّمَاءَ
تَخْتَصُّ بِالْحَرَكَاتِ مِنْهَا مِرْعَةً كَتَخْصُصُ الْأَرْوَاحَ بِالْأَعْضَاءِ
خَفَتْ فَلَوْ رَقِصْتَ بِأَعْلَى لُجَّةٍ مَا بَلَّ أَحْصَاهَا حَبَابُ الْمَاءِ •

[الباء] وله :

وَأَعْيَدَ خَدَّهُ يَنْدَى فَيَجْرَى عَلَى وَرْدِيَّةِ الدُّرِّ الْمَذَابُ
صَفَا مَاءَ الشَّابَابِ يَوْجَنْتِيهِ فَلَاحَ عَلَيْهِ مِنْ عَرَقِ حَبَابُ

وله في الأوصاف :

نَدِيمِي أَفَقِي فَالْفَجْرُ قَدْ لَاحَ ضَوْؤُهُ كَمَا سَالَ نَهْرٌ أَوْ كَمَا سُلَّ مِقْصَبُ
وَذَا فَلَكُ سَاقِي يَدِيرُ كَوْوَسَهُ نَجُومًا إِذَا وَافَتْ قَمَ الْعَرْبِ تُشْرَبُ
وَقَدْ شَانَخَ زَنْجِيُّ الدُّجَى وَالَّذِي بَدَا بِهِ مِنْ هَلَالٍ حَاجِبٌ لَاحَ أَشْيَبُ

وله من قصيدة :

أَوْدَعُوا الزُّهْرَ^(١) حُدُوجًا وَقَبَابًا وَسَرَّوْا فِي شَعْرِ اللَّيْلِ فِشَابًا
وَلَوَى الطَّرْفُ سَنَانَهُمْ فَانْهَرَى يَحْسِبُ الْجُرْدَ الْبُعَايِبَ^(٢) الرَّكَّابًا
صَيَّرُوا الْجَنَحَ سَنًا الصَّبَحِ وَمَا سَقَرُوا عَنْ عُرْرِ الْعِيدِ نَقَابًا
إِذْ تَوَارَى الْفَجْرُ بِاللَّيْلِ كَمَا وَلَجَ السَّيْفُ الْيَمَانِي الْقِرَابًا
وَحَتَّى قَوْمَ هَلَالٍ رُبَّمَا طَرَدَتْ سَهْمًا رَأَيْنَاهُ شَهَابًا

(١) في الأصل : الزمر .

(٢) العيوب : الجواهر السريعة ، والأجرد : ذو الشعر القصير .

إِنَّمَا وَدَّعَ قَلْبِي جَلْدِي يَوْمَ وَدَّعْتُ سُلَيْمِي وَالرَّيَابَا
ومنها :

حُجِبَتْ فِي نُورِهَا وَجَنَّتْهَا فَرَأَيْتُ الشَّمْسَ لِلشَّمْسِ حِجَابَا
وَجَنَّةٌ حَمْرَاهُ تَنْدَى عِرْقًا مِثْلَمَا رَفَرَقَتْ الرَّاحُ الْحَبَابَا
فَنَحَتْ رِيحُ الصَّبَا جَمْرَتَهَا فَانْبَرَتْ تَظْهَرُ فِي الْمَاءِ التَّهَابَا
وَجَرَى الصَّدْعُ عَلَى أَوَّلِهَا مِثْلَمَا طَرَزَتْ بِالسَّطْرِ الْكِتَابَا
وله في العذار :

وَأَسْمَرُ ذَنْبِي لِلْعَوَاضِلِ حُبُّهُ وَذَلِكَ ذَنْبٌ لَسْتُ ^(١) مِنْهُ بِتَائِبٍ
عُدِلْتُ عَلَى حُبِّي لَهُ حِينَ ذَبَلْتُ لَهُ الشِّفَّةُ اللَّيَاءُ خُضْرَةً شَارِبٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى الْحَاجِبِينَ الَّذِي لَهُ ^(٢)
١٠

وله :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ لِلْأَنَامِ مُحِبٌّ إِلَى بَغِيضٍ ، وَالْحَبِيبُ حَبِيبٌ
أَمَّا عَجْبًا أَنْ هَامَ فِيهِ رَقِيبُهُ وَأَنَّى عَلَى ذَلِكَ الرَّقِيبِ رَقِيبٌ
وَمَا بَرَى جِسْمِي وَأَرْقَى نَازِرِي وَعَلَّمَ قَلْبِي فِيهِ كَيْفَ يَنْوِبُ
/ حَبِيبُ أَرَاهُ سَائِمًا ^(٣) ، كُلَّ سَاعَةٍ يَنْالُ سَوَائِي وَصَلَهُ وَأَخِيبُ
فَوَا أَسْفَا لِي إِنِّي لَيْشُ غَايَةٍ وَيُظْفَرُ دُونِي بِالْفَرِيسَةِ ذَيْبُ
١٥
وله من قصيدة في أثنائها :

أَغَارُ عَلَى ذَيْلِهَا بِالصَّبَا إِذَا شَمَرْتُ مِنْهُ مَا سَحَبَا
وَأَخْشَى عَلَى جَمْرَتِي خَدَّهَا بِمِرِّ النَّوَاسِمِ أَنْ تُلْهَبَا

(١) في الأصل : ليس

(٢) في الأصل : الذي

(٣) في الأصل : سائماً

تَعَالَى النِقَابُ سَنَا وَجْهَهَا خِلْتُ النِقَابَ بِهِ مُقَيَّنًا
وما احمرَّ من صبغةٍ لونهُ ولكن بوجنتها خُصَّبًا
مشى وهو في خدِّها عقرَبًا فنَّسَلَ في وردةٍ عقرَبًا
سقى اللهُ ليلتنا بالعُذِيبِ غمامٍ من أُنْبه عُدَّيَا
فكم بثُّ بين مِراجِ الظباءِ تجاذِبُنِي ، وصفاحِ الظُّبَا
وقد لاح لي بدرُها مشرَّعًا لَحَحْتُ على مائه ^(١) طُحْلُبَا
إلى أَنْ جَرَى صُبْحُهَا أَشَقْرًا فطارَدَ من غِره أَشْهبا
ولاعبَ فضيَّ بَرْدِ النِّعَمَا مَ بَرَقَ فَصَيَّرَهُ مُذْهَبَا

ومنها :

١٠ عِجَاجُ الوَغَى ودُخَانُ الكَبَا وَيَمْنَعُ شَمْسَهُمْ أَنْ تَلُوحَ

وله من قصيدة :

زَارَ الْعَقِيقُ ^(٢) بِخَدِّ غَيْرِ مُنْتَقِبِ قَانِي الْعَالَةِ كَالْمُنْدَى مُخْتَضِبِ
/ بَدَرَ تَمَرَّقَ عَنْهُ اللَّيْلُ حِينَ سَرَى كَذَلِكَ الْبَدْرِ يَسْرَى غَيْرَ مُحْتَجِبِ
ذُو غُرَّةٍ قُنَعَتْ بِالْحَسَنِ مِنْ قَمَرٍ وَلَبَّيْةٌ قُلْدَتْ بِالْخَلَى مِنْ شُهْبِ
خَدُّ أَلَمَ لِرِيْمَانِ الشَّبَابِ بِهِ سَحَرْتُ تَدْرَعُ فِيهِ الْمَاءَ بِالْهَيْبِ

[٧٣ ظ]

ومنها في الخُلص :

لَا تُضَيِّرُنِي لَكُونِ الْجِسْمِ مُعْتَرِبًا فَإِنَّ فِي الْجِسْمِ عَقْلًا غَيْرَ مُعْتَرِبِ
يَنْفَى اللَّيْبُ بِعَقْلٍ مِنْهُ عَنْ فِطْنٍ حَيْثُ اسْتَقَرَّ وَعَنْ أُمٍّ لَهُ وَأَبِ
وَهَلْ أَخَافُ مِنَ الْأَيَّامِ نَائِبَةً وَلِلْسَدِيدِ يَدٌ تَسْطُو عَلَى الثُّوبِ

ومنها في اللوح :

لو كنتَ إِذْ تُوزَنُ الأَعْمَالُ سَائِلَهُ ما حازَ من صالح الأَعْمَالِ لم يُحِبْ
يا مُبْقِضَ الذَّهَبِ الحُبوبِ راحته حتى كَأَنَّ ذَهَابَ الخُمْدِ في الذهبِ

وله في العذار من قطعة :

ولما أَشَاعَ الحبُّ في الناسِ مِلَّةً وقادَ قلوباً كيف شاءَ وألْبَاباً
جلا الحُسْنَ للعشاقِ وَجْهَكَ قِبَلَهُ وصوَّرَ فيه من عِذَارِكَ خِجَاباً

[التاء]

وله من قصيدة :

تلكَ البُندورُ العامريَّاتُ لها من الأنصُلِ هَامَاتُ
بدورُ أسدافٍ تَنقَى بها في السَّيْرِ قُضِبَ بِشَرِيَّاتُ

[٧٣ و]

١٠ / تشكونواهنَّ قلوباً وما لها سواهنَّ سَمَواتُ
كِذْنٌ يَكِدْنَ القُضْبَ لو بُدِّلَتْ أَوْراقهنَّ الذَّهبيَّاتُ
كلُّ عِقيَّةٍ خَدَّ لها فروعُ فَرَقٍ مَبْجِيَّاتُ^(١)

ومنها :

١٥ وَيُرْعَشُ الرَّدْفُ كَأَنَّ الذِي لَاعَبَهُ مِنْهُنَّ حَيَاتُ
يَأْشُرُ كَأَنَّ صَيْدَها طَائِرُ الْقَلْبِ أَمَا مِنْكَنَّ إِفْلَاتُ
كَمْ فَتَكْتُ بِي يَوْمَ جِرْعِ اللَّوَى يَبِضُّ وَأَنْتَنَ الحَمَالَاتُ^(٢)
أَسْنَى مِنَ الصَّبْحِ عَلَى نَاطِرِي لو أَنْكُنَّ الحَلَكَياتُ

ومنها :

حَمَلَتْ جَسَماً خَلَّتْهُ سَائِلًا إِذْ مَوَّجَتْ عِطْفِيهِ لَبَاتُ

رفاً به العصب^(١) اليماني كما رقت على الماء خيالات
 كأنما أمله - طوقت - أسنة الطعن خضيات
 هل تخبرينا والهوى صارم لنا به عندك ثارات
 بأي ذنب خضبت من دمي تلك البنان العنيمات^(٢)
 كيف ترومين دماً لم تزل تعجز عنه الزينات

ومنها في الافتخار :

يرى بها للمعرك منى فتي ترهب ذكره اللينات
 / يُقدِّم في الموت كما أقدمت على الندى منه سحيات [٧٣ ط.]
 إن لم تكن ذى الأريحيات لي لمن تكون الأريحيات ؟
 لو أن لي في الدهر من قوة درت عفاة ما المروآت
 والدهر إن أذهب قوتي فلي من جود إسماعيل^(٣) أقوات

وله من قصيدة مطلعها :

لسا بين بطن الوادين معرج بحيث الغضاريان والظل سجسج^(٤)
 وفي ملتقى ظل الأراك ومائه نسيم بأنفاس الربى يتأرجج
 وتصفيق أمواه لقص أماليد عليهن أصوات الجاهم تهزج
 وقد نسج الثوار بالنعيم أبردا ولم أحسب الأبراد بالنعيم تنسج

(١) في الأصل : العصب ، والعصب اليماني : ضروب من البرود ناصعة البياض يصغونها

بمختلف الألوان .

(٢) العنيمات : نسبة إلى الغم وهو شجر لين الأغصان تشبه به بنان الجوارى .

(٣) هو الظاهر إسماعيل بن الحافظ الذي ولي الخلافة الفاطمية من سنة ٥٤٤ هـ إلى

سنة ٥٤٩ هـ .

(٤) سجسج : لا حار ولا بارد

ودارَ على الأغصانِ زهرُ كُنْها قدودٌ عليهن اللآلئُ للذَّجِ
خطيئٌ من قحطانِ حاجٍ لي الأسي حمامٌ بأفنانِ النصوصِ مبيجِ

ومنها :

أحنُّ إلى البرقِ اليمانيِّ لأنَّه كقلبي خفاقُ الجناحِ مُوهَجِ
وقد ضَرَجَ الدمعَ الذي كان ناصعاً بعينَيَّ ، خدَّ بالحياءِ مُضَرَجِ
بدا في بياضِ الشبابِ وُحْمَرَةٌ كأنَّ عليه النارَ بالماءِ تَمَرَجِ
فأما سوادُ القلبِ مني فَحَازَهُ من العادةِ الحسناءِ وسنانُ أدْعَجِ

[٧٤ و]

/ومنها :

وليلٍ تركتُ البرقَ خَلْفِي عاثراً وتحتَ غُبَارِي راسحُ العُطفِ دَرَجِ^(١)
ولا ناصرٌ إلا قناةٌ وصارمٌ ولا صاحبٌ إلا فتاةٌ وهودَجِ
وقد لَمَعَتْ زُرُقُ الأَسَنَةِ أنجماً وما إنَّ لها غيرُ القنا اللدِّنِ أبْرُجِ
فأيقظَ جفنَ الحَيِّ مَتَى صاهلُ وَرَوَّعَهُ شَخْتُ^(٢) الصفيحينِ أبلَجِ
وقالتَ هزبرُ النَّابِ زارَ خيائِها وما زارها إلا كَيْمَى مُدَجَجِ
وأَسْمَرُ مَيَّادٍ وَعَضْبُ كَأَنَّمَا يلوحُ عليه الرُّبُوبُ للترَجْرِجِ

١٥ ومنها في الملخص :

آتَأْتَفُ أَنْ نَسْرِى إِلَيْهَا بِصَافِيٍّ إِلَى جُودِ إِسْمَاعِيلَ يَسْرِى وَيُدْلِجُ

وله :

وَمَزَرِيَّ^(٣) كَالصَّبِيحِ يَحْمِلُ لَيْلَةً سَحَاءَ مَظْلَمَةٍ كَلِيلِ دَاجِ

(١) في القاموس : الذرج من الحيل معرب ديزه .

(٢) الشخت : الضامر البطن

(٣) مزَر : يلبس الزنار وهو حزام كان يشده النصارى .

يَجْلُو الظَّلَامَ بِكَاسِهِ فَكأنَّمَا يَسْعَى عَلَى نُدْمَانِهِ بِسِرَاجٍ

[الحا] وله :

ومَهْفَهِ لِمَا رَأَيْتِي نَاطِرًا
أَهْوَى لِمَبْسَمِ الْبِنَانِ مُسَلِّمًا
منه إلى وجه كضوء صباح
فكأنَّمَا أَوْتَى لِقَطْفِ أَفَاحٍ

وله من قصيدة في الأوصاف والتشبيه :

قُلْ لِنَسِيمِ زَارٍ عِنْدَ الصَّبَاخِ
عِزِّجْ عَلَى جِسْمٍ كَأَنَّ الضَّنَا^(١)
[٧٤ ظ] أما ترى النجمَ بِلُجَيْنَا وقد
من حَلَكِيَّاتِ الرُّبَى وَالْبِطَاحِ
عَقْدٌ عَلَيْهِ وَهُوَ فِيهِ نَصَاخٌ^(٢)
كَانَ قُبَيْلَ الصَّبْحِ تَبْرًا صُرَاخٌ

وَالهَجْرُ قَدْ مَدَّ خَلِيجًا فَلَوْ
كَأَنَّمَا شَمْسٌ عَنْ مِعْصَمٍ
كَأَنَّمَا الرُّوضُ بِإِشْرَاقِهِ
تُخَضَّبُ رَاحَتُهُ بِالصَّبَاخِ
وَجْهٌ كَرِيمٍ فَوْقَهُ الْبُشْرُ لَاحٍ
ضَاغٌ عَلَيْهِ نَوْمُهُ عَيْنٌ طَاحٍ
ذَوَائِبُ الْأَغْصَانِ أَيْدَى الرِّيحِ
رَنَحَهَا النَّيْمُ بِكَاسَاتِ رَاحٍ
كَأَنَّمَا جَادِبْنَ مِنْ دَوَاجِهَا
كَأَنَّ أَعْطَافَ أُمَالِيهَا

ومنها :

كَأَنَّمَا الْأَسُّ عَلَى وَرْدِهِ
يُنْفَكُ مِنْ نَشْوَتِهِ غَيْرَ صَاحٍ
مُتَمَرُّ الْعَوَالِي وَخُدُودُ الْمَلَاخِ

منها :

كَأَنَّمَا السُّخْبُ رَعَالٌ^(٣) بِهَا
لِلغَيْلِ فِي كُلِّ مَقَارٍ جِجَاخٍ

(٢) النعاج : السلك والمحيط .

(١) في الأصل : المبا

(٣) الرعال : جمع رعلة وهي القطعة من الخيل .

كَأَنَّ أَطْرَافَ بَرْقٍ هَفَّتْ رَايَاتُ صُفْرٍ وَمَوَاضِ صِفَاحٍ
كَأَنَّمَا الرِّعْدُ كَيْفِي سَطَا عَلَى كَيْفٍ حِينَ وَلَّى فِصَاحٍ
كَأَنَّمَا الدِّيمَةُ^(١) مُنْهَلَةٌ يَمِينُ إِسْمَاعِيلَ يَوْمَ السِّمَاحِ

وله من أخرى :

أَشَاقِكُ بِاللَّسْوَى بَرَقَ أَلَا حَا فَجُنَّ بِهِ جَنَانُكَ حِينَ لَا حَا [٦٠ و]
هَذَا هَمَزَ اللَّوَاءِ الْوَرْدِ أَرْخَى ذَوَائِبُهُ فَلَاعِبَنَ الرِّيحَا
كَأَنَّ الْبَرْقَ فِي الظُّلُمَاءِ مِرَّةً تَضَمَّنَ غَيْرَ كَاتِمِهِ فَبَا حَا
وَقَاسَمَنِي صَدُوحُ الْبَنَانِ شَجْوَى فَأَجْرَيْتُ الدَّمْعَ لَهُ وَنَا حَا
ومنها في الخروج إلى المدح :

وَكَمْ تَعِبَ بَرْقُ ذِي نَوَالٍ وَلَوْ زَارَ الْوَقْقَ لَأَسْتَرَا حَا ١٠
ومنها في المدح :

وَبَيْنَ بَنَانِهِ وَالْفَيْضِ خُلْفٌ وَمَا نَزَجُو خُلْفَهُمَا اصْطِلَا حَا
وله في الخمر :

قَمْ فَاسْتَقْنِي وَالْعَرَبُ يَطْوِي لَيْلَهُ وَالشَّرْقُ يَنْشُرُ رَايَةَ الْإِصْبَاحِ ١٥
شَقَقَا عِلَاهُ مِنَ الزَّاجِ كَوَاكِبُ لَكِنَّهُ شَقَقَ دَعْوُهُ بَرَا حَا
حُلَّ الْمَزَاجِ بِهَا فَشَغَشَعَ نَوْرُهَا فَعَلَ السَّيْلُطِ^(٢) بِشَقْلَةِ الْمَصْبَاحِ
وله في ذم صاحب :

يَا رَبُّ أَنْتَ مَلَأْتَ عَقْدَ^(٣) مَصَاحِبِي سَقَمًا فَهَلْ سَبَبْتُ إِلَى تَصْغِيحِهِ
فَمَا جَعَلْتَ الطَّوَدَ يُشْبِهَ ثَقْلَهُ فِي رُوحِهِ بَلْ رَأْسَهُ فِي رِيحِهِ
فَأَجْعَلْ ثِقَالَةَ رُوحِهِ فِي عَقْلِهِ الْخَاوِي وَخَفَةَ عَقْلِهِ فِي رُوحِهِ ٢٠

(١) في الأصل : الدِّيمَةُ .

(٢) السَّيْلُطُ : الزَّيْتُ

(٣) زَالِقُ : الْعَقْدُ : الْغَزِيمَةُ . وَالنَّبِيَّةُ .

وله في ملبح :

[٦٠ ط] لئن أذَلَّتْ حَدَّكَ وهو ليلٌ
وكانت مشحنةً للحسن فيه
فلم أعزّتْ وجهك وهو صبيحٌ
فصار من العذار عليه مسخ^(١)

[الدال] وله من قصيدة مطلعها :

نسيمُ سرى والفجرُ ينضو مُنْندًا
فقلدَّ جِيدَ العنن من جَوْهرِ النَّدى
ومنها :

وخِلْنَا الصَّبَا حَاكَّتْ من النَّهْرِ لَأْمَةً
فله نَشْوَانٌ بغيرِ مُدَامَةٍ
وهزَّتْهُ هنديةٌ وصاغَتْهُ مِبْرَدًا
قويمٌ فلولاً النطقُ خِلْنَاهُ أُمْلَدًا
سقاءَ براحِ الحسنِ راحُ شِبابِهِ
فعرِبَدَ من أجفانه وتَأوَدَا

ومنها :

وشبَّ بماءِ الراحِ نارَ مُدَامَةٍ
جلاها عروسًا عاطلاً فتخفَّرتْ
فدَوَّبَ في الطَّاسِ اللجينيَّ عَسَجَدًا
فقلَّدها بالزَّجِ مما قلَّدا

ومنها في الأوصاف والتشبيهات :

وليلٍ دجوجيٍّ الجفاحِ كأنما
كأنَّ الثريا فيه للبدْرِ عاشقٌ
أمدَّ بموجِ البحرِ أو صار سرَّ بَدَا
يَمُدُّ إلى توديعِ محبوبِهِ يَدَا
مرقت^(٢) به^(٣) في مَنْ أدم صاهلٍ
كأنَّ الذي في وجهه وإهابه
ظلَّامٌ ضلالٍ فيه ضوءٌ من الهدى

وله من قصيدة حَبِيبَةٍ :

[٦١ و] / نالَ العِرْقُ يُلُوجُ توقُّدُهُ
ترتاجُ فلياك سِرْمَدُهُ

(١) : المسح : ثوب من الشعر غليظ . (٢) : مرق السهم من الرمية : تخرج

(٣) : في الأصل : دله .

هَفُو فِي مَن غَمَلْتَهُ كَالْجَحْلِ تَخْفُقُ أَبْنَدُهُ
وَالْتِهَبُ كَالزَّيْجِيِّ سَطَا وَيِيَاضُ الصَّبْحُ مُهْنَدُهُ

ومنها :

أَرْدَى بِالصَّارِمِ أَخَوَرَهُ وَسَطَا بِالضَّيْفِ أَعْيَدَهُ

ومنها :

أَبْصَفَحَ خَدَّكَ طُلَّ دَيْي فَتَعَصَّرَ مِنْهُ مُسَوَّدُهُ
أَمْ لِحْظُكَ أَذْرَجَ فِي كَبْدِي فَسَوَادُ جَنَانِي إِثْمَدُهُ

ومنها في المخلص :

مَا بَالُ زَمَانِي يُجْهَدُنِي وَأَذُمُّ^(١) عُلَايَ فَأُثَمِّدُهُ
وَإِذَا لَمْ يُغْضِ أَخُو جَلَدِي لِلْجُودِ فَأَيْنَ تَجَلَّدُهُ
أَيُّجُورُ الدَّهْرِ عَلَى بَشَرٍ وَنَدَى ابْنِ^(٢) سَلَامَةَ يَعْصُدُهُ
وَيَلِينُ الْحَقُّ عَلَى أَحَدٍ وَيَسْمَاعِيلَ تَشْدُدُهُ
يُخْتَالُ الدِّينَ لَنْ رُمِيتَ^(٣) بِعَالِي الْمَخْلَصِ أَبْرُدُهُ

١٠

ومنها :

لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ لَهُ كَلِمٌ لَتَكَلَّمَ أَنَّكَ أَوْحَدُهُ

١٥

وله من قصيدة :

أَدْرِهَا كَمَا مَجَّ النَّدَى وَرَقَى الْوَرْدُ وَأَشْرَقَ جِيدُ الْجُودِ فِي لُؤْلُؤِ الْعِقْدِ [٦١ ط]
حَبَابٌ عَلَى صِهْبَاءٍ رَاحَ كَأَنَّهُ فُتَاتٌ مِنَ الْكَافُورِ فِي الْقَنْبَرِ الْوَرْدِ
تَخَيَّلْتُهَا مَصْرُوعَةً فِي مِرَاجِهَا بِمَا مَلَأَتْ فَاهَا مِنَ الزَّيْدِ الْجَعْدِ

(١) هكذافي الأصل ولعلها معرفة عن : ويضم .

(٢) ستأتي ترجمته وكان كاتباً في الديوان العاطمي (٣) في الأصل : رمقت .

كَوَاهَا سِنَانُ الْمَاءِ طَعْنًا فَدُرَّتْ
نَجِيبَةً حَمَاهُ ضُمَّ زَجَاجُهَا
إِذَا قَرَعَ الْإِيرِيقُ جَامًا تَطَايَرَتْ
لَهَا لَمَعَانُ الْبَرْقِ وَالكَأْسُ دُونَهَا

ومنها :

وَعَمْدِ زُجَاجٍ مِنْ بَنَانِي نَجَادُهُ
نَجَرْدَ مِنْهُ كُلِّ مَاضٍ مُحَضَّبٍ
إِذَا جَالَ فِيهِ جَوْهَرٌ مِنْ حَبَابِهِ
تَقْلَنَاهُ لِلْأَجْسَامِ مَنَّا كَأَنَّمَا
يَشُقُّ جَيُوبَ اللَّيْلِ عَنَّا أَنْقَادُهُ
كَمَا شَقَّ ذُو الثُّكُلِ الْحَدَادَ عَلَى الْقَدْرِ

ومنها :

غَزَالُ لَوْرِدِ الْكَأْسِ فِي نَدْمَائِهِ
ثَنَتْ بِهِ رَاحُ الصَّبَا تَحْتَ بُرْدِهِ
وَأَبْدَى مِنَ الْجَمْرِ الْمُضَرَّمِ وَجَنَّةَ
/ وَأَبْقَى عَيْرَ الْخَلْدِ مَسْكُ عِذَارِهِ [٦٢ و]
وَحَارُ سَوَادُ الْقَلْبِ فِي نَارِ حُبِّهِ
وِظْلٌ يُسْقَى كُلَّ ذِي صَفْوَةٍ أَخْرَجَ
فَكَانَ الَّذِي أَخْفِيهِ مِثْلَ الَّذِي أَبْدَى
بِأَصْفَى وَأَحْلَى مِنْ لَمَاءٍ وَمِنْ وَدَى

ومنها في المدح :

وَلَا يَمْنَعُ الْمُرُوفَ عَنْ مُسْتَجِيبِهِ
كَنْ يَحْجُبُ الْخَيْرَانَ عَنْ طُرُقِ الرُّشْدِ

ومنها :

إِذَا خَانَتِ الْأَيْدِي حِبَالَ تَمَسَّكُوا
بِحَبْلِ إِلَى السَّرِّ الْإِلَهِيِّ مُتَمَدِّ

ومنها في وصف كتابته وبراعته :

عجبتُ لطيرسٍ منك لم يَنْدُ مُحْرِقًا
ومن ألسنٍ إن قلتَ كَلَّتْ كأنما
وقد حُلَّ بما شَبَّ فِكْرُكَ من وَقْدٍ
بَحْدَنَ بما في نظمهنَّ من البردِ
ومنها في وصف صداقته :

ونعم خليلُ المرءِ مثلي يرى الذي
إذا لم أجدْ عندَ الصديقِ تَجَلُّدًا
صفا من وداد الخُلِّ أَغْنَى من الرِّفْدِ
على حُلِّ ثَقْلِي كأنَّ واجدَهُ عِنْدِي
وله في وصف مغنيين :

ومُعَنِّينَ يُقَرِّبانَ لذي الهوى
نَظْمًا لَنَسَبِا بِلطافةٍ وتوافقي
ما شئتَ من مَعْنَى الهَوَى المتباعدِ
فكأنما نَظْمًا بصوتٍ واحدٍ
وله من قصيدة في القاضى يحيى^(١) بن قادوس :

أَمِنَ الْأَهْلَةَ وَالشَّمْسَ خَدُودُ
وعلى معاطفِ كلِّ أَهْيَفٍ ناعِمٍ
ومن الذوايل والنصون قُبُودُ
أَغْصَانُ باني ما تَمِيدُ بها الصَّبَا
— من مثل مانسجَ الربيع — بُرُودُ
وتمرُّ أنفاسي بها فتميدُ
ومنها :

مَقَلَّ يُضَيِّنُ من الجفون كأنها
أَحْدَقُهُنَّ الزُّرْقُ زُرْقُ لُحْمٍ
بيضُ الصَّوَارِمِ وَالْجَفُونُ عُجُودُ
لولا دماءُ العاشقين سَفَحَتْهَا
يَوْمَ الْكِفاحِ ، وَسُودَهُنَّ أَسُودُ
لم أَذِرْ قَبْلَ شَفَاهَا وَتَغَوَّرِهَا
ما احمرَّ في وَجَنَاتِهَا التَّوَرِيدُ
أَنَّ الشَّقَائِقَ حَسَّوْهُنَّ عَقُودُ

(١) في القصيدة ما يدل على أن اسم الممدوح محمود وإذن فهو أبو الفتح محمود بن قادوس الذي هُدمت ترجمته، ولعل الخطأ من الناسخ.

ومنها :

وارْقَصَ من عَرَقِ الحياءِ جُمانَهُ فَتَلَدَّ الدُّرَى منها الجيْدُ
رَقَّتْ مَعاقِدُ أَزْرِهْ فَكأنما تلكَ للعاطفِ ما بها تَجَسِّدُ
نشوانُ تَجَرَّجُ مقلَّباهِ قلوبنا فهو الزَّيْفُ وَلَحْظُهُ العَرِيْدُ
ومنها في الخُلص :

إِنْ كَانَ مَذْمُومُ الْأَدَمَةِ فِي الْعَلَا زَمَنْ فَمَحْمُودُ السُّلَا مَحْمُودُ
وله من قصيدة :

أَمَّا وَقَوَامُ الْأَمْسَلِ لِلتَّأَوُّدِ بِمَحَادِبِ مَنْ أَعْطَاهُ دِعْصَةَ النَّدَى
لَقَدْ رَقَصَ الْبَانُ الْمُرْتَجَّ بِالصَّبَا فَغَنَّتْ لَهُ الْأَطْيَارُ الْجَلْنَ مَعْبُدِ
[٦٣ و] / ومنها في وصف فرس :

وَكَائِنْ أَخْوَضَ اللَّيْلُ مِنْ مِثْلِ شَعْرِهَا إِلَيْهَا عَلَى رَحْوِ الْعَنَانِينَ أَجْرِي
كَأَنَّ عَشِيقًا جَسْمُهُ يُوَكِّمُهَا حَتَّى يَكُنْ مَخْلُوقَةً مِنْ زَرْجِيْدِ
كَأَنَّ خِدُودَ الْغَانِيَاتِ أَهْرَقَتْهُ مِنْ الْجَنِينِ مَا فِي كُلِّ لَوْنٍ مُورِدِ
تَجَلَّتْ بِهَا سَمَاءُ خَطِّ لَوْ أَنَّهَا رَأَتْهَا قِدُودُ الْبَانِ لَمْ تَتَأَوَّدِ
لَوْعَصْبًا صَقِيلًا مَارِجَ النَّارِ مَاؤُهُ عَلَيْهِ فَلَمْ تَتَحَمَّدْهُ وَلَمْ تَتَوَقَّدِ
مُضَارِبُهُ تُسَدِّي وَتُرْدِي كَأَنَّما أَسَدُ يُعْرَنُ خِلَالًا مِنْ سَجَايَا مُحَمَّدِ

[القال] وله :

يَا أَتَيْتِ الْأَعْصَانِ مِنْ أَوْرَاقِهِ بُرْدَ الْحَرِيرِ مُحْكَمِ وَاللَّادِ
مَهْلًا عَلَى دَنَبٍ تَقْدُّ بِصَارِمِ اللَّحْظَاتِ مِنْهُ قَلْبُهُ أَفْلَازُ
أَفْقَى مَدَامَتِهِ عَلَيْكَ تَأَسَّفًا مَذْمُومَتِ دَمْعٍ وَإِلَى وَرْدِ
٢٠

وَأَلَانَ حُبُّكَ مِنْهُ قَلْبًا قَاسِيَا كَالنَّارِ لَانَ لَحْرَهَا الْقَوْلَادُ

[الراء]

وقال من قصيدة مطلعها :

سَقَرْنَ وَوَجْهَ الصَّبْحِ يَلْتَأِجُ ^(١) مُسْتَهْرَا فَبَكْنَ مِنَ الْإِصْبَاحِ أَسْنَى وَأُنُورَا

وَمِنْ كَأَغْصَانِ الْخِثَالِ بُدَّتْ مِنَ الزَّهْرِ الْفَيْنَانِ وَشِيَا مُحَبَّرَا

أَبْجَنَ لِمَشَاقِ خُدُودَا دَوَامِيَا وَلَكِنْ حَامَا كُلَّ وَشْنَانٍ أَجُورَا

[٦٣ ط]

وَجَرَدْنَ حُرَّ الْأَنْفِ عَنْهَا وَإِنَّمَا شَقَقْنَ عَنِ الْوَرْدِ الشَّقِيقَ الْمَصْفَرَا

ومنها :

وَكَمْ نَمَّ عَنْهَا فِي الدُّجَى نَفْسُ الصَّبَا فَبَنَّا نَحَالُ اللَّيْلِ مِسْكًَا وَعَنْبَرَا

وَكَمْ أَرْهَفَتْ عِطْفًا فُلُو خَبِيرَانَهُ تَمِيلُ بِعُطْفٍ مَيَّالَهَا لَتَكْسَرَا

تَرَى خَصْرَهَا يَتَيَّا بِجَمَلٍ وَشَاحَهَا وَيَحْمِلُ مِنْ كُثْبَانٍ يَبْرِينَ ^(٢) أَغْفَرَا

١٠

ومنها :

وَلَيْلٍ رَكِبْنَا مِنْهُ أَدَمَ حَالَكَا فَصَارَ بَنُورُ الْفَجْرِ أَشْفَرَا

إِلَى أَنْ أَطْلَعَ الْفَجْرُ فِيهِ كَأَنَّهُ حَسَامٌ تَلَالَا أَوْ خَلِيجٌ تَفْجَرَا

وَفَضَضَ نَوْرُ الصَّبْحِ تَبْرَ نَجُومِهِ فَدَرَّزَهُمْ لِلظُّلُمَاءِ مِرْطًا مُدْنَرَا ^(٣)

وَلِلْمَزْنَةِ الْوُطْقَاءِ دَمْعٌ كَأَنَّمَا يَمْدُّ عَلَى الْبَطْحَاءِ بِالنُّورِ أَغْفَرَا ^(٤)

وَحَلَلْنَا لَشَوْخَصٍ الرِّيحَ رَاجَا وَأَنْصَلَا تَجُوكُ عَلَى زَرْقِ الْمِيَاهِ السَّنُورَا ^(٥)

١٥

ومنها في المخلص :

أَسَافَةٌ مَنَا التَّجِيعِ مُحْجَرَا مَقِيَّ أَصْبَحَ السَّيْفُ الْيَمَانِيَّ مُحْجَرَا

(١) يلتأج : يبدو .

(٢) يبرن : موضع يازاء الإحصاء في البحرين

(٣) مدنرا : متلأنا .

(٤) الأغفر : السحاب المستمر مطره

(٥) السنور : ثوب كالدردع .

ألا فاعبدي صمصام لحظي سَلَّتْهُ كما سَلَّ رضوان^(١) الحسام المظفرا
مليك له عَضْبٌ إذا شامَ بَرَقَه رأيتَ النفايا بينَ غَرْبَيْهِ جَوْهَرا
عَلَّتْ ماءهُ نارٌ فلولاً التهاجُها لسالَ ولولا ماؤُهُ لَتَسْعَرا
وَأَرْهَفَهُ حُبُّ الطَّلَا فَهُوَ نَاحِلٌ ولولا وصالٌ دائمٌ فَقَّ أن يُرى
/ وكان يقودُ الخليلَ يَعْزُزْنَ بِالظُّبَا فينْفُضُها في مُقَلَّةِ الشمسِ عَثِرا [٢٠ و]
ولولا التَّجِيعُ اللَّئيمِي في مجالها صَبَّغْنَ سِوَادَ اللَّيْلِ بِالنَّقَعِ أَغْبرا

ومنها :

يَضُمُّ كَرِيمًا مِنْهُمْ كُلُّ سَابِغٍ فَيُلْحِقُ غُلْدَانًا تَضَمَّنُ أَجْمَرًا
ومنها :

١٠ قَهْلُ لِلْمُلُوكِ الرُّومِ أَيْنَ فِرَارُهَا إِذَا مَلَكَ الْإِسْلَامُ فِي اللَّهِ شَمَرًا
وكيف تنال البعض من غَفْضِهَا وَقَدْ سَرَى رُغْبِهَا فِيهَا سَنِينَ وَأَشْهُرًا
ومنها في صفة القلم والرمح :

سَطَوَتْ بَعْثَاتَيْنِ فِي كُلِّ مُشْكِلٍ أَرْتَنَا ضَفَاءَ الْعِيشِ لِمَا تَكْدُرَا
يراعانِ هَذَا يِمْلَأُ الطَّرْسَ حِكْمَةً وَذَاكَ يُذَيِّقُ الْخُفَّ لَيْثًا غَضَفَرَا
١٥ وَإِنْ ظَلَمًا أَضْمَنَاهَا يَرِدَا عَلَى

نفوس العدا — من غير إذن — ويصدرا
فيشربُ هذا أَسْوَدَ اللَّيْلِ حَالِكا ويشرب هذا قَاتِي الدِّمِ أَجْمَرَا
وله من أخرى :

لعلَّ نَسِيمَ الرُّوضِ مِنْ خَلَلِ الزَّهْرِ يَصَافِحُنِي بَيْنَ الْحِمْلَةِ وَالنَّهْرِ

(١) هو رضوان بن ولحي وزير المحافظ وسبق التصريف به .

- قد شاب زنجي الدجى حين أشرقت
 وسال ندى مرنى على أقحوانه
 وما لاح دُرٌّ فوق وُشي وإنما
 / وفوق احمرار الورد رشح كأنما
 فله روض لَفَّ أطراف دوحه
 وسندس نبت تحت زهر كأنه
 وأوراق آس زعزعت من غصونها
 شموية الأمواه معلولة الصبا
 مذانبها زرق النطاف كأنما
 ١٠ يحول شعاع الشمس فوق صقالها
 ولنا سرزنا بالرسوم التي بدت
 تكسمت رياء زهرة فوق نضرة
 ولاحت ذكلا في جناحي غمامة
 ودَارَ بفضن رجب فكانه
 ومنها :

وأعلنت أشواق وناحت حمامة
 فلما أدر حقاً أينما العاشق العذرى
 ومنها :

لأدر عن الليل نحو خيامها
 بوهن كأن البدر تحت جناحه
 على ظهر خوار^(٢) العنانين مَرُورٌ
 محيّا فتاة لاح في عسق الشعر

(١) المنذر : بهريك النال جمع عذار وسكن النال للشعر

(٢) الكلة : السارة . (٣) خوار : ضعيف ، وريقق .

[٢١ و] / وملٌ يميني بحرٌ سيفٌ تموجت
سرى روعه في السلم والحرب مثلاً
مياه الناي بين غريبه والأثر^(١)
سرى ذِكْرُ إسماعيل في البر والبحر
وله من قصيدة :

يا وردَ خذِ خاله عنبر
ما خالك النَّدْ وماذا الذي
وَعَمَدَ جَفْنٍ سِفْهُ أَحْوَر
لكنه أسود عيني وقد
ضُرِّجَ مِنْ وَجْتِهِ نَجْمَر
ما تبع اللوت يمانية
فأض من الدمع دم أحر
وإِنَّمَا يَبْعَثُهُ الْحَجَرُ
ومنها :

ناشدتك الله قضيب النقا
هجرائك الليل ، وما ينجلي
أما بوصلي أبداً تشر
حُخِلَتْ ماءً وأحال^(٢) الهوى
ووصلك الصبح ، وما يُسفر
لوم يكن ثرك في ساكن
جسمي ناراً فلذا تهجر
زعزعت موج الردف في مئزر
عذب لقلنا إنه جوهـر
يكاد فيه يفرق المئزر
وله :

لائى في قرية بث له
لك دين ولناس غيره
ساجداً إذ لاح في ليل الشعر
وكما للشمس قومٌ سجدوا
ولبعض الناس أديانٌ آخر
/وله من أخرى :

عطف القضيب على الكتيب الأعفر^(٣)
وجلا الظلام على الصباح المسفر

(١) الثرب : حد السيف ، والأثر : فرند

(٢) في الأصل : وأجال .

(٣) الأعفر : الأحمر .

ومنها :

أَتَمِسُ قَامَتُهُ وَيَعْبَثُ طَرَفُهُ يَدِي كِمَادَاتِ الْوَشِيحِ ^(١) الْأَثْمَرِ

ومنها :

أَجْرَى لِنَاعِصْرِ الصَّبَا فِي جَسْمِهِ مَا الشَّبِيهَةِ صَافِيًا لَمْ يُغْضَرِ
وَأَرَاكَ مِنْهُ الْوَشْيُ فِي حُلَلِ الْقَبَا طَى الْجَمِيلَةِ فِي عَرَيْنِ الْقَسُورِ
وَبَدَأَ الْمَاءَ الْوَرْدَ فِي أَبْرَادِهِ مَا لِلْحَدَائِقِ فِي الْغَامِ الْمَطَرِ
وَالْأَلَحَ تَحْتَ مَرَاشِفٍ بِمِاسِمِهِ دَرَأَ مَصُونًا فِي عَقِيْقِ الْأَثَرِ
فَعَلْتُ لَمَّا خَضْتُ فِي بَحْرِ الْمَوَى أَنَّ الْمَرَاشِفَ مِنْ بَحَارِ الْجَوْهَرِ

ومنها في اللدح :

مَا زَلْتُ تَبْلُغُ فِي الْعُدَاةِ خَطَابَةً وَالطَّرْفُ ^(٢) مُتَقَسِّبٌ مَكَانَ النَّبْرِ
أَسْمَعْتُهُمْ عَرَفَ الْحِمَامِ بِمَجْمَرٍ كَانَتْ رِمْلُكَ عَوْدَ ذَلِكَ لِلْجَمْرِ
وَبَسَطْتَ مِنْ كَفِّكَ عَشْرَ أَسْنَةٍ فِي الْحَرْبِ ، بَلْ فِي السَّلْمِ عَشْرَةُ أَمْجَرٍ

وله من أخرى :

مَشَتْ فَكُنْتُ مِشْيَةَ الْجُوْذِرِ ^(٣) وَأَشْبَهَتْ الصَّبْحَ فِي النَّظَرِ
وَمَاسَتْ وَقَدْ جَاذَبَتْهَا الصَّبَا ذِيولًا مِنْ السَّنْدَسِ الْأَخْضَرِ
/ قَلْتُ قُضِيبُ النَّقَا يَانَعُ يَمِسُ عَلَى حِقْفِهِ الْأَغْفَرِ

[٢٢ و]

ومنها :

لَقَدْ فَضَلْتُ كُلَّ مَمْشُوقَةٍ تَنِيهُ عَلَى الْقَمَرِ الْمُقْمِرِ

(١) الوشيح : شجر الرماح

(٢) الطرف : الكرم من الخيل

(٣) الجوذر : ولد البقرة الوحشية .

كما فضل الناس في مجدهم أبو جعفر بن أبي جعفر
فتى إن دجا حادثٌ حالكُ فراه كالفلقِ المسفرِ

وله :

لله درُ عَشِيَّةٌ نَادَمْتُهَا والعيشُ من ^(١) مَقَلِ الشَّيْبَةِ يَنْظُرُ
غَرَاهُ ضُمْفٌ نَوْرُهَا فَكَأَنَّمَا أَمْسَى يُشْعِشِعُهَا صَبَاحُ أَنْوَرِ •
خَطَّ الْبَهَارُ بِهَا بِمَقْلَةٍ وَشِمِهِ ^(٢) خَذَّ النِّعَامِ فَبَاتَ وَهُوَ مُصْغَرُ
مَا كَانَ أَحْسَنَهَا بَصْفَةً ^(٣) بَرْكَتِهِ بَاتَ بِمَقْلَةِ الرِّيحِ وَهِيَ سَنَوْرُ
يَبِضَاهُ جَالٍ بِهَا الرِّيعُ كَأَنَّهُ ذَوْبُ اللَّحْنِ جَرَى عَلَيْهِ الْجَوْهَرُ
طَافَ الرِّيعُ بِمَائِهَا فَكَأَنَّهُ خَذَّ أَطَافَ بِهِ عِذَارُ أَخْضَرِ

وقال من قصيدة مطلعها :

[السب]

١٠

يا حادى العيس من نجد قف العيسا وأجعل لنا بمغانى الأيكِ تعريسا

ومنها :

فاجنحْ بهنَّ إلى حيثُ الرِّيعُ كَسَا مَنَاكِبَ الْأَرْضِ مِنْ نَوْرِ طِيَالِيسَا
وَالْمُضْبُ تَحْتَ ذِيُولِ الْمُعْصِرَاتِ ^(١) كَا عَايَنْتَ فِي الْخَلْقِ الْبُرْدَ الْكَرَائِيسَا ^(٢)
[٢٢ ط] / وَالسَّرْحُ تَحْتَ مُوشَى النَّوْرِ تَحْسِبُهَا إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِنَّ الطَّوَاوِيسَا ١٠
وَفِي بَرُوجِ الْقَبَابِ الْحَرِّ شُهْبُ مَهَا صَيَّرْنَ أَفْلَاكَهَا الْبُرْلَ الْقَنَاعِيسَا ^(٣)

(١) في الأصل : في

(٢) في الأصل : سمه بدون واو .

(٣) الصفة : للوضع للظلال ، ومنه أهل الصفة لأنهم كانوا يبيتون في موضع مظلل من

مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤) المعصرات : السحب

(٥) الكرايس : جمع كرايس بالكسر وهو ثوب من القطن الأبيض ، فارسي معرب .

(٦) البرل القناعيس : الإبل الكثيرة الضخمة .

وله :

ومنهف أبدى الشباب بخده
صدغاً فرقق وزده في آسه
تتلهب الصباه في وجناته
قتير من عينيه في جلأسه
حتى إذا ملأ الزجاجة خده
نوراً وفاح الخمر من أنفاسه
خال الزجاجة أغممت بمدامه
فدنا ليشرب نوره من كاسه

وله ، وأحسن ، وأنى بتشبيهه في تشبيهه ، يعجز عن مثله كل ذى روية وبديه .
ومعذر أجفانه وعذاره
يتعاضدان على فناء الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس
كانت خائل غديه من آس

[الصاد]

وله في ذم الصبح حين فرق بينه وبين محبوبه :

عشت الظلام وعفت الصباح^(١)
إذا كان أفلت متى قنص
كان النجى وجه زنجية
مليح بدا الصبح فيه برص

[الضاد]

وله :

يا من يريد على الإساءة ودنا
طرف الوداد عن المسى غصيص
ليس الوداد عن الإساءة ظاهراً
كالماء ليس عن الضرام فيض
أنت الحبيب لنا بكونك محسناً
إذا أسأت لنا فأنت بغيض

[٢٣ و]

[الطاء]

وله من قصيدة :

ومحبوبة لو أبرزت دون مرطها
رأيت عليها من سنا نورها مرطاً
تخال هلال الأفق نصف موارها
إذا لاح والجوزاء في نحرها سقلاً
وتحمل بدر التم وجهاً وشنفها
سما كاً وشهبان^(٢) الثريا لها قرطاً

ويضي بماء الورد وردى خدّها
فينثر منه لؤلؤاً عدّ جامداً
لما مزج الساقى لذماته أسفنتاً^(١)
بصولج لام لاح بالصّدغ مُحْتَطّاً

[العين] وله من قصيدة :

خليلٌ عوجاً باللوى ، ها هو الجزعُ
نسيمٌ بارقاً بالرقمتين له لَمَعُ

ومنها :

أشار علينا بالسلام فكلّنا
وأسرني لما سرى البرق موهِناً
وما شاقني إلا تأوّد بانه
وطيفُ خيالٍ حين كاد يزورني
فما للهوى بل ما لدرّ مدامي
وما للطايا الراسمات^(٢) كأنما
[٢٣٣ ط] / ظننّ بمن عندي وإن نزحت لها
له بصيرٌ يدنو فيحسده سَمْعُ
حامٌ بأفنان الغصون له سَجْعُ
ومرثٍ نسيه لا طلول ولا ربيعُ
بدأ لعمود الفجر في ليله صدعُ
تحولَ مرجاناً وعهدى به دَمْعُ ؟^(٣)
لوصل السهوب الفحيح^(٤) من وجدها قطعُ
هوى بين أحناء الضلوع له لدع

ومنها :

غلاميةٌ مال الشباب يعطفها
تفوح بلا طيب كما أن جيدها
وتكسر أحياناً محاجر ترجسي
فلم يك للصهاة في مثله صنّع
تجلى بلا حلي ، وفلاهما طَبِيعُ^(١)
كان الذي ما بين أهدابها^(٢) الجزعُ

ومنها في الخللص :

يضاهن من رضوان سيفك مؤيداً
يرى فوق أعناق الأعداء له وقعُ

(١) الإسفنت : الحمر .

(٢) ريمت الناقة رسيها : أثرت في الأرض أثناء سيرها .

(٣) الفحيح : الراسعة .

(٤) الجزع : الخرز العائى فيه سوادٌ وياش ، وتعبه به العيون .

ومنها في وصف السيف :

وللنصرِ مَثْوًى فوقَ حَدِّ حُسَامِهِ إذا حَانَ من هامِ الكِأَةِ به فَرْعُ
وليس الذي يبدو عليه فِرْنْدُهُ ولكنها الأرواحُ فيه لها جمع
وله :

وقائله مالى أرى الحظَّ وافرًا بكلِّ دَنِيٍّ فى الرجالِ وضعِ
فقلتُ لها : لا يُتَحَفُّ الدهرُ ماجدًا أنافتُ بهِ عليهاه بصَنِيعِ
يضيقُ بماءِ النيلِ مُنْخَفِضُ الثرى ويَحْرَمُ منه الرىَّ كلُّ رَفِيعِ
وله من قصيدة فى الفراق :

لولا الفراقُ لَمَّا بَكَيْتُ نَجِيمًا ولما حَرَمْتُ المقلتين هجوعا
ولما حَنَيْتُ على ضِرَامِ تشوُّقٍ يَأْتِي الخمودَ ، جوانحا وضلوعا
/ أمَّا العزاءُ لأَجَلٍ مَن فارقتهُ فقد استحال مع الفؤادِ دموعا [٦٤ و]
ولكم شكوتُ ، فاشكوتُ لراحمٍ ولكم دعوتُ ، فادعوتُ سميعا
أَسْتَوْدِعُ الرحمنَ مَن ودَّعْتُ يو مَ وداعه قلبًا به مفعوجا

وله :

[الثين]

لو أَنَّ يوماً قَتَلَ الحِبَّ طالِبَه بالثَّارِ مِنْهُ طَلَبْتُ اللَّحْظَ وَالصَّدُغَا
ما استعانا على قَتْلِ فِصَارِ لَدَا قَدْ الفؤادِ ، وهذا صِلُهُ لَنَغَا
لم تبلغِ البيضُ والسمرُ النحافُ على أَيْدِي القوارسِ مَنى ماها بَلَّغَا
يا حاملَ اللحظِ والأصداعِ أسلحةً ملئتِ الكفى فلا تُخَدِّثُ عليه وَغَى
ويا مَرِيْقَ دى ظلمًا وجاحِدَه هل لَوْنُ خَدِّكَ إِلا من دى صَبِغَا

قد يعلمُ الله أني غيرُ مُنعمٍ
ويعلمُ الليلُ أن الشوقَ هيجني
سعى إليك بي الواثي فأهسدي
وقاز منك بما قد كنت أحرصه
أقلك ذا لثغ في القول من دَهَشٍ
أنت الذي لو رآه النصفُ ما انعطفت
لم يبدُ غيرك شخصٌ في الوري حسنٌ

[٦٤ ط] / وله من قصيدة :

[القاء] ماستَ بدعصَ نفاً يجاذبُ أهيفاً
خودُ حوتٍ مقلِّ الهاةَ وجيدها
بيضاء ترفلُ بالكتيبِ مُهَيَّلاً
أبدى الوداعُ لنا برخصِ بنائها

ولوتُ عليه الخيزرانةَ معطفاً
وَحَوَى الوشاحُ له هضيماً مُحَطَّفاً ١٠
والبدلِ أُنورَ والقضبِ مهففاً
عَتَمَا ببعضِ دمِ القلوبِ مطرَفاً^(٢)

منها في المخلص :

مالتي طعنتَ وتخذُ القنا
سرتَ على صدِّ الوفاءِ يبينها

والبيضَ سَجَفَا بالكآبةِ مسجفاً
كرورِ إسماعيلَ في طُرُقِ الرِّفا ١٥

وله من قصيدة :

أما وحميًا الكأسِ هَزَّتْ لنا عِطفاً
وساقٍ يكادُ السكرُ يُسْقِطُ نِصفَهُ
ومغضوبةً قَبْلَها وَلَمْتَهُ
وخلقي له مثل الحَيَا وَوَفَرَهُ

وبدلِ تمامِ الحسَنِ يسى بها صِرَفاً
مزاحاً وَيُبْقَى في مآزره النصفَا
فأتبعتُ ثمرَ الراحِ من ثمره رَشَفاً
تمازجُ أرواحِ النداءِ به لُطفاً ٢٠

(٢) مطرُفاً : مخضباً .

(١) في الأصل هكذا : مصفاً .

وَعُصْنُ قَوَامٍ يَحْمِلُ الْحِفْتَ نَاعِمًا
وَحَصْرٍ كَانَ الظَّنُّ يَهْوَى فِكْلًا
وَحَدِيدٌ إِذَا مَا حُطَّ عَنْهُ لَثَامُهُ
وَشِعْلَةٌ رَاحٍ كُلَّمَا شَابَ تَبَرَّهَا
/ وَمِيدَانٍ لَهَا رَاهَنْتَنِي كَمَا تَهُ
وَشَادٍ يَرُوقُ السَّمْعَ حُلٌّ رَنِينُهُ
لَقَدْ نَسِمَ الْإِصْبَاحُ عَنْ ثَمَرِ أَغْيَدٍ
وَرَنْ حَامٍ الْبَابَ حَتَّى كَأَنَّمَا
كَانَ عَلِيلَ الرِّيحِ فِي الْعُصْنِ عَاشِقٌ
كَانَ الدَّجَى يَخْشَى رَقِيبًا جَسْمُهُ
وَمِنْهَا :

كَأَنَّ الْحَدِيقَاتِ لِلنُّوْقِ^(١) نَوْرُهَا
كَأَنَّ قُنُوقَ^(٢) الْوَرْدِ فَوْقَ غُصُونِهِ
كَأَنَّ عَيُونََ التَّرْجَسِ الْعُصْنُ قَلْبَتْ
كَأَنَّ بِهَا تَفْتِيرَ أَجْنَابٍ وَامِقٍ
كَأَنَّ الَّذِي مِنْ سَوَسَنِ النُّورِ بَيْنَهُ
كَأَنَّ شَدَا الْخَلِيرِيِّ، مَرًّا، مَحْدَثٌ
كَأَنَّ ثَمُورَ الْعَاصِرِيَّاتِ كُلَّمَا
كَأَنَّ شَقِيقًا، يَحْمِلُ الْطَلَّ، أَغْيَنٌ
كَأَنَّ غُصُونِ الْآسِ تَحْتَ اخْضَارِهَا

دَرَانِكُ^(٣) بَاتَ الدُّوْحُ فِيهِ مَلْتَمًا
أَدِيمُ خُدُودٍ عَنْ نَجِيعَاتِهَا شَفَا
مِنْ الْوَرْدِ فِي خَدَيْ تَسْهِدِهَا طَرَفًا
رَعَى النِّجْمَ حَتَّى كَادَ يُغْنِي وَمَا كَفَا
قِيَانُ دُجَى حَاوِلِنَ مِنْ زَهْرِهِ قَطْفًا
تَحْوَفُ أَنْ تَسْعَى لَهُ الشَّمْسُ فَاسْتَخْنَى
تَبَسَّمَنَ نَوْرُ الْأَقْحَوَانِ الَّذِي رَفَا
رَمِدَنَ وَزَادَ الدَّمْعُ حُمُرَهَا ضِعْفًا
قُدُودُ مَهْيٍ يَحْمِلُنَ مِنْ سُدُسٍ لُحْفًا

(١) النُّوْقُ : الصُفوف (٢) الدَرَانِكُ : جمع درونك وهو ضرب من البسط والثياب .
(٣) قُنُوقُ : احرار

كأن البراع^(١) التضرَّ أوراقه قنًا / كأنَّ خليج الماء أوجسَ طَفَنَةً [٦٥ ظ]
له العذب^(٢) الخفاق يستأنف الرِّجفا
فدرَّعَ أجنادًا وجدلها صَفًا
وداعَ خليطٍ ذَرَّ من دمه وَكَفًا
كأن اعتناق القُضْب والعيم دالج
كأن اخضرار الدوح، والنهر ضاحك
كأن رياض النهر مدحجٍ باسط
له الحسن الوهاب يوم الندى كفا •
وله :

كلُّ من أعرفه يظلمني / وسوى ذلك فعتى ينصفُ
فعدوى كلِّ من أعرفه / وصديق كل من لا أعرف

[القاف] له من قصيدة مطلها :

ليتها إذ قاسمتك العناق / علمتك الصبر لا الاشتياقا ١٠

ومنها :

لنساءئل مِعصمينًا فإنَّا / ما نطقنا مذ عرفنا الفراقا
كم على جيدٍ وخصرٍ أدبرًا / مرَّةً عقداً وأخرى نطاقا

ومنها :

وكانَّ الحُسنَ آلاتُ خَرَطٍ / أبرزت في الصدرِ منها حِقاقا ١٥
سَقَرَتْ عن بدرٍ تيمِّ فلما / نُقِبَتْ كان النِقابُ المحاقا

ومنها :

[٦٦ و] / وجرت في قرٍ انخدَّ منها / عبرةٌ كانت عليه انشاقا

ومنها في المدوح وهو قاض :

حاكمٌ أظهرَ للعدلِ فينا / كلَّ مالاقٍ بعقلٍ وراقا ٢٠

حكمةٌ لو عاقنا الدهرُ عنها كان عن حكمةٍ لقمان عاقا
نثرُ التأويلِ دُرّاً ولكن غاصَ من علمٍ بحاراً دقاقا

ومنها :

يَدُهُ لَمَالٌ إِلْفٌ غَضُوبٌ كلما واصلَ شاء افتراقا
تَأْيِيْقُ الْأُمُوالُ عن راحتيهِ بندى عَمَلُهُنَّ الإِيقا

وله من قصيدة مطلعها :

سَرَى وقد عَنَّ لِعَيْنِي الْأَرْقُ وَأُشْمِطُ^(١) بِالْفَجْرِ قَدَالُ للَسَقُ
مَرْبُ يَهْرُ الْبَرْقُ في أَرْجائه مِثْلَ الْبِمانِيَّاتِ في أَيْدِي الْأُفُقِ
يَكِي فَلِلنَّوَارِ مِنْهُ ضَحِكُ كَهْزُ مَعْشُوقٍ [بِحَبِّ^(٢)] عَشَقُ
وَالزَّهْرُ^(٣) مِثْلَ الزَّهْرِ في أَغْصانِهِ أَوْ كَالنَّوْانِي تَحْتَ أَرْبَادِ السَّرَقِ^(٤)

وله من قصيدة :

لَكَ اللهُ مِنْ بَرْقٍ بَنَعْمَانَ أَزْرَقَا وَصافِحَ رِثْمًا بِالْكُثْبَيْنِ وَالنَّعَا
أَلَا حَ وعمرُ القَجْرِ في أَخْرِياتِهِ فَناحِدَ لِلظَّلامِ جَبِينًا مُشَقَّقا
سَرَى ، وظلامُ اللَّيْلِ يَجْلُو صِباحَهُ فِلاحَ إِلينا أَدَمُ اللَّيْلِ أَهْلَقَا
/ وما هاجني إِلَّا رَنْبُ مَطوْقٍ أَقامَ على الْأَغْصانِ يَدْعُو مَطوْقًا [٦٦ ظ]
وَللهُ نَشْوَى جاذِبِ الدَّعْصِ خَصْرَها هَضِيمًا بِما دُونَ السَّوَارِ مُنْطَقًا

ومنها في اللدح :

وَيُخَشِّي لَدَيْهِ الْيَأْسُ مِنْ حَيْثُ يُرْتَجَى وَيُرْجَى لَدَيْهِ الْجُودُ مِنْ حَيْثُ يُتَقَى
مُحْيَا بِرَيْكَ الشَّمْسِ نَورُ جَبِينِهِ فَكُلُّ مَكَانٍ حَلَّهُ كَانَ مُشْرِقا

(١) اشمط الشعر : اختلط أبيضه بأسوده

(٢) ساقطة من الأصل وزدنا الكلمة ملائمة للسياق

(٣) الزهر : النجوم

(٤) السرقة : الحرر .

ومنها :

وَإِنَّكَ لَوْ أَوْمَأْتَ دُونَ بَجَسِهِ إِلَى الْحَجَرِ الْقَاسِيِ بَيْنَكَ أَوْزَقَا
إِذَا مَا مَلَكَتْ لِلْأَلِّ مَلَكَتُهُ الْوَرَى كَأَنَّكَ لَمْ تُرْزَقُهُ إِلَّا لِإِزْرَقَا

ومنها في القلم :

تَهَزُّ بِرَأْعَا كَالرَّدِينِي ذَابَاكَا يَقُولُ سَنَاكَ حِينَ يَسْطُو وَحُفَقَا^(١)
تَرَى التَّلَاقَ الْقَانِي مَدَادًا لِحُلْطِهِ وَجَانِحَةَ الْقِرْنِ لِلدَّجَجِ مُهَرَّقَا
صَحَائِفُهُ تَقْرَى الصَّفَاحَ كُلَا نُشِرْنَ ، وَتَحْكِي الرُّوضَ فِيهَا مِنْثَقَا
فَلَوْ لَا حَظَّتْ عَيْنُ ابْنِ^(٢) أَوْسٍ مَهْوَنَهَا رَأَى أَيُّهَا كُتُبًا مِنَ السِّيفِ أَصْدَقَا

يعني ابن أوس حيث يقول : السيف أصدق إنباء من الكتب

وله من قصيدة مطلعها :

عَزَّ النَّسَامُ فَخَفَنِي جَائِلُ الرَّمَقِي وَبَاتَ قَلْبِي لَا يَشْكُو سِوَى الْخَلْدَقِي

ومنها^(٣) :

كَالْخِيزَانَةِ مَا لَاحَتْ لَهَا وَرَقِي إِلَّا مِنَ الْوَشْيِ بَيْنَ التَّيْرِ وَالْوَرَقِي
فَالنَّصْنُ مَا مَاسَ رِيْمَانُ الشَّبَابِ بِهِ سُكْرًا وَغَيْرُ مَدَامِ الْحَسَنِ لَمْ يَنْقِي

ومن قصيدة :

يَنْتَرُ الْطَّلَّ كَمَا يُنْتَرُ مِنْ وَجَنَةِ الْمَشُوقِ رَشْحُ التَّرَقِي

ومنها :

ذُو وَقَارٍ مَازَجَ الْبَشَرَ كَمَا مَازَجَ الصُّبْحَ عُبُوسُ النَّسَقِي

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي

(٢) الخفق : السيف العريض .

(٣) هنا خرم وقد قلنا بقية ترجمة ابن هاني وعنوان ترجمة ابن جوشن من مختصر الخريدة

وأصلحنا النص في مواضع كثيرة .

ومن شعره :

يا من أراه الخير يكتمُ ضِدَّهُ^(١) خَدُّ عليه من حَياءِ رَوْنَقِ
احذر مكايدهِ وَجَنَّةِ حَمْرَةٍ فالجر محرءُ الذِّلالَةِ مُحْرِقِ

[الكاف]

ومن شعره :

يحمي الغنائمَ جودُهُ ولربما قصرت عن اللحكى فعالُ الحايكى
ما باله يهَبُ النَّدَى مُتَبَسِّمًا وللنصراتِ^(٢) كأنهن بواكى

[اللام]

ومن شعره :

لِهَا لَصَائِلُ حَلِيهَا وَلِثَامِهَا هَذَا يُعَانِقُهَا وَذَاكَ يُقَبِّلُ

ومنها :

ولقد يُجِيشُ الشَّوْقُ رَاكِدَ عَيْرَتِي فكأنه لَهَبٌ وَجَفْنِي مِرْجَلُ
تَجْدِيَّةٌ وَأَفَّاكَ مِنْ لِحْظَاتِهَا نظرتُ بسفعِ دمِ القلوبِ موَكَّلُ

ومن شعره :

ومَهْدٍ سَبَّحَ الْفَرْدُ بِصَفْحِهِ وَطَفًا فَيُحَسِّبُ مُقَمِّدًا مَسْلُولًا

وله في الخلال :

يا ناظرًا في خَدِّ أَغْيَدِ مَائِسٍ خَالًا يَرِقُّ نِضَارَةً وَجَمًّا لَا
سَكَنَ التَّوَادَّ وَحَلَّ بَعْضُ سَوَادِهِ فِي وَرْدِ جَنَّتِهِ فَسَبَّيْ خَالًا

وله في صفة الروض والنهر :

وَنَاصِعِ مَاءِ كَانِ كَالْبَدْرِ بِأَثَلَا وَلَمَّ ظِلُّ فَلَاحٍ هَلَالَا

وله في ذم النمر :

فَأَيْسَرُ مَا فِيهَا لَدَى الْعَقْلِ أَنَّهَا إِذَا وَلَجَتْ فِي رَأْسِهِ خَرَجَ الْعَقْلُ

(١) يريد أن خيرا يحمل شرًا وسيفسره . (٢) المنصرات : السحب

[اليم] ومن شعره :

فَمُ فَاسْتَقْنِي بِالْكَأْسِ إِنْ أَمْكَنْتُ كَأْسٌ وَإِلَّا فَاسْتَقْنِي بِالْقَمْرِ
أَمَا تَرَى النِّجْمَ الَّذِي كَانَ كَالدِّينَارِ قَدْ أَصْبَحَ كَالدِّرْهَمِ
وَالْفَجْرُ فِي رَوْضِ الدُّجَى جَدُولٌ سَارَ لَيْسَتِي زَهْرَ الْأَنْجَمِ

ومن شعره :

قَضِيبٌ لُجَيْنٍ تَوَزَّرَ الْوَرْدُ فَوْقَهُ وَلَكِنَّهُ مَاشَقَّ عَنْهُ كَأَمَّهُ
أَرَى الْحِبَّ دِينًا وَالْحَبَّيْنِ أُمَّةً وَصُدَّغِيهِ خِرَابًا وَقَلْبِي إِيمَانُهُ
لَبِي وَجَنَّةٍ قَدْ حُطَّ لِلشَّعْرِ فَوْقَهَا يَحْنُ عَلَى نُونٍ يَمَانُ لَأَمَّهُ

ومن شعره :

١٠ قَدْ غَارَتْ ^(١) الصَّبَاهُ مِنْكَ بَوْجَنَةٍ خَجَلًا فَعَادَتْ لِلْبَنَانِ مِنَ الْقَمْرِ
ومنها في اللدح :

إِنَّا لَنَطْلُبُ مِنْ سِوَاهُ سَمَاحَةً كَالشَّهْدِ يُطَلَّبُ فِي مُجَاجِجِ الْعَلَمِ
وَإِذَا رَجَوْتَ مِنَ الْبَخِيلِ يَدًا قَدْ طَالِبَتُهُ بِالزُّومِ - مَالِمَ يَلْزَمِ

ومن شعره :

١٠ يَا كَبِيَّةَ لِي خَالَهَا ^(٢) حَجَرٌ لَوْ أَنِّي أَسْتَعِمْ

ومن شعره :

رَشَاءُ تَمَلَّقَ ^(٣) خَصْرُهُ مِنْ رَدْفِهِ فَهُوَ الظَّالِمُ وَخَصْرُهُ : لِلظَّالِمِ

ومنها :

لَا تَسْتَيْنِ كَأَنَّمَا أَرْوَاهَا خُلِقْتَ وَمَا خُلِقْتَ لَهْنٍ جِسْمُ

(١) غارت : من الغيرة .

(٢) في الأصل : يَا كَبِيَّةَ حَسَنَ خَالِكَ لِي ، وهو تحريف . (٣) في الأصل : يَطْلُبُ .

[النون]

ومن شعره في وصف القوس :

هل يُدْنِيَّ من جَلَابِ خِيَامِهَا بَرَقَ تَقَلَّدَ جِسْدُهُ بِعِثَانِ
ومنها في صفة السيف :

ومَهْنٌ مَمْتَوِجٌ مَتَضَرِّمٌ من صَفْحِيهِ بِعَمْدِهِ فَجَرَانِ
عَضْبٌ تَرَقُّقَ مَاوِهِ فِي نَارِهِ فَعَجِبْتُ كَيْفَ تَأَلَّفَ الضَّدَّانِ
يَنْدَى وَيَدْنَى تَارَةً فَكَأَنَّمَا لَمَسْتُ مَضَارِبَهُ يَدَا رِضْوَانِ
ومنها :

وَسُلَّ أَيْدَى الدَّارِعِينَ قَوَاضِيَا مِثْلَ الْجَدَاوِلِ سِلَنَ مِنْ غُدْرَانِ
ومن شعره :

وَأَحْسَنَ مِنْ قُنُوْ خَضَابِ خَوْدِ دَمٌ يَحْمَرُّ فِي زُرْقِ السَّنَانِ
ومن شعره :

فَإِنْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ مُشْتَبِهًا بِهِ فَلِذَا مَلِكٌ هَادٍ وَذَلِكَ شَيْطَانُ
وله في كبير الأنف :

أَعْجَبَ بَيْنَ إِنْ جَلَّ فِي بَيْتِهِ لَهُ فَلَا يَفِيهِ فِي الدَّارِ يَنْتُ ثَانِ
وَتَكَادُ تُخَفِّيه ضَخَامَةُ أَنْفِهِ فَكَأَنَّهُ أَنْفٌ بِلَا إِنْسَانِ

ومن شعره :

[الباء]

أَقُولُ وَالْبَرْقُ لَمَّا عَ يَمَانِي أَجْدُولُ أَمْ صَفِيحٌ هَنْدَوَانِي
وَالْفَجْرُ يَسْعَى عَلَى آثَارِ غَيْبِهِ مِثْلَ الْقُدَافِ ^(١) سَعَى يَتْلُوهُ بَارِي
وَالشَّمْسُ فِي الْمَزْنَةِ الْحَمْرَاءِ تَحْسِبُهَا خَدًّا حَوَاهُ قَفَاعُ أَرْجَوَانِي

(١) القُدَاف : ثمرات كبيرة .

ومنها :

أهوى ببغداد من بالخيف منزله فالحب منى حجازي عراق

ومنها :

تحوي للمالي ويحويك الزمان بها كالقلب يحوي المعاني وهو تحوي

• ووجدت في ديوانه قصيدة لكنها في ديوان ابن خفاجة الأندلسي فيها :

ومشى النسيم يجر فضل رده بين الحدائق مشية الخيلاء
نشوان يعبث بالنصون ويثني مراحا فيعثر في غدير الماء

ومنها :

قمر يد من الثريا راحة ضمت على قدح كنجم سماء
يتقي فأسقيه فيشرب حسنه عقلي ويشرب راحه أعضاء

١٠

ومنها في العذار :

كأس لها حبيب يدور بها كما دار السوار بمعصم الحناء
صفراء نمت بها الزجاج كأنها شمس محجبة بجسم هواء

ومنها :

تمنح يوغل بالخطوب سماحه إن الدواء موكل بالداء

١٥

ومنها :

وتراه أصدق من رأيت مواعدا والصدق بعض مواهب الكرماء
تندى أنامله ويشرق وجهه فيجود بالآلاء والآلاء

٢٩ - ابن موشى

من شعره (١) :

/ لعلّ الذى أُننى بما هو أهله وتوجّنى من كلِّ فخرٍ بتاجه [٥١ و]
 سيقبلُ عُذرى فى الجواب لأننى غدوتُ كمن ضاعى اللّجين بعاجه
 رأتى وأيأه كشمِدِ قرارة وموجِ خضمٍ يرتى بارتجاجه
 لقد زارنى منه كلامٌ كأنما تمثّل فيه الرّوض عند ابتهاجه
 ومعنى ثجلى تحت مصقول لفظه كالاح صرْفُ الرّاح تحت زجاجه
 وإنّى بالبرِّ اليسير مُواجهٌ وإنك بالفضل الكثير مواجى

٣٠ - الشّريف أبو محمد الحسّ بن الشّريف الجليس

وجدت فى ديوان أبى عبد الله بن هانى مكتوباً قطعة كتبها إليه ابن الشّريف
 الجليس فى جواب شعره :

أهديت لى منك شعراً كما تجلّت عقود
 فلستُ أدرى بماذا أجزيك عما تجود
 لأنّ رفدى إذا ما أجزأتْ شىءٌ يبيدُ
 وإنّ شكركَ فضلٌ مع الزمانِ خلود
 على كلّ منبذٍ وما عليك مزيد

تمّ شعره .

(١) إلى هنا ينتهى الحرم والنقل عن المختصر .

[٥١ ط]

٣١ - / أبو التقي صالح بن الخال

وجدت له في ديوان أبي عبد الله بن هاني قصيدة كتبها إليه وهو مؤعوك

يقبض زيارته ، منها :

- يا ناقضاً في قوافيه عرى النقص يُبِيرُ مُسَوِّدَهَا مِنْهُ بِمُبْيَضٍ
 قل لابن هاني عن ابن الخال محتسباً مَا يُؤَدِّيهِ نَقْلُ الْقَوْلِ لِلْقَرَضِ •
 أمسيت بدر نجوم الشعر أجمع مذ أَصْبَحْتَ لِي نَيْرَ الْأَدَابِ فِي الْأَرْضِ
 فاجنح لزورة شلو مشحون وصبا أَلْهِىَ ابْتِظَارُكَ بَعْضاً مِنْهُ عَنْ بَعْضِ
 لا ترج لي في تلافى مهجة سيبا فَإِنَّهُ إِنْ تَرَخَى خَفْتُ أَنْ أَقْضِي

ومنها :

- أَخَى لَا تَتَقَاضَانِي مَكَافَاةً عَلَيَّ يَدٍ عَصَلَتْ عَنْ مُنْتَهَى النَّهْضِ ١٠

ومنها :

- إن القطوع إذا استولت على أحدٍ رَمَتْهُ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ بِالْبُغْضِ
 سل كاسراتِ صروف الدهر هل سَلِمْتَ جُنُوبُهَا حِينَ عَضَّتْنِي مِنَ الْعُضِّ
 إن النوائب لما آثرت عَرَضِي سَاخَتْهُمْ بِهِ مُبْتَلِيًا عَلَى عَرَضِي
 لا تَأْمَنُنِي وَإِنْ دَارَتْ دَوَائِرُهَا عَلَيَّ بِالْجَوْرِ أَنْ أَمْضِيَ كَمَا تَمْضِي ١٥
 / أَقْسَمْتُ لَوْ يَمَيْتَ مُخَايَ مِنْكَ حَيٍّ مَا خَاضَ إِنْسَانٌ عَيْنِي جَدُولَ الْغُمُضِ
 لا يُخْرِجُ جَنَّتِكَ تَحْرِيكِي لِلْأُزْرِ نَسِيمُ بَرْقِ عُلَاهَا صَادِقُ الْوَمُضِ
 فَالْعَضْبُ لِلْهَزِّ قَبْلَ الضَرْبِ مُقْتَرَرٌ وَالسَّهْمُ يَحْتَاجُ قَبْلَ الرَّمْيِ لِلنَّبْضِ

[٥٢ و]

إذا أتبساطى لم يُحْدِثْ مُجَادِبَةً للقبض منك وهبت البسطَ للقبض
هب ذنبَ عَتِيْبِكَ الْحَمَى فَإِنَّ لَهَا وساوِسًا لدواعي المسِّ قد تُنْفِى
فأجابه أبو عبد الله بن هانى عنها بقصيدة منها :

ليبك ليك من داعٍ إلى فَرَضٍ يدعو فأقضى وفرضُ الحجِّ ما أَقْضَى
إن كان جفنٌ ودادى عنك عَمَّصَه ما قد زعمتَ ، نَبَا جفني عن النُّمُصِ
لكن أصابك أمرٌ لو علتُ به مضتْ تَعُوذُكَ رُوحِي قبل أن أَمْضَى
فكيف أصبحتُ مِنْ عَظٍّ^(١) الزمان قد أصبحتُ بينَ نيوبِ الهم في عَضٍّ^(٢)
ومنها :

الله يعلم أنى مذ علتُ بما حَلَّتْ أَبْكَى^(٣) بقلبٍ فيكَ مُرْفَضٍ^(٤)
كأنما الأرضُ ضاقتُ بي مذاهبها وهى الرحيمةُ بينَ الطولِ والعرضِ
أُنْسِي وأُنْسى ولا أَنتَفَكُ مضطربًا كَأَنَّ جَسْمِي عَرَقُ حَاقِقِ النَّبْضِ
قد فُضَّ جَمْعُ غرامِي فيكَ عن كبدِي فما لجمعِ هُمُومِي غيرُ مُنْفَضٍ^(٥)
إن تسبقُ فظلاي أبيضُ يَقَقُّ أوْلا ففَرُّ صَباحِي غيرُ مَبْيَضٍ^(٦)
ومنها :

١٠ / وكيف ما خافتِ الْحَمَى ؟ أَمَا خَشِيتِ من مَقُولِ كَذِبابٍ^(٧) السِّيفُ إِذْ يَمْضَى ؟ [٥٢ ظ]
ومنها :

أو صادفتُ فيكَ نارَ الهمِّ فَأَجْذَبْتُ والجَنَسُ بالجَنَسِ مُسْتَبْدِنٌ وَمُسْتَقْضِ
والخطبُ طَرَفٌ جَوْحٌ لا لَجامَ لَهُ يَأْتِي الكَرِيمَ بلا سَوَاطِ ولا رَكْضِ

(١) في الأصل هكنا : إنك قلب .

(٢) ذباب السيف : حده .

(٣) عظم : مضى .

(٤) مرفض : متعطل .

فلا يروغك ما تلقاه من ألمٍ فكلُّ شهيدٍ إلى طيبِ الكرى يُفضى
وذكر أنه أرسلها إليه ، وتوفي ابن الخلال بعد أيام يسيرة .

٣٢ - أبو النعمان* الإسنوي

له في مرثية أبي التقي ابن الخلال :

سقى الله قبرًا جاور المزن من أسمى على من حواه دمع كل أديب
فأوفت له حزنًا كرامٍ معاشيرٍ بشق قلوب لا بشق جُيوب
وقلَّ على ماضى الضريبة ، نزهت له شيم من مُشبهٍ وضريب

٣٣ - ابن الضيف*

[٥٣ و] / هو حيدرة بن عبد الظاهر بن الحسن بن علي الربي الضيف .

- ١٠ كان من دعاة الأدعياء ، الغلاة لهم في الولاء ، وكان في حدود سنة خمسمائة ،
في عهد أسرم ، وله فيه مدائح كثيرة ، لدواعي المناخ مثيرة . وقع إلى ديوانه بخطه ،
وكنيت عازمًا لفرط غلوه على خطه ، لأنه أساء شعرًا وإن أحسن شعرًا ، بل أظهر
فيه كُفرًا ، فلم يستحق لأساءته كُفرًا ولا غُفرًا . لكنني لم أر أن أترك كتابي
منه صفرًا ، لأن البحر الزاخر ، يركبه المؤمن والكافر ، ويقصده البر والفاجر ،
يحمل النساء كما يحمل الدر ، والمركب فيه يجمع العبد والحر . وقد أوردت من
١٥ مستحسناته كل ما يعنى على سيئاته ، ويفضى به على هفواته . فما عنيت بإثباته ،
من قصائده ومقطوعاته ، قوله [من] قصيدة يعارض بها ابن هاني المغربي :

(*) ترجم له صاحب الطالع المعيد ص ٣١٥ وقال : إنه توفي سنة ٥٤٤ هـ وانظر حسن

المحاضرة ١/ ٣٧٤ .

(*) ترجم له ابن سميذ في الجزء الثاني من الغرب . نسخة دار الكتب المصرية الورقة

١٧٢ وقال : إنه كثير المارضة لطريقة ابن هاني الأندلسي في النلو وسفل الألفاظ وقصفتها .

طَلَعَتْ صَبَاحًا مَشْرِقًا يَهْلُلُ ووراءها بالوَحْفِ^(١) لَيْلُ الْكَيْلِ
وَدَنَتْ بِهَا شَمْسُ الظَّهِيرَةِ تَقْتَلِي نَوْرًا وَمَا لِلشَّمْسِ طَرْفُ أَكْهَلِ
وَنَتَّ قَضِيبَ الْخِيزَرَانَةِ تَحْتَهُ حَقْفُ يَكَادُ تَسْرِعًا يَهَيَّلِ

/ ومنها :

فَانْلَحْ ضَمَّخَهُ حَرِيقُ مُسْعَلٍ وَالْمَغْرُ عَطَّرَهُ رَحِيقُ سَلْسَلٍ
وقوله من أخرى :

هَزَّتْ كَثِيبًا بِالْقَوَامِ مَهَيَّلًا وَرَبَتْ بِمَقْلَةٍ جُودَرٍ هَارُونَهَا
وَرَمَتْ بِأَسْهَمِهَا فَوَادًا مَذْنَفًا وَمَضَتْ مَوْدَعَةً فَعَطَّرَتْ الرُّبَى
تَهْدِي الصَّبَا مِنْهَا لَطِيمَةً غَنِيرٍ ١٠
مَنْ ذَمَّ أَيَّامَ الْفَرَاقِ فَإِنَّ لِي
إِنْ وَدَعْتَ فَلَسَّمْتُ نَعْرًا أَشْنَبَا
وقوله من أخرى في الشيب :

لِبَاسِ الْمَشِيبِ نَظْلُجِ الشَّبَابِ ١٥
وَنَشْرُ الزَّمَانِ بِأَحْدَانِهِ
وَجِدَّةُ أَتَوَابِهِ أَخْلَقَتْ
مَنَاسِرُهُ اخْتَلَطَتْ مَهْجَتِي
أَرْقَعُ مِنْهُ قِمِصَ الْبَيَاضِ
فَإِنَّ قِيلَ هَذَا سَخَامُ الْمَشِيبِ ٢٠
وَقَرُبُ الْقَتِيرِ بَعِيدُ الزَّهَابِ
لِسَطُورِهَا^(٢) طَى هَذَا الْكِتَابِ
بِأَتَوَابِ غُمْرٍ بَطِيءِ الْإِيَابِ
وَأَظْفَارِهِ أَنْشَبَتْ فِي إِهَابِي
وَأَسْتَرُهُ بِسَوَادِ الْخَضَابِ
فَقُلْتُ : عَلَى قَدَرِ عَصْرِ الشَّبَابِ

(١) الوحف : الشعر الطويل الأسود .

(٢) في الأصل : ذا بدلا من ها .

[٥٤ و] / ومنها :

حنانيك من زائر ليقته بيدلني وصله باجتباب
حباله إعراضه صيرت سكون الحياة إلى الاضطراب

وقوله من أخرى :

- ٥ فتأمل ربعا إذا ما خلا أهله فالوجد منه ليس بخال
ذاك^(١) مفعلي يُغنيك مرأى عن السمع بتجديده الهوى وهو بال
طلبا أمكنت به قرص جا ذبت فيها مغازلات الغزال
بين ورد كورد خديه في الحسن وروض كوجه في الجمال
وندى كالدموع في مقل التر جس أو فيض عذبة في دلال
١٠ يا لقوى من سحر تغتير طرفي وقمه في القلوب وقع النبال

ومنها :

كلما بلبتھما راحة التجيميش هاجت سوا كن البلبال
تحت ريمان طرة جمعت ما بين شمس الضحى وبدر الليالى
فلهذا بالخال نقطة ذال ولذلك الحلى صورة ذال

ومنها :

- ١٥ لطف نفسى على قضيب نصار يستميل القضيب بالإعجال
/ يتجلى أعلاه عن بدرتي ويبارى ردفاه دغص رمال
وعليه مجاسد ألبسته الحسن من فرقه إلى الخللخال
فإذا لاح في السواد رأينا شمس دجن أو هالة في هلال

(١) في الأصل : فا بدون الكاف .

ومنها:

ذَابَ قَلْبِي بِبَارِهِ خَجَرِي فِي أَلَدَمْعِ كَالنَّارِ فِي سَلِيظِ الدُّبَالِ
وَتِلَافُ السَّكْرِمِ فِي ذَلَّةِ اللُّو عِ عَزْ وَرَاحَةُ فِي كَلَالِ
مَثَلًا يُتَلَفُ الْأَجَلُ جَمَالُ الْمُلْكِ أُمُورُهُ بِحِفْظِ الْمَعَالِ
ذَوَاعْتِزَامٍ لَوْ أَنَّهُ فِي فَرْندِ السَّيْفِ طَبْعًا أَضَاءَ قَبْلَ الصَّقَالِ
رَجَلٌ يَسْتُرُ الْأَيْدَى فِتْبَدِيهَا سَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ الرِّجَالِ
وَلَهُ أَسْمُهُمْ حِدَادُ إِذَا طِشْنَ يُحَرِّكَنَّ رَاسِيَاتِ الْجِبَالِ
وقوله من أخرى:

لِلَّهِ أَجْرَاعٌ (١) اللَّوَّى مَا أَعْجَبَا وَلَقَاءَهُ أَبْنَاءُ الْهَوَى مَا أَعْزَبَا

ومنها: ١٠

وَأَوَانِسُ غَيْدٌ كَأَسْرَابِ لَمَّهَا وَفَوَارِسُ صَيْدٌ كَأَشْهَابِ الدَّيَا (٢)
جَمَلُوا حَشَايَاهُمْ مَتُونَ جِيَادِهِمْ قَدْ ذَلُّوْهَا فَاسْتَلَانُوا لِلرَّكْبَا
لَمَعَتْ بَرُوقُ جِيَادِهِمْ بِطِرَادِهِمْ حَتَّى كَانَتْ عَلَى الْعَيُونِ بِهَا هَبَا (٣)
وَاسْتَمْطَرُوا دَيْمَ الدَّمَاءِ حَوَافِلًا بِأَسْتَنَةِ رَوَتْ (٤) بَهَنَ الْأَكْهَبَا
/ تِلْكَ الْمَنَازِلُ لَوْ هَتَفَتْ بِهَا يَرَى بَلِيلُهَا نَفْسُ الرِّيحِ مُطَيَّبَا [٥٥ و]
فِيهَا تُهَرِّقُ قَتْنَا بِأَشْبَاهِ الدَّقَا (٥) وَبِهَا كَوَاعِبُ لَوْ تَسْتَمِنُ (٦) الرُّبَى
طَلَعَتْ لَنَا الْأَفْقَارُ مِنْ تِلْكَ الرُّبَى

(١) أجراع : كسبان (٢) الديا : النمل ويريد بأسباب : جوع .

(٣) ها : هباء وهو الغبار (٤) في الأصل : ودت .

(٥) هكذا في الغرب وفي الأصل : القتا .

(٦) في الغرب تيسمت .

ومنها :

بقنا بها نجلو عروس زجاجة قد أليست نوبَ الرحيق للذَّهبا
 نثرت عليه بالمزاج لآلئنا عانت فعاتت كالبرين^(١) تَسْرِبَا
 فصفاؤه يفتّر عنه ترققًا وبروده يزداد منه تلهيا
 ومعرّذ ، لى من فتور جفونه سُكْرًا، وسكْرًا شدا وتطرّبا
 نَبْهَتُهُ ويدُ النعيم تَوَدُّهُ لينًا وتكسو وجنتيه تحضبا
 لأرؤوض روضًا بالتداني مُمرعًا وأزور مَنقى بالغواني مُعشبا
 وأشم ريمانَ الشعور مُطعِمًا وأعلّ خمرًا بالثور مُشنبًا
 وأمّص رمانَ الصدور مُشزبًا^(٢) وأعصّ ففاح الخلود مُكْتَبًا^(٣)

١٠

وقوله من قصيدة :

قد أظليت قوادمُ اللَّكنِ الجبا هل لكن جناحي المحصوص^(٤)

ومنها :

كَيْفَ طَيَّرْتُمُوهُ فِي سَمَةِ الْآ فَاقِ وَهُوَ لِلدَّلَّةِ الْقُصُوصُ

ومنها :

[٥٥ ظ] / أو ليس العقودُ تجمع أسبا^(٥) جَا وَدُرًا واسمُ الجميعِ فصوصُ

ومنها يصف الشعر :

فتأملْ بظاهرِ المدلِّ والرأ فَمَدْحًا ما شأنه التَّيْنِصُ
 لفظه الشَّهْدُ والقَرْيَحَةُ نارُ وللماني دُهْنٌ فَنَمَ الْخَلِيسُ

(١) البرين : جمع برة وهو الخلل وحلقة توضع في أقب البعر .

(٢) المعزب : الضامر .

(٣) للكتب : للتلى .

(٤) المحصوص : القصوص .

(٥) الأسباغ : الخرز .

ومن مراثيه قوله من قصيدة يرثي بها والده .

عَادَ جَفَنِي مِنَ الدَّمُوعِ كَلِيلًا قَبْلَ أَنْ أَشْتَنِي وَأَشْنِي عَلِيلًا

ومنها :

وعَظِيمُ المَصَابِ يَشْتَفُ مَاءَ القَلْبِ حَتَّى يَعُودَ يَبْسًا مَحِيلًا
طَلَحَ صَبْرِي مَعَ الرِّقَادِ فَمَوَّضُ بُغْرَامَاتٍ مَعَ الشَّهَادِ طَوِيلًا
لَتَقِيدُ قَدْ كَانَ قَرَّةَ عَيْنِ الدَّهْرِ فَضْلًا وَرِيقَةَ المَسْوَلَا
إِنَّ خُطْبًا أَصَابَنَا فِي أَبِي الفَتْحِ نَلْطُبُ أَفَادَ حُزْنًا طَوِيلًا
وَكَذَا عَادَةُ الزَّمَانِ إِذَا عَا دَى أَصَابَ الجَلِيلُ مِنْهُ الجَلِيلَا
صَاحٍ لَا تَعْتَرِزُ بِعِشْكَ فِي الدُّنْيَا وَنَكَبٌ عَنْهَا بِزَهْدٍ سَبِيلَا
فَقَى أُمُّ تَذَلُّ كُلِّ عَزِيزٍ مِنْ يَدِيهَا كَمَا تَعَزُّ ذُلِيلَا

وقوله من قصيدة :

غَيُومٌ غُومٍ لَا يَرَمَنْ عَنِ الجَفْنِ وَمُزْنٌ دُمُوعٍ هُنَّ أَشْنَى مِنَ المُزْنِ

[٥٦ و]

/ومنها :

وَمِنْ عَجَبِ إِرسَالِ عَيْنٍ سَخِينَةٍ عَلَى لَوْعَةٍ هَلْ يُطْفَأُ الشُّخْنُ بِالشُّخْنِ؟
وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنْ تَقْبِضَ شَوْثُهَا عَلَى ظِلِّهَا مِنْهَا بِمَنْجَسٍ هَتَنِ

وقوله من أخرى :

أَرَى الشَّوْقَ مُسَوِّدًا كَقَلْبِي مِنَ الأَسَى وَإِنْ كَانَ حُمْرًا فَمِنْ أَدْمَعِي الحُمْرِ
وَقَدْ حَالَ دَمْعِي بَيْنَ نَوْبِي وَنَاظِرِي وَحَالَ غُرَامِي بَيْنَ قَلْبِي وَالبِشْرِ
كَأَنَّكَ حُلْمٌ كُنْتُ فَاسْتَيْقِظْتُ لَهُ جَفَوْنَ الرَّدَى وَاسْتَأْثَرْتَ مِنْكَ بِالعُمْرِ

وقوله من أخرى :

- كدأ بك في الصبر يا ابن النهر فكلُّ الأمورِ إلى مُنتهى
وكل امرئٍ مُسلمٍ نفسه إلى الموتِ إن شاءه أو أبى
نعدُّ ، لتسبُّقه ، العاديات فيلركنا يسير الخطى
ونأملُ عمرانَ أعمارنا فيهدمُ آمالنا والرجا
وما العيشُ إلا كخُلْمٍ مضى وبرقٍ سرى ، أو كظلٍّ أرى
حياةُ الفتي مركبٌ للحِجام وجثمانه هَدَفٌ لليلِ
نروحُ ونغدو به ضاحكين وضحكُ القضاء علينا بُكا
وإنَّ مَنى المرءِ طولُ الحيا في نعمةٍ كان أو في شقا
/ ألا إنما الدهرُ يُملى لنا ومن يأمنُ الدهرُ أنى سطا ؟
- [٥٦ ظ]

ومن مقطوعاته في معاني شتى قوله في طول الليل :

يا ليلةً عُمُرُ الزما ن بطولها مثلُ القلّامة
يُثني على ظلامها وغرامها يثني النّامة
حتى كأنَّ نهارها يبدو به فجرُ القيامة

وقوله في المعنى :

أرقّ عيني شادنٌ دَنَفٌ بهجره . فالرقادُ مُحْتَطَفٌ
والليلُ من طوله كدائرة لا آخرَ عنده ولا طرفُ
وقوله أيضاً في طول النهار وقصر الليل :

طال النهار على الحب كأنّه يومُ الحسابِ بأخِرِ الدهرِ
وكان ليّله وقد طلعت عَقَدَ العِشاءِ بهما مع الفجرِ

وقوله في أسرد التحي :

كنتَ حَيًّا في المُرْدِ حتى إذا عَذَرْتَ جاء الماتُ والتعذيرُ
مثلُ سطرِ العنوانِ يبدو وتطوى منه في باطنِ الكِتابِ سطور

[٥٧ و]

/ وقوله في عواد ، وزعم أنه عمله في المنام :

ومسمع مبدع بصنعيته يريك من فضلِ حُسْنِهِ عَجَبًا
حرَّكَ عودًا كالرعدِ مُقَرَّنًا بالبرقِ من كَفِّهِ إذا صَرَبَا
تَسْرَى قواه في نفسِ سامعِهِ فيكتسى كلُّ مَفْصِلٍ طَرَبًا

وقوله :

أَكْرَمَ بِنَفْسِكَ إِنْ أَرَدَ تَ الْعَزَّ عَنْ ذُلِّ الشُّوَالِ
وَأَسْتَفْنِي عَنْ عِدَّةِ الْبَخِيلِ أَتَتْ بِعَذْرِ وَأَعْتَلَالِ
فَالطَّبْعُ أَغْلَبُ لِلْفَقِي وَالْبَخْلُ مِنْ لُؤْمِ الرِّجَالِ
كَمْ بَيْنَ مُخْتَلَفِ الْمَقَالِ لِي وَبَيْنَ مُتَّفَقِ الْفَعَالِ
وَمُبَاعِدِ طُرُقِ النَّدَى وَمُقَرَّبِ طُرُقِ النُّوَالِ
هَذَا يَسَاقُ بِالْعَطَا ءِ وَذَا يُعْلَلُ بِالْإِطَالِ
حَازَ الْفَنَى مِنْ لَا يَجُو دُ وَجَادَ ذَاكَ بِغَيْرِ مَالِ

وقوله يصف عدو القرس في الميدان :

كَمْ سَاحِجٍ أَعْدَدْتُهُ فَوَجَدْتُهُ عِنْدَ الْكَرِيهَةِ وَهُوَ نَسْرُ طَائِرُ
لَمْ يَزِمْ قَطُّ بِطَرْفِهِ فِي غَايَةِ إِلَّا وَسَابِقُهُ إِلَيْهَا الْخَافِرُ

/ وقوله في المعنى :

كَمْ جَوَادٍ يَسْبِقُ الْوَهْمُ فَا يَقْتَضِيهِ الْوَهْمُ إِلَّا تَبَعَا

[٥٧ ط]

٢٠

رأهنت أوظافه^(١) الحاخلة ثم جاء غايّة السبقِ معا

وقوله :

قرّ لاثٍ عليه مطرًا لا زورديًا رقيق الحاشية
وعليه صبغة من حسنه فضحك القلب إذا عاينته^(٢)
ولكم عينٍ عليه باكية وبخديّ جعيم صالته
نعمّ الصّدغان فيها طرّرا شبيهة العين لما أن بدا
روضة ذات قطوف دانية أو قضيبًا فوقه سوسنة
أو هلالا في سماء صاحبه

وقوله :

آذنت قلبي بالهوى شادن أيقظه من طرفه الناس
ألستهُ الحُسن رداء له نفسى فداء القمر اللابس
عرستُ في وجبته وردة من نظرة للسترى الخالس
خفاف أن أقطعها خفية بقبله والفرس للغارس
فرّ في ميدانه مسرعا يا ليتنى فارسُ ذا الفارس

(١) أوظاف : جمع وظيف وهو مستدف الساق من الخيل .

(٢) في الأصل : عاينته .

تصحیحات

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
قصيدة	قصيدتين	٥	١٦٩	مسلطاً	مسلطاً	١٢	٣٠
أبداً	أبداً	١٠	١٧٢	حل	حل	٢١	٣٥
تصفحوا	تصفحوا	١٥	١٧٢	ذِكَاكاه	ذِكَاكاه	٩	٤٧
(١)	(٥)	٧	١٧٧	لكرام	الكرام	١٦	٤٨
العقل	العقل	١	١٨٦	للمتحرش	للمتحرش	٢	٥١
الإنعناء	الإنعناء	٧	١٨٨	يوسيفية	يوسيفية	٣	٥٢
ذباد	زياد	٧	١٩٠	اصفراراً	اصفراراً	٤	٥٨
أسرته	أسرته	٩	١٩٢	غدا	عدا	١١	٦٢
فطلته	فطلته	١٠	٢١٢	وتغزر	وتغزر	١٦	٦٧
الأربع	الأربع	١٣	٢١٤	أرزي	أرزي	١٧	٧١
بها	بها	١٣	٢١٤	فبعلك	فبعلك	١٠	٧٣
أصْدَق	أصْدَق	١٢	٢٢٤	مترز	مترز	١٤	٧٧
وأم لا	وأملاً	١١	٢٢٩	العقل	العقل	٣	٧٨
أجزلت	خذلت	١	٢٣٧	تعيّنها	تعيّنها	١٦	٨٠
أوجدت	وجدت	١	٢٣٧	قتل	قتل	١٥	٨٤
لريضة	لريضة	٥	٢٤٣	راق	راق	١٠	٨٧
لأن	لئن	١٣	٢٦٠	فرس	فرس	٥	٩١
نجرّد	نجرّد	٧	٢٦١	الواني	الواني	٥	٩١
الأغفر	الأغفر	١٦	٢٦٨	خَدَّها	خَدَّها	٧	٩٦
باللوى	باللوى	٤	٢٧١	وفي	وفي	١٣	١٤٥
السعي	السعي	٣	٢٧٣	مُيِّن	مُيِّن	٢	١٦٠
الأرق	الأرق	٨	٢٧٦	حب	حب	٣	١٦٥
(١)	(٢)	٢٠	٢٧٧	مصر	بولان	١٥	١٦٨
مُحَرَّق	مُحَرَّق	٣	٢٧٨				

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٥١

Bibliotheca Alexandrina



0424554